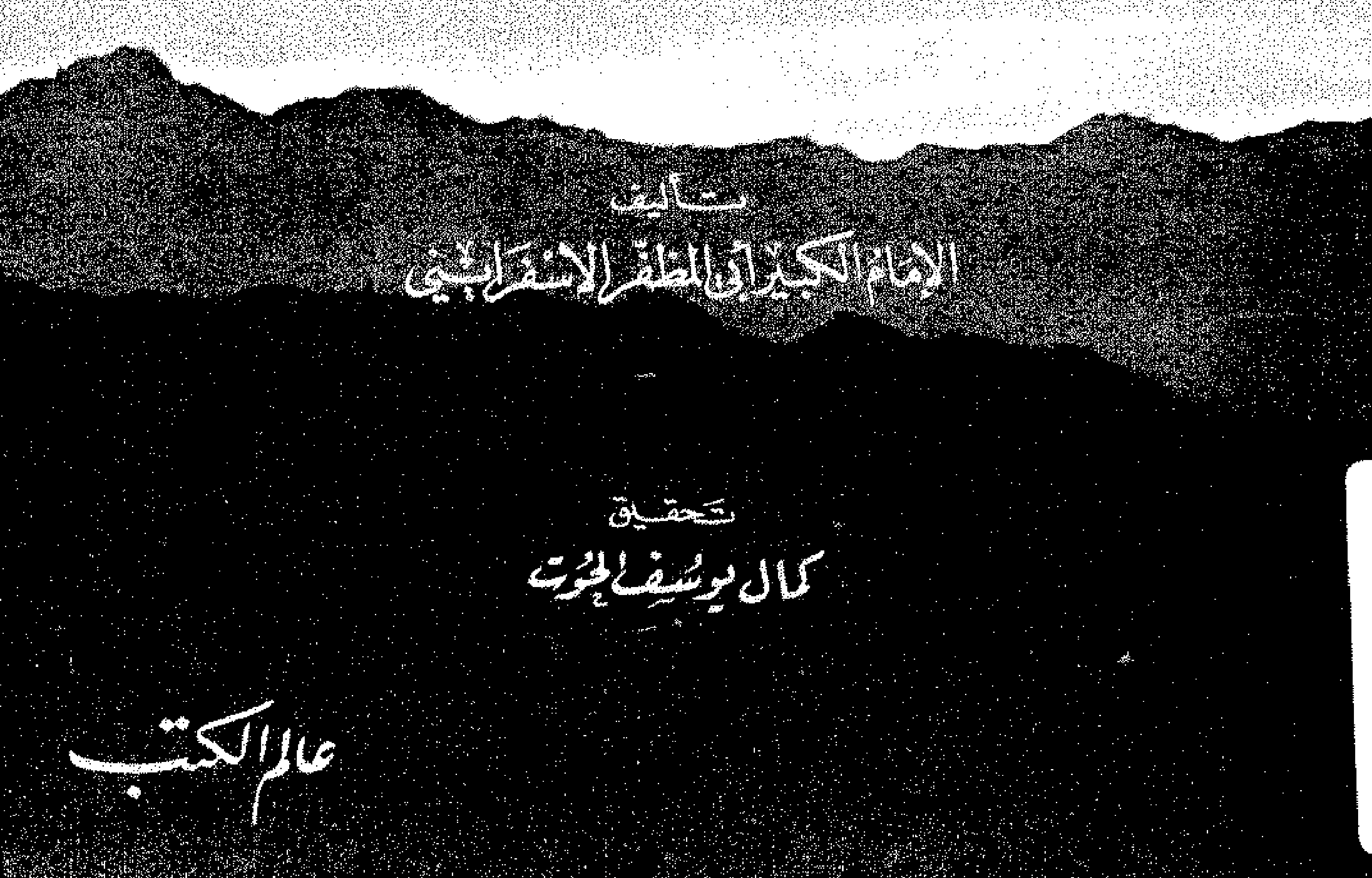
التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين



تأليف

الإمام الكبير أبي المظفر الاسفراييني

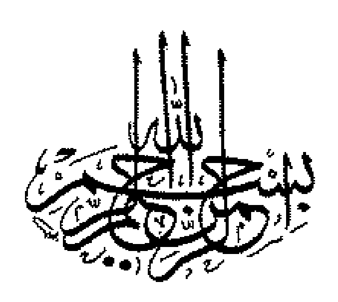
تحقيق

كمال يوسف الحوت

عالم الكتب

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين





بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف

الإمام الكبير أبي المظفر الاسفراييني

المتوفى سنة ٤٧١ هـ

تحقيق

كمال يوسف الحوت

مركز الخدمات والأبحاث الثقافية

عالم الكتب

الطبعـــة الاولى
١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقائد الغُرّ المحجلين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي بعثه الله رحمة وهدى للمؤمنين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين .

وبعد ، فإن عقيدة الاسلام توافق العقل السليم الذي هو شاهد للشرع ، الذي لا يأتي الا بمجوزات العقل . وكلمة الشهادة « اشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » هي الكلمة التي يدُخل بها في دين الإسلام لمن كان على غير الاسلام . ومعناها اجمالاً أنه لا معبود بحق إلا الله ، الواحد الاحد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وانه يتصرف في ملكه كما يشاء ، وانه ليس كمثله شيء ، وانه ارسل سيدنا محمداً القرشي الهاشمي ، وانزل عليه كتاباً احكمت آياته ، وانه ادى الامانة ، وبلغ الرسالة ، وصبر حتى صارت كلمة الله هي العليا .

ثم لما توفي النبي ﷺ ، ارتد اناس في الاطراف ، وامتنع اناس عن اداء الزكاة ، حتى قام سيدنا ابو بكر بقمع هذه الفتن .

ثم وجد الفتّانون في عهد الفتن مرتعاً خصباً لبذر الشر والفساد ، فبدأوا يسعون جهدهم في تفريق كلمة المسلمين بشتى الوسائل ، فكانت الخوارج ، ونشأت فرق الشيعة ، ثم المعتزلة وغير هؤلاء من الفرق .

وهكذا عمت البلية ، وشملت المصيبة الى ان بلغ عدد اصول الفرق وفروعها عدداً كبيراً . فتحقق كلام النبي ﷺ في افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة .

وقد كان لعلماء المسلمين سعي مشكور في دفع الشبه ، وابطال التمويه والفساد ، فالفوا كتباً فمنهم :

١ ـ شيخ أهل السنة والجماعة الإمام ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري الذي صنف كتابه «مقالات الاسلاميين» وقد طبع عام ١٣٦٩ .

(٢) الإمام المحقق ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ، فخر الدين الرازي ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي ، صاحب كتاب «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» .

٣ ـ الإمام المتكلم ، النظار ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي صاحب كتاب الفرق بين الفرق ، وقد طبع بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٤ ـ ابو المعالي محمد الحسين العلوي صاحب كتاب «بيان الاديان» نشره الدكتور يحيى الخشاب .

٥ ـ القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي ، صاحب كتاب «العقائد العضدية» .

٦ ـ الإمام الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل ، وقد طبع . .

وأخيراً هذا كتاب التبصير اقدمه لقراء العربية ، وقد عُنيتُ بالترجمة للاعلام التي وردت فيه ترجمات باختصار ، ودللت على المراجع لهذه الترجمات ليستزيد من اراد الاستزادة ، كما دللت على المراجع التي تحدثت عن الفرق التي تعرض لها الاسفرايني لنفس السبب ، ثم دققت في تحقيق النص وضبط الفاظ الكتاب ونفيت عنه الخطأ الذي وقع في الطبعة السابقة ، والتي هي الاولى سنة ١٣٥٩ هـ .

والله سبحانه وتعالى ـ الموفق للخير، واسأله ان ينفعني بهذا العمل الـذي أرجو به حسن الختام . وارجو ان يكون عملي هذا فيه فائدة للقارىء .

ربنا عليك توكلنا ، واليك المصير .

كمال يوسف الحوت
امين قسم المخطوطات
في
مركز الخدمات والابحاث الثقافية

ترجمة المؤلف

هو طاهر بن محمد الاسفرايني ، الشافعي ، الشهير بشهفور (ابو المظفر) . الإمام الاصولي ، الفقيه ، المفسر[1] . وهو من كبار ائمة اصول الدين ، وقد ترجم له ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري في مانسب الى الإمام ابي الحسن الاشعري »[2] في عداد رجال الطبقة الرابعة من الاشاعرة ذاكراً له بالإمام الكامل، الفقيه الاصولي المفسر . وقد اثنى عليه السيد مرتضى الزبيدي في شرح الاحياء عند الكلام على أئمة اصول الدين . وقد ذكره الداودي بقوله : شاهفور بن طاهر بن محمد الاسفرايني ، الشافعي ، ابو المظفر المفسر . إمام بارع ، صنف التفسير الكبير المشهور ، وصنف في الاصول ، وسافر في طلب العلم ، وحصّل الكثير .

بعض شيوخه :

سمع الحديث من اصحاب (ابي العباس) الاصم ،واصحاب ابي علي (حامد بن محمد) الرفاء ، وكان له اتصال مصاهرة بالاستاذ ابي منصور البغدادي الإمام . وقد توفي بطوس سنة احدى وسبعين واربعمائة .

---

(١) انظر طبقات الشافعية : ٣ : ١٧٥ .

(٢) انظر : تبيين كذب المفتري : ص/ ٢٧٦ .

بعض مؤلفاته :

١ ـ « تفسير الكتاب الكريم » المسمى بـ «تاج التراجم في تفسير القرآن للاعاجم »[١] باللغة الفارسية ، وهو مطبوع في ايران بعناية بعض المستشرقين .

٢ ـ «التبصير في الدين ، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين »[٢] وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا . وقد استوفى المصنف فيه من غير املال ، ولا اخلال ، بيان عقائد اصحاب الملل والنحل.. وقد اجاد في شرح معتقد أهل السنة في آخر الكتاب . وقد قسم كتابه الى خمسة عشر باباً .

واخيراً هذه ترجمة موجزة للإمام الاسفرايني . وللاسف لم نقف على مصادر فيها تفصيل شافي لحياة المصنف .

---

(١) انظر : كشف الظنون : ١ : ٢٦٨ ـ ٤٤٢ .

(٢) انظر : كشف الظنون : ١ : ٣٤٠ .

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

قال الإمام الكبير، حجة المتكلمين أبو المظفر الاسفرايني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله أجمعين ، وأصحابه البررة الطاهرين.

اعلموا اسعدكم الله : ان الله تبارك وتعالى أمر عبده بمعرفته في ذاته وصفاته، وعدله وحكمته وكماله في صفته ، ونفوذ مشيئته، وكمال مملكته ، وعموم قدرته ، ولا تتكامل المعرفة بذلك كله الا بنفي النقائص عنه . وباثبات اوصاف الكمال له من غير أن يشوبه شيء من بدع المبتدعين ، والحاد الملحدين وكان أمره تعالى متضمناً لأمرين، المعرفة بما أوجب معرفته ، والاحاطة بما أوجب عليه مجانبته حتى إذا اجتمع له الوصفان تحقق له وصف الايمان على سبيل الاتقان والايقان ، والمفارقة لما يوسوس لكثير منهم من الشبه وحبائل الشيطان فيكون إيمانه كما أخبر الله تعالى به عن إيمان خليل الرحمن حين قال : « **إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما انا من المشركين**»[1] اثنى عليه لهذه المعرفة لجمعه بين المعرفة بكمال اوصافه وميله عن كل معبود يخالفه في وصفه فوصفه أي الله تعالى الخليلَ بكونه حنيفاً اي مائلاً عن عبادة الاوثان وحبائل الشيطان وما يخالفه من الطرق والأديان. وبمثله أقر رسوله المصطفى عليه السلام حين قال: «**إن الذين** فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا

(١) الانعام : ٧٩ .

يفعلون»[1] وقال: «فاعلم انه لا إله إلا الله»[2] فأمره بالمعرفة ومغادرة كل دين يخالفه في حقيقته ، وأمره ان يخبر عن نفسه بصفة معرفته الجامعة لوصفي النفي والاثبات ومعرفة ما يجب معرفته، ومجانبة ما تجب مجانبته فقال: «قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»[3] . وأمر سبحانه الكافة بكلمة الايمان لا إله إلا الله جمع فيها بين النفي والاثبات ، وقدم النفي على الاثبات ليعلم ان الاثبات لا يحصل الا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته .
وهكذا جمع في سورة الاخلاص بين النفي والاثبات فوصف نفسه بأوصاف الكمال في قوله :«قل هو الله أحد الله الصمد»[4] . ونفي عن نفسه النقصان بقوله: «لم يلد لم يولد ولم يكن له كفواً احد»[5] . حتى قال أهل المعارف في تحقيق صفة الصمد انه يتضمن اثبات كل صفة لا يتم الخلق الا بها . ونفي كل صفة لا يجوز وصفه بها . لأن الصمد في اللغة هو السيد الذي يرجع اليه في الحوائج[6] ، وهذا يوجب له اثبات صفات الكمال التي يتم بها اتساق الافعال وقد جاء ايضاح اللغة في تفسيره ان الصمد هو الذي لا جوف له[7] ، وهذا يتضمن نفي النهاية ، ونفي الحد والجهة ، ونفي كونه جسماً او جوهراً لان من اتصف بشيء من (تلك) الاوصاف لم يستحل اتصافه بالتركيب ووجود الجوف له . وتقرر بهذه الجملة وجوب المعرفة بالنفي والاثبات والتمييز بين الحق والباطل ومن لم يتحقق له (معرفة نفي) صفة الباطل لم يتحقق له (معرفة اثبات) صفة المعرفة بالحق.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة ، وعن الباطل والشر للتمكن من المجانبة حتى قال حذيفة بن اليمان: كان الناس

(١) الانعام : ١٥٩ .
(٢) محمد : ١٩ .
(٣) الانعام : ١٦١ .
(٤) الاخلاص : ١ - ٢ .
(٥) الاخلاص : ٣ - ٤ .
(٦) انظر « الصحاح » للجوهري ، ١ : ٢٤٠ .
(٧) انظر «القاموس المحيط» ١ : ٣٩٠ ، و «الصحاح» ١ : ٢٤٠ .

يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر. وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته لأن من لم يعرف الشر يوشك ان يقع فيه كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وقد أخبر رسول الله ﷺ انه سيظهر في زمن الاسلام من الفرق المختلفة ما ظهر في الأديان قبله فقال: « افترقت اليهود احدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة وتفترق امتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة ». فقيل يا رسول الله من الناجية؟ فقال « ما أنا عليه وأصحابي » وفي خبر آخر أنه قال الجماعة[1].

وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب ان النبي ﷺ قال في تفسير قوله تعالى: «يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»[2] ان الذين ابيضت وجوههم هم الجماعة، والذين اسودت وجوههم أهل الاهواء[3] فبين رسول الله ﷺ ان هذه الأمة يلبس بها وينسب الى جملتها كثير من أهل الاهواء يفارقونهم في حقيقة الايمان، وان كانوا يلتبسون بهم في ظاهر الحال فلا بد للمؤمن من أن يعرف حالهم حتى يتميز عنهم ويصون عقيدته عما هم عليه من البدع، ولا يكون كمن وصفه الله حيث قال: «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»[4] وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر[5]، ولا يبقى في النار من كان

---

(١) ورد هذا الحديث بعدة الفاظ اما لفظ «ما انا عليه واصحابي» فقد اخرجه الترمذي: في الايمان باب ما جاء في افتراق هذه الامة. اما لفظه «الجماعة»، فقد اخرجه ابو داود: في السنة: باب شرح السنة، ورواه احمد في «المسند»: ٤: ١٠٢.

(٢) آل عمران: ١٠٦.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ٤: ١٦٧ وعقب عليه بقوله: «ذكره ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب، وقال فيه: منكر من حديث مالك».

(٤) يوسف: ١٠٦.

(٥) القسم الاول اخرجه مسلم في «صحيحه»: في الايمان: باب تحريم الكبر وبيانه وابو داود: في الادب: ما جاء في الكبر، والترمذي: في البر والصلة: باب ما جاء في الكبر. ومعناه أي لا يدخل مع الاولين بل مع الآخرين بعد عذاب.

في قلبه مثقال ذرة من الايمان ». وانما يحصل مثقال ذرة من الإيمان باعتقاد صحيح سليم عن جميع شوائب البدع والالحاد وأنواع الكفر وما لم يتبين العاقل اوصاف البدع وأهلها لم يتقرر له حقيقة الايمان المستخلص عن جميعها وكلام النبي ﷺ صدق ، ووعده حق ، وهذا الذي أخبر عن وجود فرق الضلال فيما بين المسلمين لا محالة كائن .

وقد اختلف مشايخ أهل التحقيق من علماء المسلمين فيه فقال بعضهم : لم يتكامل وجود هذه الفرق من أهل البدع بين المسلمين بعد ، وإنما وجد، بعضهم وسيوجد بعدهم قبل يوم القيامة جميعهم فان ما اخبر الرسول ﷺ كائن لا محالة ، وقال الباقون وهم الذين يتتبعون التواريخ ويفتشون عن المقالات المنقولة من ارباب المذاهب المتسمة بسمة الإسلام ان تمام هذه الفرق الضالة قد وجدت في زمرة الاسلام ووجب على المرء المحصل ان يميز عقيدته عن عقائدهم الفاسدة ، ودينه عن اديانهم الضالة ، وقد ظهر في بلاد الإسلام اقوام من أهل البدع يخدعون العوام ويلبسون عليهم الاديان ، وينتسبون الى فريقي اهل السنة والجماعة اصحاب الحديث والرأي ويستظهرون بصدور لا يعرف حالهم من صدور أهل الاسلام ليتقوى بهم على خداع اهل الغرة من المسلمين ويظهرون به للأغمار ان لهم الغلبة والقوة ولا يعرف الجاهل بأحوالهم . ان الباطل قد يكون له جولة ثم يسقطكما سارت به الامثال على لسان الكافة «ان الباطل يجول جولة ثم يضمحل » وكما يقال : «الحق ابلج ، والباطل لجلج»[1] وقال تعالى : «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء»[2].

فأردت ان أجمع كتاباً فارقاً بين الفريقين، جامعاً بين وصف الحق وخاصيته والاشارة الى حججه ووصف الباطل وحد شبهه ليزداد المطلع عليه استيقاناً في

---

(١) الابلج اي المضيء المشرق ، يقال صُبحٌ ابلج بينّ . و لجلج اي يتردّد من غير ان ينْفُذَ . ا هـ انظر مختار الصحاح ص/ ٦٢ ـ ٥٩٢ .

(٢) ابراهيم : ٢٧ .

دينه ، وتحقيقاً في يقينه ، فلا ينفذ عليه تلبيس المبطلين ، ولا تدليس المخالفين للدين . وقسمته بحول الله وقوته على خمسة عشر باباً جامعة لبيان أوصاف عقائد أهل الدين ، وفضائح أهل الزيغ والملحدين ، والله تعالى ولي التوفيق لاتمامه بفضله وانعامه انه على ما يشاء قدير ، وبالفضل والأحسان جدير .

ـ الباب الأول : في بيان اول خلاف ظهر في الاسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ؛ وما ظهر من الخلاف في أيام الصحابة أو قريباً منهم .

ـ الباب الثاني : في بيان فرق الأمة على الجملة .

ـ الباب الثالث : في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم .

ـ الباب الرابع : في بيان مقالات الخوارج وبيان فضائحهم .

ـ الباب الخامس : في تفصيل مقالات القدرية الملقبة بالمعتزلة وبيان فضائحهم .

ـ الباب السادس : في تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم .

ـ الباب السابع : في تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم .

ـ الباب الثامن : في تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم .

ـ الباب التاسع : في تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم .

ـ الباب العاشر : في تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم .

ـ الباب الحادي عشر : في تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم .

ـ الباب الثاني عشر : في تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم.

ـ الباب الثالث عشر : في بيان فرق ينتسبون الى دين الاسلام ولا يعدون في جملة المسلمين ، ولا يكونون من جملة الاثنتين والسبعين وهم أكثر من عشرين فرقة .

ـ الباب الرابع عشر : في بيان مقالات أقوام من الملحدين كانوا قبل ظهور دولة الاسلام وانما أذكر جملة منهم .

الباب الخامس عشر : في بيان اعتقاد اهل السنة والجماعة وبيان ما لهم من المفاخر والمحاسن والآثار في الدين . وذكرت في كل باب ما يقتضيه شرطه على حد الاقتصار والاعتدال مصوناً من الاملال والاكثار بفضل الله وتوفيقه .

الباب الأول

في بيان أول خلاف ظهر بعد المصطفى ﷺ وفي أيام الصحابة أو قريباً من عهدهم

اعلم ان المسلمين وقت النبي ﷺ وبعد وفاته كانوا على طريق واحدة لم يكن بينهم خلاف ظاهر ، ومن كان بينهم من المخالفين المنافقين ما كان يتمكن من اظهار ما كان يستسره من أخباره . فكان أول خلاف ظهر بين المسلمين اختلافهم في وفاة رسول الله ﷺ حتى قال قوم منهم : انه لم يمت ، ولكنه رفع كما رفع عيسى بن مريم . وارتفع هذا الخلاف ببركات ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين صعد المنبر وخطب خطبة وتلا عليهم قوله تعالى: «إنك ميت وانهم ميتون »[1]ثم قال: «من كان يعبد محمداً فان محمداً قدمات ، ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت» فسكنت النفوس ، واطمأنت القلوب ، واذعنت له الرقاب ، واعترفت الكافة بما ظهر من الأمر وزال الخلاف .

ـ الثاني : انهم اختلفوا في موضع دفنه ﷺ . قال قوم : انه يدفن بمكة لانها مولده . وبها قبلته ، وبها مشاعر الحج ، وبها نزل عليه الوحي ، وبها قبر جده اسماعيل عليه السلام .

وقال آخرون : انه ينقل الى بيت المقدس فان به تربة الانبياء ومشاهدهم صلوات الرحمن عليهم .

وقال اهل المدينة : انه يدفن في المدينة لأنها موضع هجرته ، وأهلها اهل

---

(١) الزمر : ٣٠ .

نصرته . فزال هذا الخلاف ببركة الصديق حين روى ان رسول الله ﷺ قال : «الانبياء يدفنون حيث يقبضون»[1] فقبلوا منه روايته ورجعوا الى قوله ودفنوه في حجرته .

ـ الثالث : اختلافهم في باب الامامة . فقالت الانصار منا إمام ومنكم إمام ، وطال بينهم الكلام في ذلك حتى صعد الصديق رضي الله عنه المنبر وخطب ثم تلا عليهم قوله تعالى : «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»[2] قال فسماناً الصادقين ثم أمر المؤمنين ـ أي الله تعالى ـ ان يكونوا مع الصادقين بقوله تعالى «يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[3] وروى لهم[4] ان رسول الله ﷺ قال : « الأئمة من قريش » فصدقوه في روايته ، ونزلوا على قضيته واتفقوا على قوله فزال هذا الخلاف ايضاً ببركة الصديق ؛ ثم حدث فيه خلاف قوم من الخوارج حيث قالوا بجواز الخلافة في غير قريش كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخلاف لا يكون خطراً إلا إذا كان في أصول الدين ، ولم يكن اختلاف بينهم في ذلك بل كان اختلاف من يختلف في فروع الدين مثل مسائل الفرائض فلم يقع خلاف يوجب التفسيق والتبري . هكذا جرى الأمر على السداد أيام أبي بكر وعمر وصدر من زمان عثمان ثم اختلف في أمر عثمان وخرج عليه قوم منهم فكان من أمره ما كان .

ثم بعد ذلك حدث الاختلاف في أمر علي وفي حال أصحاب الجمل وصفين ، وفي حال الحكمين وظهر من ذلك خلاف الخوارج في أيام علي رضي الله عنه كما

---

(١) روى مالك حديثاً بمعناه : باب جامع الصلاة على الجنائز : رقم ٥٤٥ . بلفظ ان ابا بكر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه » اهـ .

(٢) الحشر : ٨ .

(٣) التوبة : ١٢٠ .

(٤) مع شهرة هذه الحكاية بين المتكلمين لم يثبت احتجاج ابي بكر بهذا الحديث يوم البيعة . وان كان الحديث وارداً بسند جيد عند الطبراني وغيره كما يظهر من «تلقيح الفهوم من تنقيح العموم» للحافظ العلائي .

سنذكره فيا بعد ان شاء الله تعالى .

وظهر في وقته أيضاً خلاف السبأية من الروافض وهم الذين قالوا ان عليا إله الخلق حتى أحرق علي جماعة منهم ، وظهر بعد ذلك سائر أصناف الـروافض كما نذكره فيا بعد ان شاء الله تعالى .

وظهر في أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية ، وكانوا يخوضـون في القدر والاستطاعة كمعبد الجهني[1] وغيلان الدمشقي[2] وجعد بن درهم[3] . وكان ينكر عليهم من كان قد بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن أبي أوفى وجابر وأنس وأبي هريرة وعقبة بن عامر الجهني وأقرانهم . وكانوا يوصون الى أخلافهم بأن لا يسلموا عليهم ولا يعودوهم ان مرضوا ، ولا يصلـوا عليهم إذا ماتوا[4] . ثم ظهر بعدهم في زمان الحسن البصري بالبصرة خلاف واصل ابن عطاء الغزال[5] في القدر ، وفي القول بمنزلة بين المنزلتين ، ووافقه عمـرو بن عبيد[6] فيا أحدثه من البدعة فطردهم الحسن البصري من مجلسه فاعتزلوه باتباعهم

---

١ ـ هو معبد بن خالد ، الجهني ، البصري ، اول من تكلم في القدر . قال ابو حاتم : « قدم المدينة فافسد فيها أناساً» اهـ. وقال محمد بن شعيب عن الأوزاعي :«أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له«سوسن» كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، اخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد»، وقيل صلبه عبد الملك بن مروان وقيل: خرج مع ابن الأشعث فاخذه الحجاج فعذبه ثم قتله، وأرخوا موته سنة ٨٠ هـ. ويقال بعدها » انظر العبر / ١ : ٩٢ ، تهذيب / ١٠ : ٢٢٥ .

(٢) هو أبو مروان : غيلان بن مسلم . أخذ القول بالقدر عن معبد كما تقدم . وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز جاء به واستتابه ، ثم قتله هشام بن عبد الملك بن مروان . أنظر الملل والنحل للشهرستاني/ ١ : ٣٠ ، لسان الميزان/ ٤ : ٤٢٤ ، المعارف/ ٦٢٥ .

(٣) الجعد بن درهم ، كان يؤدب مروان بن محمد آخر من ولي الخلافة من بني مروان ويقال : أنه أول من تكلم في خلق القرآن ، ويقال : أخذه خالد بن عبد الله القسري فذبحه يوم عيد الأضحى .

(٤) أنظر الفرق بين الفرق/ ١٩ ـ ٢٠ .

(٥) هو واصل بن عطاء البصري ، ولد بالمدينة في سنة ثمانين ومات في سنة ١٣١ هـ قال عنه المسعودي : « هو قديم المعتزلة وشيخها ، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين » كان يجلس في سوق الغزالين فلقب لذلك بالغزال . أنظر لسان الميزان/ ٦ : ٢١٤ .

(٦) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري ، المعتزلي ، القدري . قال ابن قتيبة : « كان يرى رأي القدر ، ويدعو إليه ، واعتزل الحسن هو واصحاب له فسموا المعتزلة » اهـ وقال الذهبي : « صحب الحسن ، ثم خالفه

جانباً من المسجد فسموا معتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين .وقولهم بمنزلة بين المنزلتين وزعمهم ان الفاسق الملي لا مؤمن ولا كافر ، وان الفساق من أهل الملة خرجوا من الايمان ولم يبلغوا الكفر وانهم مع الكفار في النار خالدين مخلدين لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم ، وأنه لو غفر لهم لخرج من الحكمة . ولما اظهروا هذه المقالة هجرهم المسلمون وخذلوهم كما كان قد أوصى اليهم أسلافهم من الصحابة .

ثم ظهر خلاف النجارية في أيام المأمون الخليفة واستعد جماعة منهم بالري ونواحيها ، ثم ظهر أيضاً دعوة الباطنية من حمدان قرمط ، وعبد الله بن ميمون القداح ولا يعدون من فرق المسلمين فانهم في الحقيقة على دين المجوس كما شرحنا أديانهم في كتاب « الأوسط » .

ثم ظهر في زمان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر[1] بخراسان خلاف الكرامية كما نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

واعتزل حلقته فلذا قيل المعتزلي » . مات سنة ١٤٢ هـ . انظر العبر/ ١ : ١٩٣ ، والمعارف/ ٤٨٣ ، وتاريخ بغداد/ ٦٦٥٢ ، ومروج الذهب/ ٣/ ٣١٣ - ٣١٤ .

(١) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، الخزاعي ، نائب بغداد ، مات بمرض الخوانيق ببغداد سنة ٢٥٣ هـ . أنظر شذرات الذهب/ ٢ : ١٢٨ .

الباب الثاني

في بيان فرق الأمة على الجملة

اعلم أن الله حقق في افتراق هذه الأمة ما أخبر به الرسول ﷺ من افتراق هذه الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية والباقون في النار . فأما الاثنتان والسبعون فعشرون منهم الروافض من جملتهم الزيديون ، وهم ثلاث فرق : الجارودية ، والسليمانية ، والابترية ، ومن جملتهم الكيسانية ، وهم فرقتان كما نبينه فيما بعد .

ومن جملة الروافض الإمامية . وهم خمس عشرة فرقة : المحمدية ، والباقرية ، والناووسية ، والشميطية ، والعمارية ، والاسماعيلية ، والمباركية ، والموسوية ، والقطعية ، والاثنا عشرية ، والهشامية ، والزرارية ، واليونسية ، والشيطانية ، والكاملية . فهذه جملة فرق الروافض الذين يعدون في زمرة المسلمين .

فأما البيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجناحية ، والخطابية ، والحلولية منهم فلا يعدون في زمرة المسلمين لأنهم كلهم يقولون بآلهية الأئمة كما نفصله فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وعشرون منهم الخوارج وهم : المحكمة الأولى ، والأزارقة ، والنجدات والصفرية والعجاردة والأباضية . فالعجاردة منهم فرق كالخازمية ، والشعيبية ،

والشيبانية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والابراهيمية ، والواقفية .

والأباضية منهم أربع فرق . الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد بها الله تعالى : ولا يعد اليزيدية من فرق الاسلام لأنهم جوزوا فسخ شريعة الاسلام وذلك خلاف اجماع المسلمين . ومن جملة العجاردة فرقة يقال لهم الميمونية ولا يعدون من فرق المسلمين لأنهم يجوزون التزوج ببنات البنات ويبيحونه وذلك خلاف ما عليه المسلمون .

وعشرون منهم القدرية المعتزلة كل فريق منهم يكفر سائرهم وهم : الواصلية ، والهذلية ، والعمروية ، والنظامية ، والاسوارية ، والمعمرية ، والاسكافية ، والجعفرية والبشرية ، والمردارية ، والهشامية والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية . وأصحاب صالح قبة ، والمؤنسية والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية ، وفرقتان من هذه الجملة لا يعدان من فرق الاسلام . وهما الخابطية والحمارية ، كما نذكره فيما بعد .

وثلاث فرق هم المرجئة . فريق منهم يجمعون بين الارجاء في الايمان ، وبين القول بالقدر كأبي شمر[1] ومحمد بن شبيب البصري[2] ، والخالدية فؤلاء مرجئون قدريون ، وفريق منهم يجمعون القول بالارجاء في الايمان ، وبين قول جهم كما سنذكره فيما بعد فهؤلاء هم مرجئون جهميون .

وفريق جوزوا القول بالارجاء ولا يقولون بالجبر ولا بقدر وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية ، والغسانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية . فصارت المرجئة على هذا التفصيل سبع فرق .

---

(١) بكسر الشين وسكون الميم كما في الأنساب . وهو ممن جمع بين البدعتين : الارجاء ، ونفى القدر . منبوذ عند الفريقين وهو رأس الشمرية من المبتدعة . أنظر مقالاته في الملل/ ١ : ١٤٥ .

(٢) نسب الى جده وهو ممن جمع بين البدعتين : الارجاء ، ونفي القدر . كان من أصحاب النظام . أنظر مقالاته في الملل/ ١ : ١٤٥ .

وفرقة هم البكرية ، وفرقة هم النجارية المقيمون بالري ونواحيها وهم اكثر من عشر فرق فيما بينهم . كالبرغوثية ، والزعفرانية . والمستدركة وغيرهم ويعدون فرقة واحدة ، وفرقة هم الضرارية وفرقة هم الجهمية وفرقة هم كرامية خراسان وهم ثلاث فرق الحقائقية ، والطرائقية ، والاسحاقية ، ويعدون فرقة واحدة لأن بعض فرقهم لا يكفر بعضاً . فهؤلاء الذين ذكرناهم اثنتان وسبعون فرقة .

والفرقة الثالثة والسبعون هي الناجية . وهم : أهل السنة والجماعة من أصحاب الحديث والرأي وجملة فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الشريعة التي لا يجري فيها التبري والتكفير وهم من أخبر النبي ﷺ عنهم بقوله : « الخلاف بين أمتي رحمة[1] » والله ولي العصمة من كل إلحاد وبدعة .

---

(١) المشهور على الألسن : « اختلاف أمتي رحمة » وهذا لم يثبت وتفصيل ذلك في « كشف الخفا » ١ : ٦٤ .

الباب الثالث

في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم

اعلم أن الروافض يجمعهم ثلاث فرق[1] . الزيدية ، والامامية ، والكيسانية .

١ ـ الزيدية :

ـ فاما الزيدية منهم فثلاث فرق . الجارودية ، والسليمانية ،والابترية .

(أ) الجارودية :

فأما الجارودية فهم أتباع أبي الجارود[2] وكان مذهبه : أن النبي ﷺ نص على

---

(١) ذكر المسعودي في مروج الذهب/ ٣ : ٢٢٠ ان قوماً من مصنفي كتاب المقالات والآراء كأبي عيسى محمد بن هارون الوارق يذكرون أن الزيدية ثمان فرق وعدها بأسمائها . وذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات الاسلاميين/ ١ : ١٣٢ أن الزيدية ست فرق ، وعدها ، وذكر مقالة كل فرقة منها ، أما الاسفرائيني فسار سير الامام عبد القاهر التميمي في « الفرق بين الفرق » في تقسيم الروافض وتقسيم كل صنف منها . راجع كتابه ص/ ٢٩ .

(٢) قال السيد مرتضى الزبيدي في تاج العروس/ ٢ : ٢١٨ : « والجارودية فرقة من الزيدية من الشيعة نسبت الى أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، وأبو الجارود هو الذي سماه الامام الباقر سُرْخوباً ، وفسره بأنه شيطان يسكن البحر » اهـ . وقال ابن حجر في « تهذيب التهذيب »/ ٣ : ٣٨٦ : زياد بن المنذر الهمداني ، ويقال الهندي ، ويقال الثقفي ـ أبو الجارود ، الأعمى الكوفي . ثم قال : « قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : متروك الحديث وضعيفه جداً ، وقال معاوية ابن صالح عن يحيى بن معين كذاب عدو الله ليس يسوى فلساً . . . وقال أبو حاتم بن حبان : كان رافضياً يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم . اهـ باختصار . وانظر « الفهرست » لابن النديم ص/ ٢٦٧ ، ومروج الذهب/ ٣ : ٢٢٠ « والملل والنحل » ١ : ١٥٧ .

امامة علي بالصفة لا بالاسم ، وكان من مذهبه أن الصحابة كفروا كلهم بتركهم بيعة علي ، ومخالفتهم النص الوارد عليه ، وكان يقول : إن الامام بعده الحسن بن علي ، ثم بعده الحسين بن علي ، ويكون بعدهما الامامة شورى في أولادهما . فمن خرج من أولادهما شاهراً سيفه داعياً الى دينه ، وكان عالماً ورعاً فهو الامام .

وزعم قوم من الجارودية أن الامام المنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1] ويقولون انه لم يمت ولم يقتل .

وزعم قوم منهم : أن المنتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان[2] وأنه لم يمت ولم يقتل .

وزعم قوم منهم : أن المنتظر يحيى بن عمر الذي قتل بالكوفة[3] وهم لا يصدقون بقتله .

(ب) السليمانية :

وأما السليمانية فهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي[4] وكان يقول : ان الامامة شورى ومتى ما عقدها اثنان من أخيار الأئمة لمن يصلح لها فهو إمام في الحقيقة ، وكان يقر بامامة أبي بكر ، وعمر ، ويجوز امامة المفضول ، وكان يقول : ان الصحابة تركوا الأصلح بتركهم بيعة علي فانه كان أولى بها ، وكان اعراضهم عنه

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، المعروف بالنفس الزكية ، خرج بالمدينة ، وبويع له في الآفاق ، قتل سنة/ ١٤٥ هـ ، أنظر ترجمته في « العبر » ١ : ١٩٨ ، و « مروج الذهب » ٣ : ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٢) هو أبو جعفر : محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الحسين السبط ، وأمه صفية بنت موسى بن عمر بن علي بن الحسين السبط . خرج بخراسان ببلدة يقال لها الطالقان في خلافة المعتصم ، ثم وُجه اليه جيش فانهزم محمد بن القاسم وحبس في قصر المعتصم . انظر « الكامل » ٦ : ١٦٢ ، و « النجوم الزاهرة » . ٢ : ٢٣٠ ، و « تاريخ الطبري » في حوادث سنة/ ٢١٩ هـ .

(٣) هو أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، خرج بالكوفة أيام المستعين فوجه اليه الحسين بن اسماعيل ، فقتله » أنظر « الكامل » ٧ : ٤٣ ، ومروج الذهب ٤ : ١٤٧ .

(٤) أنظر « الملل والنحل » ١ : ١٥٩ . و « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٣٥ .

خطأ لا يوجب كفراً ولا فسقاً ، وهؤلاء كانوا يكفرون عثمان بسبب ما أخذ عليه من الأحداث وكفرهم أهل السنة والجماعة بتكفيرهم عثمان . وربما يدعى هؤلاء جريرية[1] .

(ج) الأبترية :

فأما الأبترية منهم فهم أتباع الحسن بن صالح بن حي[2] وكثير النواء الملقب بالأبتر[3] وقول هؤلاء كقول السليمانية . غير أنهم يتوقفون في عثمان ، ولا يقولون فيه خيراً ولا شراً ، وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حي في المسند الصحيح لما أنه لم يعرف منه هذه الخصال فأجراه على ظاهر الحال .

واعلم أن السليمانية والأبترية يكفرون الجارودية منهم لتكفيرهم أبا بكر وعمر ومن تابعهما من الصحابة وجميع فرق الزيدية يجمعهم القول بتخليد أهل الكبائر في النار ، ووافقوا القدرية في هذا المعنى ، ووافقوا الخوارج أيضاً في أن فساق الملة كفار يخلدون في النار مع الكفار ويقنطون من رحمة الله «ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون »[4] وهؤلاء الفرق الثلاثة إنما يسمون زيدية لقولهم بامامةزيد بن علي[5] ابن الحسين بن علي في وقته ، وامامة ابنه يحيى بن زيد[6] في وقته ، وكان أمر زيد هذا

---

(١) وقد سماهم المقريزي في « الخطط » ١ : ٣٥١ بذلك . وقد جمع التميمي في « الفرق بين الفرق » بين الاسمين ص/ ٣٢ .

(٢) قال ابن النديم في « الفهرست » ص/ ٢٦٧ : « ولد الحسن بن صالح بن حي سنة مائة ، ومات متخفياً سنة ثمان وستين ومائة ، وكان من كبار الشيعة الزيدية » راجع ترجمته في « تهذيب التهذيب » ٢ : ٢٨٥ - ٢٨٩ .

(٣) وقد جعل الشهرستاني في « الملل والنحل » ١ : ١٦١ الابترية فرقتين ، فرقة اتباع الحسن بن صالح وسماها الصالحية ، وفرقة اتباع الأبتر وسماها البترية .

(٤) يوسف : ٨٧

(٥) راجع ترجمته في « العبر » ١ : ١٥٤ ، و « مشاهير علماء الأمصار » رقم/ ٤٢٥ ، و « تهذيب التهذيب » ٣ : ٤١٩ ، و « المعارف » ص/ ٢١٦ ، و « مقالات الاسلاميين » ص/ ١٢٩ ، ١٤٤ ، «ومروج الذهب» ٣: ٢١٧ .

(٦) خرج في ايام الوليد بن يزيد بن عبد الملك منكراً للظلم ، فقتل في المعركة بسهم اصابه في صدغه وحز رأسه وحمل الى الوليد ، وصلب جسده بالجوزجان » اهـ باختصار انظر « مروج الذهب» ٣ : ٢٢٥ ، و «الكامل» ٥ : ١٠٧ ، والمعارف ص /٢١٦ .

أنه بايعه خمسة آلاف من أهل الكوفة فأخذ يقاتل بهم يوسف بن عمر الثقفي[1] عامل هشام بن عبد الملك فلما اشتد بهم القتال قال الذين بايعوه آه ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فقال زيد : اثنى عليهما جدي علي ، وقال فيهما حسناً ، وإنما خروجي على بني أمية فانهم قاتلوا جدي علياً ، وقتلوا جدي حسيناً ، فخرجوا عليه ورفضوه فسموا رافضة بذلك السبب وهجروه كلهم ولم يبق منهم إلا نضر بن خزيمة العبسي ، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة[2] ، مع مقدار مائتي رجل فأتى القتل على جميعهم ، وقتل زيد ودفن فأخرج بعده من القبر وأحرق وهرب ابنه يحيى ابن زيد الى خراسان وصار الى ناحية جوزجان وخرج على نصر بن سيار والى خراسان فبعث نصر بن سيار[3] اليه سلم بن أحوز المازني[4] في ثلاثة آلاف من المقاتلة فاستشهد يحيى بن زيد في ذلك القتال ومشهده بجوزجان .

٢ ـ الكيسانية :

وأما الكيسانية[5] : فهم أتباع مختار بن أبي عبيد الثقفي[6] . الذي كان قام يطلب ثأر الحسين بن علي بن أبي طالب وكان يقتل من يظفر به ممن كان قاتله بكربلاء وهؤلاء الكيسانية فرق يجمعهم القول بنوعين من البدعة .

أحدهما : تجويز البداء على الله تعالى . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

---

(١) هو أبو يعقوب ، يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود ، الثقفي . ولاه هشام بن عبد الملك اليمن سنة/ ١٠٦ هـ ثم ولاه العراق في سنة/ ١٢٠ هـ فاستخلف على اليمن ابنه الصلت بن يوسف . ثم لما ولي يزيد ابن الوليد الخلافة حبسه ، وبقي في الحبس الى أن قتل سنة/ ١٢٧ هـ . أنظر « وفيات الأعيان » رقم ٨١٤ .

(٢) وهما من جملة من قتل مع زيد بن علي سنة/ ١٢١ هـ .

(٣) أنظر ترجمته في « المعارف » ص/ ٤٠٩ ، ومروج الذهب » ٢ : ٢٥٥ ، و « الكامل » ٥ : ٧٩ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٥٣ . و « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٣١ .

(٤) وقع في « العبر » ١ : ٦٦ « سلم بن أحور » بالراء المهملة ،

(٥) أنظر عن هذه الفرقة : « مروج الذهب » ٣ : ٨٧ ، و «الملل والنحل »١ : ١٤٧ و «الفرق بين الفرق» ص / ٣٨، وقد نسبهم الى كيسان مولى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه .

(٦) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو ، الثقفي : الذي خرج يطلب بثأر الحسين بن علي ، وهو الذي جهز الجيش لحرب عبيد الله بن زياد بقيادة ابراهيم بن الاشتر النخعي . وقتل المختار سنة/ ٦٧ هـ في موقعة عظيمة دارت بينه وبين مصعب بن الزبير . أنظر « العبر » ١ : ٧٤ ، و « المعارف » ص/ ٤٠٠ .

الثاني : قولهم بامامة محمدبن الحنفية[1] ثم اختلفوا في سبب امامته فمنهم من قال ، ان سبب امامته أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دفع الراية اليه يوم الجمل وقال له :

أطعنهـــم طعـــن أبيك تحمد لا خـــير في حرب إذا لم توقد

(بالمشرفي والقنا المشرد)

ومنهم من قال : ان سبب امامته ان الامامة كانت لعلي ثم للحسن ثم للحسين وقد أوصى حسين بها لأخيه محمد بن الحنفية في الوقت الذي كان يهرب من المدينة ويقصد مكة إذ كان مطالباً ببيعة يزيد بن معاوية وهؤلاء الذين يقولون بامامة محمد بن الحنفية .

(أ) الكربية :

وقوم منهم يقال لهم الكربية : اصحاب أبي كرب الضرير[2] يقولسون : ان محمد بن الحنفية لم يمت ولم يقتل وانه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يتناول منهما وعنده أسد ونمر تحفظانه من الأعداء إلى أن يؤذن له في الخروج وهو المهدي المنتظر عندهم .

وقوم من الكيسانية أقروا بموته ثم اختلفوا فقال قوم منهم : ان الامامة بعده رجعت الى ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين[3]

---

(١) أنظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » ٩ : ٣٥٤ ، « والعبر » ١ : ٩٣ ، و « مشاهير علماء الأمصار » رقم/ ٤١٩ .

(٢) أنظر « مقالات الاسلاميين » ١ : ٩٠ وهذا من غلاة الكيسانية .

(٣) هو أبو الحسين ـ ويقال : أبو الحسن الملقب بزين العابدين ، المدني وهو الذي قال فيه الفرزدق :

هـذا الـذي تعـرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه ، والحـل ، والحرم

وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل سنة/ ٩٣ هـ ، وقيل : ٩٢ هـ ، وقيل : ٩٤ هـ وقيل : في ٩٥ ، وقيل : في ١٠٠ هـ . أنظر « تهذيب التهذيب » ٧ : ٣٠٤ ، و « مشاهير علماء الأمصار » رقم/ ٤١٩ .

(ب) الهاشمية :

وقال قوم انها رجعت الى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[1] ثم قال قوم رجعت بعد أبي هاشم الى محمد بن عبد الله بن عباس[2] بوصية أبي هاشم له بها وهذا قول ابن الراوندي وأتباعه .

(ج) البيانية :

وقال قوم رجعت الى بيان بن سمعان التميمي[3] وهؤلاء قوم يلقبون بالبيانية وهم من جملة الغلاة يدعون آلهية بيان بن سمعان ويزعمون أن روح الإله حل في أبي هاشم ثم رجع الى بيان .

وقال قوم بل رجعت الى عبد الله بن عمرو بن حرب[4] وكانوا يدعون آلهيته ، وكان كثير الشاعر[5] والسيد الحميري من جملة الكيسانية كانا ينتظران محمد بن الحنفية ولهما في ذلك أشعار كثيرة فمما قاله السيد الحميري[6] في معناه .

---

(١) أنظر ترجمته في « العبر » ١ : ١١٦ ، ومشاهير علماء الأمصار » رقم/ ٩٩٤ و« تهذيب التهذيب » ٦ : ١٦ .

(٢) راجع ترجمته في « تهذيب التهذيب » ٩ : ٣٥٥ ، و« العبر » ١ : ١٦٠ ، و« مشاهير علماء الأمصار » رقم/ ١٠٠٣ .

(٣) هو بيان بن سمعان التميمي ، النهري ، اليمني ، ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني من الهجرة ، ادعى النبوة ، وادعى أن الاله حل فيه ثم أخذه خالد القسري فقتله وصلبه . أنظر « الفرق بين الفرق » ص/ ٤٠ و« الملل والنحل » ١ : ١٥٢ ، و« الكامل » ٥ : ٨٢ .

(٤) أنظر « مقالات الاسلاميين » ١ : ٦٨ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٤١ . .

(٥) هو أبو صخر ، كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة بن الأسود ، كان يقول بتناسخ الأرواح ، وكان يؤمن بالرجعة . أنظر « وفيات الأعيان » رقم/ ٥١٩ و« مقالات الاسلاميين » ١ : ٩٠ ، وخزانة الأدب » ٢ : ٢٧٦ .

(٦) وقد نسبها الامام التميمي في « الفرق بين الفرق » الى كثير . وقد رد عليه بقصيدة فقال : « وقد اجبناه عن هذا الشعر بقولنا :

لَقَدْ أَفْنَيْتَ عمرَكَ بانتظارٍ ... لمن وارى الترابُ له عِظَامَا
فليس بِشِعْبِ رَضْوَاء إمَامٌ ... تُرَاجِعهُ الملائكةُ الكلاما
ولا مَنْ عندَه عَسَلٌ وماء ... واشربَةٌ يعسلُ بها الطعاما
وَقَدْ ذَاقَ ابن خَوْلَةَ طعم مَوْتٍ ... كما قد ذاق والده الحماما
ولو خَلَدَ امرؤٌ لِعُلُوِّ مجد ... لعاش المُصْطَفَى أبداً وَدَامَا

الا قُلْ للوَصــيّ فَدَتْــكَ نَفْسي أَطَلْــتَ بِذَلِكَ الجَبَــلِ المُقَامَا
أَضــرَّ بمعشَــرٍ وَالَــوْكَ مِنَّا وَسَمَّــوكَ الخليفَــةَ والإمَامَا
وَعَــادوْا فيكَ أهــلَ الأرضِ طُرًّا مُقَامُــكَ عندهُــمْ ستينَ عَاما

(د) المختارية :

وأول من قام ببدعة الكيسانية ودعا الى امامة محمد بن الحنفية المختار ابن أبي عبيد أخذ في طلب ثأر الحسين بن علي وظفر باعدائه ، ولما تم له الظفر في حروب كثيرة اغتر بنفسه فأخذ يتكلم بأسجاع كأسجاع الكهنة . ولما بلغ خبر كهانته الى محمد بن الحنفية خاف أن يقع بسببه فتنة في الدين وهم ليقبض عليه ، فلما علم به المختار وخاف على نفسه منه اختار قتله بحيلة فقال لقومه : المهدي محمد بن الحنفية وانا على ولايته . غير أن للمهدي علامة وهي أن يضرب عليه بالسيف فلا يحيك فيه السيف ، وأنـا أجـرب هذا السيف على محمـد بن الحنفية ، فان حاك فيه فليس بمهدي .

فلما بلغ الى محمد بن الحنفية هذا الخبر خاف ان يقتله بما ذكرناه من حيلته فتوقف حيث كان ثم ان السبأية خدعوا المختار وقالوا له : أنت حجة الزمـان ، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها ، وزعم أن اسجاعه وحي يوحى اليه ، ثم قويت شوكته ، واستفحل أمره ، حتى قصد جنداً من جنود مصعب بن الزبير [1] فهزمهم وأسر جماعة منهم فيهم سراقة بن مرداس البارقي[2] فلما قدم الى المختار احتال وقال : لم تهزمنا جندك ، ولا أسرنا قومك ، ولكن الملائكة الذين جاؤوا لنصرتك ونصرة جندك هم الذين هزمونا ، فاعف عنا فانا لم نعلم أنك على الحق ، والآن فقد

---

(١) هو مصعب بن الزبير بن العوام ، ولاه أخوه عبد الله العراق ، سار لحرب المختار فقتل من جند المختار عدداً كبيراً ، ثم ساروا فدخلوا الكوفة وحصروا المختار بقصر الامارة أياماً الى أن قتل في رمضان من سنة/ ٦٨ هـ . وقد قتل مصعباً في أثناء معركة دارت بينه وبين عبد الملك بن مروان سنة/ ٧٢ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٧٥ ، « وشذرات الذهب » ١ : ٧٤ ، ومشاهير علماء الأمصار رقم/ ٤٥٧ ، والمعارف ص/ ٢٢٤ .

(٢) نسبة الى بارق ، وبارق : يحتمل واحداً من اثنين ، فإما أن يكون قبيلة من قبائل اليمن منهم معقر بن حمار البارقي الشاعر ، وإما أن يكون موضعاً قريباً من الكوفة . انظر لسان العرب : (برق) .

علنَّاه ، فعليك اقسم بحق أولئك الملائكة الذين كانوا على أفراس بلق قائمين بنصرتك ان تعفو عنا . فعفا عنهم وعاد سراقة الى جند مصعب بن الزبير بالبصرة وأنشأ هذه الأبيات وبعث بها الى المختار .

ألاَ بلغْ أبا إسحاقَ أنّي	رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتَاتِ
أرِي عينيٌّ ما لم ترأياه	كلانا عالم بالتُّرهَاتِ [1]
كَفَرْتُ بَوْحْيكم وجعلتُ نَذْراً	عليٌّ قِتَالَكم حتى المَمَاتِ

واعلم أن السبب الذي جوزت الكيسانية البداء على الله تعالى . أن مصعب ابن الزبير بعث إليه عسكراً قوياً ، فبعث المختار الى قتالهم أحمد بن شميط مع ثلاثة آلاف من المقاتلة وقال لهم : أوحى الي ان الظفر يكون لكم فهزم ابن شميط فيمن كان معه فعاد إليه فقال : أين الظفر الذي قد وعدتنا ؟ فقال له المختار : هكذا كان قد وعدني ثم بدا فانه سبحانه وتعالى قد قال : «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب» [2] . ثم خرج المختار الى قتال مصعب ورجع مهزوماً الى الكوفة فقتلوه بها .

واعلم أن الكيسانية اختلفوا في حبس محمد بن الحنفية بجبل رضوى ، فمنهم من قال كان ذلك عقوبة له على خروجه بعد قتل الحسين بن علي الى يزيد بن معاوية وطلب الأمان منه ، وقبوله العطاء من قبله ، وعلى أنه خرج من مكة في أيام ابن الزبير وقصد عبد الملك بن مروان ثم انصرف من الطريق وعدل الى الطائف وكان بها عبد الله بن عباس فتوفي عبد الله بن عباس وصلى عليه بها محمد بن الحنفية ودفنه هناك ، ثم قصد اليمن فلما بلغ شعب رضوى توفي هناك ودفن . والذين يقولون بانتظاره ينكرون موته ، ويزعمون انه غيب عن الناس الى أن يؤذن له في الخروج .

وقال قوم من الكيسانية لا ندري سبب حبسه هناك ولله في حبسه سر لا يعلمه الا هو . هذا تفصيل قول الكيسانية من الروافض .

---

(١) رواه التميمي في « الفرق بين الفرق » ص/ ٤٩ بلفظ : « أرِي عينيٌّ مالم تنظُراه » . واللفظ هنا هو الذي يرويه علماء الصرف على أنه رجوع الى الأصل المهجور . راجع لسان العرب وذكر أنه يروى « مالم ترياه » بغير همـز . « الترهات » ومعنى (تُرهَةٌ) الطرق الصغار ، فارسي معرب ، أنظر « مختار الصحاح » ص/ ٧٧ .
(٢) الرعد : ٣٩ .

٣ ـ الإمامية

ـ اما الإمامية منهم فهم خمس عشرة فرقة :

(١) الكاملية :

احداهما الكاملة : وهم اتباع ابي كامل يقولون ان الصحابة كلهم كفروا بتركهم بيعة علي ، وكفر علي أيضاً بتركه قتالهم اذ كان واجباً عليه أن يقاتلهم كما قاتل اهل صفين والجمل ، وكان بشار بن برد الشاعر[١] منهم لما سئل عن الصحابة فقال : كفروا . فقيل له ما تقول في علي ؟ فأنشد قول الشاعر :

ومــا شرُّ الثلاثــة ام عمرو　　　بصاحبك الذي لا تصحبيا[٢]

وبشار هذا زاد على الكاملية بنوعين من البدعة .

احدهما : انه كان يقول بالرجعة قبل القيامة كما كان يقولها الرجعية من الروافض .

والثاني : انه كان يقول بتصويب ابليس في تفضيل النار على الأرض ولذلك قال :

الارضُ مظلمة ، والنـار مُشْرِقَةٌ　　　والنارُ معبودة مذ كانت النارُ[٣]

ووفق الله سبحانه المهدي بن منصور الخليفة حتى غرقه واتباعه في دجلة ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

(٢) المحمدية : [٤]

وهم يقولون بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب

---

(١) شاعر خدم الملوك وحضر مجالس الفقهاء ، وكان يمدح المهدي العباسي رمي بالزندقة فتبرأ منه واصل ، فهجاه ثم قتله المهدي في سنة / ١٦٧ هـ وقيل : في سنة ١٦٨ هـ . انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص/ ٢١ .

(٢) هذا البيت السادس في معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي .

(٣) وقد رد صفوان الانصاري في قصيدة ،

(٤) انظر «الفرق بين الفرق» ص/ ٥٦ .

ويقولون أنه لم يمت ، وأنه حي في جبل حاجر من ناحية نجد ، وانه يقيم هناك الى ان يؤذن له في الخروج فيخرج ويملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً ، وكان المغيرة بن سعيد العجلي[1] على هذا المذهب وكان يدعو الناس اليه . ودخل في دعوته جماعة من أهل المدينة ، وأهل مكة وأهل اليمن ، فجمع منهم عسكراً وغلب على نواحي البصرة ، واستولى فريق من جنده على نواحي المغرب ، وكان ذلك منهم في زمن المنصور[2] فبعث اليهم عيسى بن موسى بجيش عظيم ، فاستشهد محمد بن عبد الله ابن الحسن بالمدينة ، واختلف اصحاب المغيرة في حاله . فمنهم من اقر بقتله وخرجوا على المغيرة وقالوا : انه كذب في قوله يملك الارض فانه قتل وما ملك ، ومنهم من قال : ان المغيرة صدق فيما ذكر ان محمداً لم يقتل وانما غاب عن أعين الناس في جبال حاجر الى ان يؤذن له في الخروج فيخرج ويملك الارض ويبايعه بين الركن والمقام سبعة عشر رجلاً يجيئون لأجله ، ويعطي كل واحد منهم حرفاً من حروف اسم الله الاعظم فهم يهزمون العساكر بذلك ، وهؤلاء يزعمون ان الذي قتله عيسى بن موسى بالمدينة كان شيطاناً تصور في صورة محمد وانه لم يقتل في الحقيقة . واصحابنا يقولون لهم جوابكم ان ترتكبوا مثل هذه الخرافات ، فهلا انتظرتم الحسين بن علي وقلتم انه لم يقتل ، وهلا انتظرتم علي بن أبي طالب وقلتم ان الذي قتله ابن ملجم[3] كان شيطاناً تصور بصورة علي .

(٣) الباقرية :

وهؤلاء يقولون ان الإمامة كانت في اولاد علي الى ان انتهى الامر الى محمد بن

---

(١) هو المغيرة بن سعيد العجلي ـ زعم ان ابا جعفر محمد بن علي الباقر أوصى اليه ، فأتم به جماعة من أهل الضلال ، وبلغ خالد بن عبد الله القسري خبره فأخذه وقتله ثم صلبه . انظر «الكامل» ٤ : ٨٢ ، و «النجوم الزاهرة» ١ : ٢٨٣ .

(٢) هو ابو جعفر : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، الهاشمي ، العباسي ، ثاني خلفاء بني العباس ، ولقبه المنصور . توفي بمكة سنة / ١٥٨ هـ في شهر ذي الحجة عن ثلاث وستين سنة . وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة . انظر «العبر» ١ : ٢٣ .

(٣) هو عبد الرحمن بن ملجم ، المرادي ، الحميدي ، الذي اغتال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، قتل سنة / ٤٠ هـ .

علي بن الحسين الباقر[1] وهم ينتظرونه ولا يصدقون بموته ، ويقولون : ان سبب امامته ان النبي ﷺ اخبر جابر بن عبد الله الانصاري ان سيطول عمره ، ويدرك ايامه . وقال له اقرأ مني عليه السلام ، وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة ؛ وكان قد كف بصره في آخر عمره فجاءت جارية ووضعت في حجره صبياً ، وقالت هذا علي ابن الحسين بن علي فادى جابر الأمانة ، وبلغه سلام جده ، وتوفي جابر في ليلته : فرد هؤلاء ان رسول الله ﷺ ، أخبر عُمَرَ وعلياً بأنهما يدركان رجلاً اسمه اويس القرني[2] وامرهما ان يبلغاه سلام رسول الله ﷺ ، وذلك لا يوجب ان يكون هو المهدي المنتظر فانه استشهد في حرب صفين . كذلك التسليم . على محمد بن علي لا يوجب كونه مهدياً منتظراً .

(٤) الناووسية : [3]

وهم اتباع رجل من اهل البصرة كان ينسب الى ناووس كان هناك وهم يسوقون الإمامة في اولاد علي الى جعفر بن محمد الصادق[4] ويزعمون انه لم يمت وانه المهدي المنتظر ، وجماعة من السبأية يوافقونهم في هذا القول ويزعمون انه كان يعلم كلما يحتاج الى عمله من دين ، او دنيا ، عقلي ، وشرعي ، ويقلدونه في جملة ابواب الدين ، حتى لو سئل واحد منهم عن جواز الرؤية على الله تعالى ، وعن نفي خلق القرآن ، او عن اثبات الصفات ، او غير ذلك لكان جوابه ان يقول . انا نقول فيه بقول جعفر ، ولا ندري ما قول جعفر فيه ، غير انهم يتفقون في تكفير ابي بكر وعمر ، ولو طردوا اصلهم في تقليده لاجابوا به ايضاً عليه .

---

(١) هو ابو جعفر ، محمد الباقر بن علي بن الحسين السبط ، ولد في سنة / ٥٦ هـ وكان من فقهاء المدينة ، وتوفي في سنة / ١١٤ هـ . انظر «العبر» ١ : ١٤٢ ، و«مشاهير علماء الامصار» رقم / ٤٢٠ .

(٢) هو اويس بن عامر ، القرني ـ في اليمن ، من مراد ، سكن الكوفة ، وكان عابداً زاهداً فاضلاً ، واختلاف في وفاته . انظر «مشاهير علماء الامصار» رقم / ٧٤٣ .

(٣) انظر «الملل والنحل» ١ : ١٦٦ ، و«مقالات الاسلاميين» ١ : ٩٧ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٦١ .

(٤) هو ابو عبد الله جعفر الصادق ، بن ابي جعفر محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين بن علي بن ابي طالب . كان سيد بني هاشم في زمانه ، وقد توفي في آخر سنة / ١٤٨ هـ عن ثمان وستين سنة : انظر «العبر» ١ : ٢٨ .

(٥) الشميطية :

فالشميطية منهم هم اتباع يحيى بن شميط[1] وهؤلاء يقولون ان الإمامة صارت من جعفر الى ابنه محمد بن جعفر وانها تدور في اولاده وان المنتظر واحد من اولاده . .

(٦) العمارية :

العمارية منهم وهؤلاء يقولون ان الامامة صارت من جعفر الى اكبر اولاده عبد الله الذي كان يدعى أفطح ، وهؤلاء يدعون الافطحية بسببه[2] .

(٧) الاسماعيلية :

وهم يزعمون ان الامامة صارت من جعفر الى ابنه اسماعيل ، وكذبهم في هذه المقالة جميع اهل التواريخ لما صح عندهم من موت اسماعيل قبل ابيه جعفر ، وقوم من هذه الطائفة يقولون بامامة محمد بن اسماعيل وهذا مذهب الاسماعيلية من الباطنية[3] .

(٨) الموسوية :[4]

الثامنة الموسوية منهم وهؤلاء يزعمون ان الإمامة صارت بعد جعفر الى ابنه موسى بن جعفر ، وانه حي لم يمت ، وانه المنتظر ويقولون انه دخل دار الرشيد[5] ولم

---

(١) انظر «الملل والنحل» ١ : ١٦٧ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٦١ ، وفي « مقالات الاسلاميين » ١ : ٩٩ «السميطية ». يحيى بن ابي سميط ، بالسين المهملة . وكان يحيى بن سميط ممن انحاز الى عسكر المختار وقتل معه .

(٢) انظر : «الفرق بين الفرق » ص / ٦٢ ، و «مقالات الاسلاميين» ١ : ٩٩ . والفطح جمع افطح . ويقال: «رجل افطح الرجل ».

(٣) انظر «الملل والنحل » ١ : ١٦٧ ، والفرق بين الفرق ص/ ٦٢ .

(٤) انظر «الفرق بين الفرق» ص/ ٦٣ ، و«الملل والنحل » ١ : ١٦٨ . وذكرهم الاشعري في «مقالات الاسلاميين » ١ : ١٠٠ وسماهم «الموسائية ».

(٥) هو الخليفة العباسي : هارون الرشيد بن محمد بن عبد الله المنصور ، ولد بالري سنة / ١٤٨ هـ ، وتوفي بطوس في ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من سنة / ١٩٣ ومدة خلافته / ٢٣ سنة . انظر «العبر » ١ : ٣١٢ ، و المعارف » ص / ٣٨١ .

يخرج ، ونحن نشك في موته . وهذا القول منهم يوجب عليهم ان يشكوا في امامته كما شكوا في حياته ، على ان هذا القول هوس منهم ، لأن مشهد موسى بن جعفر مشهور ببغداد في الجانب الغربي يزار ويتبرك به ، ولهؤلاء الموسوية لقب آخر وهو انهم يدعون الممطورة لان زرارة بن اعين قال لهم يوماً : «انتم اهون في عيني من الكلاب الممطورة » اراد الكلاب التي ابتلت بالمطر ، والناس يطردونهم ويتحرزون منهم[1] .

(٩) المباركية : [2]

وهم أيضاً يقولون بامامة محمد بن اسماعيل كما نذكره بعد .

(١٠) القطعية [3] **:**

القطعية منهم سموا بذلك لأنهم ساقوا الامامة بعد جعفر الى ابنه موسى ، ثم قطعوا بموت موسى وقالوا ان المهدي المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم وهؤلاء يدعون الأثنى عشرية لانهم ادعوا ان الإمام المنتظر هو الثاني عشر من اولاد علي بن ابي طالب ، ثم اختلف هؤلاء في سنة وفاة ابيه . فمنهم من قال : انه كان ابن اربع سنين ، ومنهم من قال : ابن ثمان سنين ، ثم قال قوم منهم : انه كان اماما وادي الطاعة في ذلك الوقت ، وكان عالماًبجميع معالـم الدين ، وقال قوم : انه كان إماماً على معنى انه سيصير إماماً اذا بلغ ، وانه غاب عن اعين الناس الى ان يؤذن له في الخروج .

(١١) الهشامية :[4]

الهشامية منهم وهم فريقان اصحاب ابن الحكم الرافضي واصحاب هشام بن سالم الجواليقي والفريقان جميعا يدينون بالتشبيه والتجسيم ، واثبات الحد والنهاية .

---

(١) انظر «الملل والنحل » ١ : ١٦٩ ، و «مقالات الاسلاميين » ١ : ١٠٠ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٦٤.
ويحرز منه : أي توقاه . كذا في مختار الصحاح . .

(٢) انظر «مقالات الاسلاميين » ١ : ٩٨ ، و «الفرق بين الفرق » ص / ٦٤.

(٣) انظر «الملل والنحل » ١ : ١٦٩ ، والفرق بين الفرق» ص / ٦٤ ، و «مقالات الاسلاميين ١ : ٨٨ - ١٠١ .

(٤) انظر «الفرق بين الفرق » ص / ٦٥ ، و «مقالات الاسلاميين » ١ : ١٠٢ ، ١٠٤ وعدة مواضع .

حتى قال هشام بن الحكم : انه نور يتلألأ كقطعة من السبيكة الصافية ، او كلؤلؤة بيضاء . والجواليقي يقول بالصورة واثبات اللحم ، والدم ، واليد ، والرجل ، والانف ، والاذن ، والعين ، واثبات القلب . والعقل بأول وهلة يعلم ان من كانت هذه مقالته لم يكن له في الاسلام حظ .

١٢ ـ الثانية عشرة ـ أحد هذين الفريقين من المشامية .

١٣ ـ الزرارية :

الزرارية منهم وهم اتباع زرارة بن أعين[١] وقد كان على مذهب القطعية الذين كانوا يقولون بامامة عبد الله بن جعفر ، ثم انتقل عنه فكان يقول بمذهب الموسوية ، وكان يقول : ان الله تعالى لم يكن عالماً ، ولا قادراً ، ثم خلق لنفسه علما ، وحياة ، وقدرة وارادة ، وسمعا ، وبصراً وجرى على قياس قولهم قوم من بصرية القدرية فقالوا : كلام الله مخلوق له ، وارادته مخلوقة له ، وزاد عليه الكرامية فقالوا ان ارادته وادراكاته ، حادثة .

١٤ ـ اليونسية :

اليونسية وهم اتباع يونس بن عبد الرحمن القمي[٢] وكان في الامامة على مذهب القطعية ، وكان مفرطاً في التشبيه حتى كان يقول : ان حملة العرش يحملون إله العرش وهو اقوى منهم ، كما ان الكركي تحمله ارجله وهو اقوى من أرجله ، والعاقل لا يستجرىء ان يقول مثل هذا الكلام .

١٥ ـ الشيطانية :

الشيطانية منهم وهم اتباع محمد بن علي بن النعمان الرافضي الذي كان يلقب

---

(١) انظر «الفرق بين الفرق» ص / ٧٠ ، و«مقالات الاسلاميين»: ١٠٠ ، و«الفهرست» لابن النديم ص / ٣٢٢ .
(٢) انظر «مقالات الاسلاميين» ١ : ١٠٦ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٧٠ .

بشيطان الطاق[1] ، وكان في الإمامة على مذهب القطعية ، وكان يقول ان الله تعالى لا يعلم الشر قبل ان يكون ، كما كان يقوله هشام بن الحكم وقد كان يوافق هشاماً الجواليقي في كثير من بدعه .

واعلم أن الزيدية والإمامية منهم مَن يكفر بعضهم بعضاً، والعداوة بينهم قائمة دائمة والكيسانية يعدون في الامامية ، واعلم ان جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ويدعون ان القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ويزعمون انه قد كان فيه النص على إمامة علي فاسقطه الصحابة عنه . ويرعمون انه لا اعتماد على القرآن الآن ولا على شيء من الاخبار المروية عن المصطفى ﷺ ، ويزعمون انه لا اعتماد على الشريعة التي في ايدي المسلمين وينتظرون إماماً يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا في الحال على شيء من الدين ، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة ، ولكن مقصودهم اسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم ، حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية ، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة . وتغيير القرآن من عند الصحابة ، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر . اذ لا بقاء فيه على شيء من الدين .

وأما الهشامية: فانهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين، وهم الاصل في التشبيه وإنما اخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا اليه الولد ، وقالوا : «عزير ابن الله » ، واثبتوا له المكان ، والحد ، والنهاية ، والمجيء ، والذهاب . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : ولهذا المعنى شبه النبي ﷺ الروافض باليهود فقال : «الروافض يهود هذه الأمة»[2]. وقال الشعبي ان الروافض شر من اليهود والنصارى ، فان اليهود سئلوا عن اخبار ملتهم فقالوا : اصحاب موسى ،

---

(١) لقب به أبو جعفر محمد بن النعمان ، الاحول ، واضافته الى سوق في طاق المحامل بالكوفة . كان يجلس فيها للصرف . انظر «الفهرست» لابن النديم ص / ٢٦٤ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٧١

(٢) لم نره في كتب الحديث المعول عليها ، وهذا لم يثبت .

والنصارى سئلوا عن اخبار ملتهم فقالوا : الحواريون الذين كانوا مع عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة عن شر هذه الأمة فقالوا : أصحاب محمد ﷺ. فلا جرم يكون سيف الحق مسلولا عليهم الى يوم القيامة ، ولا يرى لهم قدم ثابت ، ولا كلمة مجتمعة ، ولا راية منصوبة ، ولا ينصرهم احد الاصار مخذولاً لشؤم بدعتهم ، والعجب انهم يتكلمون في الصحابة ، ويسيئون القول فيهم ، ولا يتأملون كتاب الله حيث اثنى عليهم بقوله سبحانه : «**محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل**»[1] الى آخر السورة. فأثنى عليهم كما ترى فأخبر ان صفتهم مذكروة في التوراة والانجيل كما اخبر به : «**كزرع اخرج شطئه وفئازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**»[2] حتى قال ابو ادريس المفسر ان ظاهر هذه الآية يوجب ان الروافض كفار، لان قلوبهم غيظاً من الصحابة وعداوة لهم، الا تراه يقول «**ليغيظ بهم الكفار**». فبين ان من كان في قلبه غيظ منهم من الكفار.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : «**سيكون في آخر الزمان قوم لهم نَبَز**[3] **يقال لهم الروافض يرفضون الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون**» وروى عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : «**يا علي تكون انت في الجنة ، وشيعتك يكونون في الجنة ، وسيكون بعدي قوم يدعون ولايتك ، يدعون الرافضة فان وجدتهم فأقتلهم فأنهم مشركون**» : فقال علي وما علامتهم يا رسول الله ؟ فقال : «**لا يكون لهم جمعة ولا جماعة ويشتمون ابا بكر وعمر**»[4] .

وأعلم ان هذه المقالة التي رويناها عن الروافض ليست مما يستدل على

---

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) الفتح : ٢٩ .

(٣) النبز بفتحتين اللقب والجمع الانباز . انظر « مختار الصحاح » ص/ ٦٤٣ .

(٤) وهذا لم يثبت .

فسادها ، فان العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها ، فلا يمكن ان تحمل منهم هذه المقالات الا على أنهم قصدوا بها اظهار ما كانوا يضمرونه من الالحاد والشر بموالاة قوم من اشراف أهل البيت ، والا فليس لهم دليل يعتمدون عليه ، ويجعلون خرافات مقالاتهم اليه ، حتى انهم لما رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف ويصنف لكل فريق . قالت له الروافض صنف لنا كتاباً فقال لهم : لست ادري لكم شبهة حتى أرتبها واتصرف فيها . فقالوا له : إذا دللتنا على شيء نتمسك به . فقال لا أرى لكم وجهاً الا انكم إذا اردتم ان تقولوا شيئاً مما تزعمونه تقولون انه قول جعفر بن محمد الصادق ، لا اعرف لكم سبباً تستندون اليه غير هذا الكلام . فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوءة التي دلهم عليها ، وكلما أرادوا ان يختلقوا بدعة او يخترعوا كذبة نسبوها الى ذلك السيد الصادق ، وهو عنها منزه وعن مقالتهم في الدارين بريء . حتى حكى عنه انه قال : كادت الروافض ان تنصر علياً فنسبته الى العجز ، وكادت المعتزلة ان توحد ربها فشركته ، وارادت ان تعدل ربها فجورته او لفظ هذا معناه .

الباب الرابع

في تفصيل مقالات الخوارج وبيان فضائحهم

اعلم ان الخوارج عشرون فرقة كما ترى بيانهم في هذا الكتاب وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة .

أحدهما : إنهم يزعمون ان علياً ، وعثمان ، واصحاب الجمل ، والحكمين ، وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم .

والثاني : انهم يزعمون ان كل من اذنب ذنباً من امة محمد ﷺ فهو كافر ، ويكون في النار خالداً مخلداً . الا النجدات منهم فانهم قالوا : ان الفاسق كافر على معنى انه كافر نعمة ربه . فيكون اطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران لا على معنى الكفر . ومما يجمع جميعهم ايضاً تجويزهم الخروج على الإمام الجائر ، والكفر لا محالة لازم لهم لتكفيرهم اصحاب رسول الله ﷺ .

المحكمة الأولى :

(١) الفرقة الأولى :

منهم المحكمة الاولى واول من قال منهم لا حكم الا الله عروة بن حُدَيْر[1]

---

(١) هو عروة بن عمرة بن حدير ، وقد قاتل عروة في حرب النهروان ثم نجا فيها ، فلم يزل حياً مدة من خلافة معاوية ثم اتى به الى زياد بن ابيه ، فسأله اسئلة ، ثم امر به فضربت عنقه ، « انظر «المعارف» ص / ٤١٠ .

أخو مرداس الخارجي[1] ، وقيل ان اول من قاله يزيد بن عاصم المحاربي[2] وقيل انه رجل من بني يشكر كان مع علي رضي الله عنه بصفين ولما اتفق الفريقان على التحكيم ركب وحمل على اصحاب علي وقتل منهم واحداً ، ثم حمل على اصحاب معاوية وقتل منهم واحدا ، ثم نادى بين العسكرين انه بريء من علي ومعاوية وانه خرج من حكمهم فقتله رجل من همدان . ثم ان جماعة ممن كانوا مع علي رضي الله عنه في حرب صفين استمعوا منه ذلك الكلام ، واستقرت في قلوبهم تلك الشبهة ، ورجعوا مع علي الى الكوفة ، ثم فارقوه ورجعوا الى حروراء ، وكانوا اثنى عشر الف رجل من المقاتلة ومن هنا سميت الخوارج حرورية ، وكان زعيمهم يومئذ عبد الله ابن الكواء[3] وشبث بن ربعي[4] وخرج اليهم علي وناظرهم فظهر بالحجة عليهم ، فاستأمن إليه ابن الكواء في الف مقاتل ، وأستمر الباقون على ضلالهم ، وخرجوا الى النهروان وامروا عليهم رجلين منهم . احدهما : عبد الله بن وهب الراسي[5] والثاني : حرقوص بن زهير البجلي ، وكان يلقب بذي الثدية[6] ورأوا في طريقهم حال خروجهم الى النهر وان عبد الله بن خباب بن الارت[7] فقالوا له حدث لنا حديثاً سمعته من ابيك عن رسول الله ﷺ . فقال سمعت ابي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والواقف فيها خير من

---

(١) مرادس : هو ابن حدير ، وانظر ما قاله فيه في «الكامل» للمبرد ٢ : ١٠٨ ، و «المعارف» ص / ٤١٠ .
(٢) ذكر التميمي في «الفرق بين الفرق» ص / ٧٤ هذه الاقوال الثلاثة كما ذكرها المؤلف .
(٣) هو عبد الله بن الكواء ، اليشكري : اول امير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه ، ثم كان هو احد الذين اختاروا عبد الله بن قيس (ابا موسى الاشعري) في قصة التحكيم . انظر «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم ص / ٢٩٥ و ٥٠٢ .
(٤) بكسر الراء وسكون الباء ـ التميمي ، الرياحي : له ذكر في تجميع الخوارج وتوحيد كلمتهم انظر : «الكامل» للمبرد ٢ : ١١٦ ؛ و «المعارف» ص / ٤٠٥ .
(٥) هو اول من امره الخوارج عليهم اول ما اعتزلوا ، بايعوه لعشر بقين في شوال سنة / ٣٧ هـ ؛ وجعلوا امير قتالهم شبث بن ربعي المتقدم ذكره . انظر «الكامل» ٢ : ١١٩ ، و «مقالات الاشعريين» ١ : ١٩٤ .
(٦) بضم الثاء المثلثة ـ تصغير ثدي ، وبعضهم يرويها «ذو اليدية» بضم الياء المثناة التحتية ـ على انه تصغير يده . وقد حكى ابن منظور في اللسان (ث دي) القولين . وانظر «الكامل» للمبرد ٢ : ١٣٩ .
(٧) قتله الخوارج ، وبقروا بطن ام ولده . انظر «المعارف» ص / ٣١٧ ، و «الاصابة» رقم / ٤٦٣٨ ، و «الاستيعاب» رقم / ١٥١٩ .

السائر ، والماشي فيها خير من العادي ، ومن أمكنه ان يكون مقتولاً فيها يقصدنَّ ان يكون قاتلاً » ، او لفظ هذا معناه[1] فلما سمعوا منه هذا الخبر قصدوا قتله ، وقتله رجل منهم اسمه مسمع ، وجرى دمه على وجه الماء قائماً كالشراك حتى انهال من احدى شطيء النهر الى الآخر ، ثم قصدوا بيته وقتلوا أولاده وامهات اولاده بالنهروان ، وكثر عددهم وقويت شوكتهم فقصدهم علي رضي الله عنه في اربعة الاف رجل وكان مقدمهم عدي بن حاتم الطائي[2] وينشد لهم أشعاراً يترغمون بها في مذمتهم ومدح علي رضي الله عنه ، فلما ازدلفوا اليهم بعث علي رضي الله عنه اليهم رسولاً ان ادفعوا الي قاتل عبد الله بن خباب فقالوا : كلنا قتله ، ولو ظفرنا بك لقتلناك ايضاً. فوقف عليهم علي رضي الله عنه بنفسه، وقال لهم يا قوم: ماذا نقمتم مني حتى فارقتموني لأجله . قالوا قاتلنا بين يديك يوم الجمل ، وهزمنا اصحاب الجمل ، فأبحت لنا اموالهم ، ولم تبح لنا نساءهم وذراريهم ، وكيف تحل مال قوم وتحرم نساءهم وذراريهم ، وقد كان ينبغي ان تحرم الأمرين او تبيحهما لنا ، فاعتذر علي رضي الله عنه بأن قال : اما اموالهم فقد ابحتها لكم بدلاً عما اغاروا عليه من مال بيت المال الذي كان بالبصرة قبل ان وصلت اليهم ، ولم يكن لنسائهم وذراريهم ذنب فانهم لم يقاتلونا كان حكمهم حكم المسلمين ، ومن لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان لم يجز سبيهم واسترقاقهم ،وبعد لو أبحت لكم نساءهم من كان منكم يأخذ عائشة في قسمة نفسه ؟ فلما سمعوا هذا الكلام خجلوا وقالوا : قد نقمنا منك سبباً آخر وهو انك يوم التحكيم كتبت اسمك في كتاب الصلح ان امير المؤمنين علي بن طالب ومعاوية حكما فلانا ، فنازعك معاوية وقال لو كنا نعلم انك امير المؤمنين ما خالفناك، فمحوت اسمك . فان كانت امامتك حقاً فلم رضيت به . فاعتذر امير المؤمنين ، وقال : انما فعلت كما فعل النبي عليه السلام

---

(١) اخرجه البخاري بنحوه في صحيحه ٤ : ٢٢٥ في كتاب الفتن : باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، واحمد في مسنده ١ : ١٦٩ ، ١٨٥ بالفاظ.

(٢) هو ابو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله ، الطائي . ابوه حاتم الطائي مضرب المثل في الجود والكرم . اسلم سنة سبع ، شهد مع علي يوم الجمل ففقئت عينه ، وقتل ابنه محمد يومئذ . وقد اختلف في سنة وفاته ؛ فقيل : توفي في سنة / ٦٦ هـ وقيل: في سنة / ٦٧ هـ ، وقيل : في سنة ٦٨ هـ . انظر «مشاهير علماء الامصار» رقم / ٢٧١ ، و «العبر» ١ : ٧٤ ، و «الاصابة» رقم / ٥٤٦٧ ، و «الاستيعاب» رقم / ١٧٨١ .

حين صالح سهيل بن عمرو[1] وكتب في كتاب الصلح . هذا ما صالح محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال له سهيل : لو علمنا انك رسول الله ما خالفناك ، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك ، فأمر النبيﷺ حتى كتب : هذا ما صالح محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، فقال لي رسول اللهﷺ : «انك ستبتلى بمثله يوما » فالذي فعلته باذنه واقتداء به . ثم قالت الخوارج له : لم قلت للحكمين ان كنت اهلاً للخلافة فقرراني ، ولم شككت في خلافتك حتى تكلمت بهذا الكلام ، ولو كنت شاكا لما ادعيت الخلافة . فقال علي : انما اردت ان انصف الخصم ، واسكن النائرة ، ولو قلت للحكمين احكما لي لم يرض بذلك معاوية ، وهكذا فعل النبيﷺ مع نصارى نجران حين دعاهم الى المباهلة فقال : «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[2] . وهذا انما قاله على سبيل الانصاف لا على سبيل التشكك ، وهو كقوله تعالى : «قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى او في ضلال مبين »[3] ولهذا المعنى حكم النبي ﷺ سعد بن معاذ في بني قريظة ، والحق في الحقيقة كان لرسول اللهﷺ . ثم ان حكم رسول اللهﷺ بالعدل ، وحكمي الذي حكمته خدع فكان من الامر ما كان فلما سمعت الخوارج هذه الحجج القاطعة استأمن ثمانية آلاف منهم ، وثبت على قتاله اربعة الاف منهم . فقال الى الذين استأمنوا اليه منهم امتازوا اليوم مني جانباً ، وقاتل بمن كان معه وقال لأصحابه لما اراد ان يبتدىء القتال : لا يقتل منا عشرة ، ولا ينجو منهم عشرة ، واشتغلوا بالقتال فلم يقتل يومئذ من اصحاب علي أكثر من تسعة انفس ، وخرج حرقوص بن زهير في وجه علي رضي الله عنه وقال : والله لا نريد بقتالك الا وجه الله تعالى ، والنجاة في الآخرة فتلا عليه : «قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ،

---

(١) هو اخو بني عامر بن لؤي : هو رسول قريش وممثلها في صلح الحديبية الذي عقده رسول الله على ان يرجع عامه ، ثم يعود من قابل ، ثم اسلم : واعطاه الرسول من غنائم حنين مائة من الابل . انظر «العبر » ١ : ٢٢ .

(٢) آل عمران : ٦١

(٣) سبأ : ٢٤ .

الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا»[1] ثم حمل عليهم وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة ، والتحم القتال حتى لم يبق من جملة الخوارج الا تسعة فوقع اثنان منهم الى سجستان ، واثنان الى اليمن ، واثنان الى عمان ، واثنان الى الجزيرة ، وواحد الى ناحية الابار ، وخوارج هذه النواحي من اتباع هذه التسعة وامر علي رضي الله عنه اصحابه بطلب ذي الثدية فوجدوه قد هرب واستخفى في موضع فظفروا به ، وتفحصوا عنه فوجدوا له ثديا كثدي النساء . فقال علي رضي الله عنه : صدق الله . وصدق رسوله ، وامر بقتله فقتل . وقد كان مر على النبي ﷺ ذو الثدية وهو يقسم غنائم بدر فقال له : اعدل يا محمد . فقال له عليه الصلاة والسلام : «خبت وخسرت اذاً من يعدل ثم قال : «انه يخرج من ضئضيء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [2]. »

هذه قصة المحكمة الأولى وهم يكفرون بتكفيرهم عليا ، وعثمان ، وتكفيرهم فساق أهل الملة ، ثم خرج بعدهم جماعة من الخوارج بأرض العراق فكان علي رضي الله عنه يبعث اليهم السرايا ويقاتلهم الى أن استأثر الله بروحه ، ونقله الى جنته ، وبقيت الخوارج على مذهب المحكمة الأولى الى أن ظهرت فتنة الأزارقة منهم ، فعند ذلك اختلفوا كما نذكره ان شاء الله تعالى .

٢ ـ الفرقة الثانية :

الأزارقة :

منهم الأزارقة وهم اتباع رجل منهم يقال له أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي[3] . ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً ، وأشد منهم شوكة ، ولهم

---

(١) الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٢) أخرجه البخاري بغير هذا اللفظ ٤ : ٢٨٣ : كتاب التوحيد : باب وكان عرشه على الماء . وأخرجه غيره بألفاظ متقاربة كمسلم في الزكاة ، وأبو داود في السنة ، النسائي في الزكاة .

(٣) هو أبو راشد ، نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار ، أحمد بني الدول ابن حنيفة ، كان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبير ، وفي سنة/ ٦٥ هـ اشتدت شوكته وكثرت جموعه ، فبعث اليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عيسى بن كريز على رأس جيش كثيف ، فاشتد بينهم القتال حتى قتل مسلم أمير الجيش وقتل نافع أمير الخوارج . أنظر « الكامل » لابن الأثير ٤ : ٨١ ، و « المعارف » ص/ ٦٢٢ .

مقالات فارقوا بها المحكمة الأولى ، وسائر الخوارج : منها أنهم يقولون ، ان من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك ، والمحكمة كانوا يقولون ان مخالفهم كافر ، ولا يسمونه مشركا . ومما اختصوا به أيضا أنهم يسمون من لم يهاجر الى ديارهم من موافقيهم مشركا ، وان كان موافقاً لهم في مذهبهم . وكان من عاداتهم فيمن هاجر اليهم أن يمتحنوه بان يسلموا اليه أسيراً من أسراء مخالفيهم وأطفالهم ويأمروه بقتله . ويزعمون أيضاً ان أطفال مخالفيهم مشركون ، ويزعمون أنهم يخلدون في النار .

وأول من أظهر هذه البدع الزائدة على أولئك رجل منهم يدعى عبد ربه الكبير[1] وقيل عبد ربه الصغير ؛ وقيل عبد الله بن الوضين[2] وكان نافع بن الأزرق يخالفه حتى مات . ثم رجع الى مذهبه وقد اطبقت الأزارقة على أن ديار مخالفيهم ديار الكفر ، وأن قتل نساءهم وأطفالهم مباح ، وأن رد أماناتهم لا تجب لنص كتاب الله تعالى حيث قال: «ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها»[3] وزعموا أيضا أن الرجم لا يجب على الزاني المحصن ، خلافاً لاجماع المسلمين وقالوا : ان من قذف رجلا محصنا فلا حد عليه ، ومن قذف امرأة محصنة فعليه الحد ، وقالوا : ان سارق القليل يجب عليه القطع ، وهذه بدع زادوا بها على جميع الخوارج «فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين»[4] .

وهذه الأزارقة غلبوا على بلاد الأهواز ، وأرض فارس ، وكرمان ، في أيام عبد الله بن الزبير حين بعث عاملا له على البصرة فأخرج سرية الى قتالهم وهم ألف مقاتل فقتلهم الخوارج ، ثم بعث إليهم بثلاثة آلاف من المقاتلة فظفر الخوارج أيضا بهم ، فبعث عبد الله بن الزبير من مكة كتاباً وجعل قتالهم الى المهلب بن أبي صفرة[5] حتى

---

(١) كان عبد ربه الصغير معلم كتاب ، وكان عبد ربه الكبير بائع رمان ، وكلاهما من موالي قيس بن ثعلبة . وانظر التفصيل عنهم في « مقالات » ١ : ١٦٠ و « الكامل » للمبرد : ١ : ٢٣١ - ٢٣٧ - ٢٤٣ .

(٢) من رؤوس الأزارقة مات في حدود سنة/ ٦٠ هـ .

(٣) النساء : ٥٨ .

(٤) البقرة : ٩٠ .

(٥) هو أبو سعيد ، واسم أبي صفرة ظالم بن سراق ، الأزدي ، من أزد العتيك . وكان المهلب هو الذي حمى البصرة =

جمع عسكراً عظيما وهزم نافع بن الأزرق وجعدة ، وقتل نافع في تلك الهزيمة ، وبايعت الأزارقة بعده رجلا آخر منهم فهزمه المهلب أيضاً ، وقتلوه في الهزيمة فبايعوا قطري بن الفجاءة [1] التميمي وسموه أمير الموت ، وكان المهلب يقاتلهم حتى هزمهم وانحازوا الى سابور من بلاد فارس ، وجعلوا ذلك دار هجرتهم وكان المهلب وأولاده يقاتلونهم تسع عشرة سنة بعضها في زمان عبد الله بن الزبير ، وبعضها في زمان عبد الملك بن مروان .

ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق أقر المهلب على قتالهم وكان يقاتلهم الى أن ظهر بينهم الخلاف ، وخالف عبد ربه الكبير قطرياً وخرج الى جيرفت كرمان في سبعة آلاف رجل ، وخالفه أيضاً عبد ربه الصغير وانحاز الى ناحية من نواحي كرمان ، وكان المهلب يقاتل قطريا بناحية سابور الى أن هزمه فخرج الى كرمان ، وكان المهلب يسير على أثره ويقاتله حتى هزمه الى الري ، ثم كان يقاتل عبد ربه الصغير حتى كفى شغله وقتله ؛ وبعث الحجاج عسكراً عظيما الى الري فقاتلوا قطرياً فانهزم منهم الى طبرستان وتبعوه حتى قتلوه وكفى الله تعالى شغله ، وكان قد هرب في جملة من قومه الى قومس عبيدة بن الهلال اليشكري [2] فقصده جند الحجاج حتى قتلوه ، وطهر الله وجه الأرض من جملة الأزارقة ولم يبق منهم واحد .

= من الخوارج حتى سماها الناس بصرة المهلب ، ولاه عبد الله بن الزبير خراسان في سنة/ ٦٥ هـ فحارب الأزارقة وأفنى منهم عدداً كثيراً . مات سنة/ ٨٢ هـ . انظر « المعارف »/ ٣٩٩ ، و « العبر » ١ : ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٨ .

(١) هو أبو نعامة : قطري بن الفجاءة ، أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، خرج في أيام عبد الله بن الزبير ، وبقي عشرين سنة يسلم عليه بالخلافة . يقال عثرت به فرسه فمات وأتى الحجاج برأسه وذلك في سنة/ ٧٩ هـ أنظر « المعارف » ص/ ٤١١ ، و « العبر » ١ : ٩٠ .

(٢) هو أحد بني شكر بن بكر بن وائل ، وهو الذي يقول عن نفسه :

أنا ابن خير قومه هلال شيخ على دين أبي بلال
وذاك ديني آخر الليالي .

انظر « الكامل » لابن الأثير ٤ : ٨١ ، و « الكامل » للمبرد ٢ : ٢٣٢ .

٣ ـ الفرقة الثالثة :

النجدات :

منهم النجدات[1] وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي[2] وكان من حاله أنه لما سمى نافع بن الأزرق من كان قد امتنع من نصرته مشركا ، وأباح قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم ، خرج عليه قوم من أتباعه وصاروا الى اليمامة وبايعوا نجدة وقالوا : ان من يقول ما قاله نافع فهو كافر ثم افترق هؤلاء ثلاث فرق ، وخرجوا على نجدة فصار فريق منهم مع عطية بن الأسود الحنفي[3] الى سجستان . وخوارج سجستان أتباع هؤلاء ولذلك كانوا يدعون العطوية ، وصار فريق منهم تبعا لرجل كان يقال له أبو فديك[4] وكانوا يقاتلون نجدة حتى قتلوه ، وإنما خرج هؤلاء عليهم لأنهم أخذوا عليه أشياء منها أنه بعث جنداً للغزو في البر وجنداً في البحر ، ثم فضل في العطاء من بعثه في البحر فانكروا عليه وقالوا : لم يكن من حقه أن يفضل هؤلاء .

والثاني أنهم قالوا : انك بعثت جنداً الى المدينة حتى أغاروا عليها وسبوا جارية من أولاد عثمان بن عفان ، وكاتبه في ذلك المعنى عبد الملك بن مروان فاشتراها عمن كانت في يده وبعثها الى عبد الملك بن مروان ، فأخذوا عليه هذا . وقالوا : انه رد جارية غنمناها الى عدونا وقالوا له تب فتاب .

وقال قوم : انه كان معذوراً فيما فعل وقالوا له كان لك أن تجتهد ولم يكن لنا أن نستتيبك فتب عن توبتك فتاب . واختلفوا عليه كما ذكرنا الى أن قتله أبو فديك

---

(١) أنظر في شأن هذه الفرقة « مقالات الاسلاميين » ١ :١٦٢ وما بعدها ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٨٧ ، و « الملل والنحل » ١ : ١٢٢ وما بعدها ، و « خطط المقريزي » ٢ : ٣٥٤ .

(٢) استولى على اليمامة والبحرين في سنة/ ٦٦ هـ وكان منه ما ذكر المؤلف بعضه وفي سنة/ ٦٩ هـ قتله أصحابه . أنظر « العبر » ١ : ٧٤ ـ ٧٧ .

(٣) قال المقريزي في « الخطط » ١ : ٣٥٤ : « عطية بن الأسود : بعثه نجدة الى سجستان ، فأظهر مذهبه بمرو ، فعرفت أصحابه بالعطوية » . وذكر مقالتهم . وأنظر أيضاً « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٦٤ .

(٤) ومن الخوارج الفديكية أصحاب أبي فديك ، ولا نعلم أنه تفردوا بقول أكثر من انكارهم على نافع ونجدة » اهـ أنظر « المقالات » ١ : ١٦٩ ، و « الكامل » للمبرد ٢ : ٢٥١ .

وبعث عبد الملك بن مروان جنداً الى أبي فديك فقتل وكفى الله المسلمين شرهم .
وبدع النجدات كثيرة ومن أطلع على ما ذكرناه من حالهم لم يخف عليه أمرهم .

٤ ـ الفرقة الرابعة :

الصفرية :

وهم أتباع زياد بن الأصفر[1] وقولهم كقول الأزارقة في فساق هذه الأمة ، ولكنهم لا يبيحون قتل نساء مخالفيهم ولا أطفالهم .

وقال فريق منهم كل ذنب له حد معلوم في الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركاً ولا كافرا ، بل يدعى باسمه المشتق من جريمته . يقال سارق ، وقاتل ؛ وقاذف ، وكل ذنب ليس فيه حد معلوم في الشريعة مثل الاعراض عن الصلاة فمرتكبه كافر ، ولا يسمون مرتكب واحد من هذين النوعين جميعاً مؤمناً .

وقال فريق منهم ان المذنب لا يكون كافرا الى أن يحده الوالي ويحكم بكفره ، وهؤلاء الفرق الثلاثة من الصفرية يقولون بامامة رجل كان اسمه أبو بلال مرداس الخارجي[2] ويقولون بعده بامامة عمران بن حطان السدوسي ، وكان خروج أبي بلال في أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عامله عبيد الله بن زياد فبعث اليه زرعة بن مسلم العامري[3] في ألفي مقاتل ، وكان زرعة يميل الى رأي الخوارج فلما اصطف العسكران قال زرعة : يا أبا بلال اني أعلم أنك على الحق ، ولكننا لو لم نقاتلك يحبس عبيد الله بن زياد عطاءنا عنا . فقال أبو بلال : ليتني فعلت كما أمرني به أخي عروة فانه أمرني أن أستعرض الناس بالسيف ، فأقتل كل من استقبلني ، ثم

---

(١) أنظر في مقالة هذه الفرقة : « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٦٩ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٩٠ ، و « الملل والنحل » ١ : ١٣٧ .

(٢) هو أبو بلال : مرداس بن حدير ، أحد بني ربيعة بن حنظلة ، ويقال مرداس بن أدية ، وهو أخو عروة بن حدير الذي سبقت ترجمته . وحديثه طويل في « الكامل » «للمبرد» . ٢ : ١٥٤ وما بعدها .

(٣) سماه المبرد في « الكامل » ٢ : ١٥٧ « أسلم بن زرعة » .

هزمه أبو بلال فبعث عبيد الله بن زياد الى قتال ابي بلال عبادا التميمي[1] حتى حمل رأسه الى عبيد الله بن زياد فدعا عبيد الله عروة[2] أخاه وقال له : يا عدو الله أمرت أخاك أن يستعرض المسلمين قد انتقم الله تعالى منه ، وأمر بصلب عروة . ثم ان الصفرية بعد أبي بلال بايعوا عمران بن حِطَّان[3] وكان رجلا شاعراً نسابة ، وكان يرثي مرداسا ومن جملة ما رثاه به قوله :

أنكَرْتُ بَعْدَكَ ما قد كنْتُ أعرفُهُ   ما النّاسُ بعدكَ يا مِرْدَاسُ بِالنَّاس

وكان من شقاوته أنه رثى عبد الرحمن بن ملجم بقوله[4] :

يا ضَرْبَةً من مُنيبٍ ما أراد بها   الا ليبلُغَ من ذي العرشِ رِضْوَانَا

إنـي لأذكرهُ يومـاً فأحْسَبُه   أوفَى البريَّةِ عند اللهَ ميزَانَا

ومن كان اعتقاده على هذه الجملة لم تعترض أهل الديانة في كفره شبهة .

٥ ـ الفرقة الخامسة :

العجاردة[5] :

منهم العجاردة وهم أتباع عبد الكريم بن عجرد[6] وكان من أتباع عطية بن أسود الحنفي ، ومما اتفق عليه العجاردة قولهم : ان كل طفل بلغ فانه يدعى الى أن

---

(١) قال المبرد في « الكامل » ٢ : ١٥٨ : « عباد بن أحضر ، وليس هو بابن أخضر ، هو عباد بن علقمة المازني ، وكان أخضر زوج أمه ، فغلب عليه » اهـ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) بكسر الحاء وتشديد الطاء المهملتين ـ السدوسي ، البصري ، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، رأس من رؤوس الخوارج مات في سنة ٨٤ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٩٨ .

(٤) وقد رد عليه عبد القاهر التميمي بقوله :

يا ضَرْبَةً من كَفُورٍ ما استفادَ بها   الا الجَزَاء بما يُصْليهِ نيرَانَا

إنّي لألعنه دنيا والعن مَنْ   يَرْجُو له ابداً عفواً وغُفْرانا

(٥) أنظر الملل والنحل » ١ : ١٢٨ ، و « الفرق بين الفرق » ص/٩٣ ، و « المقالات » ١ : ١٦٤ .

(٦) وعجرد : اسم رجل من الحرورية والعجردية من الحرورية : ضرب ينسبون اليه . . أنظر لسان العرب .

يقر بدين الاسلام ، وقبل أن يبلغ يتبرؤون عنه ولا يحكمون له بحكم الاسلام في حالة طفوليته . وخاصة مذهبهم تأن الأزارقة كانوا يبيحون أموالهم مخالفيهم حتى يقتل صاحب المال أولا ، وهؤلاء الذين ينتحلون هذا المذهب افترقوا :

١ ـ فمنهم الخازمية[1] : وهم الأكثرون منهم ، وافقوا أهل السنة في القدر ، والاستطاعة ، والمشيئة . فيقولون لا خالق الا الله ، ولا يكون إلا ما يريد ، والاستطاعة مع الفعل ، ويقولون : بتكفير القدرية بهذه المسائل التي ذكرناها ، ولكن يكفرون عثمان ، وعلياً ، والحكمين .

٢ ـ ومنهم الشعيبية[2] : وكان سبب ظهورهم أن زعيمهم نازع رجلا من الخوارج يقال له ميمون وكان له على شعيب مال فطالب به شعيباً . فقال شعيب أؤديه ان شاء الله تعالى . فقال ميمون الآن شاء الله ذلك ألا تراه قد أمر به : فقال شعيب : لو كان الله شاء لم أقدر على مخالفته . فظهر بسبب ذلك الخلاف بين العجاردة في مسألة المشيئة . فكتبوا هذه القصة الى عبد الكريم بن عجرد وهو محبوس في حبس السلطان ، فكتب في جوابه نحن نقول ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا نلحق به سوءاً ، وقال ميمون : من قال أنه لم يرد أن يؤدي الى حقي فقد الحق به سوءاً ، وقال شعيب : بل وافقني في الجواب ألا تراه يقول وما لم يشأ لم يكن ؛ ورجع الخازمية الى قول شعيب والحمزية منهم الى قول ميمون القدري . وهو الذي يجوز نكاح بنات البنين وبنات البنات ، وهذا خلاف اجماع المسلمين وهذا منه كفر زاده على قوله بالقدر .

٣ ـ ومنهم الخلفية[3] : وكان خلف هذا من أتباع ميمون القدري ثم تاب ورجع عن أقواله الى مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر والمشيئة والاستطاعة وخوارج مكران وكرمان بايعوه على ذلك ، وكان حمزة الخارجي القدري يقاتلهم

---

(١) أنظر « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٦٦ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٩٤ .

(٢) أنظر « الملل والنحل » ١ : ١٣١ ، و« الفرق بين الفرق » ص ٩٥ والمقالات ١ : ١٦٥ .

(٣) أنظر « الملل والنحل » ١ : ١٣٠ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٩٦ ، و« المقالات » ١ : ١٦٥ .

ففقدوا خلقا في بعض تلك الحروب ، فهم من معرفته في شك ثابتون على دعوى امامته ، ولم يقاتلوا بعد فقده أحداً فان من مذهبهم أنهم لا يقاتلون الا إذا كان بينهم الامام ، وصاروا الى مذهب الأزارقة في شيء واحد ، وهو قولهم : ان أطفال مخالفيهم يكونون في النار .

٤ ـ ومنهم المعلومية ويدعى فريق منهم المجهولية[١] : والفريقان جميعاً كانا من جملة الخازمية . ثم المعلومية خالفوهم وزعموا أن من لم يعلم الله بجميع أسمائه فهو جاهل به والجاهل به كافر ، وزعموا أيضا أن أفعال العباد لا تكون مخلوقة لله ، وزعموا أن من كان منهم على دينهم وخرج على أعدائه بالسيف فهو الامام ، والمجهولية يقولون من عرف الله ببعض أسمائه يكون عالماً به ، ولا يشترطون معرفة جميع أسمائه ، ويكفرون المعلومية بهذا السبب .

٥ ـ ومنهم الصلتية : وهم أتباع صلت بن عثمان وقيل صلت بن أبي الصلت[٢] وهؤلاء يقولون انا نوالي كل من كان على مذهبنا ولكنا نتبرأ عن أطفالهم الى أن يبلغوا ونعرض عليهم الاسلام فيقبلوه يريدون به عرض مذهبهم وقبوله .

٦ ـ ومنهم الحمزية[٣] : وهم أتباع حمزة وهو الذي صدر منه الفساد الكبير في نواحي سجستان ، وديار خراسان : وكرمان ، ومكران ، وقهستان . وهزموا كثيراً من العساكر وكان في الأصل على دين الخازمية ثم خالفهم في القدر ، والاستطاعة ، ورجع الى قول القدرية . وكان يزعم أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ، وان غنائمهم لا تحل لنا ، وكان يأمر بإحراق الغنائم وعقر دواب مخالفيهم ، وظهرت فتنته

---

(١) أنظر «مقالات الاسلاميين» ١ : ١٦٦ وقد أفرد كل واحدة منهما بحديث قصير ، ثم أنظر «الفرق بين الفرق» ص/ ٩٧ . ولم يذكر الشهرستاني المعلومية ولا المجهولية بين فرق العجاردة .

(٢) في «المقالات»: «عثمان بن أبي الصلت» ومثله في خطط المقريزي، وفي الملل والنحل» «عثمان بن أبي الصلت ، أو الصلت بن أبي الصلت» وفي «الفرق بين الفرق» كما ذكر المؤلف . وراجع عن هذه الفرقة في «الملل والنحل» ١ : ١٢٩ ، والمقالات» ١ : ١٦٦ ، و«الفرق بين الفرق» ص/ ٩٧ .

(٣) أنظر «المقالات» ١ : ١٦٥ ، و«الملل والنحل» ١ : ١٢٩ ، و«الفرق بين الفرق» ص/ ٩٨ .

في أيام هارون الرشيد وبقي الى أن مضى برهة من أيام المأمون ثم صار مقتولا على أيدي غزاة نيسابور .

٧ ـ ومنهم الثعالبة : وهم أتباع ثعلبة به مشكان[١] وهؤلاء كانوا يقولون بامامة عبد الكريم بن عجرد ويقولون انه كان الامام الى أن خالفه ثعلبة في حكم الأطفال فصار على زعمهم كافراً ، وكان ثعلبة اماما وكان سبب اختلافهم ان رجلا من العجاردة خطب بنت ثعلبة فقال له أظهر لنا مهراً وقدره فبعث الخاطب الى أم البنت وقال : تعرّفيني عن أمرها هل بلغت هذه البنت ، وهل قبلت الاسلام ؟ فان كانت بالغة وللاسلام قابلة على الشرط لم يبال كم كان مهرها . فقالت الأم هي مسلمة . فلما بلغ هذا الخبر الى ثعلبة اختار أن يتبرأ من أطفال المسلمين ، وخالف في هذا عبد الكريم بن عجرد وبسبب هذا الخلاف تبرأ أحدهما عن صاحبه وكان يكفر كل منهما صاحبه .

٨ ـ ومنهم المعبدية[٢] : وهؤلاء يقولون بامامة معبد بعد ثعلبة وخالف معبد الثعالبة بان قال : يجوز أخذ الزكاة من العبيد ويجوز دفعها اليهم ، وزعم بان من لم يوافقه في هذه المقالة فهو كافر واتباعه يكفرون جملة الثعالبة والثعالبة يكفرونهم .

٩ ـ ومنهم الأخنسية[٣] : وهم أتباع رجل اسمه اخنس وكان على مذهب الثعالبة في موالاة الاطفال ثم خنس من بينهم وزعم أنه يجب التوقف في جميع من كان في دار التقية الا من عرفنا منه نوعاً من الكفر فحينئذ نتبرأ عنه ، ومن عرفنا منه الايمان فنواليه ، وكان يقول : ان قتل مخالفيهم في السر لا يجوز ، ولا يجوز ابتداء أحد من أهل القبلة بالقتال حتى يدعوه أولا الى مذهبهم .

١٠ ـ ومنهم الشيبانية[٤] : وهم أتباع شيبان بن سلمة الخارجي وهم كانوا

---

(١) سماه في « الملل والنحل » : ثعلبة بن عامر » ومثله في الخطط ، وأما عبد القاهر فسماه كما ذكره المؤلف هنا . وراجع عن هذه الفرقة في : « المقالات » ١ : ١٦٧ ، والملل والنحل ١ : ١٦٧ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٠٠ .
(٢) أنظر « المقالات » ١ : ١٦٧ ، و« الملل والنحل » ١ : ١٣٢ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٠١ .
(٣) أنظر « المقالات » ١ : ١٦٧ ، و« الملل والنحل » ١ : ١٣٢ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٠١ .
(٤) أنظر « المقالات » ١ : ١٦٧ ، والفرق بين الفرق » ص/ ١٠٢ ، والملل والنحل » ١ : ١٣٢ .

يعينون أبا مسلم[1] في حروبه وكان يذهب الى مذهب المشبهة وساير الثعالبة ثم خالفهم وقال : كل زرع يسقى بنهر ، أوعين ، ففيه نصف العشر . وقال كل زرع سقي بالسماء ففيه عشر كامل .

١١ ـ ومنهم المكرمية : وهم أتباع أبي مكرم[2] وكان يقول : من ترك الصلاة فقد كفر لا لأنه ترك الصلاة ولكن لأنه يكون جاهلا بالله تعالى . وكان يقول : ان المذنبين كلهم جاهلون بالله . وكان يقول : في الموالاة والمعاداة بالموافاة . وكان يقول : ان الاعتبار بما سبق في كتاب الله تعالى .

٦ ـ الفرقة السادسة :

الأباضية :

الأباضية وهم أتباع عبد الله بن أباض[3] ثم هم فيما بينهم فرق وكلهم يقولون ان مخالفيهم من فرق هذه الأمة كفار لا مشركون ولا مؤمنون ، ويجوزون شهادتهم ويحرمون دماءهم في السر ويستبيحونها في العلانية ، ويجوزون مناكحتهم ، ويثبتون التوارث بينهم ، ويحرمون بعض غنائمهم ويحللون بعضها ، يحللون ما كان من جملة الأسلاب والسلاح ، ويحرمون ما كان من ذهب أو فضة ويردونها إلى أربابها .

ذكر الحفصية منهم :

ومن الأباضية قوم يقال لهم الحفصية : وهم أتباع حفص بن ابي المقدام وكان

---

(١) هو أبو مسلم الخراساني : هو صاحب الدعوة الى العباسيين ، والذي أقام صرح دولتهم ، قتل سنة ١٣٧ هـ في شعبان قتله المنصور . أنظر مروج الذهب ٣ : ٣٠٢ ـ ٣٠٥ ، و « العبر » : ١ : ١٨٦ .

(٢) هكذا ورد اسمه في « الفرق بين الفرق » وسماه الشهرستاني : مكرم بن عبد الله العجلي » . أنظر عن هذه الفرقة في : الملل والنحل » ١ : ١٣٣ ، و « المقالات » ١ : ١٦٨ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ١٠٣ .

(٣) هو أحد بني مرة بن عبيد من بني تميم رهط الأحنف بن قيس . وأنظر عن هذه الفرقة في : « مروج الذهب » ٣ : ٢٥٨ ، و « المعارف » ص/ ٦٢٢ ، والفرق بين الفرق » ص/ ١٠٣ ، و « المقالات » ١ : ١٧٠ . « والملل والنحل » ١ : ١٣٤ .

يقول : ليس بين الكفر والإيمان الا معرفة الله فمن عرفه فهو مؤمن ، وان كان كافراً بالرسول وبالجنة والنار ، واستحل جميع المحرمات كالقتل ، والزنا ، واللواط ، والسرقة ، فهو كافر ولكنه بريء من الشرك،وهؤلاء يقولون في عثمان كما تقول الروافض في أبي بكر وعمر . ويقولون في علي نزل قوله تعالى : «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام[1] » وفي عبد الرحمن بن ملجم قوله تعالى : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد »[2] وهذا من أتم الفضائح والبدع .

ـ ذكر الحارثية منهم :

ومن الأباضية قوم يقال لهم الحارثية : وهم أتباع الحارث بن مزيد الأباضي[3] وكانوا يقولون بقول القدرية في القدر والاستطاعة وسائر الأباضية كانوا يكفرونهم بسبب ذلك .

ـ ذكر أصحاب طاعة :

ومن الأباضية فريق يقال لهم أصحاب طاعة لا يراد الله بها[4] ، وهؤلاء يقولون بجواز طاعات كثيرة من العبد لا يقصد بها طاعة ربه كما كان يقوله أبو الهذيل المعتزلي وكان من قصتهم : أن رجلا من الأباضية اسمه ابراهيم أضاف جماعة من أهل مذهبه وكانت له جارية على مذهبه قال لها قدمي شيئا فأبطأت فحلف ليبيعها من الأعراب ، وكان فيما بينهم رجل اسمه ميمون ذكرناه في العجاردة فقال له تبيع جارية مؤمنة من قوم كفار. فقال: «وأحل الله البيع وحرم الربا»[5] وعليه كان اصحابنا وطال الكلام بينهما حتى تبرأ كل واحد منهما من صاحبه ، وتوقف قوم منهم في كفرهما وكتبوا الى علمائهم فرجع الجواب بجواز ذلك البيع وبوجوب التوبة على

---

(١) البقرة : ٢٠٤ .

(٢) البقرة : ٢٠٧ .

(٣) وقع في التبصير وحده « الحارث بن مزيد الأباضي » أما في غيره : « الحارث بن يزيد الأباضي » .

(٤) أنظر « المقالات » ١ : ١٧٢ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ١٠٥ ، ولم يذكر الشهرستاني هذه الطائفة .

(٥) البقرة : ٢٧٥ .

ميمـون وعلى كل من توقف في نصر ابـراهيم . فمـن هاهنـا افترقـوا ثلاث فرق الابراهيمية، والميمونية ، والواقفية .

وظهر بعدهم قوم آخرون يقال لهم البيهسية أصحاب أبي بيهس هصيم بن عامر[1] وهؤلاء يقولون ان ميمونا كفر بقوله : ان بيع تلك الجارية من كفار يكونون في ديار التقية حرام ، وكفروا الواقفية أيضاً لتوقفهم في كفر ميمون ، وكفروا ابراهيم لتبريه من هؤلاء الواقفية .

ثم قالت البيهسية : لا يطلق على المذنب انه كافر أو مؤمن حتـى يدفـع الى السلطان ويقيم عليه الحد . وقال بعضهم : متى ما كفر الامام كفر رعيته أيضا . وقال قوم منهم ان السكر كفر إذا كان معه ترك الصلاة .

٧ ـ الفرقة السابعة :

الشبيبية :

منهـم الشـبيبية وهـم أتبـاع شبيب بن يزيد الشيباني[2] وكان كنيتـه أبـو الصحاري ، وقد تسمى هذه الفرقة صالحية لانتسابهم الى رجل اسمه صالـح بن مسرح التميمي الخارجي[3] وكان شبيب هذا من أصحابـه وصـار بعـده والياً على عسكره ، وكان خروجه في أيام الحجاج وخالف صالحاً في تجويز أمامة النساء إذا قمن بأمر الرعية كما ينبغي وخرجن على مخالفيهم . وكان أتباعه يقولون : ان غزالـة أم شبيب كانت هي الامام بعد شبيب الى أن قتلت . وكان السبب في قولهم بامامة أم شبيب ان شبيباً لما دخل الكوفة أمر أمه حتى صعدت منبر الكوفة وخطبت ، وكان من

---

(١) أنظر «المقالات» ١ : ١٧٧ ، و«الملل والنحل» ١ : ١٢٥ ، و«الفرق بين الفرق» ص/١٠٨ و«المعارف» ص/٦٢٢ .

(٢) شبيب بن يزيد بن نعيج بن قيس بن عمرو بن الصلت ، الشيباني ، الخارجي خرج أول الامر بالموصل ، فبعث اليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحد . مات غرقاً سنة / ٧٧ هـ . وانظر «العبر» ١ : ٨٦ وما بعدها . وشذرات الذهب ١ : ٨٣ ، و«المقالات» ص / ٤١٠ .

(٣) هو صالح بن مسرح : كان رأس الصفرية ، فلما دنت وفاته بالموصل سنة/ ٧٦ هـ أوصى الى شبيبا بن يزيد . أنظر المعارف ص/ ٤١٠ اثناء ترجمته لشبيب .

قصة شبيب في أول أمره أنه قصد بالشام روح بن زنباع[1] ونزل عنده والتمس منه أن يسأل أمير المؤمنين حتى يجعل عطاءه مساوياً لعطاء أهل الشرف ، فسأله ذلك . فقال عبد الملك بن مروان : هذا رجل لا أعرفه . فقال شبيب يوشك أن يعرفني . وجمع الصالحية من الخوارج مع أصحابه من بني شيبان وغلب على حد كسكراي المداين فبعث الحجاج اليه ألف فارس فهزمهم فبعث اليه ألفين فهزمهم وكان لا يزال يزيد في العساكر يبعثهم اليه وهو يهزمهم حتى هزم عشرين جيشا من عساكره في مدة سنتين . ثم هجم على الكوفة بالليل مع ألف فارس من الخوارج ، وكانت معه أمه غزالة وامرأته جهيزة مع مائة وخمسين امرأة ، فتقلدن السيوف ، واعتقلن الرماح ، فقتل حراس الكوفة ، وأمر أمه حتى صعدت المنبر وخطبت فقال خزيمة بن فاتك الأسدي في وصف تلك الحالة :

أقامــتْ غَزَالَـةُ سُوقَ الضرار ... لأهْــلِ العِرَاقَــينْ حَوْلا قَميطَا
سَمَــتْ للعِرَاقَــينْ في جندها[2] ... فَلاقَــى العِرَاقــانِ مِنْهــا أَطِيطَا

وصبر الحجاج تلك الليلة في داره حتى اجتمع جنده لوقت الصبح وصلى في مسجد الكوفة صلاة الصبح بجنده ، وقرأ في الصلاة سورة البقرة ، وآل عمران . فقصده الحجاج بأربعة آلاف فارس ، والتحم القتال بينهما في سوق الكوفة حتى قتل أكثر أصحاب شبيب ، وفر مع من بقي من أصحابه ، وانحاز الى ناحية الأنبــار . وخرج الحجاج على أثره فانهزم الى ناحية الأهواز فبعث الحجاج على أثره سفيان بن الأبرد مع ثلاثة آلاف من المقاتلة فلحقوه مع موضع يقال له دجيل ، فقصد شبيب أن يعبر جسر دجيل فأمر سفيان قومه أن يقطعوا حبال الجسر ففعلوا فانقلب الجسر وغرق شبيب وهو يقول : «ذلك تقدير العزيز العليم »[3] .

ثم أمر سفيان بإعادة الجسر وعبره وقصد من بقي من أصحابه ، وكانوا قد

---

(1) هو أبو زرعة : روْح بن زنباع ، الجزامي ، سيد جزام ، وأمير فلسطين . توفي سنة/ ٨٤ هـ . أنظر « العبر » : ٢ : ٩٨ .
(2) ذكر التميمي في « الفرق بين الفرق » ص/ ١١٢ « جيشها » .
(3) يس : ٣٨ .

بايعوا أم شبيب فلم يزل بهم حتى قتل أكثرهم . وقتل أم شبيب وأمر الغواصين حتى أخرجوا شبيبا من الماء ، وبعث برأسه وبمن كان قد أسر من أصحابه الى الحجاج . قال بعض أولئك الاسراء اسمع مني بيتين اختم بهما عملي وأنشأ يقول :

أبرأ الى الله من عمروٍ وشيعتِهِ ومن عَلِيٍّ ومن أصحاب صِفِّينِ
ومن مُعَاوية الطاغي وشيعتِهِ لا بَارَكَ الله في القوم المَلاَعينِ

فأمر الحجاج بقتله ، وقتل جماعة من أولئك الاسراء . هذه جملة فرق الخوارج وبلغ ما ليس بمتداخل من أقاويلهم عشرين مقالة فهم إذاً عشرون فرقة كما سطرناه في أول الكتاب ، ومن عجائب حال الخوارج أنهم خرجوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالوا : لم خرجت من بيتها والله تعالى يقول : « وقرن في بيوتكن»[1] . ثم صاروا تبعا لغزالة ، وجهيزة ، وجوزوا أمامتهما ،فهلا تلوا هذه الآية عليهما ومنعوهما من الفتنة غيران الخذلان لا قياس عليه «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم »[2] .

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .
(٢) البقرة : ٢١٣ .

الباب الخامس

في تفصيل مقالات المعتزلة القدرية وبيان فضائحهم

قد بينا قبل أنهم ينقسمون الى عشرين فرقة . فمما اتفق عليه جميعهم من مساوىء فضائحهم نفيهم صفات الباري جل جلاله حتى قالوا : أنه ليس له سبحانه علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا بقاء ، وأنه لم يكن له في الأزل كلام ، ولا أرادة ، ولم يكن له فى الأزل اسم ، ولا صفة ، لأن الصفة عندهم هو وصف الواصف ، ولم يكن في الأزل واصف . والاسم عندهم التسمية . ولم يكن في الأزل مسم ، اذ لم يكن له كلام في الأزل عندهم وهـذا يوجب أن لا يكون لمعبودهم اسم ولا صفة ، هذا قولهم في صانع العالم وبديهة العقل تقتضي فساده لاحاطة العلم باستحالة كون من لا علم له ، ولا قدرة له ، ولا سمع له ، ولا بصر له ، صانعاً للعالم ، ومدبراً للخليقة ، ومما اتفق جميعهم غير الصالحي من فضائحهم قولهم : ان المعدوم شيء حتى قالوا : ان الجوهر قبل وجوده جوهر ، والعرض عرض ، والسواد سواد ، والبياض بياض ، ويقولون : ان هذه الصفات كلها متحققة قبل الوجود ، وإذا وجد لم يزدد في صفاته شيء . بل هو الجوهر والعرض ، والسواد في حال الوجود على حقائقها المتحققة في حال العدم ، وهذا منهم تصريح بقدم العالم . ومن كان قوله في الصانع على ما وصفناه ، وفي الصفة على ما ذكرناه ، لم يبق له اعتقاد صحيح ، ولم يكن دعواه في التلبس بالديانة الا تلبيساً منه على أهل الديانة ليسلم من سيوف المسلمين المسلطة عليهـم الى يوم القيامة .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : ان الله تعـالى لا يرى ، وأنـه لا يرى

نفسه . وقال كثير منهم انه لا يرى شيئا ولا يبصر بحال ، وليس معبودهم على هذا القول الا كما نهى ابراهيم الخليل عليه السلام أباه عن عبادته حين قال : «إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً»[1] .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : ان كلام الله تعالى مخلوق له يخلق لنفسه كلاماً في جسم من الأجسام فيكون فيه متكلما ، وأنه لم يكن متكلماً قبل أن خلق لنفسه كلاماً ، ليت شعري كيف يكون كلام المتكلم مسموعاً من غيره ، ولو كان الأمر على ما قالوه لكان الأمر والنهي والشرع لذلك الجسم الذي خلق فيه الكلام ، وذلك خلاف قوله تعالى : «إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»[2] وزعموا ان الكلام هو المكتوب في الصحف والمقروء بالالسنة غير الكلام الذي نزل به جبريل على المصطفى عليهما الصلاة والسلام بل كان ذلك عرضا معلوما ، وهذا الذي يتلى ويكتب عرض آخر وجد متجدداً وهذا خلاف قول الأمة قبلهم .

ومما اتفقوا عليه قولهم : ان أفعال العباد مخلوقة لهم ، وان كل واحد منهم ومن جملة الحيوانات كالبقة ، والبعوض ، والنملة ، والنحلة ، والدودة ، والسمكة ، خالق ،خلق أفعاله . وليس الباري خالقا لافعالهم ولا قادراً على شيء من أعمالهم ، وأنه قط لا يقدر على شيء مما يفعله الحيوانات كلها . ففعل الذباب ، والبقة ، والجرادة ، أفعال هي خالقة لها ، وليس الباري سبحانه قادراً عليها ، فأثبتوا خالقين لا يحصون ولا يحصرون، حتى أن مذبة[3] لو تحركت على دن من الخل تطاير عنها أكثر من ألف خالق أو قريب منها . وقد فارقوا بهذه المقالة لسان الأمة ، فان الأمة كلهم قبلهم كانوا يقولون لا خالق الا الله كما يقولون لا إله إلا الله ، وخالفوا بهذا أيضا قوله سبحانه وتعالى : «أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار»[4] وقوله تعالى : «فأروني ماذا خلق الذين من دونه »[5] . فلو كان لغيره خلق على الحقيقة لبطل تحقيق هذه المطالبة ، ولم يكن لهذا الانكار عليهم حقيقة .

---

(١) مريم : ٤٢ .
(٢) النحل : ٤٠ .
(٣) المذبة : بكسر الميم ما يُذَبُّ به الذباب . أنظر « مختار الصحاح » ص/ ٢١٩ .
(٤) الرعد : ١٦ .
(٥) لقمان : ١١ .

ومما قالوا . ان أفعال الحيوانات خارجة من قدرة الله تعالى ولم يوجبوا تخصيصاً في وصف كونه قادراً فقد مهدوا بذلك طريق القول بالتثنية كما بيناه « في الأوسط » .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : ان حال الفاسق الملي منزلة بين منزلتين ، لا هو مؤمن ، ولا هو كافر ، وانه ان خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون خالداً مخلداً في النار مع جملة الكفار ، ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أو يرحمه ، ولو أنه رحمه وغفر له يخرج من الحكمة وسقط من منزلة الآلهية بغفران الشرك به . قال تعالى : «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[1] يرد قولهم هذا قوله تعالى : «قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم»[2] . وقوله تعالى : «انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون»[3] . وليت شعري كيف حجروا على الله في مقدوره وحظروا عليه التصرف في مطلق ملكه ، وكيف منعوه العفو فيما يثبت له في عبده من حقه .

ومما اتفقوا عليه من مساوىء مقالاتهم قولهم : ان الله تعالى لم يرد أن يكون الزنا ، واللواط ، والقتل ، ومعصية العصاة ، وكفر الكافرين ، وجميع الفواحش قبيحة مذمومة . وهذا يوجب أن تكون جميعها مرضية حسنة ، أو يكون عن جميعها غافلاً ساهياً ، وهذا خلاف قوله تعالى : «وما تشاءون الا ان يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً»[4] . وخلاف قوله تعالى : «لا تأخذه سنة ولا نوم»[5] . وخلاف ما اتفق عليه العقلاء من أن من لم يرد أن يكون القبيح قبيحا والمذموم مذموماً ولم يرد أن يكون كفر الكافرين ، ومعصية العصاة ، وظلم الظالمين ، وزنا الزناة ، مذمومة غير مرضية كان في السفه والجاً ، وعن حكم الحكمة خارجاً .

---

(١) النساء : ٤٨ .
(٢) الزمر : ٥٣ .
(٣) يوسف : ٨٧ .
(٤) الانسان : ٣٠ .
(٥) البقرة : ٢٥٥ .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : ان كثيراً من الأشياء تجب على العبد من غير أن يكون من امر الله تعالى فيه أمر . مثل النظر ، والاستدلال ، وشكر المنعم ؛ وترك الكفر والكفران ، ثم يقولون : ان هذا العبد إذا أتى بهذه الأشياء على قضية عقله دون أمر ربه سبحانه وجب على الله تعالى أن يثيبه من غير أن يكون من قبله فيه أمر ، أو خبر ، أو وعد ، أو وعيد ، أو تكليف . ثم إذا أتى به وجب على العبد شكره ، فإذا شكره وجب على الله ثوابه ، وهكذا يدور الأمر بين العبد والرب . وهذا يوجب أن لا يتمكن الرب ـ على قولهم ـ من ان يخرج الرب من واجبات العبد . تعالى الله عن قولهم . من غير أن يكون عليه تكليف أو شريعة مرتبة عليه . وعلى قياس هذا يكون كل واحد منهما مؤديا للواجب ولا يكون لأحدهما فضل على الآخر . وزادوا على هذا فقالوا : اذا خلق الله شيئاً من الجماد وجب عليه أن يخلق حياً ، وان يتم عقله حتى يستدل ويعتبر ويستحق الثواب باداء المستحق ، ومن قضى واجباً لم يستحق عليه شيئا كمن يقضي دينا لم يستحق على صاحبه فضلا على هذا فقالوا : ان كل ما يناله العبد من ربه من النعم فانما يناله باستحقاق منه ، لا بفضل من الله تعالى . فاستنكفوا من أن يروا لله تعالى فضلا على أنفسهم وقالوا : ان اسنى المنازل منزلة الاستحقاق .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: ان العبد لا يحصل له صفة الايمان حتى يعلم جميع ما هو شرط في اعتقادهم ، ويبلغ في معرفته درجة علمائهم كأبي الهذيل ، والنظام ، وغيرهما ، ويقدر فيه على تقرير الدلالة ويتمكن من المناظرة والمجادلة ، ومن لم يبلغ تلك الدرجة كان كافراً لا يحكم له بالايمان ولهذا حكموا بالكفر على جميع عوام المسلمين . ولذلك زعموا ان علماء مخالفيهم كفرة كلهم ، وكفر كل فريق منهم جميع فرقهم . وهذا يوجب ان لا يكون عند كل واحد منهم مؤمن سواه ، وان يكون منفرداً بدخول الجنة مع ما ورد من الأخبار في كثرة أهل الجنة ، ولأجل هذه المقالة قال علماء أهل الحق وأئمتهم ان المعتزلي بالتقليد كافر بالاجماع .

ثم زادوا على هذا ما هو أفضح منه فانكروا من مفاخر رسول الله ﷺ ما كان مختصا به زائداً على الأنبياء كوجود المعراج ، وثبوت الشفاعة له يوم القيامة ، ووجود حوض الكوثر ، وانكروا ما ورد في هذه الأبواب من الآثار والأخبار وانكروا عذاب

القبر أيضا وانكروا قول عمر : اني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ، مع اتفاق أهل النقل على رواية هذا الخبر على الاستفاضة . وقول جميع المسلمين : «ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[1] وفي عذاب القبر قد بلغت الأخبار حد التواتر في المعنى وان كان كل واحد منها لم يبلغ حد التواتر في اللفظ ، فانكروا ما في ذلك من نصوص القرآن كقوله تعالى في صفة آل فرعون: «النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلو آل فرعون اشد العذاب»[2] واعلم ان ما ذكرناه من فضائحهم مما يعم جميعهم واتفقت عليه كلمتهم ونذكر بعد هذا ما اختص به كل واحد من فرقهم من المخازي والفضائح ان شاء الله عز وجل . وقد ذكرنا انهم ينقسمون الى عشرين فرقة .

١ ـ الفرقة الأولى :

الواصلية :

منهم الواصلية اتباع واصل بن عطاء الغزال[3] وهو رأس المعتزلة وأول من دعا الخلق الى بدعتهم وذلك ان معبداً الجهني ، وغيلان الدمشقي كانا يضمران بدعة القدرية ويخفيانها عن الناس ولما أظهرا ذلك في أيام الصحابة لم يتابعهما على ذلك أحد وصارا مهجورين بين الناس بذلك السبب الى أيام الحسن البصري . وكان واصل في غرار من القولين يختلف اليه الناس وكان في السر يضمر اعتقاد معبد ، وغيلان وكان يقول بالقدر والمسلمون كانوا في فساق أهل الملة على قولين . فكانت الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة يقولون انهم مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح ، فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية وان أفعالهم بالأعضاء والجوارح لا تنافي ايمانا في قلوبهم ، وكان الخوارج يقولون انهم كفرة مخلدون في النار مع الكفار . فخالف واصل القولين وقال ان الفاسق لا مؤمن ولا

---

(١) البقرة : ٢٠١ .

(٢) غافر : ٤٦ .

(٣) سبقت ترجمته . وانظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٤٦ و « الفرق بين الفرق » ص/ ١١٧ .

كافر وانه في منزلة بين المنزلتين . وحكمهم في الآخرة انهم مخلدون في النار مع الكفار وان من خرج منهم من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز لله تعالى أن يغفر له فخالف في هذا القول جميع المسلمين واعتزل به دين المسلمين فطرده الحسن البصري من مجلسه فاعتزل جانبا مع أتباعه فسموا معتزلة لاعتزالهم مجلسه واعتزالهم قول المسلمين ولما أظهر واصل هذه البدعة واعتزل جانباً وافقه عمرو بن عبيد على هذه البدعة ، ولم يقدرا على اظهار قولهما . فلما عرف الناس من واصل قوله بالقدر وكانوا يكفرونه بالقول الأول الذي ابتدعه في فساق أهل الملة كانوا يضربون به المثل ويقولون : مع كفره قدري . فصار ذلك مثلا سائراً بين الناس يضربونه لكل من جمع بين خصلتين فاسدتين . وكان قوله موافقا لقول الخوارج في تخليد العصاة في النار مخالفا لهم في القول بمنزلة بين المنزلتين . والمعتزلة بعده تمسكوا بهذا القول ولهذا قيل في المعتزلة انهم مخانيث الخوارج ونسبهم اسحاق بن سويد الى الخوارج في شعره[1] فقال :

بَرِئْتُ من الخوارج لَسْتُ منهم ... من الغَزَّال منهم وَابن باب
ومن قَوْمٍ إذا ذكروا عَلِياً ... يردُّونَ السَّلاَمَ على السحاب

ثم احدث واصل بدعة ثالثة وذلك ان المسلمين كانوا في علي واصحابه وفي اصحاب الجمل الذين كانت فيهم عائشة وطلحة والزبير على قولين . فكانت الخوارج تقول : إن عائشة وطلحة والزبير كفروا بمقاتلتهم علياً وكان علي يومئذ على الحق ولكنه كفر بعد ذلك بالتحكيم . وكان الباقون من الأمة يقولون : ان فريقي حرب الجمل كانوا مؤمنين مسلمين ، ولكن الحق كان مع علي رضي الله عنه ، والآخرون كانوا على خطأ اجتهاد لا يلزم به الكفر ، ولا الفسق ، ولا التبري والعداوة . ثم ان واصل بن عطاء خالف الفريقين وزعم ان فريقي حرب الجمل كانوا فساقاً لا بعينه ، ورتب على هذا فقال : لو شهد عندي رجلان من هذا العسكر ورجل من ذلك العسكر لم اقبل . فقيل له شهد من هذا العسكر علي ، والحسن ،

---

(١) البيتان في «الكامل» للمبرد ٢ : ١٢٤ وبعدهما في روايته قال :

ولكني أحب بِكُلِّ قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق ، حبا ... به ارجو غدا حسن الثواب

والحسين ، وابن عباس ، وعمار بن ياسر[1] رضي الله عنهم ، ومن ذلك العسكر عائشة ، وطلحة ، والزبير ، هل تقبل شهادتهم ؟ فقال : لو شهدوا جميعهم على باقة بقل لم اقبل . هذا قول شيخ المعتزلة الذي به يفتخرون في اعلام الدين واعيان الصحابة ، وليس العجب من المعتزلة حين بايعوه وافتخروا به ويقول بل العجب من الروافض حين افتخروا بقوله وانتحلوا مذهبه ، وهذا قوله في علي واصحابه ، وكيف يوالون عليا واولاده ، ويذهبون الى مذهب هذا الشيخ الضال الذي يقول في علي واولاده ما ذكرناه .

٢ ـ الفرقة الثانية العمرية :

منهم العمرُية [2] وهم اتباع عمرو بن عبيد مولى بني تميم ، وكان يوافق واصلا فيما ذكرنا من بدعته وزاد عليه ان قال : كلا الفريقين من اصحاب حرب الجمل فسقوا وهم خالدون مخلدون في النار وهؤلاء لا يقبلون شهادة واحد من فريقي حرب الجمل ».

٣ ـ الفرقة الثالثة :

الهذلية :

منهم الهذلية ، وهم اتباع ابي الهذيل[3] محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف وكان من موالي عبد القيس ، وله فضائح كثيرة فيما احدثه من البدع حتى كفر بتلك البدع جميع الأمة ، وكفر ايضاً سائر المعتزلة ، وصنف المردار من المعتزلة كتاباً في

---

(١) هو ابو اليقظان : عمار بن ياسر ، العبسي ، احد السابقين الى الاسلام واحد الذين كانوا يعذبون في الله ، وقد ولاه عمر رضي الله عنه الصلاة بالكوفة سنة / ٢١ هـ . وشهد مع علي صفين فقتل في سنة / ٣٧ . وقداخبر النبي ﷺ انه «تقتله الفئة الباغية » انظر «العبر » ١ : ٢٥ . و ٣٨ ، و «شذرات الذهب » ١ : ٤٥ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة «الفرق بين الفرق» ص / ١٢٠ ، وقد ضمها الشهرستاني الى الفرقة الاولى النظامية . ١ : ٤٩ .

(٣) هو ابو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله ، البصري ، العلاف ، شيخ المعتزلة اخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء . واختلف في وفاته فقيل ، سنة / ٢٢٦ هـ . وقيل : سنة / ٢٣٥ هـ . وقيل : سنة / ٢٣٧ هـ . انظر «العبر » ١ : ٤٢٢ ، و «شذرات الذهب » ٢ : ٨٥ ، و «ابن خلكان » رقم / ٥٧٨ . وراجع في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل » ١ : ٤٩ ، و «الفرق بين الفرق » ص / ١٢١ .

تكفير ابي الهذيل ، وكذا الجبائي ، وذكرا في تصنيفهما ان قوله يؤدي الى قول الدهرية .

فمن جملة فضائحه قوله بتناهي مقدورات الباري جل جلاله حتى اذا انتهت مقدوراته لا يقدر على شيء. قال : وإذا دخل ذلك الوقت فني نعيم اهل الجنة ، وعذاب أهل النار ، حتى لا يقدر الباري سبحانه وتعالى عندهم على ان يزيد في نعيم اهل الجنة ذرة ، ولا ان يزيد في عذاب اهل النار ذرة وتفنى قدرة أهل الجنة حتى لو كان قد مد واحد من أهل الجنة يده الى شيء من ثمارها ودخل تلك الحالة لم يقدر الباري تعالى ان يوصل تلك الثمرة الى يده ، ولا على ان يقدر العبد على ان يوصل يده اليها . وأهل الجنة كلهم يبقون هموداً ، جموداً ، ساكنين ، لا يقدرون على حركة ، ولا على نطق وينقطع عذاب اهل النار في ذلك الوقت . وهذا قول منه يبطل الرغبة والرهبة ، ويهدم فائدة الوعد والوعيد ، ولئن قصد بعض اصحابه ان يستر عليه هذه الفضيحة ، ويخفي هذه البدعة لم يمكنه . لأنه ذكرها في تصانيف له مثل كتاب «الحجج» وغيره من الكتب التي صنفها على الدهرية وطرقها بهذه المقالة الى تمهيد الحاد الدهرية وطول لسانهم على المسلمين بارتكابهم هذه البدعة .

ومن فضائحه قوله : بطاعة لا يراد بها الله تعالى وركب على هذه البدعة فقال : ليس في الدنيا زنديق ولا دهري الا وهو قطب الله تعالى في كثير من الاشياء ، ولم يكن له قصد التقرب الى الله عز وجل لأنه لا يعذبه .

ومن فضائحه قوله : بان علم الباري هو هو ، وقدرته هي هو ، ولو كان كما قاله لم يكن عالماً ، ولا قادراً ، ولكن علمه قدرته ، وقدرته علمه ، وكان لا يتحقق الفرق بينهما اذا كانا يرجعان الى ذات واحدة .

ومن فضائحه قوله : في ان كلام الله تعالى ما هو الا عرض لا في محل . ولو جاز هذا لجاز ان يكون سائر الاعراض لا في محل ، ولكن مالا محل له لا يكون متكلما به لا هو ولا غيره ، ولا يمكنه ان يقول ان فاعل الكلام هو المتكلم به ، لان كلام اهل الجنة واهل النار وجميع افعالهم مخلوقة له تعالى في الآخرة ، فلا يمكنه ان يقول انه

متكلم بكلامهم ،وله من الفضائح ما لا يحتمل هذا المختصر بيانه .

٤ ـ الفرقة الرابعة :

النظامية :

فيهم النظامية اتباع ابي اسحاق ابراهيم بن سيار الذي كان يلقب بالنظام[١] ؛ والمعتزلة يقولون : إنما سمى نظاماً لأنه كان حسن الكلام في النظم والنثر ، وليس كذلك وانما سمى به لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها ، وكان في حداثة سنة يصحب الثنوية والسمنية الذين يقولون بتكافؤ الأدلة ، وفي حال كهوليته كان يصحب ملحدة الفلاسفة ، وكان قد اخذ منهم قولهم بان اجزاء الجزء لا تتناهى ، ولا يزال يمكن ان يفصل من الخردلة الواحدة شيئاً بعد شيء ، مالا ينتهي الى جزء واحد لا جزء له ، ولزمه على هذا قدم العالم . وهذا ركوب منه مالا يقبله عقل اصلاً . إذ لو كان يمكن ان يفصل من الخردلة من الاجزاء مالا يتناهى وكان ممكناً ذلك في الجبل العظيم بطل الفرق بينهما ، ولا يمكنه ان يعتذر عنه بان الاجزاء المفصولة من الجبل تكون اعظم من المفصولة من الخردلة ، لان الخردلة إذا كان يمكن ان يفصل عنها مالا يتناهى فلا يزال يفصل منها ويجمع حتى يتركب ويتراكم ويصير مثل الجبل واضعافه ، وكلمة ابو الهذيل في هذه المسألة فقال : لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له لكانت النملة اذا دبت على البقلة لا تنتهي الى طرفها ، فقال : انها تطفر[٢] بعضا ، وتقطع بعضا ،وهذا منه كلام لا يقبله عقول العقلاء . لان ما لا يتناهى كيف يمكن قطعه بالطفرة ، فصار قوله هذا مثلاً سائراً يضرب لكل من تكلم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرر في العقل معناه .

ومن فضائحه قوله : يجب على الله تعالى ان يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد ،

---

(١) هو : ابو اسحاق ابراهيم بن سيار ، المعروف بالنظام ، وهو ابن اخت ابي الهذيل العلاف السابق ذكره ومنه اخذ الاعتزال ، وهو شيخ ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . توفي ما بين سنة / ٢٢١ هـ وسنة / ٢٢٣ هـ . انظر «النجوم الزاهرة » ٢ : ٢٣٤ . و«العبر» ١ : ٣١٥ و٤٥٦ . و«دائرة المعارف» للبستاني ١ : ٢٦٨ . وانظر في شأن هذه الفرقة «الملل والنحل» ١ : ٥٣ ، و«المقالات» ١ : ٢٢٧ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ١٣١ .

(٢) الطفرة : الوثبة . كذا في « مختار الصحاح » ص/ ٣٩٤

لانه لو لم يفعل به ما فيه صلاحه لكان قد بخل عليه . وركب على هذا فقال : كل ما فعله الله بالكفار فهو صلاحهم ، ولم يكن في مقدوره اصلح مما فعل .

وقد بينا نحن ان الوجوب على الله تعالى محال ، وكل عاقل يعلم ان الكافر لا صلاح له في كفره ، ولا ما يحل به من تبعات فعله ، فعلى هذا يجب ان يكون حجة الله منقطعة حتى لا يكون له على عبيده حجة ،ويصور ذلك في ثلاثة ولدوا دفعة واحدة بطناً واحداً ؛ فامات الله احدهم في حال الطفولية ، وبلغ منهم اثنان فكفر احدهما ، وآمن آخر ، فيدخل الله يوم القيامة في الجنة من مات في حال الطفولية ، ولا يبلغه منها الدرجة العظيمة ، ويدخل الذي آمن الجنة ويعطيه الدرجة العظيمة ، ويدخل الذي كفر النار . فيقول الطفل الذي مات في صغره : لم لم تبلغني درجة الذي آمن بعد البلوغ ؟ فيقول له : لأنه آمن وانت لم تؤمن . فيقول الذي مات طفلاً : هلا بلغتني حال البلوغ حتى كنت أؤمن بك كما آمن هو ؟ فيقول الله تعالى له : لم ابلغك حال البلوغ لأني علمت انك لو بقيت لكفرت فاخترمتك قبل البلوغ لأن صلاحك كان فيه حتى سلمت من النار . فاذا سمع الذي في النار هذا الكلام يقول : فلم لم تخترمني قبل البلوغ حتى كنت اسلم من النار ، وكان يكون فيه صلاحي فنعوذ بالله من مذهب يؤدي الى مثل هذه الرذيلة .

ومن فضائحه قوله : في القرآن انه لا معجزة في نظمه وكان ينكر سائر المعجزات مثل انشقاق القمر، وان كان قد نطق به القران في قوله : «**اقتربت الساعة وانشق القمر**»[1]. وكذلك كان ينكر تسبيح الحصى في يده، ونبوع الماء من بين اصابعه ، وكان في الباطن يميل الى مذهب البراهمة الذين ينكرون جميع الانبياء ، فتكلم بهذين المذهبين اللذين يبطل احدهما حدث العالم ، والآخر يبطل ثبوت النبوة ، وكان لا يقدر على اظهار ما كان يضمره من الالحاد ، وكان لا يعجبه ان يقبل كلف العبادات ، وكان يقول : ان الاجماع ليس بحجة ، والخبر المتواتر ليس بحجة . وكان يرد على الصحابة جميع ما تكلموا فيه واتفقوا عليه ، وكان سيرته الفسق والفجور ، فلا جرم كان عاقبته انه مات سكران وكان قد قال صفة حاله :

---

(١) القمر : ١ .

ما زِلْتُ آخُذُ رُوحَ الزِّقِّ في لطف وأستبيحُ دَماً من غَيْرِ مَذْبُوحِ
حتى انتَشَيْتُ ولي رُوحان في بَدَنٍ والزق مُطَّرَحٌ جسمٌ بلا روحِ

وكان آخر كلامه وما ختم به عمره انه كان يده في القدح وهو على علية فأنشأ يقول :

اشرب على طرب وقل لمهدد هون عليك يكون ما هو كائن

فلما تكلم بهذا الكلام سقط من تلك العلية ومات باذن الله تعالى . وفرق الاسلام كلهم يكفرونه ، واسلاف المعتزلة ايضاً يكفرونه وكفره ابو الهذيل في كتاب «الاعراض » وصنف الاسكافي منهم كتاباً في تكفيره ، وصنف جعفر بن حرب ايضاً في تكفيره ، فمن وقف من حاله على هذا القدر الذي وصفناه استغنى به عن ذكر سائر فضائحه ، ونسأل الله تعالى العصمة من كل بدعة .

٥ ـ الفرقة الخامسة :

الاسوارية :

منهم الاسوارية وهم اتباع على الاسواري[1] وكان من اتباع النظام موافقاً له في جميع ما ذكرناه من فضائحه وضلالاته، وزاد عليه بان قال : ان ما علم الله تعالى ان لا يكون لم يكن مقدوراً لله تعالى . وهذا القول منه يوجب ان تكون قدرة الله تعالى متناهية ، ومن كان قدرته متناهية كان ذاته متناهيه ، والقول به كفر من قائله .

٦ ـ الفرقة السادسة :

المعمرية :

منهم المعمرية اتباع معمر بن[2] عباد وكان رأساً من رؤوس الضلال والالحاد وكان يقول : ان الله تعالى لم يخلق من الأعراض من لون ، أو كون ، أو طعم ، أو

(١) كان من اصحاب ابي الهذيل ، ثم انتقل الى النظام . وانظر في شان هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق » ص / ١٥١ .

(٢) هو ابو عمرو : معمر بن عباد ، السلمي.
وانظر في شان هذه الفرقة في «الملل والنحل » ١ : ٦٥ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ١٥١ .

رائحة ، او حياة ، او موت ، او سمع ، او بصر ، وانه لم يخلق شيئا من صفات الاجسام. وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿**قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار**﴾[1] وخلاف قوله تعالى في صفة نفسه: ﴿**له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير**﴾[2] وكان يقول هذا الملحد: ان الله تعالى خلق الاجسام بفعل الاعراض بطبائعها . فقوله يوجب ان لا يكون لله تعالى كلام ، ولا نهي لانه لا يقول كلام الله تعالى أزلي كما يقول اهل السنة، ولا يقول انه مخلوق لله تعالى لان عنده انه لم يخلق الاجسام وانه لم يخلق ما ليس بجسم .

ومن بدعه انه كان يقول : ليس الانسان الصورة التي شاهدناها وانما هو شيء في هذه الصورة عالم ، قادر، مختار ، يدبر التدبير ، لا متحرك ، ولا ساكن ، ولا متلون ، ولا مرئي ، ولا مدرك بالذوق ، والشم ، ولا بشيء من الحواس ، وانه ليس في مكان دون مكان ولم يذكر هذا الا من يصف الانسان بصفات خالقه ، ومن لا يطلق عليه مالا يطلقه على خالقه . ويلزم على هذا القول ان لا يكون في الدنيا من رأى انساناً قط . وهذا يوجب ان يقال ان الصحابة لم يروا رسول الله ﷺ ، وان احداً لم ير نفسه ، ولا اباه ، ولا امه ، ولا رآه غيره ؛ ومن كان هذه مقالته لم يكن معدوداً في جملة العقلاء ، واعجب من ذهابه الى هذه المذاهب الفاحشة افتخار الكعبي به في كتابه ، واثباته اياه في مشايخ المعتزلة ، ومثله لا يفتخر به الا مثله . وكل طير يقع مع شكله ، وقد وهبناه له ولا مثاله كما قال الشاعر :

هل مشتر والسعيد بايعه هل بائع والسعيد من وهبا

٧ ـ الفرقة السابعة :

البشرية .

منهم البشرية وهم اتباع بشر[3] بن المعتمر ومن فضائحه قوله في باب التولد : ان الانسان يخلق اللون ، والطعم ، والرائحة ، والسمع ، والبصر ، وجميع

(١) الرعد : ١٦ .

(٢) الحديد : ٢ .

(٣) هو ابو سهل : بشر بن المعتمر ، الهلالي ، من اهل بغداد ، ويقال بل من أهل الكوفة .
وانظر في شأن هذه الفرقة في : «الملل والنحل» ١ : ٦٤ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ١٥٦

الادراكات على سبيل التولـد وكذلك يخلـق الحـرارة ، والبـرودة ، والرطوبـة ، واليبوسة. وهو في هذا القول مخالف لاجماع المسلمين ، لان أهل السنة لا يقولون بالتولد اصلاً . والمعتزلة الذين يقولون بالتولد لا يفرطون فيه ، ولا يقولون بالتولد الا في الحركات والاعتمادات . فهذه له بدعة زائدة على بدعهم .

ومن ضلالته قوله : ان حركة الجسم توجد في الجسم في المكان الاول في مكان ثان ولا واسطة بينهما ، وإذا لم يكن بين المكانين واسطة لم يكن هذا الكلام الذي يقوله معقولاً ولم يكن له حقيقة بحال.

ومن ضلالته قوله : ان الله إذا غفر ذنوب عبد من عباده ثم رجع العبد الى ذنب عذبه على هذا الذنب الثاني وعلى ما تقدم من ذنوبه التي غفرها له . قيل له فما تقول في كافر تاب عن كفره ثم شرب الخمر ، ثم يموت قبـل ان يتـوب من شرب الخمر ؟ فقال يعاقب على شرب الخمر ، وعلى كفره الذي كان من قبـل . فقيل له اتوجب ان يكون من شرب الخمر من المسلمين يناله في العاقبة ما ينال الكفار من العقوبة قال : هذا قول . وهذا منه قول بخلاف اجماع المسلمين لأن المعتزلة وان قالوا بمنزلة بين المنزلتين وان الفاسق يخلد في النار فانهم لا يقولون انه يعاقب في النار على ما تاب منه من الذنوب والافعال .

الفرقة الثامنة :

الهشامية .

منهم الهشامية اتباع هشام[1] بن عمرو الفوطي . وكان من جملة القدرية وزاد عليهم في بدع كثيرة منها قوله : إنه لا يجوز لواحد من المسلمين ان يقول «حسبنا الله ونعم الوكيل »[2] فخرق بهذا القول اجماع المسلمين. وزعم انه لا يجوز ان يسمى

---

(١) هو هشام بن عمرو ، الشيباني ، ذكره ابن المرتضى آخر من ذكر من اهل الطبقة السادسة .
وانظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ٧٢ و «المقالات» في مواضع منها: ١ : ٢١٨ - ٢١٩ . و «الفرق بين الفرق» ص / ١٥٦ .

(٢) ال عمران : ١٧٣ .

وكيلاً خلاف قوله تعالى: «رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً »[1].
وخلاف قول النبي ﷺ فيا ذكره من اسمائه سبحانه فانه عد منها الوكيل[2] وهذا شيء وقع لهذا الجاهل لشدة غباوته وجهله بمواقع اللغة فان الوكيل في اللغة بمنزلة الكافي ويكون بمنزلة الحفيظ لقوله تعالى: «وما أنت عليهم بوكيل أو حفيظ »[3].

ومن بدعه قوله : انّ الله تعالى لم يؤلف بين قلوب المؤمنين ولم يضل الكافرين، فقد قال تعالى: «لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم »[4] وقال تعالى: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء »[5] وقال: «وما يضل به الا الفاسقين »[6]

واعلم ان عباد بن سليمان[7] كان من اصحابه وزاد عليه بدعة فقال : ما خلق الله سبحانه وتعالى كافراً قط . قال : لأن الكافر يشتمل على ذاته وكفره . قال : والله لا يخلق الكفر عندي . وقياس قوله يوجب ان لا يكون خالقاً لمؤمن ، لان ايمان المؤمن لا يكون مخلوقاً عنده للباري تعالى . وقال ايضاً: لان الاعراض لا تدل على شيء وركب عليه فقال : ان انشقاق القمر ، وفلق البحر ، وقلب العصا حية . لا يدل على شيء من معجزاتهم .

ومن فضائح الفوطي وبدعه قوله : ان الجنة والنار ليستا بمخلوقتين الآن ، وان كل من قال انهما مخلوقتان الآن فهو كافر ، وهذا القول منه زيادة منه على ضلالة المعتزلة . لان المعتزلة لا يكفرون من قال بوجودهما ، وان كانوا ينكرون

---

(١) المزمل : ٩.

(٢) كما جاء في حديث الترمذي وغيره . وقد رواه البيهقي ايضاً في الاسماء والصفات

(٣) الشورى : ٦ .

(٤) الانفال : ٦٣.

(٥) ابراهيم : ٢٧ .

(٦) البقرة : ٢٦ .

(٧) هو عباد بن سليمان الضمري ، احد رجال الطبقة السابعة من المعتزلة . وقد ذكر الاشعري بعض مقالاته في مقالات الاسلاميين ١ : ٢٣٧ ، و ٢٣٩ ، و ٢٥٠ ، و٢٥٢ .

وجودهما الآن . وكل من انكر كون النار مخلوقة يقال له يوم القيامة ما اخبر الله عنه وهو قوله : «انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون »[1]

ومن جهالاته قوله : ان الجنة لا يكون فيها افتضاض اذ لا يكون هناك ألم . ولم يعرف هذا الأحمق ان القادر على ان يخلق الجنة ونعيمها ، وان يزينها بالحور العين ، قادر على ان يحفظهم من الالم عند الملاقاة وكان هذا المدبر يجوز قتل مخالفيه حيلة ، ومن جوز هذا في المسلمين لم يتحاش المسلمون عن تجويزه فيه وفي اتباعه .

٩ ـ الفرقة التاسعة :

المردارية :

هم المردارية اتباع أبي موسى[2] المردار . وكان يقال له راهب المعتزلة يشتغل بالترهب كما كان يشتغل به رهبان النصارى . وكان في الحقيقة مرداراً أحق الله فيه حقيقة لقبه كما قال الشاعر .

وقل ما أبْصرَتْ عيناكَ من رَجُلٍ ... الا ومَعْنَاه ان فكرتَ في لَقَبِهِ

وكان من أنواع ما ارتكبه من كفره قوله : ان الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه . وكان يقول : ان كل من جالس السلاطين فهو كافر لا يرث المسلمين ولا يرثه المسلمون .

والباقون من المعتزلة كانوا يقولون : ان من جالس السلطان فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر خالد مخلد في النار . وهذا خلاف قول المسلمين قبلهم . وخلاف

---

(١) المرسلات : ٢٩ .

(٢) هو أبو موسى ، عيسى بن صبيح ، ولقبه المردار ، ويسمى راهب المعتزلة ثم ذكر ما انفرد به عنهم الشهرستاني في « الملل والنحل » ١ : ٦٨ ـ ٦٩ .

وانظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٦٨ ، و« المقالات » ١ : ٢٥٢ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٦٤ .

أصول أهل السنه . وكان يقول : ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ، ولو ظلم وكذب كان إلها ظالما كاذبا . وهذا القول لا يليق الا بدينه الرقيق الذي ليس به تحقيق . وكان يقول : كل من قال بجواز رؤية الباري سبحانه فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ، ومن شك في كفر من شك في كفره فهو كافر لا الى غاية ، وكل من أطلق مثل هذه المقالة فهو مخذول لا شك في كفره .

١٠ ـ الفرقة العاشرة :

الجعفرية :

منهم الجعفرية وهم أتباع جعفر بن مبشر[١] وجعفر بن حرب[٢] . وهما كانا أصلين في الجهالة والضلالة . كان جعفر بن مبشر يقول : فساق هذه الأمة شر من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والزنادقة . مع قوله بأنهم موحدون في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر . وكيف يعقل قول القائل أن الموحد شر من المشرك ، ومن كان هذا قوله كان حقيقا بان يقال بأنه شر من جميع الكفرة . وكان يقول في الفروع : ان رجلا لو كان يخطب امرأة واجتمعا للعقد بينهما ، فوثب عليها واطاعته فألم بها ان المرأة لا حد عليها . والرجل يجب عليه الحد وقوله في المرأة خلاف اجماع المسلمين . وكان جعفر بن حرب على ضلالة استاذه المردار ، وزاد عليه بأن قال : ان بعضا من الجملة يكون غير الجملة . وهذا يوجب أن تكون الجملة غير نفسها . لان كل بعض منها عنده غيرها فكان يقول : ان الممنوع من الفعل قادر على الفعل ، ولكنه لا يتمكن من الفعل . ولو جاز مثل هذا لجاز أن يقال ان العالم بالشيء عالم به . ولكنه لا يعرف شيئا . وهذا متناقض في نفسه .

---

(١) هو أبو محمد : جعفر بن مبشر الثقفي ، ذكره ابن المرتضى في رجال الطبقة السابعة مع جعفر بن حرب
(٢) هو أبو الفضل : جعفر بن حرب ، ذكره ابن المرتضى في رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة .
وانظر في شأن هذه الفرقة : « الفرق بين الفرق » ص/ ١٦٧ ، و « الملل والنحل » ١ : ٦٨ .

١١ ـ الفرقة الحادية عشر :

الاسكافية :

منهم الاسكافية وهم أتباع محمد بن عبد الله الاسكافي[١] . الذي اقتدى في ضلالة القدرية بجعفر بن حرب وكان استاذه ثم زاد عليه فقال : ان الله تعالى قادر على ظلم الأطفال والمجانين ، وليس بقادر على ظلم العقلاء البالغين . ومن خرافاته أنه يقول : ان الله تعالى كلم عبده ، ولا يجوز ان يقال متكلم . فكيف يجوز أن يكون مكلما ، ولا يجوز أن يكون متكلما . فان منعه لأجل رواية لزمه ان يمنع كونه منكراً . وقد ورد به القرآن والسنة .

١٢ ـ الفرقة الثانية عشرة :

الثمامية :

منهم الثمامية اتباع أبي معن ثمامة[٢] بن أشرس النميري . وكان من مواليهم لا من نسبهم وكان زعيم القدرية في أيام المأمون والمعتصم والواثق وزاد على أسلافه من ملاعين المعتزلة شيئين :

أحدهما قوله : بأن المعارف ضرورية كما تقوله الجاحظية ، وكان يقول : ان من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ضرورة ليس عليه أمر ولا نهي ، وان الله خلقه للسخرة والاعتبار . لا للتكليف في جنة ولا نار ، وان الله يجعلهم في الآخرة تراباً . وكذلك كان يقول فيمن مات في حال الطفولية .

وبدعته الثانية أنه كان يقول : إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها ، وهذا يؤدي

---

(١) هو ابو جعفر محمد بن عبد الله ، الإسكافي ، من رجال الطبقة السابعة . وأنظر في شأن هذه الفرقة : « الفرق بين الفرق » ص/ ١٦٩ .

(٢) هو أبو معن ـ ويقال : أبو بشر ـ ثمامة بن الأشرس ، النميري . من رجال الطبقة السابعة . وذكر الذهبي أنه مات في سنة/ ١٧٣ هـ . « العبر » ١ : ٢٦٣ .

وانظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٧٠ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٧٢ .

الى القول بنفي الصانع ، إذ لو جاز ان يكون فعل بلا فاعل لجاز أن يكون كل فعل بلا فاعل ، كما لو جاز أن تكون كتابة بلا كاتب ، جاز أن تكون كل كتابة بلا كاتب . وكان يقول : ان دار الاسلام دار شرك لغلبة من يخالفه في بدعته في دار الاسلام ، وكان يقول لا يجوز سبي النساء من دار الكفر ، وان من سبى امرأة ثم ألم بها فهو زان ، وان ولده ولد الزنا . هذا منه اقرار بأنه من ولد الزنا لأنه كان من أولاد السبايا .

واعلم ان هذا المبتدع كان يظهر البدعة وكان في الحقيقة ملحداً ، ولكنه كان يستر الحاده بما كان يظهر من موافقة أهل البدع . ثم كان يتغلب الحاده الشيء بعد الشيء في الأحايين . كما ذكره عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب « مختلف الحديث » أن ثمامة رأى يوماً ناساً يسارعون الى صلاة الجمعة مخافة أن تفوتهم الصلاة . فأقبل على عبد كان معه وقال : أنظر الى هؤلاء الحمير ماذا فعل بهم ذلك العربي . وكان يريد النبي ﷺ . وذكر الجاحظ في كتاب « المضاحك » أن المأمون الخليفة كان قد ركب يوماً فرأى ثمامة وهو سكران قد وقع في الوحل . فقال له أنت ثمامة ؟ فقال : أي والله فقال له : الا تستحي ؟ فقال . لا والله . فقال . عليك لعنة الله . فقال تترى ثم تترى .

وأورد الجاحظ في كتابه من نوادر الحاده أن غلام ثمامة قال له قم فصل . فتغافل عنه . فقال له ثانياً قم فصل . فتخلص . فقال : أما أنا فقد تخلصت ان تركتني أنت ، وكان من شدة عداوته لأهل السنة أنه أغرى الواثق بأحمد بن نصر المروزي السني الخزاعي[1] لأجل أنه كان يطعن على القدرية . ووافقه ابن الزيات ، وابن أبي داود ، لما قتله ندم على قتله وعاتبهم على ذلك فقال ابن الزيات[2] تطييباً

---

(١) هو أحمد بن نصر ، الخزاعي ، الشهيد ، كتب عن مالك وجماعة ، قتله الواثق بيده وذلك في سنة/ ٢٣١ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٤٠٨ .

(٢) هو أبو جعفر : محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتصم والواثق والمتوكل . كان جهمياً ، قبض عليه المتوكل وعذبه وسجنه حتى هلك سنة/ ٢٣٣ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٤١٤ .

لقلب الواثق : ان لم يكن قتله صوابا فقتلني الله بين الماء والنار .

وقال ابن أبي داود[1] : حبسني الله في جلدي ان لم يكن قتله صواباً . وقال ثمامة : سلط الله علي السيوف ان لم يكن قتله صوابا . فاستجاب الله دعواتهم فاما ابن الزيات فانه لما دخل الحمام خسف به الأرض، ووقع في الأتون[2]، وهلك فيه بين الماء والنار . وأما ابن أبي دواد فأصابه الفالج فبقي في جلده حبوسا الى أن مات ، وأما ثمامة فرآه بنو خزاعة بمكة . وقالوا هذا الذي سعى في دم عالمنا أحمد بن نصر ، ثم أحاطوا به وتبادروه بالسيوف فقتلوه . ثم أخرجوا جيفته من الحرم حتى اكلته السباع . هذه كانت عاقبته في الدنيا وسيناله شؤم بدعته في الآخرة كما يستحقه .

١٣ ـ الفرقة الثالثة عشرة :

الجاحظية :

منهم الجاحظية وهم أتباع عمرو بن بحر الجاحظ[3] فقد اغتر أصحابه بحسن بيانه في تصانيفه ، ولو عرفوا ضلالته ، وما احدثه في الدين من بدعه وجهالاته لكانوا يستغفرون عن مدحه ، ويستنكفون عن الانتساب الى مثله .

فمن جهالاته المعروفة قوله : ان المعارف كلها طباع ، وان كل من عرف شيئاً فانما يعرفه بطبعه لا بان يتعلمه ولا بان يخلق الله تعالى له علما به .

ومن جهالاته قوله : ان العباد لا يفعلون الا الارادة فقط . لا فعل لهم سواها .

---

(١) هو أبو عبد الله : أحمد بن أبي داود ، الإيادي ، قاضي القضاة . كان فصيحاً شاعراً ، ومع ذلك كان رأساً من رؤوس الجهمية والمعتزلة . وهو الذي أفتى بقتل الامام أحمد . وقد حبسه المتوكل العباسي ، الى أن مرض بالفالج ومات سنة/ ٢٤٠ هـ . أنظر « ميزان الاعتدال » رقم ٣٧٤ . و « العبر » ١ : ٤٣١ .

(٢) الأتون بالتشديد الموقد وجمعه أتاتين . كذا في « مختار الصحاح » ص/ ٤ .

(٣) تقدمت ترجمته .

وانظر في شأن هذه الفرقة في : « الملل والنحل » ١ : ٧٥ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ١٧٥ .

ومن بدعه قوله : لا يبلغ أحد من الناس الا وهو عالم بالله تعالى . وهذا يوجب ان يكون جميع المنكرين لله تعالى عارفين به ، وهذا خلاف المعقول والشرع ، وأما قوله ان العبد لا يفعل الا الارادة فيوجب ان لا يكون العبد فعل صلاة ، ولا حجا . وان لا يكون قد فعل من موجبات الحدود مثل السرقة والزنا شيئاً .

وأما قوله ان المعارف ضرورية . فانه يوجب أن لا يكون ثواب ولا عقاب على أفعاله الموجودة منه ، وهذا خلاف قول المسلمين ، وانما صنف كتاب طبائع الحيوان لتمهيد هذه البدعة الشنعاء ، أراد أن يقرر في نفوس من يطالعه هذه البدعة ، ويزينها في عينه ، فيغتر بحسن ألفاظه المبتذلة فيها ، ويظن أنه انما جمعه لنشر نوع من العلم ، ولا يعلم أنه انما قصد به التمهيد لبدعته ، حتى إذا ألفه واستأنس به واعتقد مقتضاه انسلخ به عن دينه ، وقد ركب الجاحظ على قوله هذا قولاً هو شر من هذا فقال: ان الله تعالى لا يدخل احداً النار، ولكن النار بطبعها تجذب الى نفسها اهلها، ثم تمسكهم في جوفها خالداً مخلداً، وهذا يوجب ان يقال في الجنة مثل هذا. فقال: انها تجذب اهلها الى نفسها بطبعها. فيبطل به الرغبة، والرهبة، والثواب والعقاب، من الله تعالى حيث يقول: : « ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[1]

واعلم أن الكعبي عده من مشايخ المعتزلة، وافتخر بتصانيفه، وزعم أنه عربي من بني كنانة. ولو كان كما قاله لما صنف كتاباً في مفاخر القحطانية على العدنانية والكنانية وما كان يجمع فيه ما هجا به القحطانية العدنانية ، وكان لا يستجيز انشادها فان من كان ابن رشدة لا يرضى بهجاء أبيه ، ولو كان عربياً لما صنف كتابه في فضل الموالي على العرب . وأما تصانيفه فمن تعرف ما فيها ، وتأمل معانيها ، ومقاصده فيها ، علم أنه لا يشتغل بتصنيف امثالها الا من لا خلاق له ولا مروءة ، فان أعلى تصانيفه كتاب طبائع الحيوان وقد بينا مقصوده فيه ، وذلك من شر المقاصد وكيف ما كان ، وقد سرق أصوله من كتاب أرسطاطاليس ومن كتاب

---

(١) البقرة : ٢٠١ .

« المدايني» الذي صنفه في منافع أصناف الحيوان ، ولم يورد فيه شيئا من كيسه ولا من ذات نفسه الا أبياتا ضمها اليها قالتها العرب في معانيها ، زين بها حشو كتابه ، وأودعه مناظرة الكلب والديك ؛ والكلب والهرة ، والكلب والذئب ، وما أشبه ذلك . والعاقل لا يضيع وقته بمثله ، فان شغل الوقت بأمثاله نوع من المقت .

ومن كتبه كتاب « حيل اللصوص » يعلم اللصوص فيه الحيل التي يتوصلون بها الى الفساد يمدحهم بالشطارة ، ويزعم أنها من مروءتهم ويمدحهم باختيارهم الغلمان على النسوان ، وبأنهم يلعبون بالنرد والشطرنج ، ويحثهم على القمار . ويزعم أنه من المروءة ومن الآداب المرضية ، ومن عد الدعارة والشطارة من المروءة وزينها وحث عليها فقد خالف الشريعة والمروءة ، لأن المسلمين أطبقوا على أن من كانت هذه طريقته كان مذموما في الشريعة والمروءة .

ومن كتبه ما صنفه في غش الصناعات أفسد بذلك على المفسدين أموالهم وحث بذلك الناس على الغش والخيانة . ومن كتبه كتاب « القتيا » طعن فيه على الصحابة كما يليق بديانته .

ومن كتبه ما صنفه في وصف الكلاب ، والقحاب ، والمغنين ، وحيل الماكرين ، ولا يفتخر بمثل هذه الكتب الا من كان مثله لا خلاق له في دين ولا مروءة ، وكان مع هذه البدع الفاحشة الوحشة كريه المنظر حتى قال في وصفه الشاعر :

لـو يُمْسَخُ الخنـزيرُ مَسْخـاً ثانياً ... ما كَانَ إلاَّ دُونَ قُبْـحِ الجاحِظِ
شـخص ينـوب عن الجحيم بنفسِهِ ... وهـو القَـذَى في كُلِّ طرفٍ لاحِظِ

١٤ ـ الفرقة الرابعة عشرة :

الشحامية :

الشحامية أتباع أبي يعقوب[١] بن الشحام استاذ الجبائي في ضلالة القدرية

(١) هو أبو يعقوب : يوسف بن عبد الله بن اسحاق ، الشحام ، من أصحاب ابي الهذيل .
وانظر في شأن هذه الفرقة في : « الفرق بين الفرق » ، ص/ ١٧٨ .

وجوز هو والعلاف مقدوراً بين قادرين كما قاله أهل السنة ، ولكنهم جوزوا انفراد كل واحد منهما بخلقه بخلاف أهل السنة وخلاف قول أهل القدر .

١٥ ـ الفرقة الخامسة عشرة :

الخياطية :

منهم الخياطية أتباع أبي الحسين الخياط[1] أستاذ الكعبي في ضلالته ، فقد أفرط في قوله في صفة المعدوم حتى زاد فيه على جميع القدرية ، فوصف المعدوم بأنه جسم فيلزمه أن يجوز كون المعدوم رجلا راكباً جملا وبيده سيف مسلط عليه يصول عليه ويلقنه مثل هذه البدع ، حتى انه يتلقنها خوفا منه ، ويفصح عنها وينشرها توقيا من صولته ، وقد تبرأ منه صاحبه الكعبي بسبب هذه البدعة واستفظعها منه ، وقال : وان القدرية وان قالوا في المعدوم أنه شيء وجوهر ، وعرض ، وسواد ، وبياض ، فإنهم لا يقولون انه جسم ، وانه قابل للأعراض ، وهذا القول منه يوجب كون الأجسام قديمة ، ويفضي به الى نفي الصانع ، وقد ضلله الكعبي بهذه المسألة وبانكاره أخبار الآحاد . وقوله لا يحتج به في احكام الشريعة . وكفى الكعبي فخراً ان يكون له مثل هذا الاستاذ الذي هو عنده ضال مبتدع ، وذلك ذل له في الدنيا ، وله في الآخرة عذاب عظيم .

١٦ ـ الفرقة السادسة عشرة :

الكعبية :

منهم الكعبية اتباع عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بأبي القاسم الكعبي[2] . وكان يدعي في كل علم ، ولم يكن خلص الى خلاصة شيء من

---

(١) هو أبو الحسين : عبد الرحيم بن محمد بن عثمان ، الخياط ، من رجال الطبقة الثامنة وأنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٧٦ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ١٧٩ .

(٢) تقدمت ترجمة الكعبي في أوائل الكتاب .
وأنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٧٦ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ١٨١ .

العلوم ، بل كان متحليا بطرف من كل شيء كان يدعى فيه شيئا من العلوم . وخالف قدرية البصرة في أشياء :

منها : قوله بأن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يرى غيره .

ومنها : قوله ان الله لا يسمع ، وكان يزعم أن معنى وصفه بانه سميع ، بصير عالم بالمسموع وبالمرئي .

ومنها : أنه كان يزعم ان الله تعالى لا ارادة له ، وان علمه يغني عن ارادته . لأن معلومه كان لا محالة قصده أو لم يقصده ، وهذا القول منه يوجب نفي القدرة وكونه قادراً ، اذ كان تقوله في نفس الارادة على أن معلومه كائن لا محالة . وأيضا فان الشاهد يقضي بخلاف مذهبه . وذلك أن القادر منا قد يقدر على شيء باستطاعة عرفية ولا يكون مقدوره واقعا حتى يقصد فعله ويريده .

ومنها : انه كان يقول بايجاب الأصلح للعبد على الله تعالى . والايجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئا .

١٧ ـ الفرقة السابعة عشرة :

الجبائية :

الجبائية اتباع أبي علي الجبائي[1] وهو الذي أغوى أهل خوزستان ، وله من البدع الفاحشة ما لا يحصى .

منها : أن شيخ أهل السنة أبا الحسن الأشعري رحمه الله تعالى سأله يوما عن حقيقة الطاعة فقال : هي موافقة الارادة . فقال له : هذا يوجب أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده اذا أعطاه مراده ؟ فقال نعم يكون مطيعا ؟ وخالف الاجماع باطلاق هذا اللفظ . لأن المسلمين أجمعوا قبله على أن من قال ان الباري سبحانه مطيع لعبده كان

---

(١) هو أبو علي : محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان الجبائي ـ نسبة الى جبى بضم الجيم وتشديد الباء ، وهي بلد من أعمال خوزستان في طرق من البصرة والأهواز . توفي سنة/ ٣٠٣ هـ . أنظر « العبر » ٢ : ١٢٥ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٤١ .

موصوفا بالكفر في عقده ، ولو جاز ان يقال انه لعبده مطيع لجاز أن يقال أنه لعبده خاضع وخاشع .

ومنها : أنه كان يقول ان أسماء الباري تعالى يجوز أن تؤخذ قياسا ، ويجوز أن يشتق له من أفعاله اسماً لم يرد به السمع ولم يأذن فيه الشرع ، حتى قيل له يجوز أن يسمى محبل النساء ؟ قال : نعم . وهذه بدعة شنيعة فضيحة .

ومنها انه كان يقول : ان العرض الواحد يجوز ان يكون في محال كثيرة . وذلك انه كان يقول : ان الكلام يكتب في محل فيكون عرضاً موجوداً فيه ، ثم يكتب في محل ثان فيصير ايضاً موجوداً فيه ، من غير ان ينتقل من المحل الاول او يعدم فيه .

ومنها انه كان يقول : ان الله تعالى ليس بقادر على ان يفنى شيئاً من اجسام العالم بانفراده ، ولكنه ان شاء افنى العالم بفناء يخلقه لا في محل فيفني به جميع العالم . وهذا القول منه يوجب تخصيص قدرة الباري ببعض المقدورات وفيه التنبيه على صحة التثنية ويجوز كون الفناء لا في محل فناء للقديم تخصيصاً لما وجد ، لا في محل بما وجد ، لا في محل كما خصوا الارادة الحادثة ، لا في محل بالقديم سبحانه لأنه لا في محل .

١٨ ـ الفرقة الثامنة عشرة :

البهشمية[١] :

منهم البهشمية اتباع ابي هاشم[٢] بن الجبائي . واكثر المعتزلة اليوم على مذهبه لان ابن عباد[٣] كان يدعو الى مذهبه ، ويسمى اصحابه الذمية . لتجويزه كون

(١) انظر في شأن هذه الفرقة في «الفرق بين الفرق» ص / ١٨٤ ، و «الملل والنحل» ١ : ٧٨ .

(٢) هو ابو هاشم : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي السابق ذكره مات ببغداد في شهر شعبان من سنة / ٣٢١ هـ . انظر «العبر» ٢ : ١٨٧ .

(٣) هو ابو القاسم : اسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن احمد بن ادريس الطالقاني ، المقلب بالصاحب . قال عنه ابن خلكان : نادرة الدهر كان مولده لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة / ٣٢٦ في إصطخر وتوفي في =

العبد مستحقاً للعقاب لا على فعل فعله ، وهذا يوجب ان المرء يكون عاصياً لا على معصية فعلها ، ويوجب ان يكون مطيعاً لا على طاعة فعلها ، وكافراً لا لكفر كفره .

وكان ابو هاشم هذا يقول : ان من تاب عن ذنب مع اصراره على ذنب آخر لا تصح توبته عما تاب حتى ان يهودياً تاب عن كفره ولكنه منع حبة مثلاً عن مستحق لم تصح توبته عن اليهودية وهذا يوجب ان يؤخذ منه الجزية بعد ما اسلم، وان لا تحل ذبيحته، ولا مناكحته اذا أسلم عن مجوسيته مع هذه الحالة. فهذا خلاف اجماع الأمة.

وكان يقول : ان التوبة عن الذنب بعد عجز المذنب عن الذنب لا تقبل . حتى لو كذب ثم قطع لسانه قبل ان يتوب او زنى ، ثم قطع فرجه قبل ان يتوب لم تصح توبته . وهذا يوجب ان يكون الظالم الذي ظلمه بقطع لسانه منع ربه عن قبول توبته . وكان ابو هاشم هذا مع افراطه في القول بالوعيد افسق اهل زمانه حتى قال في صفته شاعر من المرجئة :

يَعيبُ القولَ بالإرجاء حتى ... يَرَى بعضَ الرَّجاءَ من الجَرَائر
واعظم من ذَوِي الإرجاء جُرْماً ... وعيديٌ أصرَّ على الكبائر

وكان من جهالته قوله بالاحوال حتى كان يقول : ان العالم له حال يفارق به من ليس بعالم ، وللقادر حال به يفارق حال العالم ثم كان يقول : ان الحال ليست بموجودة ولا معدومة ولا مجهولة وان العالم يعلم على حالة ولا يعلم حال العالم ولا حال القادر ، ولا يمكن الفرق بين حال العالم وبين حال القادر . اذ لا يعلم حال واحد منهما ، ومن لا يعلم من نفسه ما يقول كيف يقدر ان يعلمه غيره . واقتدى في ذلك بقول الباطنية حيث قالوا : ان الصانع لا معدوم ولا موجود ، و ما من ثابت الا وهو في الحقيقة موجود ، اذ لا واسطة بين العدم والوجود ، ولو ثبت

= ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة / ٣٨٥ هـ بالري ، ثم نقل الى اصبهان انظر «ابن خلكان» رقم / ٩٣ ، و «يتيمة الدهر» ٣ : ١٩٢ .

بينهما واسطة لجاز ان يخرج الشيء من العدم الى الثبوت . ثم من الثبوت الى الوجود كما جاز أن يخرج من القيام الى القعود ، ثم من القعود الى الاضطجاع اذ كان القعود واسطة بين الطرفين .

ومن ضلالاته قوله : ان الطهارة ليست بواجبة وكان يقول تجوز الطهارة بماء مغصوب ، ولا تجوز الصلاة في ارض مغصوبة ، وكان يفرق بينهما بأن الطهارة غير واجبة والصلاة واجبة . وهذا القول منه خلاف اجماع الأمة . ثم كان يستدل على ان الطهارة ليست بواجبة لجواز ان يطهر غيره وهو صحيح ثم كان يرتب على هذا فيقول : ان الوقوف بعرفة ، والسعي ، والطواف ، ليست بواجبة لان مشى دابته في جميع ذلك ينوب عن مشيه . ويلزم على هذا ان يقول ان الزكوات والكفارات كلها ليست بواجبة لجواز ادائها بالوكلاء والنائبين . وهذا القول كفر منه خالف فيه جميع الأمة . كان مع ارتكابه هذه البدع يكفر المعتزلة . ويتبرأ منهم ، حتى كان يكفر اباه وتبرأ منه ، ولم يأخذ ميراثه بعد موته لتكفيره اياه وتبريه منه . وكان سائر المعتزلة يكفرونه أيضاً . وحالهم في هذا المعنى كما وصفه الله تعالى من حال الكفار حيث قال: «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب »[١] .

ومما يكشف عن افتضاحهم في مذاهبهم وتبريء بعضهم من بعض ما حكاه اصحاب المقالات من ان سبعة من رؤوس القدرية اجتمعوا في مجلس واحد وتناظروا في ان الله تعالى هل يقدر على ظلم وكذب يختص به ، فافترقوا من هذا المجلس وكل منهم كان يكفر الباقين . وذلك لان النظام سئل في ذلك المجلس عنه فقال : انه ليس بقادر على ذلك اذ لو قدر عليه لم يأمن ان يقع منه ظلم أو كذب فيما مضى او يقع ذلك في المستقبل ، او وقع او يقع ذلك في طرف من اطراف الارض : فقال له علي الاسواري : ينبغي على هذه العلة ان لا يقدر على خلاف المعلوم . والمخبر عنه فقال : هو لازم فما تقول انت ؟ فقال الاسواري انا اقول انه لا يقدر على الظلم

---

(١) البقرة : ١٦٦ .

والكذب ولا يقدر على خلاف المعلوم فقال له النظام : هذا الذي تقول كفرو الحاد ، ثم قال له ابو الهذيل ما تقول في فرعون ، وفي كل من علم الله انه لا يؤمن ، او اخبر عنه انه لا يؤمن ان قلت انه لم يكن مقدوراً لهم ان يؤمنوا لزمك تكليف ما لا يطاق وانت لا تقول به ، وان قلت انه كان مقدوراً لهم كان محالاً لأنه يؤدي الى ان يكون العبد قادراً على تجهيله وتكذيبه ، تعالى الله عن قولهم ، فقالوا له هذا الجواب لازم فما تقول انت ؟ فقال : انا اقول انه قادر على ان يظلم ويكذب ، وقادر ايضاً على خلاف المعلوم . فقال له : ارأيتك لو ظلم وكذب ، فقال . انه محال منه . فقالوا له : ما كان محالاً لا يكون مقدوراً . فتحير هؤلاء الثلاثة ولم يدروا كيف سبيل الجواب فقال بشر بن المعتمر كل ما انتم عليه فهو تخليط . فقالوا له فايش تقول انت ؟ هل يقدر على ان يعذب طفلاً ليس له ذنب ؟ فقال : يقدر فقالوا : فلو عذبه كيف حكمه . قال : يكون الطفل عاقلاً ، بالغا ، عاصيا ، مستحقاً للعقاب ، ويكون الباري عادلاً بتعذيبه . فقالوا له كيف يكون الطفل بالغاً ، وكيف يكون من فعل الظلم عادلاً به ؟ فتحير . فقال له المردار منهم اخذتم على استاذي بشر شيئاً منكراً مستفيضاً ولكن يجوز ان يغلط الاستاذ . فقال له بشر فما تقول انت ؟ قال اقول : انه قادر على الظلم والكذب . ولو وجد ذلك منه كان إلهاً ظالماً كاذباً . فقالوا له : ومن كان بهذه الصفة هل يكون مستحقاً للشكر والعبادة ، او يكون مذموماً ؟ فقال لا يكون مستحقاً للشكر والعبادة . فقالوا : ومن لا يكون مستحقاً للشكر والعبادة لا يكون إلهاً . فتحير . فقال زعيم من زعمائهم يقال له الاشج : انا اقول انه قادر على ان يظلم ويكذب ، ولكنه ان ظلم وكذب كان عادلاً صادقاً . فقال الاسكافي كيف ينقلب الظلم عدلاً ؟ والكذب صدقا ؟ فتحير . فقال له ما تقول انت ؟ فقال : انا اقول ان ظلم او كذب لم تكن عقول العقلاء موجودة في تلك الحالة فلا يتوجه عليه المذمة والملامة لعدم وجود عقل عاقل ينكره عليه ، فقال جعفر بن حرب كأنه يقول انه قادر على ظلم المجانين . ولا يقدر على ظلم العقلاء ، فتحيروا وصاروا كلهم منقطعين متحيرين .وكان كل واحد يعتقد ان اقوال الباقين كلها كفر .

فلما انتهت زعامتهم الى الجبائي ، وابنه ابي هاشم قالا جميعاً هذه مسألة لا

يمكن ان يجاب عنها . ورضيا بالجهل فيما يرجع الى وصف الاعتقاد ، ولو وافقهم التوفيق لتمسكوا بمذهب اهل الحق . وتركوا التردد من باطل الى باطل ولم يتمردوا فيه كما تمردوا في مسألة العالم ، كانوا لا يزالون يترددون من باطل الى باطل حتى انتهوا الى القول باحوال مجهولة ، واعترفوا بأنهم يعرفون بمالا يعرفون ، وينتحلون مالا يعقلون ، وكما تمردوا على باطلهم في مسألة الرؤية حتى انتهى بهم الكلام الى ان قالوا : انه لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يرى نفسه ، ولا غيره ، كما حكيناه عن الكعبي ، وكما تمردوا في مسئلة خلق الافعال . حتى وصل بهم الى ان قالوا بخالقين كثيرين زائدين على الف الف ، وزادوا في ذلك المجوس ، والثنوية من وجهين :

ـ احدهما : ان المجوس ، والثنوية قالوا : بخالقين اثنين . وهم بخالقين لا يحصرون .

ـ والثاني : ان الثنوية والمجوس لم ينفوا كون الباري سبحانه خالقا . وهؤلاء الذين قالوا ان العبد يسمى خالقا ، والباري سبحانه لا يجوز انيسمى خالقا . خالفوا به اجماع هذه الأمة ، وكما تمردوا في مسألة القرآن حتى ادى بهم القول الى ان قالوا : انه يخلق كلاما في محل فيكون متكلما بما خلقه في ذلك المحل ، فلزمهم بذلك ان لا يكون هو آمراً ولا ناهياً . وان يكون الأمر والنهي لذلك المحل ، وان لا يكون الله تعالى على عبده شرع ولا تكليف .

وكما تمردوا في مسئلة التعديل والتجوير انه واجب عليه ان يخلق بعض مقدوراته ، وحرام عليه ان يفعل بعضها . فرتبوا عليه شريعة في الواجب والمحظور اعظم مما رتبه على عبيده لانهم زعموا انه لو خالف في شيء مما وجب عليه او هو محظور عليه خرج من الحكمة وسقط به عن منزلة الآلهية والعبد وان خالف في شيء مما شرع له لم يسقط عن منزلة العبودية ، وان توجه عليه نوع من العقوبة ولو انهم بدل ما تلبسوا به من العنت والتمرد راجعوا مذهب اهل الحق سلموا عن هذه البدع .

غير ان التوفيق اعز من ان يناله اهل الشقاق والعصبية ، وفضائحهم افظع واكثر من ان يمكن جمعها في مثل هذا الكتاب ، وقد جمعنا في تفصيلها كتباً تشتمل على

معظمها وعاداتهم التنقل في اباطليهم ، وتكفير بعضهم لبعض في اقاويلهم .

واعلم ان جميع ما ذكرناه من مقالاتهم الشنيعة ومذاهبهم الفظيعة لا يخفى على العاقل فسادها اذا صرف الهمة الى تأملها . ومن افظع ما ينتحلونه نسبتهم التقدير الى انفسهم لا الى صانعهم ، وقد ورد في ذمهم اخبار كثيرة عن النبي ﷺ انه قال : «لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً»[1] . وفي رواية «القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبيا »[2] . وقال وهب بن منبه : انزل الله تعالى على رسله كتباً كثيرة اكثر من نيف وتسعين كتاباً ، فقرأت منها ثمانين كتاباً فوجدت في جميعها ان كل من جعل الى نفسه امراً او شيئاً من المشيئة فهو كافر بالله تعالى . وروى ان النبي ﷺ قال : القدرية مجوس هذه الأمة »[3] . وانما شبههم بالمجوس لان المجوس ينسبون بعض التقدير الى يزدان[4] وبعضه الى اهر من[5] وهو اسم الشيطان . فاثبتوا تقديراً في مقابلة تقدير الباري جل جلاله . وقالوا بجواز حصول احد التقديرين دون الآخر. فكذلك القدرية اثبتوا تقديرين . احدهما للرب تبارك وتعالى . والآخر للعبد ، وجعلوا احد التقديرين في مقابلة الآخر ، وجوزوا حصول احد التقديرين دون الآخر ، وزعموا ان تقدير الرب يصير ممنوعاً منه تقدير العبد . ثم زادوا على المجوس وذلك ان المجوس جعلوا في مقابلة تقديره تقديراً واحداً ، وهم جعلوا في مقابلة تقديره تقدير جميع الحيوانات من الآدمي ، وغير الآدمي حتى البقة ، والبعوضة ، والنملة ، والنحلة ، والسمكة ، والدودة ، وقالوا : تقدير الدودة يحصل ، وتقدير القديم سبحانه لا يحصل . فان الدودة تمنعه بتقدير نفسها عن تقديره . وقد ورد الرد

---

(١) اخرجه الطبراني في «الاوسط» وفي سنده محمد بن الفضل بن عطية المروزي متروك الحديث وكذّبه غير واحد .

(٢) اخرجه الطبراني في «الكبير» بسند فيه بقية .

(٣) حديث ذم القدرية مشهور ، رواه ثمانية من الصحابة عُمر وعبد الله بن عمر ، وحذيفة بن اليمان ، وابن عباس ، وجابر ، وابو هريرة ، وسهل بن سعد ، وانس بن مالك .
وخرجه عنهم ستة عشر نفساً باكثر من عشرين طريقاً . فرواه من حديث ابن عمر احمد ، وابو داود ، والحاكم ، والطبراني ، والبيهقي ، والبخاري في التاريخ واللالكائي . انظر «الدليل » للعبدري ص/ ١٠٩ .

(٤) وهو على زعم المجوس خالق الخير .

(٥) وهو على زعم المجوس خالق الشر .

عليهم في كتاب الله سبحانه باصرح ما يكون حيث قال : « انا كل شيء خلقناه بقدر»[1] ومن عرف معنى هذه الآية وما ورد في معانيها من السلف علم في الحقيقة ان القدرى من يجعل لنفسه شيئاً من القدر ، وينفيه عن ربه . تعالى الله عن قولهم . وتحقق له انه ليس بقدري من اثبت القدرة لله ونفاها عن نفسه كما بينه الله تعالى في هذه الآية ، وتقرر عنده ان من قال بالتسليم الكلي وفوض الأمر الى الرب القوي فهو من اهل السنة والجماعة ، فمن اعتقد ان شيئاً من افعاله لا يكون ظلماً ، ولا باطلاً ، وانه لا اعتراض عليه في شيء مما يأتيه او يذره ولا يقول كما يقول القدرية ان له ان يفعل كذا ، وليس له ان يفعل كذا ، وبنى عقائده على قوله تعالى : «لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »[2] لم يكن قدرياً وكان من المقاتلة والخصومة برياً ، واي تسليم وبراءة من الخصومة اكبر من قول اهل السنة : ان كل ما جرى على العبد من المعاصي فهو خلق من الله تعالى ، وهو عدل منه سبحانه ومعصية من العبد ، وكل ما جرى من العبد من الطاعات فهو خلق من الله تعالى ، وهو من الله فضل فهما من العبد طاعة ومعصية ، ومن الرب فضل وعدل .

وقد بين رسول الله ﷺ في خبر جبريل عليه السلام اصل الكلام في القدر فقال في جواب جبريل عليه السلام: «الايمان ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والقدر خيره وشره ، حلوه ومره من الله »[3]. فبين ان القدر كله من الله ، وان لا قدر للعبد في شيء الاشياء ، وكان سبب نزول قوله : «انا كل شيء خلقناه بقدر»[4] . ان مشركي قريش جاؤوا الى النبي ﷺ وكانوا يخاصمونه في القدر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : «ان المجرمين في ضلال وسعر» الى آخر السورة[5] . وقال

---

(١) القمر : ٤٩ .

(٢) الانبياء : ٢٣ .

(٣) اخرجه مسلم بدون لفظ «حلوه ومره من الله» في صحيحه في الايمان : باب وصف جبريل للنبي ﷺ والايمان . والترمذي بنحوه في الايمان مع تقديم وتأخير. وابو داود ٢ : ٢٧١ : في السنة : باب في القدر ، والنسائي : في الايمان : باب نعت الاسلام .

(٤) القمر : ٤٩ .

(٥) القمر : ٤٧ .

قوم من المفسرين : ان وفد بني نجران وردوا على رسول الله ﷺ فقالوا اما الآجال والأرزاق فبتقدير الله تعالى ، واما اعمال العباد فليست بتقدير الله تعالى فانزل الله تعالى «ان المجرمين في ضلال وسعر» الى آخر السورة .

وروى عن عمرو بن زرارة انه قال : سمعت ابي يقول . كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقرأ «ان المجرمين في ضلال وسعر الى آخر السورة » . ثم قال . «انما نزل هذا في ناس يكونون في آخر امتي يكذبون بالقدر»[1] وقيل لابن عباس ان قوماً يتكلمون في القدر فقال : نزل فيهم قوله تعالى : «ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر» ان مرضوا لا تعودوهم ، وان ماتوا لا تصلوا على جنائزهم ، ولو أرى واحداً منهم لقلعت بهاتين الاصبعين عينيه . ولما نزل قوله تعالى : «انا كل شيء خلقناه بقدر» قيل لرسول الله ﷺ ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[2] قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «ان الله قدر التقادير ، ودبر التدابير ، قبل ان خلق آدم عليه السلام بالفي عام » [3] ولم يرد بها تخصيص هذه الأمة ، ولكنه اراد ان يقدر في نفوس السامعين ان التقادير كانت سابقة في المعلوم قبل خلق آدم عليه السلام . وروى ابو هريرة ان النبي ﷺ قال : «الايمان بالقدر يذهب الغم »[4] .

وقال ابن عباس لما كثرت القدرية بالبصرة خربت البصرة ، او لفظ هذا معناه . وروى عن جماعة السلف الصالح انهم قالوا : اذا اسلم عليك القدري

---

(١) اخرجه الطبراني في الكبير . وقال الهيثمي في سنده من لا اعرفه . وانظر الجامع لاحكام القرآن ١٧ : ١٤٧ .
اخرجه البيهقي في الاعتقاد ص / ١٣٥ . واخرجه مسلم : في القدر : باب كل شيء خلقناه بقدر ، والترمذي في التفسير : باب ومن سورة القمر.

(٢) الحديث اخرجه البخاري في تفسير سورة «والليل اذا يغشى » وفي الجنائز : باب موعظة المحدث عند القبر وقعود اصحابه حوله . وفي الادب : باب الرجل ينكث الشيء بيده في الأرض ومسلم : في القدر : باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وابو داود : في السنة: باب في القدر.

(٣) اخرجه مسلم بنحوه بلفظ : «قدر الله المقادير قبل ان يخلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة » رواه في صحيحه : في القدر : باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ، والترمذي في القدر ايضاً.

(٤) اخرجه الخطيب والديلمي .

فاجب كما تجيب اليهود وقل وعليك. وقد بين الله تعالى الرد عليهم باشفى بيان في قوله: «ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد»[1]. فبين ان الأمور كلها بمشيئة الله تعالى وارادته. وقد اورد ابو القاسم بن حبيب[2] في تفسيره باسناده. ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سأله سائل عن القدر؟ فقال: طريق دقيق لا تمش فيه، فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر؟ فقال: بحر عميق لا تخض فيه، فقال ياامير المؤمنين اخبرني عن القدر؟ فقال: سر خفي لله لا تفشه، فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر؟ فقال علي رضي الله عنه يا سائل ان الله تعالى خلقك كما شاء او كما شئت؟ فقال كما شاء. قال: ان الله تعالى يبعثك يوم القيامة كما شئت او كما يشاء؟ فقال: كما يشاء، فقال يا سائل لك مشيئة مع الله او فوق مشيئته او دون مشيئته، فان قلت مع مشيئته ادعيت الشركة معه، وان قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته، وان قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته ثم قال: الست تسأل الله العافية؟ فقال نعم. فقال فعن ماذا تسأله العافية؟ أمن بلاء هو ابتلاك به، او من بلاء غيره ابتلاك به. قال من بلاء ابتلاني به، فقال: الست تقول «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم»؟ قال بلى. قال تعرف تفسيرها؟ فقال لا يا أمير المؤمنين علمني مما علمك الله فقال تفسيره: ان العبد لا قدرة له على طاعة الله، ولا على معصيته الا بالله عز وجل. يا سائل ان الله يسقم ويداوي، منه الداء، ومنه الدواء. اعقل عن الله. فقال السائل عقلت. فقال له الا صرت مسلماً قوموا الى اخيكم المسلم وخذوا بيده. ثم قال علي: لو وجدت رجلاً من اهل القدر لا خذت بعنقه ولا أزال اضربه حتى اكسر عنقه فانهم يهود هذه الأمة.

وقد قال الشافعي رحمه الله[3] في هذا المعنى الذي اليه أشار أمير المؤمنين:

مـا شِئْـتَ كَانَ وإنْ لم أشا وَمَـا شِئْـتُ إنْ لَمْ تَشَـأْ لم يكُنْ

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) هو الحسن بن محمد النيسابوري اشهر مفسري خراسان توفي سنة ٤٠٦ هـ. وهو من شيوخ البيهقي.

(٣) الأبيات في «مناقب الشافعي» ٢: ١٠٩، وتاريخ دمشق ١٠/ ١٩١. وطبقات الشافعية ١: ٢٩٥.

خَلَقْـتَ العِبَـادَ على ما عَلِمْتَ ففـي العلـم يجـري الفتـى والمُسِنّ
على ذا مَنَنْـتَ وهــذا خَذَلْتَ وهــذا أعنْـتَ وذا لَمْ تُعِنْ
فمنهــم شقــيٌ ومنهــم سعيد ومنهــم قبيح ومنهــم حسن

فقوله ففي العلم يجري الفتى والمسن رد على المعتزلة في جميع ما يوردونه من الشبه في التعديل والتجوير لأنهم وان خالفوا في الارادة لم يمكنهم الخلاف في العلم لاطباق الامم على استحالة الخلاف في المعلوم .

وقد ورد في الأخبار ان الله تعالى لما أمر موسى عليه السلام ان يذهب الى فرعون فقال : كيف أذهب وأنت تعلم أنه لا يؤمن . فقال : افعل ما تؤمر فان في السماء اثني عشر ملكا يريدون أن يدركوا علم القدر ولم يدركوه . وإنما قاله على معنى أنهم كانوا يطلبون علم قوله ولا يدر كون علم فعله ، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد .

وروي عن ابن عباس أنه قال :قال رسول الله ﷺ : « ينادي يوم القيامة مناد أين خصماء الله فيقوم القدرية ووجوههم سود واعينهم زرق وأفواههم عوج يسيل منها اللعاب وهم يقولون تالله ما عبدنا من دونك شمساً ولا قمراً ، ولا نتخذ دونك إلها[1] » فقال ابن عباس صدقوا بالله فيما قالوا . ولكن أتاهم الشرك من حيث لا يعلمون. ثم تلا ابن عباس قوله تعالى: «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا انهم هم الكاذبون»[2] ثم قال ثلاث مرات انهم القدرية . واعلم ان الذين ذكرناهم من فرقهم يعدون في فرق الاسلام وبقي منهم فريقان آخران لا يعدون من فرق الاسلام . نذكرهم فيما بعد من الفرق الذين لا يعدون في فرق الاسلام ان شاء الله تعالى .

---

(١) أخرجه الطبراني الى قوله : « فيقوم القدرية » وفي سنده محمد بن الفضل بن عطية المروزي ، وله رواية أخرى في سندها بقية مدلس .
(٢) المجادلة : ١٨ .

الباب السادس

في تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم[1]

وجملة المرجئة ثلاث فرق يقولون بالارجاء في الايمان . غير أن فريقا منهم وافقوا القدرية في القول بالقدر . مثل غيلان الدمشقي ، وأبي شمر المرجيء ، ومحمد بن شبيب البصري . وهؤلاء داخلون في قول النبيﷺ : « ان القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبياً » فيستحقون اللعن من وجهين . من جهة القول بالارجاء ، ومن جهة القول بالقدر . ووافق فريق منهم الجهمية في القول بالجبر . فجمعوا بين دعوى الجبر والارجاء . وانفرد فريق منهم بالارجاء المحض لا يقولون بالجبر ولا بالقدر . واعلم أن الارجاء في اللغة هو التأخير وانما سموا مرجئة لأنهم يؤخرون العمل من الايمان على معنى أنهم يقولون « لا تضر المعصية مع الايمان ، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر » وقولهم بالارجاء خلاف قول المسلمين قبلهم وهؤلاء افترقوا خمس فرق .

١ ـ الفرقة الأولى :

اليونسية[2] :

اليونسية وهم أتباع يونس بن عون وكان يقول : ان الايمان في القلب وفي

(١) أنظر في شأن هذا الفريق : « الملل والنحل » ١ : ١٣٩ ، و« المقالات » ١ : ١٩٧ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٢ .

(٢) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ١٤٠ ، و« المقالات » ١ : ١٩٨ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٢ .

اللسان ، وحقيقته المعرفة بالله سبحانه والمحبة له ، والخضوع له ، والتصديق لرسله وكتبه . قال :ومعرفتها في الجملة ايمان فكأن كل خصلة من خصال الايمان ليس بإيمان ولا بعض إيمان وجملتها ايمان .

٢ ـ الفرقة الثانية :

الغسانية [١] :

منهم الغسانية وهم أتباع غسان المرجىء الذي كان يقول الايمان اقرار بالله ومحبة لله تعالى وتعظيم له ، وهو يقبل الزيادة ولا يقبل النقصان . على خلاف ما قاله ابو حنيفة رحمه الله حيث قال : لا يزيد ولا ينقص . وكان يقول : كل خصلة من خصال الايمان بعض الايمان بخلاف ما حكيناه عن اليونسية .

٣ ـ الفرقة الثالثة :

التومنية [٢] :

منهم التومنية أصحاب أبي معاذ التومني الذي كان يقول : الايمان ما وقاك عن الكفر ، وان الايمان اسم يقع على خصال كثيرة كل من ترك خصلة منها كفر ، والخصلة الواحدة منها لا تسمى ايماناً ولا بعض ايمان ، وكان يقول : لو ترك فريضة مما تعد في الايمان عنده يقال فيه فسق ولا يقال انه فاسق ، وكان يقول : ان الفاسق على الاطلاق من ترك جميع خصال الايمان وانكرها كلها .

٤ ـ الفرقة الرابعة :

الثوبانية [٣] :

منهم الثوبانية أصحاب أبي ثوبان المرجىء الذي كان يقول : الايمان اقرار

---

(١) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ١٤١ ، و « الفرق بين الفرق » ص/٢٠٣ .

(٢) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ١٤٤ ، و « المقالات » ١ : ٢٠٤ ـ ٣٢٦ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٣ . والتومني : بضم التاء وفتح الميم . أنظر « معجم البلدان » ٢ : ٤٣٢ .

(٣) أنظر في شأن هذه الفرقة : « المقالات » ١ : ١٩٩ ، و « الملل والنحل » ١ : ١٤٢ و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٤ .

ومعرفة بالله وبرسله وبكل شيء يقدر وجوده في العقل . فزاد هذا القائل القول بالواجبات العقلية بخلاف الفرق الباقية .

٥ ـ الفرقة الخامسة :

المريسية :

منهم المريسية أصحاب بشر المريسي[1] ومرجئة بغداد من أتباعه . وكان يتكلم بالفقه على مذهب أبي يوسف القاضي ، ولكنه خالفه بقوله ان القرآن مخلوق ، وكان مهجوراً من الفريقين وهو الذي ناظر الشافعي رضي الله عنه في أيامه . هذه فرق المرجئة المحضة الذين يتبرؤون عن القول بالجبر والقدر .

---

(١) هو بشر بن غياث المريسي ، قال البويطي : سمعت الشافعي يقول : ناظرت المريسي في القرعة ، فذكرت له فيها حديث عمران بن حصين ، فقال : هذا قمار ، فأتيت أبا البختري القاضي فحكيت له ذلك فقال : يا أبا عبد الله ، شاهد آخر واصلبه . ومات بشر في سنة/ ٢١٨ هـ وهو من أبناء السبعين . أنظر « ميزان الاعتدال » رقم/ ١٢١٤ ، و « ابن خلكان » رقم/ ١١٢ ، وتاريخ بغداد ، ٧ : ٥٦ .

الباب السابع

في تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم

وهم أتباع الحسين بن محمد النجار[1] وهؤلاء يوافقون أهل السنة في بعض أصولهم مثل خلق الأفعال ، والاستطاعة ، والارادة ، وأبواب الوعيد ، ويوافقون القدرية في بعض الأصول . مثل نفي الرؤية ، ونفي الحياة ، والقدرة ، ويقولون بحدوث الكلام ، والقدرية يكفرونهم بسبب ما وافقوا فيه المعتزلة من المسائل . ومما أطبق عليه النجارية قولهم ان الايمان هو المعرفة بالله وبرسله وبالفرائض التي أجمع عليها المسلمون ، والخضوع لله والاقرار بجميع ذلك باللسان . وقالوا : ان كل خصلة من خصال الايمان تكون طاعة ولا تكون ايماناً ، وان الايمان يزيد ولا ينقص ، ويقولون : ان حقيقة الجسم أعراض مجتمعة كاللون ، والطعم ، والرائحة ، وما لا يخلو عنه الجسم من جملة الأعراض . ويقولون : ان هذه الأعراض اذا اجتمعت كانت جسماً ، وربما قالوا كانت جواهر ، وهذا متناقض لأن الجسم أو الجوهر لا يكون الا قائماً بنفسه ، والعرض لا يكون قائماً بنفسه . ويقولون : ان كلام الله إذا قرىء فهو عرض ، واذا كتب فهو جسم . قالوا : ولو كتب بالدم على موضع صار ذلك الدم كلام الله تعالى . واختلف أصحاب النجار في

---

(١) هو أبو عبد الله : الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، كان حائكا في طراز العباس بن محمد الهاشمي ، وسبب موته أن تناظر يوماً مع النظام فأفحمه النظام ، فقام محموماً ومات عقب ذلك . وقد ذكر ابن النديم هذه المناظرة انظر « الفهرست » ص/ ٢٦٨ .

وانظر في شأن هذه الفرقة : « المقالات ١ : ٣١٥ . و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٧ .

العبارة عن قولهم بخلق القرآن بعد اتفاقهم على أنه مخلوق ، وفي غيره اختلافا كثيراً فأشهرهم ثلاث فرق .

١ ـ الفرقة الأولى :

منهم البرغوثية[1] اتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث وكان على مذهب الحسين النجار إلا انه خالفه في قوله : ان المكتسب لا يكون فاعلاً على الحقيقة وكان يقول : ان الافعال المتولدة فعل الله تعالى لا باختيار منه لكنه بايجاب الطبع والخلقة ، وكان يخالف به النجار اذ كان النجار يوافق اهل السنة في قوله ان الأفعال المتوالدة فعل الله تعالى لا بايجاب الطبع والخلقة .

٢ ـ الفرقة الثانية :

منهم الزعفرانية[2] أتباع الزعفراني الذي كان بالري ، وكان يعبر عن مذهبهم بعبارات متناقضة فكان يقول : كلام الله تعالى غيره ، وإن كل ما هو غيره فهو مخلوق . ثم كان يقول الكلب خير ممن يقول ان كلام الله مخلوق . ومن كان كلامه على هذا النمط كان الكلام في عقله لا في دينه .

٣ ـ الفرقة الثالثة :

منهم المستدركة[3] وهم قوم من الزعفرانية سموا بهذا الاسم لأنهم زعموا أنهم استدركوا على أسلافهم ما خفي عليهم . ثم افترقوا فرقتين فقالت فرقة منهم أن النبي ﷺ قال : كلام الله تعالى مخلوق . وقالوا : قاله على هذا الترتيب بهذه الحروف . قالوا : وكل من لم يقل أن النبي ﷺ قال هذا فهو كافر .

وقالت الفرق الأخرى : ان النبي ﷺ لم يقل أن كلام الله تعالى مخلوق ، ولم

---

(١) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٨٨ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٩ .
(٢) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٨٩ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٩ .
(٣) انظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٨٩ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢١٠ .

يتكلم بهذه الكلمة على هذا الترتيب ، ولكنه يعتقد أن كلام الله تعالى مخلوق ، وتكلم بكلمات تدل على أن القرآن مخلوق .

ومن المستدركة أقوام يقولون : ان أقوال مخالفيهم كلها كذب ، وكان واحد من أهل السنة يباطن واحداً منهم فقال له السني : أنت رجل عاقل ابن حلال لرشدة . فقال له صاحبه : أنت كاذب في هذا القول ـ فقال له السني : أنت صادق في وصفك قولي هذا بانه كذب فانقطع خصمه .

الباب الثامن

في تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم

وهم أتباع ضرار بن عمرو[1] وهو موافق لأهل السنة في القول بخلق الأفعال وفي نفي التولد وهو موافق لأهل القدر في قولهم ان الاستطاعة قبل الفعل لكنه زاد عليهم بأن قال: يجب أن يكون مع الفعل أيضاً، وفارقهم أيضا بقولهم: ان الاستطاعة بعض من المطيع، ووافق النجار في قوله ان الجسم أعراض مجتمعة، وزاد على الجميع بان قال: ان الله يرى بحاسة سادسة خلاف الحواس الخمس التي هي مستعملة للخلق فيما بينهم، وكان يقول: ان لله تعالى ماهية يرى هو في تلك الماهية وكان ينكر قراءة ابن مسعود[2] وقراءة أبي بن كعب[3] وكان يقول: أشهد أن الله تعالى ما أنزل ذلك على الخلق، وكان يضلل هذين الامامين من أعلام الصحابة في مصحفيهما، وكان يقول لا أدري أن عوام المسلمين كفار أو مسلمون، وكان لا يحكم بظاهر حالهم، وكان يقول لعل سرائرهم كلها شرك وكفر. وهذا خلاف اجماع

---

(١) ظهر ضرار بن عمرو في أيام واصل بن عطاء، وقد وضع بشر بن المعتمر كتاباً في الرد على ضرار سماه «التحريش». أنظر «ميزان الاعتدال» ٢ : ٣٢٨ ترجمة رقم : ٣٩٥٣. وأنظر في شأن هذه الفرقة : «المقالات» ١ : ٣١٣، و«الملل والنحل» ١ : ٩٠، و«الفرق بين الفرق» ص/٢١٣.

(٢) هو صاحب رسول الله وأحد السابقين الأولين، وأحد كبار البدريين، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أم عبد، الهذلي. له قراءات وفتاوى ينفرد بها، وهي مذكورة في كتب العلم. انظر «تذكرة الحفاظ» رقم/ ٥، و«مشاهير علماء الأمصار» رقم/ ٢١.

(٣) هو أبو المنذر: أبي بن كعب بن قيس، الأنصاري، الخزرجي، البخاري كان من أقرأ الصحابة وسيد القراء شهد بدراً والمشاهد كلها. توفي سنة/ ١٩ هـ وقيل سنة : ٢٢ هـ. أنظر «تذكرة الحفاظ» رقم/ ٦، و«مشاهير علماء الأمصار» رقم/ ٣١.

أهل السنة حيث قالوا : انا نقطع ان في عوام المسلمين مؤمنين عارفين براء من الكفر والشرك .

وكان يقول : ان الله تعالى يسمى حيا ، عالما ، قادراً على معنى أنه ليس بميت ، ولا جاهل ، ولا عاجز ، لا على معنى ان له صفة ترجع الى ذاته . وهذا الكلام منه يوجب ان يكون العرض حيا ، عالما ، قادراً ، لأنه ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز .

الباب التاسع

في تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم

وهم أتباع جهم بن صفوان[1] وكان من مذهبه ان لا اختيار لشيء من الحيوانات في شيء مما يجري عليهم فانهم كلهم مضطرون لا استطاعة لهم بحال ، وان كل من نسب فعلا الى أحد غير الله فسبيله سبيل المجاز ، وهو بمنزلة قول القائل سقط الجدار ، ودارت الرحى ، وجرى الماء ، وانخسفت الشمس ، وهذا القول خلاف ما تجده العقلاء في أنفسهم لأن كل من رجع الى نفسه يفرق في نفسه بين ما يرد عليه من أمر ضروري لا اختيار له فيه وبين ما يختاره ويضيفه الى نفسه . كما ان كل عاقل يفرق بين كل حركة ضرورية كحركة المرتعش ، وحركة المختار ، يجد العاقل في نفسه فرقاً بينهما . ومن أنكر هذه التفرقة لم يعد من العقلاء . وكل ما ورد في القرآن من قوله يعملون ، ويعقلون ، ويكسبون ، ويصنعون حجة عليهم . وكذلك قوله تعالى : «كل نفس بما كسبت رهينة»[2] ولو لم يكن للعبد اختيار كان الخطاب معه محالا ، والثواب والعقاب عنه ساقطين كالجمادات فقد رد الله تعالى على الجبرية والقدرية في آية واحدة حيث قال : «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»[3] ومعناه

---

(١) هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي ، قال عنه الذهبي في « تذكرة الحفاظ » رقم/ ١٥٨٤ : « الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين » .

وانظر في شأن هذه الفرقة : « الفرق بين الفرق » ص/ ٢١١ ، و« الملل والنحل » ١ : ٨٦ .

(٢) المدثر : ٣٨ .

(٣) الأنفال : ١٧ .

وما رميت من حيث الخلق إذ رميت من حيث الكسب ، ولكن الله رمى من حيث الخلق والكسب . خلقه خلقا لنفسه كسباً لعبده فهو مخلوق لله تعالى من وجهين .

ومن ضلالات جهم قوله : ان الجنة والنار يفنيان كما يفنى سائر الأشياء . ومن ضلالاته قوله : ان علم الله تعالى حادث ، وانه لا يعلم ما يكون حتى يكون .

وكان يقول : ان الله تعالى لا يوصف بشيء مما يوصف به العباد فلا يجوز أن يقال في حقه انه حي أو عالم ، أو مريد ، أو موجود ، لأن هذه صفات تطلق على العبيد . وقال : إنما يقال في وصفه انه قادر ، موجد ، فاعل ، خالق ، محيي ، ومميت ، لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد .

وكان يقول : كلام الله حادث ولكن لا يجوز أن يسمى متكلما بكلامه . ومع هذه البدع التي حكيناها عنه كان يعاني الخروج ، وتعاطي السلاح ، وكان يحمل السلاح ، ويخرج على السلطان ، وينصب القتال معه ورافق سريج بن الحارث[1] في وقايعه ، وخرج على نصر بن سيار[2] حتى قتله سلم بن أحوز المازني في آخر أيام المروانية . وأكثر اتباعه اليوم بنواحي ترمذ ، وأهل السنة يكفرونهم لقولهم بأن علم الله حادث ، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون ، وان كلامه حادث وأهل القدر أيضا يكفرون لقولهم بخلق الأفعال .

---

(١) عبارة الطبري التي سقناها قبل هذه : أنه سماه الحارث بن سريج لا سريج بن الحارث .

(٢) تقدمت ترجمة نصر بن سيار .

الباب العاشر

في تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم

وهم أتباع رجل اسمه بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد[1] وكان في أيام النظام وكان يوافقه في قوله : ان الانسان هو الروح لا هذا القالب الذي تكون الروح فيه ؛ وكان يقول في التولد بقول أهل السنة ، وكان ينفرد بضلالات تكفره بها الكافة .

منها قوله : ان الله تعالى يرى يوم القيامة في صورة يخلقها يكون فيها ، ويكلم العباد من تلك الصورة .

ومنها انه كان يقول : من وجد منه كبيرة من أهل القبلة فهو منافق ، وعابد الشيطان ، وان كان من أهل القبلة ، ويكون في الدرك الأسفل من النار مع المنافقين خالداً مخلداً . ومع هذا كان يقول : انه مؤمن مسلم .

وكان يقول : في علي وطلحة والزبير انهم اذنبوا ذنوباً كفروا بذلك وصاروا مشركين ، ولكن الله يغفر لهم لأن النبي ﷺ قال : ان الله تعالى اطلع على أهل بدر وقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، وكان يقول : مقالا لا يقبله عقل العاقل

---

(١) سماه « صاحب الميزان » بكر بن زياد الباهلي ، وذكر عن ابن حبان أنه قال عنه : « دجال يضع الحديث عن ابن المبارك » أنظر « ميزان الاعتدال » ١ : ٣٤٥ . وأنظر في شأن هذه الفرقة : « المقالات » ١ : ٣١٧ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢١٢ .

وذلك انه كان يقول : ان الصبيان في المهد لايجدون ألما حتى لو حرقوا ، وقطعوا ، وقرضـوا بالمقراض وهم يبكون ، ويضجون ، ويصيحون ولا ينالهم من ذلك الم بحال . وكان مع هذه البدع يتكلم في الفقه ويقول : بتحريم الثوم ، والبصل .

وكان يقول : متى ما تحرك ريح في الجوف وجب به الطهارة ، ومن كان هذا حاله في انتحال مثل هذه البدع لم يعد خلافه خلافاً في الشريعة ونسأل الله سبحانه وتعالى العصـمة من مثل هذه الأقوال الفظيعة .

الباب الحادي عشر

في تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم

وجملة الكرامية ثلاث فرق : حقائقية ، وطرائقية ، واسحاقية .

ويعد جميعهم فريقاً واحداً اذ لا يكفر بعضهم بعضا ، وزعيمهم محمد بن كرام[1] كان من سجستان فنفي عنها فوقع في غرجستان فاغتر بظاهر عبادته اهل شومين ، وافشين ، وانخدعوا بنفاقه وبايعوه على خرافاته وخرج معه قوم الى نيسابور في ايام محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر فاغتر بما كان يريه من زهده جماعة من اهل السواد فدعاهم الى بدعه ، وافشى فيهم ضلالاته ، واتبع بها قوم من اتباعه ، وتمردوا على نصرة جهالاته وما احدثه من البدع في الاسلام اكثر من ان يمكن جمعه في هذا المختصر . ولكننا نذكر من كل نوع شيئاً يتنبه به العاقل عن فساد ما كان ينتحله .

منها : انه كان يسمى معبوده جسما، وكان يقول: له حد واحد من الجانب الذي ينتهي الى العرش ولا نهاية له من الجوانب الأخر. كما قالت الثنوية في معبودهم انه نور متناه من الجانب الذي يلي الظلام، فأما من الجوانب الخمس الأخر فلا يتناهى. وقد ذكر في كتاب

---

(١) هو ابو عبد الله : محمد بن كرام السجستاني ، الزاهد ، شيخ الطائفة الكرامية . انظر «العبر» ١ : ١٠ . واختلفوا في ضبط كرام ، والاكثرون على انه بفتح الكاف وتشديد الراء («اللباب» ٣ : ٣٢ ، و «لسان الميزان» ٥ : ٣٥٣).

وانظر في شان هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ١٠٨ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢١٥.

عـذاب القبـر ان معبـوده احدي الذات ، أحـدي الجوهر ، واطلـق عليه اسم الجوهر كما اطلقه النصارى . واتباعـه يتبـرأون من اطـلاق اسـم الجوهـر ، ويطلقون عليه اسم الجسم . كامتناع المعروف بشيطان الطاق من الـروافض من اطلاق اسم الجسم عليه ، ثم قوله على انه صورة انسان . فكان ما فروا اليه شراً مما فروا عنه . ومما ذكر في ذلك الكتاب قوله انه تعالى مماس للعرش والعرش مكان له . ولما نظر اتباعه اليه فروا مما فيه من الشنعة فقالوا : لا نقول انه مماس للعرش ، ولكنا نقول انه ملاق للعرش . وليت شعري اي تفرقة بينهما لولا غباوة الخلق وغفلتهم عن التحقيق . وسأل بعض اتباع الكرامية في مجلس محمود بن سبكتكين ـ سلطان زمانه رحمه الله[1] ـ إمام زمانه ابا اسحاق الاسفرايني رحمه الله عن هذه المسئلة فقال : هل يجوز ان يقال الله سبحانه وتعالى على العرش ، وان العرش مكان له ؟ فقال : لا . وأخرج يديه ووضع احدى كفيه على الأخرى وقال : كون الشيء على الشيء يكون هكذا . ثم لا يخلوا ان يكون مثله او يكون اكبر منه او اصغـر منـه . فلا بد من مخصص خصه ، وكل مخصوص يتناهى ، والمتناهى لا يكون إلهاً ، لانـه يقتضي مخصصاً ومنتهى وذلك علم الحدوث فلم يمكنهم ان يجيبوا عنه فاغروا به رعاعهـم حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه . فلما دخل عليه وزيره ابو العباس الاسفرايني قال له محمود (كجابودي ؟ اين هم شهرى توخداي كراميان رابسرايشان به زد) .

ولما ورد عليهم هذا الالزام تحيروا فقال قوم منهم :انه اكبر من العرش وقال قوم انه مثل العرش . وارتكب ابن المهاجر منهم قوله ان عرضـه عرض العـرش . وهـذه الأقوال كلها متضمنة لاثبات النهاية وذلك علم الحدوث لا يجوز ان يوصف به صانع العالم .

ومما ابتدعوه من الضلالات مما لم يتجاسر على اطلاقه قبلهم واحد من الامم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم : بأن معبودهم محل الحوادث[2] تحدث في ذاته اقواله ؛

---

(١) هو احد الملوك الغزنوية وهو فاتح الهند ، توفي سنة / ٤٢١ هـ.

(٢) وقد اخذ ابن تيمية بمثل هذه الفضيحة في صراحة . ومذهبه على اللف والدوران . وقد ذكر في كتاب «الفرقان.» =

وارادته ، وادراكه ، للمسموعات والمبصرات، وسموا ذلك سمعاً ، وتبصراً، وكذلك قالوا : تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش . زعموا ان هذه اعراض تحدث في ذاته . تعالى الله عن قولهم . قالوا : ان هذه الحوادث هي الخلق، والقدرة، تتعلق بهذه الحوادث ، والمخلوق يقع تحت الخلق لا تتعلق به القدرة ، فالخلق عندهم هو القدرة على التخليق ، وهو قوله لما يريد أن يخلقه كن جوهراً ، وهذا يوجب ان يحدث في ذاته كاف ، ونون ، وجيم ، وواو ، وهاء ، وراء ، والف ، وسمع ، وارادة . قالوا : واذا اراد اعدام شيء يقول له افن فيصير الشيء فانيا . والافناء والاعدام يكونان في ذاته لا يفنيان ، وهذا يوجب ان يكون الشيء موجوداً معنى لوجود الاعدام ، والايجاد في ذاته على زعمهم ، وان قالوا انهما يغنيان عن ذاته حكموا بتعاقب الحوادث وهو اول ما يستدل به على حدوث الأجسام . كيف وقولهم يوجب ان الحوادث في ذاته سبحانه اضعاف الحوادث في العالم . فاذا دلت حوادث العالم على حدوثه فما هو أضعاف تلك الحوادث اولى ان يدل على حدوث محلها ولم يجد هؤلاء في الامم من يكون لهم القول بحدوث الحوادث في ذات الصانع غير المجوس فرتبوا مذهبهم على قولهم . وذلك ان المجوس قالوا : تفكر « يزدان » في نفسه انه يجوز أن يظهر له منازع ينازعه في مملكته ، فاهتم لذلك فحدثت في ذاته عفونة بسبب هذه الفكرة فخلق منها الشيطان . فلما سمعت الكرامية هذه المقالة بنوا عليها قولهم بحدوث الحوادث في ذاته سبحانه . تعالى الله عن قولهم . فلزمهم ان يجوزوا حلول الالم واللذة ، والشهوة ، والموت ، والعجز ، والمرض عليه فان من كان محلا للحوادث لم يستحل عليه هذه الحوادث كالاجسام .

ومما احدثوه من البدع قولهم : ان كل اسم يشتق له من افعاله كان ذلك الاسم ثابتاً له في الازل . مثل الخالق ، والرازق ، والمنعم . وقالوا : انه كان خالقاً قبل ان خلق ، ورازقاً قبل ان رزق ، ومنعماً قبل ان انعم . فقيل لهم اذا لم يكن خلق

= ص ٢١ فقال : وثم طائفة كثيرة تقول إنه تعالى تقوم به الحوادث وتزول وأنه تعالى كلم موسى عليه الصلاة والسلام بصوت وذلك الصوت عدم ، وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف وغيرهم » ا هـ .

فبماذا يكون خالقاً ، فقالوا : خالق بخالقية ، ورازق برازقية ثم طردوا ـ سخنت عيونهم ـ فقالوا : عليم بعالمية ، قادر بقادرية ، لا بعلم ، ولا بقدرة ، وان كان له علم وقدرة . فلحقوا بالمعتزلة في قولهم انه عليم قادر لا بقدرة ، وزادوا عليهم قولهم ان له علماً ، ثم امتنعوا ان يقولوا انه في الازل خالق بخلقه او لخلقه قالوا . اذا لم يكن خلق لا يمكن ان يقال انه خالق بخلقه . وهذا يوجب عليهم ان لا يمكنهم القول بأنه خالق في الازل اذلا خالق بلا خلق . كما لا يمكنه القول بأنه خالق لخلقه اذلا خالق بلا خلق ، كما لا خالق للخلق الا بخلق .

وقولهم بالخالقية والعالمية احداث لفظ لم يتكلم به عربي ، ولا عجمي ، ولا تعجب منهم ان يحدثوا مثل هذه العبارة ، وقد تكلم زعيمهم في كتاب القبر مما هو اعجب منه فقال : باب كيفوفية الله . فلا يدري العاقل مم يتعجب من لفظه الذي اطلقه ، او من حسن معرفته بمواضع العربية . وليت شعري كيف اطلق الكيفية عليه ، ولعله اراد ان يخترع من نفسه عبارة لم يسبق اليها تليق بعقله فانه قد قال في هذا الكتاب لما اراد ان يعبر عن مكان معبوده فقال : له حيثوثية يختص بها واراد ان يتكلم على مخالفيه فقال : اذا قال لك الشكاك باحوقيتهم . وهذا الكتاب الملقب بعذاب القبر اصل مذهبهم ، وحكمه في الوصف والمعنى كما ذكرت لك . ولما اغتر بهم بعض أغمار الولاة نفق لهم سوق تطاولوا به على الرعايا ، فلحق بهم اقوام مسهم شيء من الفضل في باب الأدب فاستحيوا من اظهار كتاب الملقب بعذاب القبر ، فوضعوا كتاباً آخر سموه بهذا الاسم ونسبوه اليه وهم يظهرونه وأخفوا اصله الذي صنفه .

واعلم ان من نوادر جهالاتهم فرقهم بين القول والكلام . وقولهم ان كلام الله قديم ، وقوله حادث وليس بمحدث ، وله حروف واصوات ، وانما هو قدرته على التكليم والتكلم . واي عاقل يسوغ تفسير الكلام بالقدرة . وقالوا : كلامه ليس بمسموع ، وقوله مسموع . ومن سوء اختيارهم لحوقهم بالمعتزلة في القول بالواجبات العقلية قبل ورود الشرع ، وفي القول بايجاب اشياء وحظر اشياء على الله تعالى ، وترتيبهم عليه شريعة كما رتبها عليهم . ومن كانت هذه مقالته لم يكن في

نفسه الانقياد للعبودية ، وانما يطلب درجة المساواة معه . ونعوذ بالله من قول يؤدي الى ذلك .

ومن بدعهم في باب النبوة والرسالة قولهم : ان النبوة والرسالة عرضان حالان في الرسول والنبي والنبوة ليست هي المعجزة ، ولا الوحي ، ولا العصمة . ويزعمون ان من حصل فيه ذلك المعنى وجب على الله تعالى ان يرسله الى الخلق رسولاً بذلك المعنى ، فاذا ارسله يكون مرسلاً ولم يكن قبله مرسلاً ولهذا المعنى يقولون : ان النبيﷺ في القبر رسول وليس بمرسل ، والذي عليه أهل السنة انه في القبر رسول ومرسل على معنى ان الله تعالى ارسله وانه أدى رسالته ، وهذا الاسم مستحق له وان كان قد فرغ من ذلك الفعل كما ان المؤمن في قبره مؤمن على معنى ان هذا الاسم مستحق له فيما تقدم من فعله . وكذلك في العرف والعادة يطلق اسم ما فعله الانسان من قبيح وان كان قد فرغ من فعله . كما يسمى حاجاً ، وغازياً، او سارقاً ، او زانياً ، وان كان قد فرغ من فعله . وكذلك اسم الحرف كالخياط، والنجار ، والصفار وان كان فارغاً من فعله ، ولا عاقل يستجيز ان يقول ان المسمى بالرسول مشتغل بادآء رسالته في قبره ، كما ان المسمى لهذه الاسماء التي عددناها لا يكون مشتغلاً بفعله الذي سمي به ولكنه يكون مستحقاً لوصفه بما سبق منه من فعله . واعلم بان هذا الذي قالوه في وصف الرسول من ان هذا المعنى فيه عندهم عرض خلق فيه قبل ان اوحى اليه ليس بكسب ولا له فيه كسب ، وما لا يتعلق بكسبه لا يكون له عليه أجر بحال كخلقه وخلقه ولونه وكونه .

ومن بدعهم في باب الإمامة ان علياً ومعاوية كانا امامين محقين في وقت واحد ، وكان واجباً على أتباع كل واحد منهما طاعة اميره . ولو كان كما قالوا لوجب ان يكون كل واحد منهما ظالماً في مقاتلة صاحبه . لان من زاحم إماماً عادلاً محقاً كان مبطلاً ظالماً .

ومن بدعهم في باب الايمان قولهم : ان الإيمان قول مجرد لا هذا القول الذي يقوله القائل الآن انه لا إله إلا الله . ولكن هذا القول الذي صدر عن ذرية آدم في

بعث الميثاق حين قال الله تعالى : « وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى»[1] ويقولون : ان ذلك القول قول باق ابداً لا يزول حكمه الا ان يرتد عنه فحينئذ يزول حكمه . وقالوا : ان الزنديق او المنافق اذا قال بلسانه لا إله إلا الله وفي قلبه النفاق والزندقة فهو مؤمن حقاً ، وإيمانه كايمان الانبياء والمرسلين . وقالوا : ان المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ كان إيمانهم كايمان جبريل ، ومكائيل ، وجميع الانبياء والاولياء .

ومن خرافاتهم في باب الفقه قولهم : ان الصلاة جائزة في ارض نجسة ، وفي مكان نجس ، وفي ثياب نجسة ، وانها جائزة وان كان بدنه نجساً وزعموا ان الطهارة من النجاسة ليست بواجبة ، ولكن الطهارة من الحدث واجبة ، وزعموا ان غسل الميت ليس بواجب ، ان الصلاة عليه ليست بواجبة ولكن تكفينه ودفنه واجب وزعموا ان الصلاة المفروضة والحج المفروض لا يحتاجان الى النية ويكفي فيهما النية السابقة في الذر الاول وكذلك في جميع الفرائض ، ولكن النوافل تجب فيها النية لانهم لم يقبلوها في الذر الاول . وليتهم علموا انهم من اين يقولون هذا ، ومن اين علموا انه قد عرضت عليهم الفرائض بتفاصيلها وقبولها فان كانوا يبنون هذا على ما في القرآن ، وليس في القرآن اكثر من عرض كلمة الايمان عليهم .

ومن حماقاتهم مع ما حكيناه من جهالاتهم في الفروع ، والاصول ، ان زعيماً من زعمائهم كان يريد تفصيل الكلام على الفقه ، وكان يقول ان علم الشافعي ، وأبي حنيفة جملته لا تخرج من سراويل امرأة ، ومن تكلم على سبيل التحقير على علم الشريعة ، وقصد الازراء بائمة الدين ، وتكلم فيهم وفي علم الشريعة بمثل هذا الكلام كان بعيداً من ان يكون له حظ من الديانة ، وكان من متأخريهم رجل يقال له ابراهيم بن مهاجر وكان يقول : ان الاسم عرض في المسمى قائم به . وكان مع ذلك يقول : ان الله تعالى جسم . وكان يقول : ان قول القائل الله ، الرحمن ، الرحيم ، الخالق ، الرازق كلها اعراض في المسمى . وكان يجري ذلك في أسماء الناس . وكان

---

(١) الاعراف : ١٧٢ .

يقول : ان الزاني ليس بجسم بل هو عرض في جسم ، وان الحد يكون حداً على الجسم لا على الزاني . وهكذا كان يقول في السارق وغيره من الاسماء . وهذا يوجب ان يكون معبوده عرضاً لاذات الباري جل جلاله ومن أراد ان يجمع كتاباً يحصر فيه فضائحهم طال عليه الامر وتعذر عليه الحصر . فنسأل الله التوفيق والعصمة من كل الحاد وبدعة .

الباب الثاني عشر

في تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم

وجملة المشبهة صنفان : صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات . وصنف منهم يشبه صفاته بصفات اغياره .

واول من افرط في التشبيه من هذه الأمة السبأية[1] من الروافض الذين قالوا بآلهية علي كرم الله وجهه حتى أحرق علي قوماً منهم ، فازدادوا بعده عتواً في ضلالتهم ، وقالوا : الآن علمنا على الحقيقة انه الاله . لان النبي ﷺ قال : (لا يعذب بالنار الا رب النار)[2] .

ـ ثم البيانية : اتباع بيان بن سمعان[3] الذي كان يقول ان معبوده نور صورته صورة انسان ، وله اعضاء كاعضاء الانسان ، وان جميع اعضائه تفنى إلا الوجه .

ـ ثم المغيرية : اتباع مغيرة بن سعيد العجلي[4] الذي كان يقول : ان للمعبود اعضاء واعضاؤه على صورة حروف الهجاء .

---

(١) هم اتباع عبد الله بن سبأ ، رأس الفتنة وموقدها : وهو الذي قال لعلي : أنت الاله حقاً ، فنفاه علي الى المدائن :- انظر «التعريفات » ص / ٧٩ .

(٢) وفي لفظ ابي داود ٢ : ٢١٩ : كتاب الحدود : باب الحكم فيمن ارتد . بلفظ : «لا تعذبوا بعذاب الله » رواه احمد في مسنده ١ : ٢١٧ باللفظ السابق .

(٣) سبقت ترجمة بيان بن سمعان .

(٤) سبقت هذه الفرقة ، والحديث عن المغيرة صاحبها .

ـ ثم المنصورية : اتباع ابي منصور العجلي [1] الذي كان يقول : انه صعد الى السماء الى معبوده وان معبوده مسح على رأسه وقال يا بني بلغ عني .

ـ ثم الخطابية [2] : الذين كانوا يقولون : بالهية الأئمة . وكانوا يقولون : ان ابا الخطاب الاسدي إله .

ـ ثم الحلولية [3] الذي كانوا يقولون : ان الله تعالى يحل في صورة الحسان . ومتى ما رأوا صورة حسنة سجدوا لها .

ـ ومن جملة المشبهة المقنعية : وهم مبيضة [4] ما وراء النهر يدعون إلهية المقنع .

ـ ومن جملتهم الهشامية : اتباع هشام بن الحكم الرافضي [5] الذي كان يقيس معبوده على الناس ، وكان يزعم ان معبوده سبعة اشبار بشبر نفسه ،وأنه يتلألأ كما تتلألأ النقرة البيضاء من كل جانب .

ـ ومن جملتهم الهشامية وهم اتباع هشام بن سالم الجواليقي الذي كان يزعم : ان معبوده على صورة انسان ، ولكن نصفه الاسفل مصمت ، ونصفه الاعلى مجوف . وله شعر اسود على رأسه ، وان قلبه منبع الحكمة نبع الماء من العيون .

ـ ومن جملتهم اليونسية : اتباع يونس بن عبد الرحمن القمي الذي كان يقول : حملة عرش الرحمن يحملونه وان كان هو اقوى منهم ، كما ان رجل الكركي تحمل بدنه وان كان بدنه اقوى من رجله .

وكان داود الجواربي [7] من جملة المشبهة يثبت لمعبوده جميع اعضاء الانسان . وكان يقول : أعفوني عن الفرج واللحية . والكرامية من جملة المشبهة لقولهم بانه

(١ ـ ٤) سيأتي الحديث عن هذه الفرق قريباً.

(٥) قد سبق ذكر الهشامية في عداد الامامية .

(٦) قد تقدم ذكر اليونسية في عداد الإمامية .

(٧) ذكره السمعاني في «الانساب» عند الكلام على الهشامي ، وقد ذكر الاشعري في «المقالات» ١ : ٢٥٨ ، والتميمي في «الفرق بين الفرق» ص / ٢٢٨ .

جسم وله حد ونهاية ، وانه محل الحوادث ، وانه مماس للعرش ملاق له . فهؤلاء كلهم مشبهة ذاته بالذوات . واما مشبهة الصفات فهم المعتزلة البصرية الذين اثبتوا ارادة حادثة كارادات الانسان . قالوا انها من جنس ارادتهم ، وشبهوا كلامه بكلام الخلق وقالوا : انه عرض حال في جسم . وكذلك الكرامية شبهوا في الصفات فقالوا : ان ارادته وقوله عرض حادث من جنس كلام الخلق وارادتهم .

والزرارية من الروافض : اتباع زرارة بن اعين زعموا ان حياته، وعلمه ، وقدرته ، وسمعه وبصره ، كحياة الخلق ، وعلمهم ، وقدرتهم ، وسمعهم ، وبصرهم . وزعموا انها كلها حادثة مثل صفات الاجسام .

والشيطانية من الروافض :زعموا انّ الله تعالى لا يعلم الشيء قبل ان يكون حتى يكون ، وان علمه محدث كعلوم العباد . ومن تأمل قول هؤلاء المشبهة علم كفرهم وضلالتهم ، ولم يبق له في ذلك شبهة فاستغنى بذكرها عن اقامة الحجة عليها.

الباب الثالث عشر
في بيان فرق أهل البدع الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يعدّون في زمرة المسلمين ولا يكونون من جملة الاثنين والسبعين وهم أكثر من عشرين فرقة

١ - الفرقة الاولى :

منهم السبأية[1] اتباع عبد الله بن سبأ وقد ذكرنا من مقالتهم طرفاً ونزيدها شرحاً وبياناً ، وذلك انه كان ذلك انه كان من غلاة الروافض وكان يقول : في اول امره ان عليا كان نبيا . ثم زاد على ذلك فقال : كان إلها . وكان يقول . هو الاله في الحقيقة ، وكان يدعو الخلق الى مقالته فاجابته جماعة اليها في وقت علي كرم الله وجهه . فلما رفع خبره الى علي امر بحفر حفرتين وكان يحرقهم فيهما حتى قال الشاعر في معناه :

لِتَرْمِ الحوادثُ بي حيث شاءَتْ   اذَا لَمْ تَرْمِ بي في الحُفْرَتَيْنِ

ولما احرقهم علي رضي الله عنه نفى عبد الله بن سبأ الى ساباط المداين . فلما قتل علي قال عبد الله بن سبأ . ان علياً حي لم يقتل ، ولم يمت ، وانما الذي قتل شيطان تصور بصورته وتوهمت الناس انه قتل كما توهم اليهود والنصارى ان المسيح قتل . قال : وهذا التوهم منهم خطأ وهذا القول منهم كذب بل هو في السماء ، وعن قريب ينزل وينتقم من اعدائه . وقال بعضهم : انه في الغيم والرعد صوته والبرق سوطه ، واذا سمعوا سوط الرعد قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين . وقال

(١) انظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ١٧٤ ، و «المقالات» ١ : ٨٥. و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٣٣ .

اسحاق بن سويد العدوي في صفتهم :

برئْتُ من الخوارجِ لَسْتُ منهم	من الغزَّال منهم وابن بَابِ
ومن قومٍ إذا ذَكَرُوا عَلِيّا	يَرُدُّون السَّلاَمَ عَلَى السَّحَابِ
ولكني احِبُّ بِكُلِّ قَلْبي	واعْلَمُ أنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولَ الله والصِّدِّيقَ حُبّاً	به أَرْجُو غَداً حُسْنَ الثَّوَابِ

ووافق ابن السوداء عبد الله بن سبأ بعد وفاة علي في مقالته هذه ، وكانا يدعوان الخلق الى ضلالتهما ويقولان اذا نزل من السماء تفتح له عينان في مسجد الكوفة احداهما من العسل ، والأخرى من السمن ، وشيعته يأكلون منهما .

واعلم ان ابن السوداء كان رجلاً يهودياً، وكان قد تستر بالاسلام اراد ان يفسد الدين على المسلمين، فتعلق بهؤلاء ووافقهم فيما كانوا فيه لهذا الغرض الفاسد ، والعجب من هؤلاء يلعنون ابن ملجم ، ويزعمون ان الذي قتله ابن ملجم كان شيطاناً، ومن قتل شيطانا كان محموداً ، فكيف يلعنونه مع هذه العقيدة .

٢ ـ الفرقة الثانية :

منهم البيانية[١] اتباع بن سمعان التميمي الذي كان يقول بامامة محمد بن الحنفية وقد ذكرناهم قبل . غير ان كثيراً من اتباعه يقولون انه كان نبيا . وانه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ . وقالوا : هو المراد بقوله «هذا بيان للناس»[٢] . وقوم من اتباعه قالوا انه كان الها وقالوا : انه روح الاله قد حل فيه ، وانه يحل في الانبياء والأئمة ، وينتقل من واحد الى واحد آخر ، وقالوا : ان روح الاله قد انتقل عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية الى بيان . وكان يدعي لنفسه الالهية على معنى الحلول ، وكان يدعي انه يعرف اسم الله الاعظم ، وانه يدعو به الزهرة فتجيبه ، ولما وصل خبره الى خالد بن عبد الله القسري صلبه وكفى الله شره .

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ١٥٢ ، و «المقالات» ١ : ٦٦ و «الكامل» لابن الأثير ٥ : ٨٢ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٣٦ .

(٢) آل عمران : ١٣٨ .

٣ ـ الفرقة الثالثة : [١]

منهم المغيرية اتباع مغيرة بن سعيد العجلي . وكان في الابتداء يدعي موالاة الامامية . وكان يقول : بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي . وكان يستدل بما روى ان النبي ﷺ قال: «ان المهدي يوافق اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي»[٢] .

وكان يقول : ان هذا محمد بن عبد الله ، والنبي عليه السلام محمد بن عبد الله . فلما استقام له التقدم بين الروافض ادعى النبوة لنفسه ، وكان يدعي انه يعرف اسم الله الاعظم ، وانه يحيي به الموتى ويهزم به الجيوش . وكان يقول : ان معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله خرافات كثيرة كان يلبس بها على اتباعه . ولما رفع خبره الى خالد بن عبد الله القسري صلبه . وتعرف اتباعه اليوم بمحمدية الروافض لقوله بإمامة محمد بن عبد الله .

٤ ـ الفرقة الرابعة : [٣]

منهم الحربية اتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وكان على دين البيانية وكان يدعى ان روح الاله انتقل عن عبد الله بن محمد الحنفية اليه ، وكان يدعى لنفسه الالهية على معنى الحلول .

٥ ـ الفرقة الخامسة : [٤]

منهم المنصورية وهم اتباع ابي منصور العجلي وكان يدعي ان الإمامة انتقلت اليه من الباقر ، وكان يدعي انه رفع الى السماء ، وان الله مسح على رأسه ، وانزله الى

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ١٧٦ ، و«المقالات» ١ : ٦٨ . و«النجوم الزاهرة» ١ : ٢٨٣ ، «وتاريخ ابن الاثير» : ٨٢ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٢٣٨ .

(٢) اخرجه ابو داود في سننه ٢ : ٢٠٧ : في اول كتاب المهدي وابن حبان انظر الموارد : ٤٦٤ باب ما جاء في المهدي .

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٦٨ و ٩٤ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٣ .

(٤) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٤ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٣ . و«الملل والنحل» ١ : ١٧٨ .

الارض. وكان يقول. انما هو الكسف الذي في قوله تعالى : «وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم»[1] وهذه الفرقة ينكرون القيامة ، والجنة ، والنار ، ويقولون ان الجنة نعيم الدنيا ، والنار محن الدنيا وعادتهم الخنق يستحلون خنق مخالفيهم ، وبقيت فتنتهم الى ايام يوسف بن عمر الثقفي والى العراق ، فلما عرف حالهم صلب العجلي وانقطعت فتنتهم .

٦ ـ الفرقة السادسة : [2]

منهم الجناحية وهم من جملة الغلاة اتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يزعمون ان روح الاله تحل في الانبياء والأئمة ، وتنتقل من بعضهم الى بعض ، وكانوا ينكرون القيامة ؛ والجنة والنار ويستحلون الزنا ، واللواطة ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة ، ولا يرون وجوب الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، ويؤولون ذلك على موالاة قوم من أهل البيت ويدعون ان عبد الله بن معاوية لم يمت ، وانه في جبل اصفهان الى ان يخرج والمشهور ان ابا مسلم صاحب دولة بني العباس بعث اليه عسكراً فصلبوه وقتلوه .

٧ ـ الفرقة السابعة : [3]

هم الخطابية اتباع ابي الخطاب الاسدي . وهم خمس فرق هم يقولون ان الإمامة كانت في اولاد علي الى ان انتهت الى محمد بن جعفر الصادق ويقولون ان الأئمة كانوا آلهة وكان ابو الخطاب يقول في ايامه ان اولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله واحباؤه ، وكان يقول ان جعفراً إله فلما بلغ ذلك جعفراً لعنه وطرده ، وكان ابو الخطاب يدعي بعد ذلك الالهية .

وكان اتباعه يقولون : ان جعفراً كان إلها الا ان ابا الخطاب كان افضل منه ،

---

(١) الطور : ٤٤ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٦٧ . و«الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٥

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٥ ، و«الملل والنحل» ١ : ١٧٩ و«دائرة المعارف للبستاني ١ : ٤٨٣ ، و«الخطط» ١ : ٣٥٢ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٧ .

والخطابية يرون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم . وخرج ابو الخطاب على والي الكوفة في ايام المنصور فبعث عسكراً اليه فاسروه وامر بصلبه في كناسة الكوفة . واتباعه كانوا يقولون : ينبغي ان يكون في كل وقت امام ناطق ، وآخر ساكت . والأئمة يكونون آلهة ويعرفون الغيب .

ويقولون : ان علياً كان في وقت النبي صامتاً ، وكان النبي ﷺ ناطقاً . ثم صار علي بعده ناطقاً . وهكذا يقولون في الأئمة الى ان انتهى الامر الى جعفر . وكان ابو الخطاب في وقته إماماً صامتاً ، وصار بعده ناطقاً، واتباع ابي الخطاب افترقوا بعد صلبه خمس فرق :

١ ـ منهم المعمرية :[١] كانوا يقولون ان الإمام بعد ابي الخطاب رجل اسمه معمر ، وكانوا يعبدونه كما يعبدون ابا الخطاب . وكانوا يقولون : ان الدنيا لا تفنى . وكانوا ينكرون القيامة ويقولون بتناسخ الارواح .

٢ ـ ومنهم الربيعية :[٢] اتباع ابي ربيع . وكان يقول ان جعفراً كان إلهاً ولم يكن جعفر ذلك الذي يراه الناس. بل كان ما يراه الناس صورة مثاله ، وكانوا يقولون : انه لا مؤمن الا والله تعالى يوحي اليه . وعلى هذا المعنى كانوا يتأولون قوله تعالى : «وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلاً»[٣]، وكان يقول: معناه بوحي الله . وكان يقول : اذا جاز ان يوحي الى النحل كما ورد في قوله تعالى : «واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون»[٤]، لم لا يجوز أن يوحى الينا . وكان يقول : قد يكون فيما بينهم من هو افضل من جبريل ، ومكائيل ، ومحمد عليهم السلام . وان الواحد منهم اذا انتهى الى النهاية رفع الى الملكوت ، وهم يرون الذين رفعوا الى الملكوت غدوة وعشياً .

---

(١) انظر في شان هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٧ ، و «الملل والنحل» ١ : ١٨٠ و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٨ .
(٢) انظر في شان هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٧ ، و «الملل والنحل» ١ : ١٨٠ و «الخطط» ٢ : ٣٥٢ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٨ .
(٣) آل عمران : ١٤٥ .
(٤) النحل : ٦٨ .

٣ ـ ومنهم العمروية :[1] اتباع عمرو بن بيان العجلي . وهؤلاء كانوا يعبدون جعفراً ويرونه إلهاً . .

٤ ـ ومنهم المفضلية :[2] اتباع مفضل الصيرفي . وكان يقول بالهية جعفر ويتبرأ من أبي الخطاب .

٥ ـ ومنهم الخطابية المطلقة :[3] وكانوا يقولون انه لم يكن بعد ابي الخطاب إمام .

٨ ـ الفرقة الثامنة

الغرابية :[4]

وكانوا يقولون ان الله تعالى بعث جبريل الى علي فغلط وجاء الى محمد . قالوا : وانما غلط لانه كان يشبه محمداً . وكان اشبه به من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب من اجل هذا سموا غرابية . وهؤلاء كانوا يلعنون صاحب الريش يعنون به جبريل عليه الصلاة والسلام وقد انزل الله سبحانه في صفة اليهود حين قالوا ان جبريل عدو لنا ولم يكونوا يلعنونه قوله تعالى : «من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين »[5] وهؤلاء اولى بهذه الصفة لأنهم يلعنونه واليهود ما كانوا يلعنونه .

واعلم ان من هؤلاء الغرابية قوم يقال لهم المفوضة[6] كانوا يقولون : ان الله تعالى خلق محمداً وفوض اليه تدبير العالم . فكان هو الخالق للعالم، ثم انه فوض بعده الى علي تدبير العالم . فهؤلاء القوم شر من المجوس الذين قالوا : ان الله خلق الشيطان وفوض اليه الامر فكان الشيطان يخلق الشرور . لان هؤلاء قالوا بالتفويض

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة في «المقالات» ١ : ٧٨ ، و «الملل والنحل» ١ : ١٨١ و«الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٩ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٨ ، و «الملل والنحل» ١ : ١٨١ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٠ .

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٠ .

(٤) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٠ .

(٥) البقرة : ٩٨ .

(٦) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥١ .

في الشر والخير ، وهؤلاء شر من النصارى حين قالوا : ان عيسى كان إلهاً ، وكان المدبر الثاني للعالم ، لان هؤلاء نقلوه من شخص الى شخص ، واولئك اقتصروا على المسيح .

ومن الغرابية ايضاً قوم يقال لهم الذمية[1] كانوا يقولون ان علياً بعث محمداً حتى يدعو الخلق الى إلهيته . فجاء محمد وادعى الرسالة من إله آخر ويذمون محمداً ﷺ بهذا السبب ولهذا سموا الذمية .

٩ ـ الفرقة التاسعة :

منهم الشريعية ، والنميرية .

والشريعية[2] اتباع رجل كان يدعى شريعاً . وكان يقول : ان الله تعالى حل في خمسة اشخاص . في محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وكانوا يقولون : ان هؤلاء آلهة ولهؤلاء الخمسة خمسة اضداد .

ثم كان قوم منهم يقولون ان اضدادهم مذمومون . وقوم منهم يقولون انهم لا يذمون لان فضل هؤلاء لا يتبين الا باضدادهم وهذا الشريعى كان يدعي لنفسه الالهية .

وكان النميري[3] خليفته وكان يدعي لنفسه مثله بعده . وجملة النميرية ، والشريعية والخطابية ، وكانوا يدعون الهية جعفر الصادق ، وكانوا يقولون ان جعفراً دفع اليهم جلداً مكتوباً فيه كل علم يحتاجون اليه . وكانوا يقولون لا يقرأ ما في ذلك الجلد إلا من كان على دينهم ، وقال هارون بن سعد العجلي في صفتهم :

أَلَمْ تَرَ إِنَّ الرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا ... وكُلُّهُمُ في جَعْفَرٍ قال مُنْكَرا
فطائفةٌ قالوا : إلَهٌ ، ومِنهُمُ ... طَوَائفُ سَمَّتْه النبيَّ المُطَهَّرا
وَمِنْ عَجَبٍ لم أقضه جلد جفرهم ... بَرِئْتُ إلَى الرَّحمنِ مِمَّن تَجَعْفَرا

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥١ .
(٢) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٢ . و «المقالات» ١ : ٨٢ .
(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٨٤ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٢ .

برئتُ إلى الرَّحمن من كُلّ رافِضٍ	بصير بباب الكُفْرِ في الدِّين اعْوَرَا
وَلَـو قيل إنَّ الفيلَ ضَبٌّ لَصدَّقُوا	ولـو قيل زَنْجِـيٌّ تحـوَّلَ احْمَرَا
وأخْلفَ من بَوْلِ البَعيرِ فإنّه	إذَا هُوَ للإقْبـال وُجِّـهَ أدْبَرَا

١٠ ـ الفرقة العاشرة :

منهم الحلولية وهم فرق ظهرت في دولة الاسلام ، كان غرضهم افساد التوحيد على المسلمين . فمن جملتهم ما ذكرناهم من غلاة الروافض الذين ادعوا حلول الاله في الأئمة كما حكيناه عنهم من قبل . وحدث بعدهم اقوام من الحلولية ، كالمقنعية بما وراء النهر ، والرزامية ، والبسركوكية ، والحلمانية ، والحلاجية ، والغذافرة .

١ ـ اما الرزامية : فانهم افرطوا في موالاة ابي مسلم[1] صاحب الدولة العباسية وقالوا : ان الإمامة انتقلت من ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الى محمد بن عبد الله بن عباس بوصية ابي هاشم ، ثم انتقلت من محمد الى ابنه ابراهيم ، ثم من ابراهيم الى عبد الله الذي كان يدعي ابا العباس السفاح ، ومنه الى ابي مسلم . وهؤلاء يعترفون بموت ابي مسلم الا فريق منهم اسمهم ابو مسلمية قالوا : ان ابا مسلم حي ، وانه روح الآله انتقلت اليه ، وهم على انتظاره ويقولون : ان الذي قتله ابو جعفر المنصور كان شيطاناً تصور بصورة ابي مسلم .

٢ ـ وأما المقنعية :[2] فهم مبيضة ما وراء النهر . وكان زعيمهم رجلاً كان يعرف بالمقنع وكان رجلاً قصاراً اعور من قرية من قرى مرو . كان قد نظر في شيء من الهندسة والنيرنجات ، وكان على دين الرزامية . ثم ادعى لنفسه الالهية

---

(١) هو ابو مسلم : هو عبد الرحمن بن مسلم ، وقيل : عثمان ، الخراساني ، القائم بالدعوة الى العباسيين . قتله ابو جعفر المنصور في شعبان في سنة / ١٣٧ هـ ويقال :سنة /١٣٦هـ ويقال : في سنة / ١٤٠ هـ . انظر «وفيات الاعيان » رقم : ٣٤٥.

وانظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات » ١ : ٩٤ ، و «الملل والنحل » ١ : ١٥٣ و «الفرق بين الفرق » ص / ٢٥٦ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الملل والنحل » ١ : ١٥٤ ، و «الفرق بين الفرق » ص / ٢٥٧ وانظر «العبر » ١ : ٢٣٥ في حوادث سنة / ١٦١ هـ .

واحتجب من الناس فاغتر به جماعة من أهل جبل ابلاق ودامت فتنته اربع عشرة سنة ، ووافقه جماعة من الاتراك على كفره ، وكانوا يغيرون على المسلمين ويهزمون عساكر المسلمين في ايام المهدي بن المنصور وكان المقنع احل المحرمات لاتباعه ، واسقط منهم الصلاة والصوم؛ وجملة الفرائض، وكان يقول لا تباعه : انه هو الإله وانه يظهر مرة بصورة آدم ، وكان يظهر بعده في صورة كل واحد من الانبياء . وظهر في صورة علي ، ثم في صورة اولاده ، على الترتيب الذي ذكرناه ثم في صورة أبي مسلم ، وقد ظهر الآن في صورة هشام بن الحكم يعني به نفسه .

وكان يقول انما يظهر في هذه الصورة لان عبيدة لا يطيقون ان يروه في صورته الاصلية، وان من رآه في صورته الاصلية احترق . فالح عليه قومه وقالوا : نحن نريد ان نراك في الصورة الاصلية فقال : هذا شيء سأله قوم موسى فاحترقوا ، وذلك في القرآن في قوله : «واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون»[1] فقال قوم منهم رضينا بذلك ويجوز لنا ان نراك ونحترق ، فوعدهم يوماً وأمر فوضع له منبر في مقابلة الشمس وقت الضحوة ، وعلق مرآة مقعرة من الحديد الصيني فوق المنبر بحيث يكون شعاعها الخارج بينهما بالزاوية القائمة في مقابلة الباب الذي يدخلون منه ، ثم اذن لهم بعد ارتفاع النهار ، وامر برفع الستر . فلما وقع عليهم الشعاع احترق منهم قوم ، وهرب الباقون من ذلك المكان فاغتر به القوم ولم يطالبوه بعد ذلك بالرؤية . وكانوا يتابعونه بعد فيما يأمرهم به ، واتخذ حصاراً « بكش » وكان عرض جداره مائة آجرة ، وكان قد احدث قدام الجدار ثلاثة خنادق ، بين كل خندقين جدار . فبعث المهدي جنداً فيهم سبعون الف مقاتل ، واتبعهم سعد بن عمرو الجرشي مع عسكر آخر ، وكانوا يقاتلون المقنع سنين . فأمر هو باصلاح سلالم من الخشب ومن الحديد وكان يصنعها على عرض تلك الخنادق ، وبعث الى مولتان حتى حمل اليه عدد كثير من جلود الجواميس ، فملأها رملا وطرحها في الخندق ليعبر عليه العسكر . فلما رأوا تلك الحال استأمن اليه ثلاثون الفاً منهم وقتل الباقون ، وكان المقنع قد اصلح تنوراً اذاب فيه السكر ،

---

(١) البقرة : ٥٥ .

والقطران ، فلما ضاق به الامر طرح نفسه فيه حتى ذاب ولم يبق منه شيء يظهر . فلما طلبه من بقي من اتباعه لم يجدوا منه شيئاً قالوا : انه رفع الى السماء واتباعه اليوم اكثر تلك القرى ، وبجبل ابلاق لا يصلون ، ولا يصومون ولهم مساجد بنوها يستأجرون من يؤذن لهم فيها يستحلون أكل الميتة ، والخنزير، والزنا، حتى ان كل واحد منهم يستحل حليلة صاحبه، ويخفون هذه الأحوال عن عوام ابلاق.

٣ ـ وأما الحلمانية : أتباع رجل يقال له أبو حلمان الدمشقي . وكان أصله من فارس ولكنه أظهر بدعته في دمشق . وكان يقول : كل شخص حسن فروح الإله حال فيه ، وقومه اذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها ، وكان يقول : ان كل من كان اعتقاده مثل اعتقادي فلا تكليف عليه ، وكل ما يشتهيه فهو حلال له .

٤ ـ وأما الحلاجية : فهم ينتسبون الى أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج[1] من أرض فارس من بلد يقال له بيضاء ،وكان في أول أمره يتكلم على لسان الصوفية ويتعاطى العبارات التي تسميها الصوفية الشطح ، وهو ان يتكلم بكلام يحتمل معنيين . أحدهما : مذموم . والآخر : محمود . وكان يدعي في كل علم وافتتن به أهل العراق وجماعة من أهل طالقان خراسان ، واختلف المتكلمون ، والفقهاء ، والصوفية ، في حاله . أما المتكلمون فاكثرهم على أنه من الحلولية . وكان محتالا ممخرقا واليه ذهب القاضي أبو بكر[2] وحكى في كتابه كثيراً من حيله ،

---

(١) هو ابو المغيث ، الحسين بن منصور، الحلاج . نشأ بواسط والعراق ، وصحب ابا القاسم الجنيد ، والناس في امره مختلفون ، فمنهم من يبالغ في تعظيمه ، ومنهم من يكفره وفي سنة / ٣٠٩ هـ امر المقتدر العباسي بضربه الف سوط، فإن مات منها وإلا ضربت عنقه ، فأخرجوه عند باب الطاق ، واجتمع خلق كثير في العامة ، وضربه الجلاد الف سوط، ثم قطع اطرافه الاربعة ، ثم جز رأسه ، واحرق جثته فلما صارت رماداً القاه في دجلة ، ونصب الرأس ببغداد على الجسر.

وقد قال عنه الامام الرفاعي الكبير في كتابه « البرهان » : « لو كان على الحق ما قال أنا الحق » . أنظر « وفيات الأعيان » ترجمة رقم : ١٨١ ، و « العبر » : ٢ : ١٣٨ ـ ١٤٤ ، والطبقات الكبرى » ١ : ١٢٦ .

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، الباقلاني ، البصري ، المتكلم على مذهب الأشعري ، الذي أيد اعتقاده ، ونصر طريقه . صنف كثيرا من التصانيف . وكان موصوفاً بجودة الاستنباط . وقوة الحجة ، وسرعة الجواب . توفي في آخر يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة/٤٠٣ هـ .أنظر ابن خلكان ترجمة رقم : ٥٨٠ . و « تاريخ بغداد » ٥ : ٣٧٩ ، و « شذرات الذهب » ٣ : ١٦٨ ، و « العبر » ٣ : ٨٦ .

وجماعة من متكلمي البصرة يقال لهم السالمية وهم من جملة الحشوية يتكلمون ببدع متناقضة ، قبلوه . وقالوا : انه كان صوفيا محققاً وله كلام في معان دقيقة في حقائق الصوفية . وكذلك الفقهاء اختلفوا في حاله . سئل أبو العباس بن سريج عن حاله لما أريد قتله فتوقف فيه ، وأفتى أبو بكر بن داود بجواز قتله ، وكذلك أهل التصوف اختلفوا في حاله . فرده عمرو بن عثمان المكي[1] وأبو يعقوب الأقطع[2] وردوا من كلامه أنه قال يوما للجنيد (أنا الحق) فقال له الجنيد أنت بالحق أي خشبة تفسد فظهرت فراسته حتى صلب بعد ذلك وقبله أبو العباس بن عطاء[3] وأبو عبد الله بن خفيف[4] وأبو القاسم النصرآبادي[5] وفارس الدينوري[6] . وقالوا : أظهر الله عليه أحوالا من الكرامات وكان من حقه أن يحفظ سره فيها فعاقبه الله تعالى بتسليط من كان يرده عليه حتى بقي حاله مشكلا ملبساً قالوا : والدليل على صحة باطنه انه كان يقطع يده ورجله ويقول حسب الواحد أفراد الواحد .

وحكى عنه أنه سئل يوما عن دينه فقال : ثلاث أحرف لا عجم فيهما ، ومعجومان وانقطع الكلام . قالوا أراد به التوحيد والذين قالوا بتكفيره انما قالوه لما حكوا عنه انه كان يقول : كل من هذب نفسه في الطاعة ، وصبر على اللذة ،وصفا حتى لا يبقى فيه شيء من البشرية حل فيه روح الإلـه كما حل في عيسى عليه السلام ، ولا يريد شيئا الا كان كما أراد ، ويكون جملة فعله قول الله تعالى . وكان

---

(١) هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان ، المكي ، شيخ الصوفية ، وصاحب التصانيف في الطريق . صحب الخراز والجنيد ، وروى عن يوسف بن عبد الأعلى وجماعة . وتوفي في سنة/ ٢٩٧هـ أنظر «العبر» ١ : ١٠٧ .

(٢) هو أبو يعقوب : اسحاق بن محمد ، شيخ الصوفية ، صحب الجنيد وغيره ، وكان من كبار العارفين ، توفي في سنة/ ٣٣٠ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٢٢١ .

(٣) هو أبو العباس : أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، الأزدي ، الزاهد ، أحد مشايخ الصوفية القانتين . توفي في ذي القعدة من سنة/ ٣٠٩ هـ بالعراق . أنظر « العبر » ١ : ١٤٤ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف ، الشيرازي ، الزاهد ، شيخ إقليم فارس . توفي في ثالث رمضان سنة/ ٣٧١ هـ عن خمس وتسعين سنة .

(٥) هو أبو القاسم : ابراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمويه ، النيسابوري ، النصرابادي ، الزاهد ، الواعظ ، شيخ الصوفية وشيخ المحدثين أيضاً ، مات في مكة في شهر ذي الحجة من سنة/ ٣٦٧ هـ .

(٦) هو فارس بن عيسى ، الصوفي ، من أصحاب الجنيد، توفي في حدود سنة/ ٣٤٠ هـ .

يدعي لنفسه هذه المنزلة ، ووجد له كتب كتبها الى أتباعه عنوانها « من الهو هو رب الأرباب المتصور في كل صورة الى عبده فلان » واتباعه كانوا يكتبون اليه « يا ذات الذات ومنتهى غاية اللذات ، نشهد انك تتصور فيما شئت من الصور ، وأنك الآن متصور في صورة الحسين بن منصور ونحن نستجيرك يا علام الغيوب » ويقال : أنه اختدع جماعة من خواص المقتدر ، فخاف المقتدر فتنته فعرض حاله على الفقهاء ، واستفتى فيه الفقهاء فوافق مراده فتوى أبي بكر بن داود فأمر حتى ضرب ألف سوط ، وقطعت يداه ورجلاه ، وصلب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة . ثم امر حتى انزل من خشبته وأحرق وطرح رماده في دجلة ، وأتباعه الذين من أهل طالقان قالوا : أنه حي وان الذي قتل كان شخصا ألقى عليه شبهه . والله أعلم بحقيقة الأمر .

٥ ـ واما العذافرة : فهم اتباع رجل ظهر في ايام الراضي بن المقتدر[١] سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وهو أبو العذافر محمد بن علي الشلمغاني وكان يدعي أن روح الاله قد حل فيه ، وكان يسمي نفسه روح القدس ، وكان قد وضع لأصحابه كتاباً سماه كتاب « الحاسة السادسة » وكان قد أباح لهم اللواطة في ذلك الكتاب ، وأتباعه كانوا يبيحون له حرمهم ، وكانوا يقولون : انه إذا ألم بشخص وصل نوره اليه . فقتله الراضي بالله وظفر بجماعة من أصحابه مثل الحسين بن القاسم بن عبد الله وأبي عمران ابراهيم بن محمد بن المنجم[٢] ووجد الكتب التي كتبوها اليه فوجد فيها انهم قالوا في وصفه « أنه قادر على كل شيء » فعرضوا على الفقهاء الذين كانوا في زمانه مثل ابن سريج . فأظهروا التوبة فأفتى أبو العباس بن سريج بقبول توبتهم كما هو مذهب الشافعي ، وأفتى أبو الفرج المالكي على مذهب مالك أنه لا تقبل توبتهم إذا عثر عليهم ، وإنما تقبل توبتهم إذا أظهروا حالهم على الابتداء . فأمر الراضي بالله

---

(١) هو أبو اسحاق : أحمد ـ ويقال محمد ـ بن المقتدر بالله جعفر ، ولد في سنة/ ٢٩٧ ، ومات في شهر ربيع الأول من سنة ٣٢٩ هـ وله احدى وثلاثون سنة ونصف سنة . وأنظر في شأن هذه الفرقة : « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٦٤ .

(٢) هو ابراهيم بن أبي عون . انظر ما ذكر عنه الذهبي في « العبر » ٢ : ١٩٠ .

بقتلهما مع أبي العذافر وطرح رمادهم في دجلة بعد احراق جثثهم .

١١ ـ الفرقة الحادية عشرة :

منهم الخرمية [١] وهم فرقتان :

فرقة منهم كانوا قبل دولة الاسلام : وهم المزدكية كانوا يستحلون المحرمات كلها ، وكانوا يقولون : ان الناس كلهم شركاء في الأموال ، والحرم ، وقتلهم أنوشروان في أيام مملكته .

والفريق الثاني من الخرمية ظهروا في دولة الاسلام كالبابكية ، والمازبارية ، ويسمون المحمرة .

١ ـ فالبابكية : اتباع بابك الخرمي [٢] الذي ظهر بناحية أذربيجان وكثرت أتباعه وكان يستحل المحرمات كلها وهزم كثيراً من عساكر بني العباس في مدة عشرين سنة الى أن أسر مع أخيه اسحاق وصلب بسر من رأى في أيام المعتصم .

٢ ـ وأما المازبارية : فهم أتباع مازبار [٣] فانه كان يدعو الى دين المحمرة ،

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة في : « مروج الذهب » ٣ : ٣٠٥ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٢٦٦ ، و« الملل والنحل » ١ : ٢٤٩ .

(٢) بابك : رجل فارسي مجوسي الأصل ، دخل في الاسلام وسمي الحسن ، وفي بعض الأصول الحسين . حدثته نفسه بان يسترجع ملك فارس ، فاستعصم بالجبل المعروف بالبدين من أصل الران . وفي سنة/ ٢٠١ هـ في عهد المأمون اظهر أمره واعلن العصيان . وفي سنة/ ٢١٢ جهز المأمون جيشاً بقيادة الطوسي ولكنه قتل . وفي سنة/ ٢٢٠ هـ جهز المعتصم جيشاً بقيادة الأفشين ، والتقى الجيشان فهزم الأفشين جيش بابك ، وقتل منهم نحو الألف . ثم هرب بابك الى موقان . ثم التقيا مرة أخرى في سنة/ ٢٢٢ هـ فهزمهم الأفشين هزيمة منكرة ، ونجا بابك فلم يزل الأفشين يتحيل له حتى أسره في جبال أرمينية . ثم أخذه الى المعتصم ، وفي سنة/ ٢٢٣ هـ أمر المعتصم بقطع أطرافه وصلبه . « العبر » ١/ في مواضع شتى انظرها في الفهرس ، و« مروج الذهب » ٤ : ٥٥ .

(٣) مازيار : أصله فارسي ، واسمه الأصلي مازبار بن مازن بن بندار ، ودخل في الاسلام وتسمى محمداً . وكان صاحب جبال طبرستان . أعلن العصيان في عهد المعتصم سنة/ ٢٢٤ هـ . فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر ابن الحسين يأمره بحربه ، فسير اليه عمه الحسن بن الحسين فكانت له معه حروب كثيرة ، وما زال حتى اسره =

وظهر له أتباع في جبال طبرستان ، واليهم تنسب قنطرة المحمرة بجرجان وذاك من آثارهم ، وقبض عليه أيضا في أيام المعتصم وصلب أيضا بسر من رأى في مقابلة بابك الخرمي ، وللبابكية في تلك الجبال ليلة يجتمعون فيها على كل نوع من الفساد من الخمر ، والزمر وغير ذلك . ويجتمع فيها الرجال والنساء ، ثم يطفئون السراج والنيران ، ويقوم كل واحد منهم بواحدة من النساء اللاتي جلسن معهم كيفما يقع . وهؤلاء الخرمية يدعون أنه كان لهم ملك في الجاهلية اسمه شروين ، ويفضلونه على الأنبياء ، ومتى ما ناحوا على ميت لهم أخذوا باسمه ندبة ، ونياحاً تفجعا عليه .

١٣ ـ الفرقة الثانية عشرة :

منهم أهل التناسخ : وهم قوم من الفلاسفة قبل الاسلام وكان سقراط من جملتهم ، وكان في دولة الاسلام من أهل التناسخ فريقان . فريق من جملة القدرية ، وفريق من غلاة الروافض . وماني الثنوي[1] قال بالتناسخ في بعض كتبه ، وذكر ان أرواح الصديقين اذا خرجت من أبدانهم اتصلت بعمود الصبح الى أن تبلغ النور الذي فوق الفلك ويكونون في السرور دائما ، وأرواح أهل الضلالة تتناسخ في أجسام الحيوان فلا تزال تنتقل من حيوان الى حيوان الى أن يصفو من ظلمته ، فحينئذ يتوصل بالنور الذي فوق الفلك .

وقوم من اليهود أيضا يقولون بتناسخ الأرواح ويقولون انهم وجدوا في كتاب دانيال . أن الله تعالى مسخ بخت نصر في سبع صور من صور الدواب ، والسباع .

وأما الذين يقولون بالتناسخ من القدرية فهم أتباع أحمد بن خابط . وكان من أصحاب النظام وكان ينتسب اليه ويقول بالطفرة وينفي الجزء الذي لا يتجزىء ؛ وكان يقول : ان قدرة الله تعالى تنقطع حتى لا يقدر على أن يزيد في نعيم أهل الجنة

= وحمله الى سامرا . فضرب المازيار بالسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب الى جانب بابك . انظر « العبر » ١ : ٣٨٩ ، و « مروج الذهب » ٤ : ٩١ .

(١) وهو الذي تنسب اليه طائفة المانوية ، وكان في الأصل مجوسياً . أنظر في أمره « الملل والنحل » ١ : ٢٤٤ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٧١ .

شيئا ، ولا أن يزيد في عذاب أهل النار شيئا ، وكان انتسابه اليهم بهاتين المقالتين ، ثم زاد عليهم القول بمذهب أهل التناسخ ، وكان أحمد بن بانوش من أصحابه ، وكان ينتسب اليه ويقول بالتناسخ ، وبينهما خلاف كثير في مواضع وكان ، أحمد بن محمد القحطي في زمان الجبائي يجمع بين القول بالاعتزال والتناسخ وكان عبد الكريم ابن أبي العوجاء[1] خال معن بن زائدة[2] في السر على دين المانوية وكان يقول بالتناسخ ، وكان في الظاهر ينتسب الى القدرية والرافضة ووضع كثيراً من الأحاديث اغتر بها الروافض وأفسد على الروافض صومهم ووضع لهم حساباً يغيرون به رءوس الشهور ، ونسب ذلك الى جعفر بن محمد بن جعفر الصادق رضي الله عنه ، ولما ظهر خبر وضع الحساب أمر بقتله أبو جعفر محمد بن سليمان الهاشمي فصلب .

وبينهم خلاف كثير في معنى التناسخ كان أحمد بن خابط يقول : ان الله خلق الخلق في أبدان صحيحة وعقول تامة في دار ليست دار الدنيا ، وخلق لهم المعرفة به ، وأتم نعمته عليهم ، وأمرهم بشكره . وكان يقول : ان الانسان في الحقيقة هو الروح لا هذا القالب الذي نشاهده وان الروح هي عالم قادر .

وكان يقول : ان الحيوانات كلها جنس واحد ، وان جميع الحيوانات في محل التكليف . ثم كان يقول : أن من أطاعه في تلك الدار أقره هناك ، ومن عصاه هناك أخرجه منها الى النار ، وكل من عصاه في البعض وأضاعه في البعض بعثه الى دار الدنيا ، وألبسه هذه القوالب وابتلاهم تارة بالشدة ، وتارة بالراحة ، وتارة بالألم ، وتارة باللذة ، وجعل قوماً منهم في صورة الناس ، وقوماً في صورة الطيور ، وقوماً في صورة السباع ، وقوماً في صورة الدواب ، وقوما في صورة الحشرات كالحية وما أشبه ذلك وكانت درجاتهم في هذا المعنى على قدر معاصيهم . فمن كانت معصيته

---

(١) قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » رقم ١٥٦٧ في ٢ : ٦٤٤ : « عبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن بن زائدة . زنديق مفتر . قال ابو أحمد بن عدي : لما أخذ لتضرب عنقه قال : لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديثاً أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام ، وقتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة » .. اهـ .

(٢) معن بن زائدة الشيباني : أحد الأبطال المغاوير ، كان أمير سجستان ، وفي سنة/ ١٥١ هـ في عهد المهدي قتله الخوارج غيلة . أنظر « المعارف » ص/ ٤١٣ .

أقل في تلك الدار كانت صورته في الدنيا أحسن ، ومن كانت معصيته هناك أكثر كان قالب روحه في الدنيا أقبح .

ويقولون : ان الحيوان في الحقيقة هو الروح ولا يزال في دار الدنيا ينتقل من قالب الى قالب على مقدار الطاعات والمعاصي من قوالب الناس والدواب حتى تتمحص طاعاته فينقل الى دار النعيم ، أو معاصيه فينقل الى دار الجحيم . وخالفه أحمد بن بانوش فقال : متى كان في صورة بهيمة لا يكون عليه تكليف . وكان أحمد ابن خابط يقول : بل يكون عليه التكليف ويكون التسخير للذبح ، والركوب عقوبة له . وكان أحمد بن بانوش يقول : من المكلفين من يكرر طاعاته حتى يصير مستحقا لان يصير نبياً أو ملكا .

وكان القحطي منهم يقول : ان الله تعالى لم يكلفهم ابتداء ولكنهم سألوا ان يكلفهم ليرفع به درجاتهم لأن الله تعالى عرفهم أنهم لا يدركون الدرجات الا بالتكليف ، وانهم ان عصوا يستحقون العقوبة ، وقالوا رضينا به . وكان يقول : هذا معنى قوله تعالى : «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً»[1] .

وكان أبو مسلم الحراني منهم يقول : ان الله تعالى خلق أرواحهم وكلف به من علم انه يعصيه لكنهم عصوا على الابتداء فنقلهم بالمسخ والنسخ الى قوالب مختلفة على قدر معاصيهم .

١٣ ـ الفرقة الثالثة عشرة :

خابطية القدر . أصحاب أحمد بن خابط[2] وقد ذكرنا قوله في التناسخ ، وكان مشاركا للفضل الحدثي[3] في ضلالاته . وهو أنه كان يقول : للخلق إلهان أحدهما

---

(١) الأحزاب : ٧٢ .

(٢) تقدم الحديث عنه ، وقد ذكرنا الخلاف في ضبط اسم أبيه .

(٣) انظر في أمره : « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٧٧ .

قديم ، والآخر محدث وهو عيسى بن مريم ، وكان يقول : عيسى بن مريم ابن الله لا على معنى الولادة ، ولكن على معنى انه تبناه ، وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة ، وهو الذي يقول الله تعالى فيه: «وجاء ربك والملك صفاً صفاً»[1] ويقول فيه: «هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور»[2]. قال: فقد خلقه الله على صورة نفسه . قال: وهو المراد بقول النبي ﷺ : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر »[3] وبقوله عليه الصلاة والسلام : (أن الله لما خلق العقل وقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر . فقال له . ما خلقت خلقا أكرم منك بك أعطي وبك آخذ[4]، وقولهم في هذا شر من قول الثنوية حين أضافوا الأفعال الى فاعلين اثنين .

١٤ ـ الفرقة الرابعة عشرة :

الحمارية من القدرية . وهم قوم من المعتزلة يسكنون عسكر مكرم . واختاروا من بدع القدرية ما هو شر وأقبح لركاكة عقولهم ، وسخافة معارفهم ، فأخذوا القول بالتناسخ من أحمد بن خابط ، وأخذوا من عباد بن سليمان الضمري قوله : ان الذين مسخهم الله قردة وخنازير كانوا ناساً بعد المسخ . وأخذوا من جعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري[5] قوله : ان النظر الأول الذي تحصل به المعرفة فعل لا فاعل له وكان يقول : ان الخمر ليس من فعل الله ولكنه من فعل الخمار .

---

(١) الفجر : ٢٢ .

(٢) البقرة : ٢١٠ .

(٣) ورد هذا الحديث بألفاظ أخرجه بنحوه البخاري : في مواقيت الصلاة : باب فضل صلاة العصر، وباب فضل صلاة الفجر . وتفسير سورة (ق) . وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة» ومسلم: في المساجد : باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، وأبو داود : في السنة : باب في الرؤية ، والترمذي : في صفة الجنة : باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في الزوائد عن الزهد بسند ضعيف .

(٥) كان خالد بن عبد الله القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك بن مروان في سنة/ ١٠٦ هـ ، ثم ولي هشام أبا عبد الله يوسف بن عمر الثقفي العراق ومحاسبة خالد ، وسائر أعماله فحاسبه وعذبهم الى أن مات خالد تحت العذاب . انظر « المعارف » في عدة مواضع ترشد اليها بالفهرس.

وكان يقول : ان من وضع اللحم حتى يدود كان الدود من خلقه ، ومن دفن الآجر والتبن حتى تولد منه العقرب كان العقرب من فعله ، ومن دفن الكمأة حتى صارت حية كانت الحية من فعله ، فنسبوا خلق الدود ، والحية ، والعقرب ، الى الانسان في هذه المواضع .

١٥ ـ الفرقة الخامسة عشرة :

منهم يزيدية الخوارج . اتباع يزيد الخارجي[١] وكان من البصرة ، ثم رجع الى جور فارس وكان علي رأى الاباضية من الخوارج . وكان يقول : ان الله تعالى يبعث رسولاً من العجم ، وينزل عليه كتاباً ينسخ به شريعة محمد ﷺ . وكان يقول : اتباعه يكونون في الصائبة المذكورة في القرآن .

١٦ ـ الفرقة السادسة عشرة :

منهم ميمونية الخوارج . وهم اتباع رجل كان اسمه ميموناً[٢] وكان على مذهب العجاردة ثم خالفهم ورجع الى مذهب القدرية في باب القدر ، والارادة ، والاستطاعة . ثم اختار من دين المجوس استحلال بنات البنات ، وبنات البنين ، واباح لاتباعه التزوج بهن ، وكذلك اباح لهم التزوج ببنات الاخوة والاخوات ، وكان ينكر سورة يوسف ويقول انها ليست من القرآن .

١٧ ـ الفرقة السابعة عشرة :

منهم الباطنية[٣] وفتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال ، فان فتنة الدجال

---

(١) ورد هذا الاسم في أصول الدين ص / ٦٢ ، «يزيد بن أنيسة » . وانظر في شأن هذه الفرقة في : «الملل والنحل » ١ : ١٣٦ ، و«المقالات » ١ : ١٧٠ . و«الفرق بين الفرق » ص / ٢٧٩ .

(٢) سماه في «الملل والنحل» : «ميمون بن خالد» . وسماه المقريزي في «الخطط»٢ : ٣٥٤ : «ميمون بن عمران» .
وانظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات » ١ : ١٦٤ ، و«الملل والنحل » ١ : ١٢٩ ، و«الفرق بين الفرق » ص / ٢٨٠ .

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق » ص / ٢٨١ ، ووفيات الاعيان » : ١ : ٤٠٩ عقب ترجمة ابن المغيث الحلاج ، و «تاريخ ابن الأثير» في حوادث سنة / ٢٧٨ هـ ، وسنة / ٢٨٦هـ ، وسنة / ٢٨٩ هـ ، وسنة / ٣٠١ هـ ، وسنة / ٣١١ هـ ، وسنة / ٣١٧ هـ ، و«الخطط» ٢ : ٣٥٧ .

إنما تدوم اربعين يوما ، وفتنة هؤلاء ظهرت ايام المأمون وهي قائمة ، بعد. وانما ظهرت فتنتهم عن تدبير جماعة وهم عبد الله بن ميمون القداح وكان مولى جعفر بن محمد الصادق ، ومحمد بن الحسين المعروف بدندان وجماعة كانوا يدعون (الجهاربجة)[1] الذين كانوا مع الملقب بدندان ومع ميمون بن ديصان كلهم اجتمعوا في سجن العراق ووضعوا مذهب الباطنية . فلما خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم واول من قام بها محمد بن الحسين الملقب بدندان ابتدأ الدعوة في اكراد جبال توز حتى دخل في دعوته جماعة من أهل بدين ، ثم ان ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب وانتسب الى عقيل بن أبي طالب[2] فلما اجابته جماعة ادعى انه من اولاد محمد ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ، فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا ان محمد بن اسماعيل بن جعفر خرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شيء قد اتفق عليه النسابة ، ثم ظهر في اتباعه رجل اسمه حمدان قرمط فدعا اهل البحرين ، وكان ابو سعيد الجنابي الذي تغلب على أهل البحرين من اتباعه واجابه جماعة . ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح الى المغرب وغير اسمه ونسبه فقال : انا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق واجابه جماعة من أهل المغرب ، ثم خرج منهم رجل كان يدعى ابا حاتم الى ارض الديلم فاجابته منهم جماعة ودخل في دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن علي المروزي في الوقت الذي كان يتولى هراة ومروروذ ، ولما قتل قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن احمد النسفي المعروف بالبزدوي . وابو يعقوب السجزي اقام دعوته بناحية سجستان . وهذا البزدوي صنف لهم كتاباً سمى واحداً منها كتاب «المحصول» وآخر كتاب«اساس الدعوة»وآخر كتاب «كشف الاسرار» وآخر كتاب « تأويل الشريعة » وذكر اهل التاريخ ان دعوة الباطنية ظهرت في ايام المأمون وانتشرت في ايام المعتصم ، ودخل في دعوتهم من حشم المعتصم رجل يقال له أفشين وكان بسببه يداهن بابك الخرمي حتى هزم عدداً من عساكر المسلمين حتى اجتمع ابو دلف

---

(١) اي الغلمان الاربعة .

(٢) هو اخو علي بن ابي طالب رضي الله عنه مات في زمن يزيد بن معاوية .

العجلي وقواد عبد الله بن طاهر وهزموا بابك الخرمي واسروه ، وصلب بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

وذكر اهل التواريخ ان الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من اولاد المجوس ، وكان ميلهم الى دين اسلافهم . ولكنهم لم يقدروا على اظهاره مخافة سيوف المسلمين . فوضعوا قواعد على موافقة اساس وضعوه حتى تغتر به الاغمار . وذلك ان الثنوية قالوا : ان للعالم صانعين احدهما النور يكون منه الخيرات والمنافع ، والآخر الظلمة يكون منه الشرور والمضار .

وقالوا : ان جملة الاجسام امتزجت منهما . ثم قالوا : ان كل واحد من هذين الاصلين له طبائع اربعة : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة . ثم اقتدى بهم المجوس وقالوا : ان للعالم صانعين : (يزدان ، واهرمن) ثم غيرت الباطنية عباراتهم فقالوا : ان الله تعالى خلق النفس وكان الله هو الاول، والنفس هو الثاني ، وربما قالوا : العقل هو الاول ، والنفس هو الثاني ، وزعموا ان هذين يدبران العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاربعة . وهذا بعينه قول المجوس حيث قالوا : ان مدبر العالم اثنان : احدهما قديم ، والآخر حادث حدث من فكرته ، الا ان المجوس قالوا : هما (يزدان واهرمن) والباطنية قالوا : هما العقل والنفس . وقد كان منهم من جملة البرامكة من سعى في اظهار عبادة النار بين المسلمين . فقال لهارون الرشيد ينبغي ان ترتب في الكعبة لحراق العود ، والند ، ليكون ذلك أثراً زائداً على من قبلك . واراد بذلك ان يجعل الكعبة بيت نار ، فلما وقف عليه علماء زمانهم عرفوا الخليفة حاله وصرفوه عن ذلك الرأي .

وكما ان الباطنية احتالوا في اصول الدين احتالوا في اختداع اتباعهم واستمالة قلوبهم فاباحوا لهم جملة اللذات والشهوات ، واباحوا لهم نكاح البنات والاخوات ، واسقطوا عنهم فرائض العبادات ، وتأولوا اركان الشريعة . فقالوا : معنى الفرائض موالاة زعمائهم ، وأئمتهم . ومعنى المحرمات تحريم موالاة ابي بكر وعمر ، وكل من خالف مذهب الباطنية .

وكانوا يؤولون الملائكة على دعاتهم الذين يدعون الى بدعتهم وقالوا : ان الشياطين هم الذين لا يكونون على مذهبهم من المسلمين من علماء اصحاب الحديث والرأي ، وكانوا يسمون موافقيهم على بدعهم المؤمنين، ومخالفيهم الحمير والظاهرية .

وكان من جملتهم رجل اسمه عبيد الله بن الحسين القيرواني[1] كتب رسالة الى سليمان بن الحسن القرمطي وكتب فيها : « اوصيك بتشكيك الناس في التوراة ، والانجيل، والقرآن ، فانه اعظم عون لك على القول بقدم العالم ، واوصيك اليك بان تعرف مخاريق الانبياء والامور التي ناقضوا فيها ، كما قال عيسى لليهود انا لا ارفع شيئاً من شريعتكم ولا انسخ ثم رفع السبت ووضع بدله الاحد ، وغير قبلة موسى ، فلما عثر اليهود منه على هذه المناقضة قتلوه، وينبغي ان لا تكون كصاحب الامة المنكوسة لما سألوه عن الروح لم يدر ما يقول فقال : «ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا» [2] وهم قبلوا منه ذلك. وينبغي ان لا تكون كموسى ادعى ما ادعاه ، ولم يكن له برهان سوى المخرقة وحيل الشعبذة، وذلكم المحق في زمانه قال: «**فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى**» [3] وانما سماه محقاً على مذهبه على معنى انه كان صاحب زمانه في دوره .

وذكر في تلك الرسالة فقال : «واعجب من هذا في دينهم ان الواحد منهم يكون له ابنة حسناء يحرمها على نفسه ويبيحها للاجنبي ، ولو كان له عقل لعلم أنه اولى بها من الرجل الأجنبي ، ولكنهم قوم خدعهم رجل بشيء لا يكون ابداً ، خوفهم بالقيامة والنار ، ومناهم الجنة ، واستعبدهم لهذا السبب فكيف لم يخف في نفسه مما خوفهم به حين استعبدهم في العاجل ولم يبال به» .ثم ذكر المدبر في آخر هذا الكتاب :

---

(١) هو عبيد الله الملقب بالمهدي، والد الخلفاء العبيديين الفاطميين. هلك في شهر ربيع الاول في سنة/٣٢٢ هـ بالمهدية التي بناها، وكان يظهر الرفض ويبطن الزندقة. انظر «العبر» ٢ : ١٩٣ .

(٢) الاسراء: ٨٥ .

(٣) النازعات : ٢٤ .

«انك واخوانك هم الوارثون الذين ورثوا الفردوس» واراد باخوانه الباطنية وزعم انهم هم الذين يرثون الفردوس ، ثم فسر الفردوس فقال : «هو نعيم الدنيا ولذاتها التي حرمها على هؤلاء الجهال الذين تمسكوا بشرايع قوم من المتنبئين، هنيئاً لكم الراحات التي وصلتم اليها والخلاص من التكليفات التي ابتلوا بها».

واعلم ان اول ما يحتالون به هؤلاء على السلاطين والعوام الذين لا خبرة لهم في العلوم تقبيحهم العلماء في اعين العوام يقولون : للواحد منهم ان علماءكم لا يعرفون شيئاً ، ولو شئتم لجربتموهم وعرفتم من حالهم ما يقولون . سلوهم لم وجب غسل الوجه في الوضوء ، والحدث خرج من موضع آخر؟ وأي حكمة وأي عاقل يستحسن مثل هذا ؟ ولم وجب غسل جميع البدن من قطرة منى خرجت منه ؟ ولم يجب على كثير من الحدث والبول يخرج منه إلا غسل اعضاء من البدن قالوا : وهذا بالعكس اولى .

واسألوا منهم لم كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات ، وصلاة الصبح ركعتين كل واحد منهما في طرف من طرفي النهار ؟ ولم كان الركوع واحداً والسجود اثنين ؟ ولم لم يقطع فرج الزاني ، وتقطع يد السارق ؟ وهما جميعاً آلة الخيانة .

واسألوهم لم كان اللسان واحداً ، والأذن اثنتين ؟ والذكر واحداً ، والخصية اثنتين ؟ ولم كانت الأهداب ثابتة على جفن الانسان ، ولا يكون لسائر الحيوانات الأهداب الا على احد الجفنين ؟ ولم كان ثدي الانسان على صدره، وثدي سائر الحيوانات على بطنها ؟ ولم كان بعض الحيوانات يبيض، وبعضها يلد ؟.

وإذا ظفروا بواحد من السلاطين والمحتسبين قالوا له : وضعت هذه الشريعة للحمير والعوام وانتم من جملة الخواص ينبغي ان يكون لدينك خاصية تخالف دينهم. ويقولون: ان النبيﷺ لم يكن نبياً ، ولا رسولا ، ولكنه كان حكيماً اراد ان يستعبد العوام فكلفهم هذه التكاليف ولابد للخواص ان يتميزوا عنهم ولا ينقادوا لشيء لا اصل له .

وإذا وردت هذه الاسئلة على العامي تحير فيها ، ورجع الى واحد من اهل

العلم فيقول العالم : لا تسمع هذا الكلام ولا تغتر به لانه كلام الباطنية ، وهذا الذي تسألني عنه إنما هو امور امر الله بها فلا اعتراض عليه ، ولو امر بخلافه لكان يجوز. واشياء خلقها الله كان يجوز ان يخلق بخلافها لعموم قدرته . الا ترى ان الله تبارك وتعالى خلق بعض الحيوانات على رجلين ؛ وبعضها على اربع ، وبعضها خلق بلا رجل تمشي على بطنها ، وفيها ما يطير بالجناح ، وخلق بعضها يمشي على البر ولو سقط في الماء هلك ، وبعضها يعيش في البر والبحر ؛ وخلق بعض الاجسام بحيث ترسب في الماء مثل الحجر والحديد ، وبعضها يطفو على الماء كالخشب وغيره . فهذا كله دليل عموم قدرة الله تعالى وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» [1].

فإذا رجع العامي الى من لقنه تلك الاسئلة وذكر له الجواب الذي وصفه . قال له : قد علمت الآن انك لا تعرف شيئاً ، فشككه في امر الدين ، وفي حال العالم ، فأوهم بذلك الغر الغمر ان تحتها حكمة عظيمة يعرفها ويقولون اذا تحير العامي : لا يعرف اسرار هذه الأمور غيرنا . فاذا طالبهم العامي ببيانه يقولون : ليس هذا من الاسرار التي تفشى بلا عهد ولا ميثاق ، فانها اسرار يعرفها الخواص . فيحلفونه بالله ، وبالرسول ، وبالعتاق ، والطلاق ، وتسبيل المال ، والنعم ، وان كان هذا اليمين لا خطر لها عندهم . فانهم لا يؤمنون بالله ، وبالرسول ، ولكنهم يريدون التهويل على المسلم . ويقولون ايضاً : لا نظهره الا بتقديم خير عليه فيطلبون مائة وتسعة عشر درهماً من السبيكة الخالصة . ويقولون : هذا تأويل قول الله تعالى : «واقرضوا الله قرضاً حسناً» [2] فالحاء ، والسين ، والنون ، والألف ، اذا جمع عددهم بحساب الجمل يكون مبلغه مائة وتسعة عشر فاذا سمع الغر هذا الكلام وبذل لهم العهد ، واعطى هذا المال ، قال لهم : لم يبق إلا ان تهدوني الى طريقكم ، وتفشوا إلي اسراركم ، فيخافون ان يظهروا له حقيقة ما هم عليه ، فيظهرون له ما

---

(١) الانبياء : ٢٣ .

(٢) المزمل : ٢٠ .

يشبه ان يكون ظاهره دين الاسلام حتى لا يبادر الى الانكار عليهم ، ويستقر مع ذلك مقدار من خرافاتهم . ثم يلقون الامر اليه درجة درجة فيسلخونه من الدين سلخاً .

فمما يلقونه الى المبتدىء قولهم : ان الله تعالى خلق ذوات الاربع من الحيوانات فاختار منها واحداً وهو الظبية جعلها محلا للمسك الذي فيه تكون هذه الروائح الطيبة في هذه الجنة . ويعنون بالجنة دار الدنيا ونعيمها ، وخلق ذوات الاجنحة من الحيوانات واختار منها واحدة وهي النحلة ، وجعلها محلاً للشهد الذي منه اطيب الحلاوات في هذه الجنة ، وخلق الحيوانات التي تمشي وتتحرك على بطنها فاختار واحدة وهي دودة القز ، وجعل منها الابريسم الذي منه زينة هذه الجنة ، وخلق الناس واختار منهم محمداًﷺ . فيستحسن المبتدىء هذا الكلام الذي يلقيه اليه ويقول : أتدري من محمد ؟ فيقول : نعم محمد رسول الله خرج من مكة وادعى النبوة ، واظهر الرسالة ، وعرض المعجزة ، فيقول ليس هذا الذي تقول الا كقول هؤلاء الحمير . يعنون به المؤمنين من أهل الاسلام . انما محمد انت فيستعيد السامع ويقول : لست أنا محمداً . فيقول له : الله تعالى وصف في هذا القرآن فقال : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم»[1] وهؤلاء الحمير يقولون من مكة . فيقول له الغر الغمر . على اي معنى نقول انا محمد ؟ فيقول : خلقك وصورك خلقة محمد ، فالرأس بمنزلة الميم ، واليدان بمنزلة الحاء ، والسرة بمنزلة الميم ، والرجلان بمنزلة الدال ، وكذلك انت علي ايضاً . عينك هي العين، والأنف هي اللام ، والفم هي الياء . ثم يقول : ان الله ما خلق شيئاً الا على صورة محمد وعلي حتى الفارة خلقها على هذه الصورة . يوهمه بأن قول القائل محمدﷺ وعلي رضي الله عنه لا لشخصين من الاشخاص المعينة . يريد النبيﷺ والمسمى بعلي رضي الله عنه .

وكذلك يقولون : ان المراد باثبات الذات يرجع الى نفسك ، ويؤولون عليه

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

قول تعالى : «فليعبدوا رب هذا البيت»[1] ويقولون : الرب هو الروح ، والبيت هو البدن . يمهدون بكلامهم هذا ان لا إله ولا نبي سوى هذا البدن على التصوير الذي صوره حتى يقرروا عنده ان لاتكليف عليه ، ولا قطع له عن الراحة البشرية ، ويبتدؤن بالدعاء لأهل البيت ويجتمعون بالسلخ عن الديانة ، وربما دعوا الى الأئمة السبعة او الأئمة الاثني عشر ، فاذا اجابهم الجاهل وأنس بهم قالوا : هذه الأئمة ناس مثلك ليس لهم شرف عليك ؛ هذه اسماء تذكر ولها سر معلوم انها هي المدبرة للعالم بطباعها ، فيخرجونه عن الدين بمثل هذه الحيل . وان صادفوا من له حرص على التنسك والعبادة كلفوه الوصال في الصوم اياما ، حتى اذا ضعف المسكين ومل عن جميعه ورأوا منه السلامة الظاهرة دعوه الى ترك العبادات والاقبال على اللذات وصوروا له ان الاصل لهذه التكليفات في الأمور الشرعية مثل ما ذكرناه بشرط تفهم ، وربما صوروا للغر طريق التناسخ كما وصفناه قبل ، ثم يختمون كلامهم بنفي الشريعة ونفي الرسول والمرسل . نسأل الله سبحانه وتعالى ان يكفي المسلمين شرهم فما هم الا كما قال الله تعالى : «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون»[2] . لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون .

---

(١) قريش : ٣ .
(٢) النحل : ١٠٨ .

الباب الرابع عشر

في بيان مقالات قوم كانوا قبل دولة الإسلام . والله أعلم بعددهم ، وإنما نذكر منهم ما اشتهر من جملتهم عند أرباب التواريخ وأصحاب المقالات

فمنهم قوم كانوا يعبدن صنما مصوراً ، وقوم كانوا يعبدون انساناً مثل الذين كانوا يعبدون جمشيد [1] والذين كانوا يعبدون نمروذ بن كنعان ، والذين كانوا يعبدون فرعون وهامان وما اشبه ذلك .

ومنهم قوم كان عاداتهم عبادة ما يستحسنونه من الصور المختلفة وهم من جملة الحلولية ، ومنهم قوم كانوا يعبدون الشمس . والقمر ، والكواكب ، وقوم كانوا يعبدون بعض الكواكب ، مثل الشعرى ، والجوزاء . وقوم كانوا يعبدون الملائكة ويقولون انهم بنات الله وهم الذين قال الله تعالى في وصفهم : «ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى»[2] .

وقوم كانوا يعبدون حيطانا . وقوم كانوا يعبدون البقرة ، ومنهم قوم كانوا قبل دولة الاسلام يدعون سوفسطائية ينفون الحقائق ، وقوم يسمون السمنية ينفون النظر والاستدلال ويقولون بقدم العالم ، وقوم يقال لهم الدهرية يقولون بقدم العالم وينكرون الصانع .

ومنهم قوم يدعون أصحاب الهيولى يقولون بقدم أصل العالم ويقرون

---

(١) يقولون ان اسمه متوشلخ .

(٢) النجم : ٢٧ .

بحدوث الأعراض . وقوم من الفلاسفة يقولون بأن للعالم صانعا قديما ، ولكن يقولون أيضا ان العالم قديم كما أن صانعه قديم ، ويقولون بقدم الصنعة والصانع وعلى هذا المذهب كان برقلس .

وقوم من الفلاسفة يقولون ان الطبائع الأربع قديمة . وهي الأرض ، والماء ، والنار ، والهواء ، وزاد على هؤلاء قوم منهم فقالوا : ان هذه الأربعة قديمة والأفلاك والكواكب أيضاً قديمة ، وزاد قوم منهم طبيعة خامسة زعموا أنها قديمة .

ومنهم قوم يقال لهم المجوس وهم أربع فرق : الزروانية ، والمسخية ، والخرم دينية ، والبه آفريدية[1] وهؤلاء كلهم على مذهب المجوس يقولون « بيزدان » و « أهرمن » .

ومنهم قوم يقال لهم الصابئة . وهؤلاء قوم ينتحلون مذهب أصحاب الهيولى كما وصفناه ، ومنهم قوم يقال لهم البراهمة ينكرون جميع الأنبياء ، ولكنهم يقولون بحدث العالم وتوحيد الصانع ، ومنهم قوم يقال لهم اليهود . وقد ورد عن النبي ﷺ أنهم يفترقون على احدى وسبعين فرقة .

واعلم أن سبب تفرقهم ما ذكره جمهور المفسرين : أن قوماً من بني اسرائيل لما طالت عليهم المدة وقست قلوبهم ، تكلفوا ووضعوا كتباً كما كانوا يشتهونه ، وكانوا يدعون ان تلك الكتب من عند الله ، وكانوا يقولون : ان من خالفنا في هذا قتلناه ، ثم تفكروا فقالوا : جميع بني اسرائيل لا يمكن قتلهم ، ولكن لبني اسرائيل عالم هو حبرهم فيما بينهم كبير نعرض ما وضعناه عليه فان قبله صار من أتباعنا وان لم يقبله قتلناه حتى يصير جميع بني اسرائيل تبعاً لنا . فراسلوه فعلم الرجل ما في أنفسهم فكتب كتاب الله في رق رقيق ، بخط دقيق ، ووضع ذلك في قرن ، ثم تقلد ذلك القرن ، ولبس فوقه الثياب ، ثم جاء اليهم فعرضوا عليه ما كان عندهم ، ودعوه الى الايمان به . فاشار الى صدره حيث كان ذلك القرن وقال : نعم آمنت بهذا وما لي لا أؤمن به . وكان له أصحاب كانوا يراعون حاله حتى مات فوجدوا معه ذلك القرن .

---

(١) نسبة إلى (به آفريد) بكسر الفاء وسكون الهاء .

فقالوا : انه انما قال لهذا القرن آمنت به واختلفوا فيه ووقع الخلاف بسببه في بني اسرائيل حتى صاروا احدى وسبعين فرقة ، خيرهم اصحاب القرن .

وعلى الجملة جميع اليهود في أصل الدين فريقان :

قوم منهم ينكرون نبوة محمدﷺ وقوم لا ينكرون يقولون : آنه كان نبياً ولكن كان مبعوثا الى العرب دون العجم وهم العيسويون يكونون بأصفهان ، واعلم أن جميع اليهود في أصول التوحيد فريقان : فريق منهم المشبهة . وهم الأصل في التشبيه ، وكل من قال قولا في دولة الاسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوالهم ، وأخذ مقالة من مقالهم الروافض وغيرهم ، ولهذا قال النبيﷺ : « الروافض يهود هذه الأمة » لأنهم أخذوا التشبيه من اليهود .

الفريق الثاني منهم : هم القدرية ينكرون الرؤية ويقولون : ان الحيوانات يخلقون أفعالهم ، واكثر الأمم كان فيما بينهم جماعة من القدرية ، ولهذا قال النبيﷺ : « لعنت القدر ية على لسان سبعين نبياً » والقدرية الذين ظهروا في دولة الاسلام اخذوا طريقهم من قدرية اليهود ، وقد كان في عصرنا جماعة ممن ينتسب الى أصحاب الرأي ، ويتستر بمذهبهم ، وهو يضمر الالحاد والقول بالقدر ، وكان يراجع اليهود ويتعلم منهم الشبه التي يغرون بها العوام وكفاهم خزياً تعلمهم من اليهود واقتداؤهم بهم . والله سبحانه وتعالى يكفي المسلمين شرهم .

ومنهم قوم يقال لهم النصارى ، وقد روينا في الخبر ان النبيﷺ : قال« انهم يفترقون على اثنتين وسبعين فرقة » ، وكانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام بعد ما رفع الى السماء احدى وثلاثين سنة ، وكانوا يجبرون على الاستقامة الى أن وقع بينهم وبين اليهود حرب .

وكان في اليهود رجل اسمه بولس[1] قتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم قال لليهود ان كان قوم عيسى على الحق ونحن قد كفرنا بهم يكون علينا غبن عظيم فانهم يدخلون الجنة ونحن ندخل النار ، ولكني احتال حيلة حتى أفسد عليهم دينهم ،

---

(١) تقدم الكلام عنه .

وكان له فرس اسمه عقاب ، وكان يقاتل عليه . فقام وعقر ذلك الفرس وأظهر الندم على ما كان منه ونثر التراب على رأسه ثم جاء الى النصارى متندما بظاهره فقالوا له من أنت ؟ فقال : أنا بولس كنت أشد عدواً لكم ولكني سمعت من السماء نداءين توبتك لا تقبل الا أن تتنصر . الآن تبت ورجعت الى دينكم . فأكرموه وأدخلوه كنيستهم فلازم بيتاً من بيوتها لم يخرج منه ليلا ولا نهاراً حتى تعلم الانجيل ، ثم خرج وقال سمعت من السماء ان توبتك قد قبلت وان صدقك قد عرف ، وانك قد أحببت وقبلت . ثم خرج الى بيت المقدس واستخلف رجلاً من نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة ،ثم خرج الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت[1] وقال لهم : ان عيسى لم يكن ناساً ثم صار ناساً ، ولم يكن جسماً ثم صار جسماً ، وكان ابن الله ، وعلم يعقوب هذا القول ثم دعا رجلا كان اسمه ملكاء وقال له : ان الاله الذي لم يزل ولا يزال هو عيسى . ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة وقال له : أنت صاحبي خالصاً فاني أريد أن أفضي اليك سراً ينبغي ان لا تترك نحلتك هذه وتدعو الخلق اليها ، فقد رأيت عيسى عليه السلام البارحة في المنام وكان راضياً عني . فينبغي أن لا ترجع عن نحلتك بحال . فاني أريد أن أتقرب الى الله تعالى بقربان لرضاه عني أذبح نفسي قربانا . ثم قام ودخل المذبح وذبح نفسه .

فلما كان اليوم الثالث من وفاته قام كل واحد من أولئك الثلاثة ودعا الناس الى نحلته . وتبع كل واحد منهم جماعة من الناس ، وكانوا يتقاتلون فيما بينهم وبقي بينهم ذلك الخلاف . ولم يزالوا يختلفون حتى بلغ عدد فرقهم مثل ما نطق به الخبر المروي في هذا الباب . وكان مذهبهم مذهب أصحاب الهيولى . وكانوا في بعض دينهم مع اليهود ، وفي بعضه مع النصارى ، وابتدعوا من عند أنفسهم أموراً كثيرة تخالف الفريقين .

ومنهم قوم يقال لهم السامرة وهم من جملة اليهود ولكنهم خالفوا في أشياء ، واعلم أن جميع من ذكرناهم في هذا الباب من الفرق كفار الا ان أحكامهم في كفرهم مختلفة في الشريعة كما نذكره في كتب الفقه .

---

(١) قال الزبيدي : « لاهوت ، يقال لله ، كما يقال : ناسوت للإنسان » أنظر شرح القاموس مادة « ل هـ ت » .

الباب الخامس عشر

في بيان اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة وبيان مفاخرهم ومحاسن أحوالهم ويقع في هذا الباب فصول ثلاثة :

أحدها : في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة .

الثاني : في بيان تحقيق النجاة لهم بالطرق التي ننبه عليها .

الثالث : في بيان فضائلهم .

الفصل الأول : في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة السليم عن جميع ما ذكرناه من الضلالات . فهو :

١ ـ أن تعلم أن العالم بجميع أركانه ، وأجسامه ، وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات وجميع الأفعال ، والأقوال ، والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول ، حادث بعد أن لم يكن شيئا ولا عيناً ، ولا ذاتا ، ولا جوهراً ، ولا عرضا ، والدليل على حدوثها أنها تتغير عليها الصفات وتخرج من حال الى حال ، وحقيقة التغيرات ان تبطل حالة وتحدث أخرى ، فأما الحالة التي حدثت فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة ، وما كان ضروريا لم يفتقر الى الاستدلال عليه ، ولا يجوز أن يقال انها انتقلت من باطن الجسم الى ظاهره لاستحالة الانتقالات على الصفات . وأما الحالة التي بطلت لو كانت قديمة لم تبطل ، فبطلانها يدل على حدوثها لأن القديم لا يبطل وانما قلنا ان القديم لا يبطل لأن خروج الذات عن صفة واجبة له في حال محال ، لأنها لو جاز خروجها عن تلك الصفة لصارت جائزة الوجود ، وما كان واجب الوجود لا يصير جائز الوجود كما أن جائز الوجود لا يصير واجب الوجود

بحال لأنهما صفتان متناقضتـان : وإذا تقـرر هذه الجملـة « أن صفـات الاجسـام مخلوقة » ثبت « ان الاجسام مخلوقة » لأن ما لا يخلو من الحوادث لا يستحق أن يكون محدِثا (بالكسر) وما لا يستحق ان يكون محدثا كان محدَثا (بالفتح) مثلها ، وقد نبه الله تعالى في كتابه على تحقيق هذه الدلالة واثنى عليها وسماها حجـة ، ومـن على الخليل ابراهيم عليه السلام بالهام هذه الدلالة اياه وجعلها سبباً لرفع درجته حيث قال : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » إلى قوله : « نرفع درجات من نشاء ان ربك عليم حكيم »[1] : استدل بالتغير على حدوث الكواكب والشمس والقمر . ثم ان الله تعالى نبه على هذه الطريقة من الاستدلال والاحتجاج فقال : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب »[2] وقال : «وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » الى قوله : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »[3] .

٢ ـ وأن تعلم أن المخلوق لا بد له من خالق ، لأن الاجسام لو كانت بأنفسها مع تجانس ذواتها لم تختلف بالصفات ، والأوقات ، والأحـوال ، والمحـال ، فلما اختلفت علمنا أن لها مخصصا قدم ما قدم ، وأخر ما أخر ، وخص كل واحد منها بما اختص به من الصفات ، لولاه لم يقع الاختصاص في شيء من الأوصاف ، لأن الاختصاص بأحد الجائزين يقتضي مخصصا لولاه لم يقع التخصيص به . وقد نبه الله تعالى على أصل هذه الدلالة بقوله : «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون »[4] معناه أم خلقوا من غير خالق كأنه قال من غير شيء خلقهم لما تقرر من استحالة ثبوت

---

(١) الأنعام : ٧٥ ـ ٨٣ .
(٢) آل عمران : ١٩٠ .
(٣) البقرة : ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٤) الطور : ٣٥ .

ما ثبت بوصف الخلق من غير خالق خلق ؛ ولا صانع دبر وصنع ، وأنت تعلم أيضا ان خالق الخلق قديم ، لأنه لو كان محدثا لافتقر الى محُدِث . وكان حكم الثاني والثالث وما انتهى اليه كذلك . وكان كل خالق يفتقر الى خالق آخر لا الى نهاية . وكان يستحيل وجود المخلوق والخالق جميعا . لأن ما شرط وجوده بوجود ما لا نهاية له من الأعداد قبله لم يتقرر وجوده لاستحالة الفراغ عما لا نهاية له لتنتهي النوبة الى ما بعد . وأصل هذه الدلالة في القرآن وهو قوله : «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم[1] » فبين أنه كان قبل ما يشار اليه بأنه محدث . وقوله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم[2]» والقيوم مبالغة من القيام وهو الثبات والوجود، وهذا دليل على اتصافه بالوجود في جميع الأحوال ، وانه لا يجوز وصفه بالعدم بحال وذلك حقيقة القدم . وقوله : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير[3] » و «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً»[4]. فان البركة هي الثبات . وأصله من البرك والبركة والبروك ، وتبارك مبالغة في معناه ، وهذا يوجب له الوجود في جميع الأحوال لم يزل ولا يزال ، وقد ورد في خبر عمران بن حصين ان النبيﷺ قال : « كان الله ولم يكن معه شيء[5] » وهذا يوجب السكون في جميع الأحوال .

٣ ـ وأن تعلم ان خالق العالم واحد . لأنه لو كان اثنين ولم يقدر احدهما على كتمان شيء من صاحبه كانت قدرتهما ناقصة متناهية ، وان قدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه كان علم كل واحد منهما ناقصاً متناهيا ، ومن كان علمه أو قدرته متناهيا ناقصا لم يكن إلها صانعا ، بل كان مخلوقا مصنوعا وقد نبه الله على هذه

---

(١) الحديد : ٣ .
(٢) البقرة : ٢٥٥ .
(٣) الملك : ١ .
(٤) الفرقان : ١ .
(٥) رواه البخاري في صحيحه ٤ : ٢٨١ بلفظ : « كان الله ولم يكن شيء قبله » ورواه أحمد في مسنده ٤ : ٤٣١ بلفظ : « كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء » .

الدلالة بقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا[1] » . وقال : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلا [2] » . وفي تحقيق التوحيد وردت سورة الاخلاص الى آخرها وقوله تعالى : « قل إنما يوحى إلي انما إلهكم إله واحد [3] » .

٤ ـ وأن تعلم ان الخالق لشيء ثابت موجود لا يجوز وصفه بالعدم . لأن الخالق لا يكون خالقا الا بأن يكون قادراً ، ولا يكون قادراً الا والقدرة قائمة والمعدوم لا يقبل هذه الصفات وقال الله في تحقيقه : « الله لا اله الا هو الحي القيوم[4] » وقال تعالى : « فتبارك الله رب العالمين [5] » وذلك يوجب الثبات والقيام والوجود في جميع الأحوال من غير تغير ولا زوال .

٥ ـ وأن تعلم أن الباري سبحانه وتعالى لا يجوز وصفه بالحاجة فانه يلزمه أن يخرج من وصف الحاجة الى وصف الاستغناء وذلك يتضمن بطلان صفة وحدوث صفة . والقديم سبحانه وتعالى لا يجوز عليه البطلان ولا الحدوث واصله قوله سبحانه وتعالى : « والله الغني وانتم الفقراء[6] » بين بهذا ان صفة الحاجة والافتقار عليه محال .

٦ ـ وأن تعلم أن خالق العالم قائم بنفسه . ومعناه أنه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه ، وعن محل يحله ، وعن مكان يقله . قال الله تعالى : « الله لا اله الا هو الحي القيوم [7] » مبالغة عن القيام والثبات على الاطلاق من غير حاجة الى صانع يصنعه ، أو موجد يوجده . او مكان يحله .

---

(١) الأنبياء : ٢٢ .
(٢) الاسراء : ٤٢ .
(٣) الانبياء : ١٠٨ .
(٤) البقرة : ٢٥٥ .
(٥) غافر : ٦٤ .
(٦) محمد : ٣٨ .
(٧) آل عمران : ٢ .

٧ ـ وأن تعلم ان القديم سبحانه يرى وتجوز رؤيته بالابصار ، لأن ما لا تصح رؤيتـه لم يتقـرر وجـوده كالمعـدوم ، وكل ما صح وجـوده جازت رؤيتـه كسائـر الموجودات . ودلائل هذه المسألة في كتاب الله كثيرة منها قوله تعالى : « تحيتهم يوم يلقونه سلام [١] » واللقاء إذا اطلق في اللغة وقع على الرؤية خصوصاً حيث لا يجوز فيه التلاقي بالذوات والتماس بينهما . ومنها قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة [٢] » . ومنها قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون [٣] » ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤ ية الرب جل جلاله . وقد ورد عن الرسول ﷺ تفسير هذه الآية بذلك ومنها قوله في قصة موسى عليه السلام : « قال رب أرني انظر اليك قال لن تراني [٤] » ولو لم تكن الرؤ ية جائزة لكان لا يتمناها من هو موصوف بالنبوة وأيضاً فانه سبحانه وتعالى قال في جوابه : « لن تراني » ولم يقل لن أُرَى ، وفيه دليل على أنه يصح أن يرى ، لأنه لو كان لا يصح رؤ يته لكان يقول لن أرى ، ولما خص نفي الرؤ ية به . ومنها قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [٥] » يبين أن جميع الأبصار لا تدركه . مفهومه أن بعضها يدركه . ثم بين الله سبحانه من يدرك ومن لا يدرك . فقال : «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة [٦] » وان الوجوه الباسرة محجوبة عنه كما فرق بين الفريقين في قوله : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه [٧] » فالوجوه السود محجوبة عنه ، والوجوه البيض الناضرة ناظرة اليه ، ثم أن النبي ﷺ خص لاصحابه هذه الحالة . فقال : « انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون ولا تضارون في رؤ يته [٨] » وفي الحديث قيد تحمل عليه آية الرؤ ية فكأنه قال : لا تدركه الأبصار في غير القيامة وتدركه يومئذ فان المطلق يحمل على المقيد .

٨ ـ وأن تعلم أن الخالق لا يشبه الخلق في شيء ، لأن مثل الشيء ما يكون

---

(١) الأحزاب : ٤٤ .
(٢) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٣) يونس : ٢٦ .
(٤) الأعراف : ١٤٣ .
(٥) الأنعام : ١٠٣ .
(٦) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٧) آل عمران : ١٠٦ .
(٨) قد تقدم ذكره .

مشاركا له في جميع أوصافه الجائزة والواجبة والمستحيلة ، ويعبر عنه بان المثلين كل شيئين ينوب أحدهما مناب صاحبه ، ويسد مسده ، واصله قوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1] » وقوله : « ولم يكن له كفواً أحد » . وقوله : « هل تعلم له سميا[2] » .

٩ ـ وأن تعلم أن خالق العالم لا يجوز عليه الحد والنهاية ، لأن الشيء لا يكون مخصوصاً بحد الا ان يخصه مخصص بذلك الحد ويقرره على تلك النهاية بجواز غيره من الحدود عليه ، والصانع لا يكون مصنوعا ولا محدوداً ولا مُخصَّصاً وأصله في كتاب الله تعالى قوله تعالى: **«ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم»**[3] الآية مع قوله : « فأتى الله بنيانهم من القواعد[4] » ومع قوله : « الرحمن على العرش استوى[5] »ولو كان مخصوصاً بحد ونهاية وجملة لم يجز أن يكون منسوبا الى أماكن مختلفة متضادة ، وكان لا يجوز ان يكون مع كل واحد ، وان يكون على العرش وان يأتي ببنيان قوم سلط عليهم الهلاك . فجاء من الجمع بين هذه الآيات تحقيق القول بنفي الحد والنهاية ، واستحالة كونه مخصوصا بجهة من الجهات . وفي الجمع بين هذه الآيات دليل على أن معنى قوله : « **ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم**[6] » انما هو بمعنى العلم باسرارهم . ومعنى قوله : « **فأتى الله بنيانهم من القواعد**[7] » أي خلق في بنيان القوم معنى من زلزلة ورجف يكون ذلك سبب خرابه كما قال : « **فخر عليهم السقف من فوقهم**[8] » وان معنى قوله : « **الرحمن على العرش استوى**[9] » معناه قصد الى خلق العرش كما قال : « ثم استوى الى السماء وهي دخان[10] » ويكون معنى على في هذا الموضع بمعنى الى ، أو يكون العرش في هذه الآية بمنزلة المملكة كما يقال : ثل عرش فلان . إذا زال ملكه وكما قال الشاعر :

---

(١) الشورى : ١١ .
(٢) مريم : ٦٥ .
(٣) المجادلة : ٧ .
(٤) النحل : ٢٦ .
(٥) طه : ٥ .
(٦) المجادلة : ٧ .
(٧ و ٨) النحل : ٢٦ .
(٩) طه : ٥ .
(١٠) فصلت : ١١ .

قـد نال عرشـا لم ينلـه نائل　　　جن ولا أنس ولا ديار

وقد روى في الخبـر عن النبي ﷺ ما تحقـق به المعنـى الـذي بينـا على هذه الظواهر . وذلك أنه ﷺ قال : (كان ملك يجيء من السماء وآخر من الأرض السابعة فقال كل واحد منهما لصاحبه من أين تجيء قال من عند الله)[1]. ولو كان له حد ونهاية استحال كونه في جهتين مختلفتين . فتقرر به استحالة الحـد والنهـاية ، وان جملـة الملكوت تحت سلطانه وقدرته وعلمه ومعرفته .

١٠ ـ وأن تعلم ان القديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر لأن الجسم يكون فيه التأليف ، والجوهر يجوز فيه التأليف والاتصال ، وكل ما كان له الاتصـال أو جاز عليه الاتصال يكون له حد ونهاية . وقد دللنا على استحالة الحد والنهاية على الباري سبحانه وتعالى وقد ذكر الله تعالى في صفة الجسم الزيادة فقال : « وزاده بسطة في العلم والجسم[2] » . فبين ان ما كان جسما جازت عليه الزيادة والنقصان ولا تجوز الزيادة والنقصان على الباري سبحانه .

١١ ـ وأن تعلم ان القديم سبحانه ليس بعَرَض لأن العـرض ممـا يستحيل بقاؤه ، ولا يكون الخالق الا باقياً أيضا فان العرض لا يقوم بنفسه ، ولا يكون الخالق الا قائما بنفسه ، ودليله من كتاب الله تعالى فانه سبحانه اطلق اسم العرض على شيء يقل بقاؤه أو لا يعد باقيا في العرف والعادة حيث قال : « تريدون عرض الدنيا[3] » و « هذا عارض ممطرنا[4] » .

١٢ ـ وان تعلم ان الباري سبحانه وتعالى يستحيل عليه الولد والزوجة لأن ذلك لا يكون الا بالاتصال والمماسة وذلك يوجب الحد والنهاية . وقد بينا استحالته عليه سبحانه وتعالى وحقق الله ذلك بقوله : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد[5] » .

---

(١) وهذا لم يثبت .
(٢) البقرة : ٢٤٧ .
(٣) الانفال : ٦٧ .
(٤) الاحقاف : ٢٤ .
(٥) الاخلاص : ٣ ـ ٤ .

١٣ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز الشريك له في المملكة لما قد بينا من أن الخالق واحد لا ثاني له ، والمملوك يستحيل أن يكون خارجا من ملك الخالق وهذا تحقيق قوله : « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا [١] » .

١٤ ـ وأن تعلم أن الحركة ، والسكون ، والذهاب ، والمجيء ، والكون في المكان ، والاجتماع ، والافتراق ، والقرب ، والبعد من طريق المسافة ، والاتصال ، والانفصال ، والحجم ، والجرم ، والجثة ، والصورة ، والحيز ، والمقدار ، والنواحي ، والأقطار ، والجوانب ، والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى لأن جميعها يوجب الحد والنهاية . وقد دللنا على استحالة ذلك على الباري سبحانه وتعالى . وأصل هذا في كتاب الله تعالى وذلك أن ابراهيم عليه السلام لما رأى هذه العلامات على الكواكب والشمس والقمر قال : « لا أحب الآفلين [٢] » فبين أن ما جاز عليه تلك الصفات لا يكون خالقاً .

١٥ ـ وأن تعلم أن كل ما تصور في الوهم من طول ، وعرض ، وعمق ، وألوان ، وهيئآت مختلفة ينبغي ان تعتقد ان صانع العالم بخلافه ، وانه قادر على خلق مثله ، والى هذا المعنى أشار الصديق رضي الله عنه بقوله : العجز عن درك الادراك ادر اك . ومعناه اذا صح عندك ان الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير ، والتركيب ، والقياس على الخلق صح عندك أنه خلاف المخلوقات . وتحقيقه انك اذا عجزت عن معرفته بالقياس على أفعاله صح معرفتك له بدلالة الأفعال على ذاته وصفاته ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بقوله : « هو الله الخالق البارىء المصور [٣] » وما كان مُصَوِّراً لم يكن مُصَوَّراً ، كما أن من كان مخلوقاً لم يكن خالقاً .

١٦ ـ وأن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته لأن ما كان محلا

---

(١) الاسراء : ١١١ .
(٢) الأنعام : ٧٦ .
(٣) الحشر : ٢٤ .

للحوادث لم يخل منها وإذا لم يخل منها كان محدثا مثلها . ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام : « لا أحب الآفلين» بين به ان من حل به من المعاني ما يغيره من حال الى حال كان محدثا لا يصح أن يكون إلها .

١٧ ـ وأن تعلم أن كل ما دل على حدوث شيء من الحد ، والنهاية ، والمكان ، والجهة ، والسكون ، والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى لأن ما لا يكون محدثا لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث ، وعليه يدل ما ذكرناها قبل في قصة الخليل عليه السلام .

١٨ ـ وأن تعلم أنه سبحانه لا يجوز عليه النقص ، والآفة ، لأن الآفة نوع من المنع ، والمنع يقتضي مانعا وممنوعاً ، وليس فوقه سبحانه مانع وقد نبه الله تعالى عليه بقوله : « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون[١] » والسلام هو الذي سلم من الآفات ، والنقائص ، والقدوس هو المنزه عن النقائص والموانع ، ويعلم بذلك ان لا طريق للآفات ، والنقائص والموانع اليه وقد وصف الله تعالى ذاته بقوله : « ذو العرش المجيد[٢] » والمجد في كلام العرب كمال الشرف ومن كان لنوع من النقص اليه طريق لم يكمل شرفه ولم يجز وصفه بقوله مجيد . فلما اتصف به سبحانه علمنا أنه لا طريق للنقص اليه .

١٩ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية ، والكمية ،والأينية[٣]، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو ، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو ، ومن لا أول له لا يقال له مم كان ، ومن لا مكان له لا يقال فيه اين كان . وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة ، ونفي الابتداء والأولية . وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اشفى البيان حين قيل له

---

(١) الحشر : ٢٣ .
(٢) البروج : ١٥ .
(٣) قصده لا يجوز عليه المكان كما يبينه بعدُ .

اين الله ؟ فقال : ان الذي أيَّن الأين لا يقال له أين . فقيل له كيف الله ؟ فقال : ان الـذي كيف الـكيف لا يقال لـه كيف . واعلـم أن الله تعـالى ذكـر في سورة الاخلاص ما يتضمن اثبات جميع صفات المدح والكمال ، ونفي جميع النقائص عنه وذلك قوله تعالى : « قل هو الله أحد الله الصمد [١] » في هذه السورة بيان ما ينفي عنه من نقائص الصفات وما يستحيل عليه من الآفات بل في كلمة من كلمات هذه السورة وهو قوله : «الله الصمد[٢]» والصمد في اللغة على معنيين : أحدهما أنه لا جوف له وهذا يوجب أن لا يكون جسما ولا جوهراً لأن ما لا يكون بهذه الصفة جاز أن يكون له جوف . والمعنى الثاني للصمد هو السيد الذي يرجع اليه في الحوائج ، وهذا يتضمن اثبات كل صفة لولاها لم يصح منه الفعل كما نذكره فيما بعد ، لأن من لا تصح منه الأفعال المختلفة لم يصح الرجوع اليه في الحوائج المتباينة . وقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بين صفات النفي والاثبات وقال : « فاعلم انه لا إله الا الله[٣] » وقد نبه عليه الرسول ﷺ فقال : (من عرف نفسه فقد عرف ربه[٤]) معناه من عرف نفسه بالعجز ، والضعف ، والنقص ، والقصور ، عرف أن له رباً موصوفا بالكمال يصح منه جميع الأفعال . فلولاه لم يتم بالعبد العاجز شيء من الواردات عليه . وفي هذا المعنى ورد قول النبي ﷺ : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله[٥] » اي ابتدئوا بالفكرة في خلق الله حتى اذا عرفتم الخلق بالعجز عرفتم أن له خالقا قادراً موصوفا بأوصاف الكمال ، ومن ابتدأ بالنظر في الخالق أداه الى ما لا يصح من تشبيه ، أو تعطيل .

---

(١) الاخلاص : ١ ـ ٢ .

(٢) الاخلاص : ٢ .

(٣) محمد : ١٩ .

(٤) ـ قال النووي : ليس بثابت ، وقال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع أنه لا يعرف مرفوعاً . وانما يحكى عن يحيى ابن معاذ الرازي في قوله .

(٥) هذا ورد باسناد فيه ضعف خفيف عن ابن عباس .

٢٠ ـ وأن تعلم أن صانع العالم حي ، قادر ، عالم ، مريد ، متكلم ، سميع ، بصير، لأن من لم يكن بهذه الصفات كان موصوفا باضدادها، وأضدادها نقائص وآفات تمنع صحة الفعل . فصحت ثبوت هذه الصفات له من وجهين : أحدهما : دلالة الفعل . والثاني : نفي النقائص ، وقد دلت على اثبات هذه ظواهر نصوص القرآن . وردت جميعها في الأسماء التسعة والتسعين التي استفاضت بها الأخبار في أسماء الرب جل جلاله .

قال الله تعالى : « الله لا اله الا هو الحي القيوم[١] » وقال : « وتوكل على الحي الذي لا يموت[٢] » وقال : « وعنت الوجوه للحي القيوم[٣] » وقال : « قل هو القادر[٤] » وقال « وهو بكل شيء عليم[٥] » وقال : « علام الغيوب[٦] » وقال : « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء[٧] » وقال : « وهو الحكيم العليم[٨] » والحكيم من وقع أفعاله على موافقة ارادته . وجاء في صفته ، الرحمن ، الرحيم ، والغفار ، والغفور ، والكريم ، والتواب . وكل ذلك يرجع الى ارادته للتوبة والنعمة ، والمغفرة ويدل على ارادته . ومما يدل على اثبات كونه متكلما قوله تعالى : «من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه[٩] » والاذن من صفات الكلام وقوله : « إنه غفور شكور[١٠] » و« صبار شكور »[١١] وشكره للعباد مدحه اياهم على طاعته وذلك من صفات الكلام ، وورد في أسمائه « المجيب » وذلك يتم بالكلام . ومن أسمائه

---

(١) آل عمران : ١ .
(٢) الفرقان : ٥٨ .
(٣) طه : ١١١ .
(٤) الأنعام : ٦٥ .
(٥) الأنعام : ١٠١ .
(٦ ـ ٧) سبأ : ٤٨ و٣ .
(٨) الزخرف : ٨٤ .
(٩) البقرة : ٢٥٥ .
(١٠) فاطر : ٣٠ .
(١١) لقمان : ٣١ .

« الباعث » وذلك مما يدل على الكلام ، ولا يتم بعث الرسل الا بالـكلام وكذلك « الشهيد » معناه أنـه يشهـد أنه أرسله بالصـدق يوم القيامة . وذلك لا يتـم الا بالكلام . وكذلك « المؤمن » ومعناه أنه يصدق أنبياءه ولا يتم ذلك الا بالـكلام . وورود « السميع ، والبصير » في الكتاب والسنة أظهر من أن يخفى .

٢١ ـ وأن تعلم أن له حياة ، وقدرة ، وعلماً ، وارادة ، وكلاما ، وسمعاً ، وبصراً ، لأن من كان موصوفا بهذه الأوصاف ثبتت له هذه الصفات . ولا يجوز ان يكون غير الموصوف بها موصوفاً بهذه الصفات ، كما لا يجوز أن توجد الصفات من غير أن يكون الموصوف بتلك الأوصاف موصوفا بها . وقد ورد في اثبات العلم له آي كثيرة كقوله تعالى : « **انزله بعلمه**[١] » « **ولا يحيطون بشيء من علمه**[٢] » « **قد أحاط بكل شيء علما**[٣] » وورد في اثبات القدرة له ؛ « **ذو القوة المتين**[٤] » والقوة والقدرة واحد في العربية . وورد في اثبات الارادة« **فعال لما يريد**[٥] » « **وما تشاؤون الا أن يشاء الله**[٦] » فيه دليل على اثبات الارادة والمشيئة .

٢٢ ـ وأن تعلم أن صانع العالم باق لأنا قد دللنا على أنه قديم ، ولا يكون القديم الا باقياً . وقد ورد في أسمائه البديع الباقي ، وورد في اسمائه الحي القيوم ، والقيوم مبالغة من القيام ، وذلك يتضمن كونه باقيا .

٢٣ ـ وأن تعلم أن له بقاء لان ما وصف بكونه باقيا ثبت له البقاء ، وما لا بقاء له لا يكون باقيا بحال . لأن الموجود لو كان باقيا بلا بقاء لكان مستغنيا عن القدرة ، ولوجب منه ان يكون كل موجود في أول حال وجوده قديما ، والمحدث لا يجوز أن يكون قديما بحال ، وينبه على هذا المعنى قوله تعالى : « **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام**[٧] » .

---

(١) النساء : ١٦٦ .
(٢) البقرة : ٢٥٥ .
(٣) الطلاق : ١٢ .
(٤) الذاريات : ٥٨ .
(٥) البروج : ١٦ .
(٦) التكوير : ٢٩ .
(٧) الرحمن : ٢٧ .

٢٤ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز فيما ذكرناه من صفات القديم سبحانه أن يقال انها هي هو أو غيره ، ولا هي هو ولا هي غيره ، ولا آنها موافقة أو مخالفة ، ولا انها تباينه أو تلازمه ، أو تتصل به أو تنفصل عنه ، أو تشبهه أو لا تشبهه ، ولكن يجب ان يقال : انها صفات له موجودة به ، قائمة بذاته ، مختصة به . وإنما قلنا انها « لا هي هو لان هذه الصفات لو كانت هي هو لم يجز أن يكون هو عالما ، ولا قادراً ، ولا موصوفا بشيء من هذه الأوصاف . لأن العلم لا يكون عالما ، والقدرة لا تكون قادرة ، ولا موصوفا بشيء من هذه الصفات ، وانما قلنا لا يقال آنها غيره ، لان الغيرين يجوز وجود أحدهما مع عدم الآخر ، ولما استحال هذا المعنى في الذات والصفات لم يجز فيه الخلاف المغاير ، وانما قلنا لا هي هو ولا هي غيره لأن في نفي كل واحد منهما اثبات الآخر . وقد بينا استحالة الاثبات فيه . وانما قلنا لا يقال انها توافقه ، أو تخالفه ، أو تباينه ، أو تشبهه . لان جميع ذلك يتضمن المغايرة ، وذلك يتضمن جواز عدم احدهما مع وجود الآخر وذلك محال .

٢٥ ـ وأن تعلم ان ما يمتنع اطلاقه من هذه العبارات التي ذكرناها على الذات والصفات ، يمتنع اطلاقها ايضاً على كل صفة منها مع سائر الصفات . فلا يجوز ان يقال : علمه قدرته ، ولا ان يقال : انه غيرها ، او يخالفها ، أو يوافقها ، او يشبهها ، او لا يشبهها ، لأن جميع ذلك يتضمن اثبات المغايرة وذلك يتضمن جواز وجود احدهما مع عدم الآخر ، وذلك محال في الصفات بعضها مع بعض وقد نبه رسول الله ﷺ في خبر عمران بن الحصين على ما يتضمن هذا المعنى الذي وصفناه حين قال : «كان الله ولم يكن معه شيء غيره »[1] وذلك اثبات الصفات ونفي المغايرة بينها .

٢٦ ـ وأن تعلم أن كل صفة قامت بذات الباري جل جلاله لم تكن إلا ازلية قديمة ، لما قد بينا قبل ان حدوث الحوادث في ذاته لا يجوز .

٢٧ ـ وأن تعلم ان العدم لا يجوز عليه ولا على شيء من صفاته ، لأنا قد دللنا

(١) وقد تقدم تخريج هذا الحديث .

على قدم ذاته وصفاته والقديم لا يبطل وقد دللنا عليه لان البطلان علم الحدوث . ولهذا قال ابراهيم الخليل «لا احب الآفلين » استدل بأفوله وبطلانه على حدوثه .

٢٨ ـ وأن تعلم ان علمه سبحانه عام في جميع المعلومات ، وقدرته عامة في جميع المقدورات ، وارادته عامة في جميع الارادات علمها على ما هي عليه واراد ان يكون ما علم ان يكون، واراد ان لا يكون ما علم ان لا يكون ، ولا يجرى في مملكته ما لا يريد كونه لان شيئاً من صفاته هذه لو اختص ببعض لما صح ان يكون عاماً . وما كان مختصاً به متناهياً في ذاته اقتضى مخصصاً يخصه بما اختص به وذلك علم الحدوث ، ومما يدل على اوصافه من كتاب الله تعالى قوله : «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة »[1] » وقوله تعالى : « وكان الله بكل شيء عليماً»[2] وقوله تعالى في معنى القدرة : «**والله على كل شيء قدير**»[3] وقوله تعالى : «**الله خالق كل شيء**»[4]وهل يكون الخلق الا بالقدرة، وذلك يدل على عموم القدرة في جميع المقدورات . وجاء في عموم الارادة قوله تعالى :«انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » [5] وفي هذه الآية دليل على عموم ارادته وعلى أن كلامه قديم لأنه بين انه لا يخلق شيئاً الا ان يقول له كن ، ولو كان ذلك محدثاً لكان مفعولاً له بكن، وكذلك الثاني والثالث ويتسلسل ذلك الى ما لا نهاية له . ومما يدل على عموم كلامه في متعلقاته ونفي النهاية عنه قوله تعالى :«قل لو كان البحر مداداًلكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً» [6] . وإذا تقرر عموم قدرته وعلمه فاعلم انه يجوز ان يقال في وصفه سبحانه انه عالم بكل شيء. كما يجوز ان يقال انه عالم بجميع المعلومات . ويجوز ان يقال أنه سبحانه وتعالى قادر على جميع المقدورات ، ويستحيل ان يقال انه قادر على كل شيء على هذا الاطلاق ، لان القديم شيء يستحيل ان يتعلق به القدرة ،

---

(١) يونس : ٦١

(٢) الاحزاب : ٤٠ .

(٣) المائدة : ١٧ .

(٤) الزمر : ٦٢.

(٥) النحل : ٤٠ .

(٦) الكهف : ١٠٩ .

والذي جاء في القرآن من اطلاق القول بانه «على كل شيء قدير» دخله ضرب من التخصيص ومعناه : على كل شيء مقدور قدير ولهذا قال أهل المعرفة ان آية العلم لم يدخلها التخصيص ، وآية القدرة دخلها تخصيص . فاما كون العلم والقدرة لم يدخلهما التخصيص فبمعنى ان يقال في العلم انه عام في جميع المعلومات ، وفي القدرة انها عامة في جميع المقدورات .

٢٩ ـ وأن تعلم ان كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت [1] لان الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر ، وذلك مستحيل على القديم سبحانه ، وما دل من كتاب الله تعالى على أن متعلقات الكلام لا نهاية لها دليل على انه ليس بحرف ولا صوت لوجوب التناهي فيما صح وصفه به .

٣٠ ـ وأن تعلم ان كلام الله قديم ، وكلام واحد أمر ونهي ، وخبر واستخبار على معنى التقدير ، وكل ما ورد في الكتب من الله تعالى باللغات المختلفة ، العبرية ، والعربية ، والسريانية ، كلها عبارات تدل على معنى كتاب الله تعالى ، ولو جاء اضعاف اضعافه لم تستغرق معاني كلامه ، فمعاني كلام الله تعالى لا تستغرقها عبارات المعبرين ، كما ان معلومات علم الله لا يستغرقها عبارات المعبرين ، ومقدورات قدرته لا يمكن ضبطها بالحصر والتحديد ، وعلى هذه الجملة يدل قوله تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » [2] . وقوله تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي» [3] الآية كما وصفناه قبل .

٣١ ـ وأن تعلم أنه اذا تقرر استحالة التخصيص على صفاته القائمة بذاته ووجوب عمومها في متعلقاتها ثبت به عموم قدرته في جميع مقدوراتها ، وثبت انه سبحانه قادر على اماتة جميع الخلق ، وابطال جميع الموجودات ، وعلى ان يخلق

---

(١) وفتاوى كبار اهل العلم في الرد على القائلين بالحرف والصوت مدونة في كتاب «نجم المهتدي ورجم المعتدي» لابن المعلم القرشي ، فمن شاء فليراجعه وهذا الكتاب محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم / ٦٣٨ علم الكلام . وفيه من الحجج القاصمة لظهور المشبهة والملاحدة والمعطلة .

(٢) النمل : ٤٠ .

(٣) الكهف : ١٠٩ .

اضعاف ما خلق كيف شاء، ومتى شاء واين شاء ، وانه سبحانه وتعـالى قادر على بعث الرسل ، وانزال الكتب ، واظهار المعجزات الدالة على صدقهم فانه قادر على الحشر والنشر ، وثواب اهل الطاعات ، وعقاب اهل المعاصي كما قال الله تعالى : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده »[1] . وقال سبحانه : « وإذا القبور بعثرت »[2] . وقال جل جلاله : « قال من يحيي العظام وهي رميم »[3] وقال تعالى : « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً »[4] وقال : « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »[5] وقال تعالى : « وعرضوا على ربك صفاً »[6] وقال تعالى : « لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعداً »[7] .

٣٢ ـ وأن تعلم انه سبحانه وتعالى لا اعتراض عليه في جميع ما يأتيه او يذره . لا يقال فيما فعله لم فعله ؟ ولا فيما تركه لم تركه ؟ لأن الاعتراض انما يتوجه الى من صدر قوله عن امر آمر ، ونهي ناه ، وزجر زاجر . وانما يتوجه الأمر على من اذا خالف كان للعقوبة اليه سبيل ، ولا سبيل للعقوبة الى الله تعالى ، فلا يتوجه عليه الامر ، واذا لم يتوجه عليه الأمر استحال عليه الاعتراض ، ولهذه النكتة قلنا : انه لا يجوز عليه سبحانه حظر ولا وجوب ، وقد نبه الله سبحانه وتعالى على هذا المعنى بقوله : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة »[8] . وقال سبحانه وتعالى : هو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون »[9] . وقال سبحانه وتعالى : « ألا له الخلق والأمر »[10] . وقال سبحانه وتعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »[11] .

٣٣ ـ وأن تعلم انه سبحانه وتعالى حكيم في جميع افعاله ، وحقيقة الحكمة في

---

(١) الروم : ٢٧ .
(٢) الانفطار : ٤١ .
(٣) يس : ٧٨ .
(٤) الكهف : ٤٧ .
(٥) البقرة : ٢٨١ .
(٦) الكهف : ٤٨ .
(٧) الكهف : ٤٨ .
(٨) القصص : ٦٨ .
(٩) القصص : ٧٠ .
(١٠) الاعراف : ٥٤ .
(١١) الانبياء : ٢٣ .

افعاله سبحانه وتعالى وقوعها موافقة لعلمه وارادته ، وهو الحكمة في افعال الحكماء في الشاهد ، لان من فعل فعلاً لا يقع على موافقة ارادته يقال انه لم يرتبه على حكمة منه فيه . فاذا حصل مراده فيه يقال انه حكيم في فعله ، ولا يمكن ان يقال في شيء من افعاله انه كان ينبغي ان يوقعه على خلاف ما اوقعه ، لانه يتصرف في ملكه ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض في فعله . ولهذا قلنا ان شيئاً من افعاله لا يكون ظلماً ، وانه سبحانه يستحيل الظلم في وصفه لانه لا يتصرف في غير ملكه ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض في فعله . ومن تصرف في ملكه فليس بظالم في أفعاله . قال الله تعالى : « **تنزيل من حكيم حميد** »[1] وقال : « **وكان الله بكل شيء عليما** »[2] . وقال سبحانه وتعالى : « **أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون** »[3] .

٣٤ ـ وان تعلم ان الدليل على صدق المدعي للنبوة هو المعجزة ، والمعجزة فعل يظهر على يدي مدعي النبوة بخلاف العادة في زمان التكليف موافقاً لدعواه وهو يدعو الخلق الى معارضته ويتحداهم ان يأتوا بمثله فيعجزوا عنه فيبين به صدق من يظهر على يده . وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد كان مؤيداً بمعجزة او معجزات كثيرة تدل على صدقه . وقد اخبر الله تعالى عن كثير منها فذكر في قصة موسى عليه السلام . فلق البحر ، وقلب العصا حية ، واليد البيضاء ، وفي قصة داود وسليمان تليين الحديد ، وتسخير الريح ، والشياطين ، والطيور وجميع دواب الارض في البر والبحر ، وفي قصة عيسى عليه السلام ، احياء الموتى ، وابراء الأكمه ، والابرص ، وذكر في صفة المصطفى ﷺ انه يدعو مخالفيه الى معارضة ما اتى به من القرآن أو سورة منه فقال تعالى : « **فأتوا بسورة من مثله** »[4] فكان القرآن

---

(١) فصلت : ٤٢ .

(٢) الأحزاب : ٤٠ .

(٣) المؤمنون : ١١٥ .

(٤) البقرة : ٢٣ .

معجزة له قاهرة لأعدائه ، الى معجزات كثيرة سواها ظهرت على يده بخلاف العادة مثل : تكليم الذراع ، وتسبيح الحصى في يده، ونبوع الماء من بين اصابعه ، وحنين الجذع عند مفارقته ، واجابة الشجرة عند دعوته ، وانشقاق القمر في وقته ، كل ذلك قريب من مائتي معجزة ذكرنا اكثرها في «الاوسط» كل ذلك مشهور في كتب الأخبار والتواريخ مذكور ، اتفق اهل النقل على وجودها ، ونقولها بطرق يجب القطع على معناها .

٣٥ ـ وأن تعلم ان المعجزة لا يجوز ظهورها على ايدي الكذابين، لان التفرقة بين الصادق والكاذب من حيث الدليل امر متوهم ، ولا سبيل اليه الا بتخصيص الصادق بالمعجزة ، فلو انها ظهرت على يد الكاذب بطريق التفرقة وجب به تناهي القدرة وذلك مستحيل في الحقيقة . وايضاً فان حقيقة المعجزة هي الدلالة على صدق صاحب المعجزة ، ومن المحال الذي لا يعقل، خروج الشيء عن حقيقته . فكيف يظهر دليل الصدق على يد من هو كاذب في قوله وذلك متضمن لقلب الحقائق وقد بين الله تعالى في كتابه ان المعجزة حجة الصادقين حيث قال : «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين»[1] وقوله تعالى : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات»[2] ولو أنها ظهرت على أيدي الكذابين لم تكن دلالة الصدق .

٣٦ ـ وأن تعلم انه لا يجب على الخلق شيء الا بأمر يرد من قبل الله تعالى على لسان رسول مؤيد بالمعجزة ، وان كل من اتى فعلاً او ترك امراً لم يقطع له بثواب ولا عقاب من قبل الله تعالى . اذ لا طريق في العقل الى معرفة وجوب شيء على الخلق ، لأنه لو كان في العقل طريق الى معرفة الوجوب في كل شيء فان الوجوب له حقيقة واحدة ، فلو جاز معرفته مضافاً الى شيء جاز معرفته مضافاً الى كل شيء ، وكان يجب ان يعرف بالعقل جميع الواجبات من غير ورود شرع ، واصله في كتاب الله وهو

---

(١) النمل : ٦٤ .

(٢) هود : ١٣ .

قوله سبحانه : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً »[1] فأمن من العقوبة من قبل الرسل فلو تقرر قبله وجوب واجب لم يؤمن العقوبة على تركه وقوله سبحانه : «وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً »[2]وقوله تعالى : « ربنا لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك»[3] وقوله تعالى : « ألم يأتكم نذير »[4] وقوله تعالى : « وجاءكم النذير[5] »وقوله تعالى : « ألم يأتكم رسل منكم »[6]وقوله تعالى : «إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده» الى قوله « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[7] فبين ان لا دليل على الخلق الا قول الرسل فبان به ان مجرد العقول لا دليل فيه على الخلق من قبل التعبد والذي يؤيد قولنا فيه ان من زعم ان العقل يدل على وجوب شيء يفضي به الامر الى اثبات الوجوب على الله سبحانه وتعالى ، لانهم يقولون اذا شكر العبد الله وجب على الله الثواب . ثم لا يزال الوجوب دائراً بينهما وذلك يؤدي الى ما لا يتناهى . واي عقل يقبل توجه الوجوب عليه ولا واجب الا بموجب وليس فوقه سبحانه موجب .

٣٧ ـ وأن تعلم ان الله تعالى بعث الرسل وانزل الكتب وبين الثواب والعقاب وأيدهم بالمعجزات الدالـة على صدقهم . وأوجب على لسانهم معرفة التوحيد والشريعة . وكل ما قالوه فهو صدق، وكل ما فعلوه فهو حق ، والعلم الدال على وصفهم ذلك قيام المعجزات الظاهرة الدالة على صدقهم ، وصحة قولهم . وقد اخبر عنه سبحانه أوجب التوحيد والشريعة . وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه جملة وتفصيلاً . فالجملة في قوله تعالى : (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده[8]) إما التفصيل ففي مثل قوله تعالى: « ولقد أرسلنا نوحاً »[9] وقوله

---

(١) الاسراء : ١٥ .

(٢) القصص : ٥٩ .

(٣) طه : ١٣٤ .

(٤) الملك : ٨ .

(٥) فاطر : ٣٧ .

(٦) الزمر : ٧١ .

(٧ و٨) النساء : ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٩) المؤمنون : ٢٣ .

تعالى : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات» [1] وقوله تعالى : « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون» [2] وقد نبه على الجملة أيضاً في قوله : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك » [3]

٣٨ ـ وأن تعلم ان محمداً صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة جاءنا بالصدق في رسالته وفي جميع افعاله واقواله . وكان معجزته القرآن تلاه على الخلق وتحداهم الى معارضته . وطلب الطاعة منهم وقال لهم متى اتيتم بسورة من مثله فلا طاعة لي عليكم . فاجتهد اهل اللغة في اسقاط طاعته عن انفسهم وعن أموالهم وذراريهم فلم يمكنهم ، ولو امكنهم أن يدفعوه عن أنفسهم وأموالهم وأهاليهم بكلام يأتون به لما قصدوا الحرب والمسايفة التي فيها القتل ، والأسر ، والاسترقاق ، والنهب ، والغصب والسلب في الذخائر والأموال . فلما لم يأتوا علمنا انهم اعرضوا عن الاتيان به للعجز عنه ؛ كما ان سحرة فرعون في زمان موسى عجزوا عن معارضته فبان به كونه محقاً في دعوته . وكما ان عيسى عليه السلام في ايامه اعجز الاطباء عن مثل ما اتى به . واعلم ان تحقيق نبوة المصطفى ﷺ ظاهرة في كتاب الله تعالى حين قال تعالى : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً) [4] وحيث قال : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) [5] وذلك مذكور في غير موضع من الكتاب وقال في وصف معجزته : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) [6] الآيتين .

٣٩ ـ وأن تعلم ان الذي بعث به المصطفى ﷺ هو الاسلام . وان معجزته دليل على صدقه في جميع ما اخبر به : فمما اخبر به قوله ﷺ : (ان لا نبي بعدي) [7] وقوله

---

(١) غافر : ٣٤ .
(٢) يونس : ٧٥ .
(٣) النساء : ١٦٤ .
(٤) الاحزاب : ٦٤ .
(٥) الاحزاب : ٤٠
(٦) البقرة : ٢٣ .
(٧) اخرجه بمعناه احمد في مسنده ٢ : ٣٩٨ ، وابو داود ٢ : ٢٠٢ : في اول كتاب الفتن : ذكر الفتن ودلائلها .

ﷺ : (بني الاسلام على خمس . شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا)[1] وبين انها واجبة الى يوم القيامة لا تنقطع ولا ترتفع . واخبر انهم يحيون في القبور ، ويسألون عن الدين ثم يعاقب العصاة، وينعم اهل الطاعات الى وقت المحشر وما بعده . ومما اخبر عنه هو الحشر والنشر، واقامة القيامة وانها كائنة لا يعرف وقتها الا الله، وان الخلق يحشرون ويحاسبون، ثم يخلد اهل الجنة في الجنة في نعيم دائم وأنهم يرون ربهم زيادة في كرامتهم واتماماً لفضله عليهم . ويخلد الكفار والمرتدون في عذاب جهنم لا محيص لهم عنها بحال . وان قوماً من العصاة يعاقبون في النار ثم يخرجون منها بشفاعة المصطفى ﷺ وبشفاعة العلماء ، والزهاد ، والعباد ، وشفاعة اطفال المؤمنين ، فمن لم تسعه شفاعة هؤلاء وكان قد سبق لهم الايمان فانه يخرج من النار برحمة الله جل جلاله . وكثير من عصاة المؤمنين يغفر لهم قبل ادخال النار اما بشفاعة الرسول ، واما برحمة الجبار . ولا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان . واعلم ان المؤمن لا يصير كافراً بالمعصية ولا يخرج بها عن الايمان لأن معصيته كائنة في طرف من الأطراف لا تنافي ايماناً في القلب . وقد قال الله تعالى : «انا لا نضيع أجر من أحسن عملا»[2] وقال ﷺ (لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر)[3] اي من الكفر . ومثقال ذرة من الإيمان اعتقاد مستخلص عن الشرك ، والافك ، والشك ، والشبهة كما وصفناه . ومتى ما اختلط به شائب من شوائب الكفر والبدع لم يستحق صاحبه اسم الايمان كما بينه الشافعي رحمه الله في قوله : الشرك يشركه الشرك والاسلام لا يشركه الشرك . وقوله : الحلف في الصفة كالحلف في العين . وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى بقوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله

---

(١) وقد تقدم ذكره .

(٢) الكهف : ٣٠ .

(٣) انظر مسند احمد ١ : ٣٩٩ ، وابو داود ٢ : ١٨٠ ، كتاب اللباس : باب ما جاء في الكبد ، واخرجه مسلم : في الايمان .

إلا وهم مشركون»[1] فتقرر به ان العقائد المشروطة في وصف الايمان ما لم تسلم عن انواع البدع والالحاد لم يكن ايماناً على الحقيقة . وقد ورد في معنى الشفاعة قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»[2] .

وقد روى انس بن مالك أن النبيﷺ قال في تفسير هذه . « إذا جاء يوم القيامة طلب الخلق الشفاعة من الأنبياء عليهم السلام فيقولون عليهم السلام : اذهبوا لمحمد عليه الصلاة والسلام فانه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتيه الخلق ويسألونه الشفاعة قال . فاستأذن على الله فيأذن لي فاسجد ويلهمني الله محامد لم يلهمني مثلها قبله . فاحمده ثم أرفع رأسي من السجود فيقال لي : قل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع . فلا أزال أشفع حتى أخرج من النار كل من قال لا إله الا الله[3] » وورد في شفاعة الأطفال « يظل الفرط محبنطئا على باب الجنة يقول لا أدخل حتى يدخل أبواي »[4] . وقال النبيﷺ :(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[5] فبين أن أهل الكبائر يومئذ لا ييأسون من رحمة الله تعالى . والأخبار في هذا الباب ظاهرة مستفيضة لا ينكرها من له معرفة بموارد الاخبار . وقد ورد في وصف الحساب والميزان قوله تعالى : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة»[6] . وقد ورد في الأخبار ان داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الذي يوزن به الأعمال . فلما رآه سقط وغشي عليه ، فلما أفاق قال : من ذا الذي يطيق أن يملأ هذا من الحسنات ؟ فقال يا داود : إذا رضيت عن عبدي ملأت هذا بثمرة واحدة . ومما جاء في الحساب قوله تعالى : «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها»[7] وقوله تعالى : « وكل انسان الزمناه طائره في

---

(١) يوسف : ١٠٦ .

(٢) الاسراء : ٧٩ .

(٣) أخرجه البخاري : في الرقاق : باب صفة الجنة والنار . ومسلم : في الأعيان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٤) اخرج أحمد في مسنده ٤ : ١٠٥ بنحو هذا اللفظ .

(٥) أخرجه الترمذي : في صفة القيامة : باب ما جاء في الشفاعة . وأبو داود : في السنة : باب في الشفاعة . وابن ماجه : في الزهد : باب ذكر الشفاعة .

(٦) الأنبياء : ٤٧ .

(٧) الكهف : ٤٩ .

عنقه[1] » وقوله تعالى : « فأما من أوتي كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً[2] » وقوله تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية[3] » وقوله تعالى : « وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية » .

وقد ورد في الخبر عن المصطفى ﷺ : (ان صحف الأعمال توزن فمن زادت حسناته على سيآته دخل الجنة [4]) . وقد ورد في معنى الحوض قوله تعالى : «انا أعطيناك الكوثر» . وقد روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعس نعسة ثم رفع رأسه فضحك وتبسم ثم قال : « أتعرفون لماذا ضحكت فقالوا الله ورسوله أعلم . فقال : نزلت علي في هذه الساعة سورة (انا أعطيناك الكوثر) . أتعرفون ما الكوثر . ؟ الكوثر نهر في الجنة أعده الله لي ، ولذلك النهر حوض تأتيه أمتي يوم القيامة ، وأوانيه عدد الكواكب أو أكثر ،وقد يأتيه من يمنع من ذلك . فأقول يا رب انه من أمتي ، فيقول ما تدري ما أحدث بعدك[5] ثم وصف النبي ﷺ ذلك الحوض في أخبار كثيرة فقال : « حصاه من الياقوت الأحمر ، والزبرجد الأخضر ، والدر والمرجان ، وحمأته من المسك ، وترابه من الكافور أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، خروجه يكون من تحت سدرة المنتهى ، طوله وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ومن توضأ منه لم يشعث أبداً ، تحوم حوله طيور أعناقها كأعناق الابل فقال أبو بكر ، وعمر ما أنعم تلك

---

(١) الاسراء : ١٣ .

(٢) الانشقاق : ٧ ـ ٩ .

(٣) القارعة : ٦ ـ ١ .

(٤) هناك أحاديث كثيرة في وزن الأعمال يوم القيامة ، وردت بالفاظ كثيرة وقد قال البيهقي في كتابه الاعتقاد ص/ ٣١١ : فالايمان بالميزان واجب . وأنظر مسند أحمد ٢ : ١٠٥ وأخرج مسلم بمعناه ٣ : ١٤٢ : كتاب التفسير : سورة هود .

(٥) أصل الحديث في الصحيحين وورد في الترمذي وغيره ما معناه ولفظ البخاري ٤ : ١٤١ : في صفة الجنة : باب في الحوض قال : انا فَرَطُكم على الحوض ، وليرُفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب : أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما احدثوا بعدك .

الطيور . فقال النبي ﷺ : أنعم منها من يأكلها » . وقد ورد في معنى ما ذكرناه من ان المؤمن لا يكون بالمعاصي كافراً ، ولا يخرج من الايمان ، ولا يكون خالداً مخلداً في النار واحد من المؤمنين لقوله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[1] »وقوله : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا»[2] وقال النبي ﷺ : «لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان[3]» وقد ورد في معنى احياء الموتى في القبور ما لا يحصى من الآي والأخبار والآثار حتى لا يوجد موافق ولا مخالف الا وهو يقرأ في التشهد ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار . ومر المصطفى ﷺ بقبرين فقال : (انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير . اما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول[4]) وقد ورد في الدعوات المأثورة عن المصطفى ﷺ « أعوذ بالله من الكفر ، والفقر ، وعذاب القبر[5] » وقد وردت أخبار كثيرة عن الرسول ﷺ في صفة منكر ونكير ، وذكر انهما يسألان في القبر فقال عمر رضي الله عنه : أو يكون معي عقلي ؟ قال : نعم . قال أنا أكفيهما . وانما أراد بهذا الكلام أني أصف لهم الايمان ، وكل من خرج من الدنيا على صفة الايمان ووصف لهما دينه لم يستعرضا له ، وكانا له مبشراً وبشيراً ، وقالا له : نم نومة العروس الى يوم القيامة ، فان وصف بخلافه والعياذ بالله منه قالا له : نم نومة المنهوش . وقد ورد في الخبر الظاهر ان المنكر والنكير قد يسألان بعضهم فيقولان من ربك ؟ فيقول ربي الله . فيقولان من رسولك ؟ فيقول محمد عليه السلام . فيسألانه عن صفة الرب وصفة الرسول فيقول : لا ادري سمعت الناس يقولونه وكنت أقول معهم . فيقولون له لا دريت ويعذبانه فيمن يعذب. وأصل

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) الكهف : ٣٠ .

(٣) ولفظ مسلم : يخرج من النار من قال :الا إله إلا الله وفي قلبه من الايمان ما يزن برّة » رواه في كتاب الايمان . باب كون النهي عن المنكر من الايمان وورد في النسائي : في الايمان : باب تفاضل أهل الايمان وابن ماجه : في الفتن : باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه : ١ : ١٢٥ : كتاب الطهارة : باب التشديد في البول عن ابن عباس .

(٥) وعند الترمذي الاستعاذة من الهم ، والكسل ، وعذاب القبر .

هذه المسألة في كتاب الله تعالى في قوله سبحانه في صفة آل فرعون : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب[1] » ولو كان المراد بالأول عذاب النار لما ورد القيامة بعده بالذكر وقوله سبحانه في صفة المؤمنين : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء[2] » وقوله تعالى خبرا عنهم : « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا[3] »وأراد به الاماتة عند الخروج من الدنيا والاحياء في القبر ثم الاماتة فيه ، ثم الاحياء يوم الحشر والنشر ، ولا يمكن حمله الا على الاحياء بعد حلول الموت . والمواتيّة لا تسمى موتاً في عرف اهل اللغة ، ولا ينكر ما استفاض به الاخبار ونطقت به الآيات من الاحياء في القبر الا من ينكر عموم قدرة الله تعالى ، ومن انكر عموم قدرته سبحانه وتعالى كان خارجاً عن زمرة اهل الاسلام .

٤٠ ـ وأن تعلم أن الصراط حق ، والجنة والنار مخلوقتان ، وكل ذلك وارد في القرآن وفي الأخبار الظاهرة عن المصطفى ﷺ على وجه لا يُبقي شكا ولا شبهة لمن ترك العصبية . وقد صرح الله تعالى بذكر النار والجنة ووجودهما واعداد الجنة للمؤمنين والنار للكافرين ، وانزال آدم عليه السلام في الجنة ثم اخراجه منها واهباطه الى الأرض ، وما ورد عن الرسول ﷺ أنه دخل الجنة ليلة المعراج ، ورأى فيها قصراً لعمر رضي الله عنه وقال لعمر : « ما منعني أن أدخله إلا غيرتك[4] » فبكى عمر رضي الله عنه وقال : أو عليك كنت أغار يا رسول الله . وقال ﷺ : « سمعت حسه فالتفت فإذا هو بلال[5] » وكان ذلك من صفات الموجودات . فان المعدوم لا يتصف بهذه الصفات ، ومن تأمل ما ورد فيه من الآي ، والأخبار ، والآثار لم يستجز انكاره .

٤١ ـ وأن تعلم ان الاجماع حق ، وما اجتمع عليه الأمة يكون حقاً مقطوعا

---

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) ابراهيم : ٢٧ .

(٣) غافر : ١١ .

(٤) أخرج الطبراني ما معناه عن انس ، واخرجه احمد كذلك .

(٥) أخرجه احمد عن ابن عباس .

على حقيقته قولا كان أو فعلا لقوله ﷺ : « لا تجتمع امتي على الضلالة[1] » ولو جاز اتفاقهم باجمعهم على الكذب لجاز اتفاقهم على كتمان شيء من الشريعة ، ولبطل به الاعتماد على الدلالة الموصلة الى التكاليف الشرعية ، ولسقط التكليف والشريعة ، ولكان العلم بالبلدان النائية والقرون الخالية ، والملوك الماضية متعذراً اذ لا سبيل الى معرفتها الا بالنقل على التظاهر والتواتر ، والاتفاق عليه من أهل النقل ، وأصل الاجماع من كتاب الله تعالى قوله سبحانه وتعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا[2] » .

٤٢ ـ وأن تعلم أن من جملة ما اجتمع عليه المسلمون ان عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا من أهل الجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة الجراح رضي الله عنهم أجمعين . واجمعوا أيضا على أن نساءه ، وأولاده ، وأحفاده كلهم كانوا من أهل الجنة ، وأنهم كانوا مؤمنين وانهم كانوا من أعلام الدين لم يكتموا شيئا من القرآن ولا من أحكام الشريعة ، وكذلك أجمعوا على خلافة الخلفاء الأربعة بعد الرسول ﷺ وعلى أنهم لم يكتموا شيئا من القرآن والشريعة ، بل ساروا أحسن سيرة ووفقوا بحسن السعي في تثبيت المسلمين على الدين ، وقد اثنى الله تعالى في كتابه عليهم حيث قال تعالى : «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراةومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةواجرأعظيما[3] » .وقال ﷺ في صفة أبي بكر ،وعمر رضي الله عنهما :

---

(١) ولفظ ابن ماجه : « ان امتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم » رواه في سننه : كتاب الفتن ورواه أحمد بلفظ «لن تجتمع أمتي الا على هدى » ٥ : ١٤٥ . وهذا الحديث اسناده ضعيف .

(٢) النساء : ١١٥ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

« أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر »[1] وقال في صفة عثمان رضي الله عنه : « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟[2] » وقال في صفة علي رضي الله عنه : « أقضاكم علي[3] » وقال في صفة الحسن والحسين رضي الله عنهما : « انهما سيدا شباب أهل الجنة[4]» وقال في فاطمة رضي الله عنها : « سيدات نساء العالمين أربع ، فاطمة ، وخديجة ، وآسية ، ومريم بنت عمران»«وفضل عائشةعلى سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[5]»وأخرج هذا الكلام مخرج عادةالعرب في تفضيلهم الثريد حتى قالوا : ثردوا ولو بالماء . وقال في عائشة : «انها لفقيهة» . وقال في وصف فاطمة : «ان فاطمةبضعةمني يسرني ما يسرها ، ويسوؤني ما يسوؤها[6]»وقال في فضل أصحابه أجمعين : « كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم[7] وقال في وصف ابن مسعود رضي الله عنه : « رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد[8] » وقال في وصف أبي ذر الغفاري : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين أمرءاً أصدق لهجة من أبي ذر[9]» وقال في صفة أبي عبيدة الجراح : « أمين أمتي[10]» وقال في الزبير : « ان

---

(١) اخرجه ابن ماجه في سننه ١ : ٥٥ وهذا غير ثابت .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه : في المناقب : ١٩ .

(٣) ورد بالفاظ شتى عند احمد وغيره مرفوعاً وموقوفاً .

(٤) أخرجه الترمذي : في المناقب ، وأخرجه أحمد في مسنده٣ : ٣ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ٣ : ٢٩٧ : كتاب الأطعمة : باب الثريد عن أبي موسى الأشعري ، وأحمد في مسنده ٣ : ١٥٦ .

(٦) أول الحديث في الصحيحين ، وما زاد فقد أخرجه احمد بمعناه ، والبيهقي كذلك . أنظر البخاري ٢ : ٣٠٢ : باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ .

(٧) رواه البيهقي ، واسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم » انظر : كشف الخفا ١ : ١٣٢ . وهذا الحديث اسناده ضعيف .

(٨) أخرجه البيهقي والديلمي وغيرهما .

(٩) أخرجه أحمد في مسنده ٢ : ١٦٣ .

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه ٢ : ٣٠٥ : باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح عن أنس بن مالك بلفظ : ان لكل أمة أميناً وان أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

في كل أمــة حواري وحــواري أمتــي الزبير»[1]. والأخبــار في فضــل الصحابة رضي الله عنهم اكثر من ان يحتمله هذا المختصر والمقصود ههنا أن تعلم أن الخلفاء الراشدين كانوا على الحـق ، وان جملـة أصحـاب رسـول الله ﷺ كانـوا محقـين ، مؤمنين ، مخلصين ، صادقين ، وكان تقديمهم لمن قدموه، وتقريرهم في ما قرروه حقاً وصدقا ، وكلهم كانوا يقولون لأبي بكر رضي الله عنـه يا أمـير المؤمنـين ، وكانـوا يخاطبون عمر ، وعثمان ، وعلياً ، وكذلك علي رضي الله عنه كان يخاطبهم بذلك وكان يخاطب بمثله في أيامه .

٤٣ ـ وان تعلم ان كل من تدين بهذا الدين الذي وصفناه من اعتقاد الفرقة الناجية فهو على الحق وعلى الصراط المستقيم . فمن بدعه فهو مبتدع ، ومن ضلله فهو ضال ، ومن كفره فهو كافر ، لأن من اعتقـد ان الايمـان كفـر ، وان الهـداية ضلالة ، وأن السنة بدعة ، كان اعتقاده كفرا وضلالة وبدعة واصل هذا مأخوذ من قول النبي ﷺ : « من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء به أحدهما[2]» فجاء من هذه الجملة انا لا نبدع الا من بدعنا ، ولا نضلل الا من ضللنا ، ولا نكفر الا من كفرنا وقد أنصف القارة من رماها .

٤٤ ـ وأن تعلم ان كل ما يجب معرفته في أصول الاعتقاد يجب على كل بالغ عاقل ان يعرفه في حق نفسه معرفة صحيحة صادرة عن دلالة عقلية لا يجوز له أن يقلد فيه ولا ان يتكل فيه الأب على الابن ، ولا الابن على الأب ، ولا الزوجة على الزوج ، بل يستوي فيه جميع العقلاء من الرجال والنساء . وأما ما يتعلق بفـروع الشريعة من المسائل فيجوز له أن يقلـد فيه من كان من أهـل الاجتهـاد ، فان في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : ٢ : ٣٠٢ : باب مناقب الزبير بن العوام عن جابر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة بلفظ : إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما ؛ وفي المعجم الكبير للطبراني زيادة ان كان الذي قيل له كافراً فهو كافر والا رجع الى من قال »

تكليف التعليم وتحصيل أوصاف المجتهدين على العموم قطع الخلق عن المعاش ثم المعاد وما كان في اثباته سقوطه وسقوط غيره كان ساقطا في نفسه ، وقد ذكر الله تعالى الأصول والفروع ، فذم التقليد في الأصول وحث على السؤال في الفروع ، فأما مذمة التقليد في الأصول ففي قوله تعالى : « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون[1] » وفي آية أخرى « مقتدون» وأما الحث على السؤال في الفروع ففي قوله تعالى : « فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون[2] » .

٤٥ ـ وأن تعلم أن السؤال واجب عند الحاجة ووقوع الحادث لأنه لو لم يسأل وعمل من ذات نفسه وأخطأ أو أصاب لم يكن فعله امتثالا لأمر الله تعالى ولم يجز أن يكون عبادة يتقرب بها المتعبد ، ولهذا امر الله بالسؤال في قوله : « فاسألوا أهل الذكر » وهذا كما أن المسلمين اجمعوا على أن الأعمى يسأل عن القبلة ثم يصلي إليها ، فان لم يسأل وأصاب لم يعتد بصلاته ،وكانت الاعادةواجبة عليه . كذلك العاميُّ اذا عمل من ذات نفسه أو سأل مَنْ ليس من أهل السؤال فأصاب في عبادته لم يعتد له بفعله ؛ وكانت الإعادة واجبة عليه . هذا في العبادات على قول اكثر أهل السنة .

فأما في العقود اذا وافق الشرط المعتبر فيه من غير سؤال كان جائزاً . لأن النية فيها غير معتبرة وهي في العبادة معتبرة . وحقيقة النية ان يوقع فعله امتثالا لامر الآمر بطريقه ، فاذا عدل عن الطريق المأمور به لم يكن امتثالا لأمر الآمر فلم يصح الاعتداد به .

٤٦ ـ وان تعلم ان من كان من أهل التقليد في أحكام الشريعة فانه يجب عليه السؤال ولا يجوز له أن يسأل كل أحد إذ لو جاز ذلك لجاز ان يعمل من ذات نفسه إذ

---

(١) الزخرف : ٢٢ .
(٢) النحل : ٤٣ .

لا فرق بين شخص وشخص اذا لم يعتبر فيه صفات المجتهدين . ولهذا قال الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون [١]» وقال ﷺ : «ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم [٢] » فثبت بهذا أن على العامي اذا أراد السؤال ضربا من الاجتهاد حتى يميز بين من يكون أهلا لمعرفة ما يسأل عنه ، وبين من لا يكون أهلا له . ويحصل له المعرفة بطول الدراية والتسامع .

٤٧ ـ وأن تعلم أن من حصل له ما ذكرناه من المعارف المشروطة في صحة الاعتقاد فواجب عليه اظهاره والاقرار به عند الحاجة اليه والمطالبة به ، ولا يجوز له جحوده ولا كتمانه قال الله تعالى : « وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون [٣] » وحقيقة الايمان أن يصحح المعرفة بما ذكرناه من شروط الايمان ، ويقر به عند التمكن منه والأمان على النفس والمال والحرم والاسباب ، وان أنكره عند المخافة من غير أن يغير من اعتقاده شيئاً فلا حرج عليه فيه قال الله تعالى : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان [٤] » .

واعلم ان جميع ما ذكرناه من صفات عقائد الفرقة الناجية يجب معرفته في صحة الايمان ، وقد شرحناه وقرنا كل واحد منها بدليل عقلي وآخر شرعي ليورد من احكمه على الخصم المقر بالشريعة الأدلة الشرعية ؛ وعلى الخصم المنكر للشريعة من طبقات الملحدين الأدلة العقلية فيقوى على الفريقين بما جمعناه من الطريقين ، ولا تكاد تنفذ عليه حيل أهل الالحاد والبدعة والخدعة عن الديانة .

واعلم أن جميع ما ذكرناه من اعتقاد أهل السنة والجماعة فلا خلاف في شيء منه

---

(١) الأنبياء : ٧ .

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة ، ورواه مسلم ليس مرفوعا بل من كلام ابن سيرين .

(٣) العنكبوت : ٤٦ .

(٤) النحل : ١٠٦ .

بين الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله . وجميع اهل الرأي والحديث مثل مالك[1]، والاوزاعي[2] وداود[3] والزهري[4] والليث بن سعد[5] وأحمد بن حنبل[6] وسفيان الثوري[7] وسفيان بن عيينة[8] ويحيى بن معين[9] وأسحق بن راهويه[10] ومحمد بن

---

(١) هو إمام دار الهجرة ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر ، الاصبحي . وهو صاحب «الموطأ» المشهور المتداول ولد سنة / ٩٣ هـ ويقال : سنة / ٩٤ ، ومات في سنة / ١٧٩ هـ : انظر «العبر» ١ : ٢٧٢ ، و «مشاهير علماء الامصار» رقم / ١١١٠ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٥ .

(٢) هو إمام الشاميين ابو عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو ، الفقيه ، روى عن خلف كثير من التابعين ، ولد في سنة / ٨٠ هـ ، ومات ببيروت في الحمام سنة / ١٥٧ هـ . انظر «العبر» ١ : ٢٢٧ ، و «مشاهير علماء الأمصار» رقم : ١٤٢٥ ، و «وفيات الاعيان» رقم / ٣٣٤ .

(٣) هو ابو سليمان داود بن علي بن خلف الاصبهاني ولد في الكوفة سنة ٢٠٠ هـ وقيل ٢٠٢ هـ وتعلم في البصرة وبغداد ونيسابور ، توفي في بغداد سنة ٢٧٠ هـ . انظر «الفهرست» لابن النديم ٢١٦ ـ ٢١٧ ، «الوفيات» ١ : ٢١٩ ـ ٢٢٠ «لسان الميزان» : ٢ : ٤٢٢ ـ ٤٢٤ .

(٤) هو ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، الزهري ، المدني ، احد الأئمة الكبار . توفي في سنة / ٩٤ هـ . ويقال : في سنة / ١٠٤ هـ . انظر «العبر» ١ : ١١٢ .

(٥) هو ابو الحارث الشيباني سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، ولد في قلقشندة بمصر سنة ٩٤ هـ ، كان محدثاً فقيهاً بارزاً ، توفي سنة ١٧٥ هـ . انظر الطبقات لابن سعد ٧ : ٥١٧ . «والفهرست» ١٩٩ ، و «حلية الاولياء» ٧ : ٣١٨ . «والوفيات» : ١ : ٥٥٤ ـ ٥٥٥ .

(٦) هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل ، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ . تعلم هناك اللغة والحديث . وقع له مع المأمون «محنة» لانه رفض رأي الاعتزال ، وتوفي سنة ٢٤١ هـ في بغداد . انظر «التاريخ الكبير» ١ : ٢ ، «الفهرست» ٢٢٩ ، «حلية الاولياء» ٩ : ١٦١ ـ ٢٢٣ ، «تاريخ بغداد» ٤ : ٤١٢ ـ ٤٢٣ ، «وفيات الاعيان» ١ : ٢٠ ـ ٢١ «التهذيب» ١ : ٧٢ ـ ٧٦ .

(٧) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد مسروق الثوري الكوفي ولد سنة ٩٥ هـ ، وكان محدثاً زهراً ومتكلماً انظر «الطبقات» ٦ : ٣٧١ ـ ٣٧٤ ، «التاريخ الكبير» ٣ : ٩٣ . و «المشاهير» لابن حبان / ١٦٩ ـ ١٧٠ ، و «الفهرست» ٢٢٥ ، و «تاريخ بغداد» ٩ / ١٥١ ـ ١٧٤ .

(٨) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، الكوفي ، المكي ، ابو محمد . ولد بالكوفة في النصف من شعبان ، وطلب الحديث ولقي الكبار ، توفي سنة ١٩٦ هـ في النصف من شعبان . انظر معجم المؤلفين ٤ : ٢٣٥ ، «والفهرست» ١ : ٢٢٦ ، و «تهذيب التهذيب» ٤ : ١١٧ ، و «الحلية» ٧ : ٢٧٠ ـ ٣١٨ .

(٩) . هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المري ، البغدادي (ابو زكريا) محدث حافظ ، عارف بالرجال ، ولد بقرية نقيا سنة ١٥٨ هـ وتوفي بالمدينة سنة ٢٣٣ هـ في ذي القعدة . انظر «معجم المؤلفين» ١٣ : ٢٣٢ ، و «تاريخ بغداد» ١٤ : ١٧٧ ، «الفهرست» : ١ : ٢٣١ .

(١٠) هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن عطية المروزي المعروف بابن راهويه . محدث فقيه ولد سنة ١٦١ هـ وقيل ١٦٣ هـ وغير ذلك وتوفي سنة ٢٣٨ هـ ، وهو ابن ٧٧ سنة . انظر «معجم المؤلفين» ٢ : ٢٢٨ ، و «الفهرست» =

اسحق الحنظلي [1] ومحمد بن اسلم الطوسي [2] ، ويحيى بن يحيى [3] ، والحسين بن الفضل البجلي [4] ، وابي يوسف [5] ، ومحمد [6] ، وزفر [7] ، وابي ثور [8] . وغيرهم من أئمة الحجاز ، والشام ، والعراق ، وأئمة خراسان ، وما وراء النهر ، ومن تقدمهم من الصحابة ، والتابعين، واتباع التابعين . ومن اراد ان يتحقق ان لا خلاف بين الفريقين في هذه الجملة فلينظر فيما صنفه ابو حنيفة رحمه الله في الكلام وهو كتاب «العلم» وفيه الحجج القاهرة على اهل الالحاد والبدعة ، وقد تكلم في شرح اعتقاد المتكلمين وقرر احسن طريقة في الرد على المخالفين وكتاب «الفقه الاكبر» الذي اخبرنا به الثقة بطريق معتمد واسناد صحيح عن نصير بن يحيى (عن ابي مطيع) عن ابي حنيفة وما جمعه ابو حنيفة في الوصية التي كتبها الى ابي عمرو عثمان البتي ورد فيها على المبتدعين . ولينظر فيما صنفه الشافعي في مصنفاته فلم يجد بينْ مذهبيهما تبايناً بحال . وكل ما حكى عنهم خلاف ما ذكرناه من مذاهبهم فانما هو كذب يرتكبه مبتدع ترويجاً لبدعته . ومن لا يبالي ان يتدين بما لا حقيقة له في دينه لا يبالي نسبة

= ١ : ٢٣٠ ، و «شذرات الذهب» ٢ : ٨٩ ، و «الحلية» ٩ : ٢٣٤ .

(١) فاضل ، سمع منه السمعاني . كان حياً قبل ٥٦٢ هـ . انظر «ايضاح المكنون» ٢ : ٣٠٥ و «معجم المؤلفين» ٧ : ٣٣ .

(٢) هو محمد بن اسلم الطوسي ، الكندي ، محدث ، ومفسر ، ومتكلم توفي سنة ٢٤٢ هـ انظر «معجم المؤلفين» ٩ : ٥٢ . و «كشف الظنون» ٥٨ : ١٦٨٥ ، و «الوافي» ٢ : ٢٠٤ .

(٣) هو يحيى بن يحيى النيسابوري توفي سنة ٢٢٦ هـ.

(٤) لم نقف على ترجمته .

(٥) هو ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الكوفي . ولد سنة ١١٣ هـ . صاحب أبي حنيفة توفي سنة ١٨٢ هـ . انظر الفهرست ٢٠٣ ، و «تاريخ بغداد» ١٤/ ٢٤٢ ـ ٢٦٢

(٦) هو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، ولد بواسط سنة ١٣٢ هـ وشب بالكوفة حيث سمع من أبي حنيفة وتأثر به . ولي منصب القضاء بالرقة وعزل توفي في سنة ١٨٩ هـ . انظر الطبقات ٧ : ٢ ، و «الفهرست» ٣ : ٢٠٤ و «الوفيات» ١ : ٤٥٣ ، و «شذرات الذهب» ١ : ٣٢١ .

(٧) هو ابو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس العنبري ، احد تلاميذ ابي حنيفة المشهورين ولد في سنة ١١٠ هـ ، وتوفي سنة ١٥٨ هـ . انظر «الفهرست» ٢٠٤ ، «والوفيات» ١/ ٢٣٧ وشذرات الذهب ١ : ٢٤٣ .

(٨) هو ابو ثور إبراهيم بن خالد ، الكلبي ، البغدادي ، الفقيه ، احد الاعلام . تفقه بالشافعي ، وسمع من ابن عيينة وغيره توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر «العبر» ٢/ في عدة مواضع ، وطبقات الشافعية ١/ ٢٢٧ ، و «شذرات الذهب» ٢/ ٩٣

الخرافات الى أئمة الدين لأن من كذب على الله تعالى ورسوله ﷺ لا يبالي ان يكذب على أئمة المسلمين ، وقد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبس بشيء من مقالات القدرية والروافض مقلداً فيها . وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة الى أبي حنيفة تستراً به ، فلا يغر نك ما أدعوه من نسبتها اليه فان أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبوه اليه ، والله تعالى يعصم أهل السنة والجماعة من جميع ما ينسبه اليهم أهل الغواية والضلالة وبالله التوفيق

ـ الفصل الثاني من هذا الباب
في طريق تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة في العاقبة :

اعلم ان الذي تحقق لهم هذه الصفة أمور. منها قوله تعالى: « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»[1] والمحبة من الله تعالى في متابعة الرسول سبب محبة الرب للعبد ، فكل من كان متابعته للرسول ﷺ ابلغ واتم كانت المحبة له من الله أكمل واتم ، وليس في فرق الأمة اكثر متابعة لأخبار الرسول ﷺ واكثر تبعاً لسنته من هؤلاء ولهذا سموا اصحاب الحديث ، وسموا بأهل السنة والجماعة . ومنها ان النبي ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية قال : «ما انا عليه واصحابي » وهذه الصفة تقررت لأهل السنة لأنهم ينقلون الاخبار والآثار عن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، ولا يدخل في تلك الجملة من يطعن في الصحابة من الخوارج ، والروافض ، ولا من قال من القدرية : ان شهادة اثنين من اهل صفين غير مقبولة على باقة بقل . ومن ردهم وطعن فيهم لا يكون متابعاً لهم ولا ملابساً بسيرتهم . ومنها ما جاء في رواية اخرى انه ﷺ سئل عن الفرقة الناجية فقال : (الجماعة) . وهذه صفة مختصة بنا . لأن جميع الخاص والعام من اهل الفرق المختلفة يسمونهم اهل السنة والجماعة ، وكيف يتناول هذا الاسم الخوارج وهم لا يرون الجماعة ، والروافض وهم لا يرون الجماعة ، والمعتزلة وهم لا يرون صحة

---

(١) آل عمران : ٣١.

الاجماع . وكيف تليق بهم هذه الصفة التي ذكرها الرسولﷺ .

ومنها انهم يستعملون في الأدلة الشرعية كتاب الله وسنة رسولهﷺ، واجماع الأمة والقياس ، ويجمعون بين جميعها في فروع الشريعة ويحتجون بجميعها . وما من فريق من فرق مخالفيهم الا وهم يردون شيئاً من هذه الأدلة . فبان انهم اهل النجاة باستعمالهم جميع اصول الشريعة دون تعطيل شيء منها .

ومنها ان اهل السنة مجتمعون فيما بينهم لا يكفر بعضهم بعضاً وليس بينهم خلاف يوجب التبريء والتكفير . فهم اذاً أهل الجماعة قائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله كما قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »[1] قال المفسرون : أراد به الحفظ عن التناقض وما من فريق من فرق المخالفين الا وفيما بينهم تكفير وتبري يكفر بعضهم بعضاً ، كما ذكرنا من الخوارج والروافض ، والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً وكانوا بمنزلة اليهود ، والنصارى حين كفر بعضهم بعضاً حتى قالت اليهود : «ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء »[2] وقال الله سبحانه وتعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »[3] .

ومنها ان فتاوى الامة تدور على اهل السنة والجماعة فريقي الرأي والحديث ، ومعظم الأئمة ينتحلون مذهبهم ويجتمعون على طريقهم وهو الغالب على بلاد المسلمين . فهم اذاً اهل الجماعة من سائر الوجوه ، وكلهم متفقون على رد مذهب الروافض ، والخوارج ، والقدرية ، من اهل الاهواء والبدع .

ومنها ان عبد الله بن عمر رضي الله عنه روى عن النبيﷺ في تفسير قوله سبحانه وتعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه »[4] (ان الذين تبيض وجوههم هم

---

(١) الحجر : ٩.

(٢) البقرة : ١١٣.

(٣) النساء : ٨٢.

(٤) آل عمران : ١٠٦.

الجماعة ، والذين تسود وجوههم هم اهل الاهواء) وأهل الاهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب ولا السنة .

ومنه قوله تعالى :«ان الذين فرقوا دينهم وكانواشيعاً لست منهم في شيء» (١) فتبين ان الذين فارقوا دينهم او فرقوا دينهم هم ليسوا على طريق الحق ، وجميع من ذكرناهم من فرق المخالفين يفرقون فيما بينهم كما وصفناه من اختلافهم فبان به انهم مفارقون للدين ، وأهل السنة والجماعة متمسكون به بعروة الاسلام وحبل الدين ، مجتمعون في اصولهم غير متفرقين ، فكانوا هم اهل النجاة دون من خالفهم في هذه الصفة .

ـ الفصل الثالث

من فصول المفاخر لأهل الاسلام وبيان فضائل اهل السنة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخرهم

اعلم انه لا خصلة من الخصال التي تعد في المفاخر لأهل الاسلام من المعارف ، والعلوم ، وانواع الاجتهادات ، إلا ولأهل السنة والجماعة في تزيينها القدح المعلى ، والسهم الأوفر .

أما العلوم فاولها الرقي في مدارج الفضل والأدب الذي هو ترجمان جميع العلوم ، ومعرض جميع الفوائد الفاخرة في الدينا والآخرة ، اذ لا سبيل الى تفسير القرآن واخبار الرسول ﷺ . الا بمعرفة الأدب ، وجملة الأئمة في النحو واللغة من اهل البصرة والكوفة في دولة الاسلام كانوا من أهل السنة والجماعة ، واصحاب الحديث والرأي . ولم يكن في مشاهيرهم من تدنس بشيء من بدع الروافض،

---

(١) الانعام : ١٥٩.

والخوارج ، والقدرية ، مثل ابي عمرو بن العلاء[1] الذي قال له عمرو بن عبيد القدري : قد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد ، والله تعالى يصدق وعده ووعيده ، فاراد بهذا الكلام ان ينصر بدعته التي ابتدعها في ان العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون. فقال ابو عمرو : فأين انت من قول العرب ان الكريم اذا اوعد عفا ، واذا وعد وفى ، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال :

وانــي اذا أوعدتــه أو وعدته   لمخلف ميعادي ومنجـز موعدي

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم ، وكذلك لم يكن في أئمة الأدب احد إلا وله انكار على أهل البدعة شديد، وبعد من بدعهم بعيد . مثل الخليل بن احمد[2] ويونس بن حبيب[3] وسيبـويه[4] والاخفش[5] والزجـاج[6] والمبـرد[7] وابـي حاتـم

---

(١) هو مقرىء البصرة الإمام ابو عمرو بن العلاء ، المازني ، احد القراء السبعة . قال عنه أبو عبيدة : كان ابو عمرو اعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وايام العرب ، مات سنة / ١٥٤ هـ انظر «العبر» ١ : ٢٢٣ ، و «شذرات الذهب» ١ : ٢٣٧ .

(٢) هو إمام النحاة وشيخ امامهم : ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد ، الفراهيدي ، الازدي ، البصري ، صاحب العربية والعروض . صنف كتاب العين في اللغة ، وعليه تخرج سيبويه . توفي في ارجح الاقوال في سنة / ١٧٥ هـ ، ويقال قبلها ، ويقال بعدها ، انظر «العبر» ١ : ٢٦٨ .

(٣) هو من اصحاب ابي عمرو بن العلاء سنة ١٨٢ هـ .

(٤) هو إمام اهل البصرة في العربية ، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، مصنف «الكتاب» الذي يعد مفخرة التآليف في العربية . كانت وفاته على الصحيح في سنة / ١٨٠ هـ عن بضع ثلاثين سنة . انظر «العبر» ١ : ٢٧٨ .

(٥) هو ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، المجاشعي ، اخذ عن سيبويه وكان اسن منه ، وصحـب الخليل قبل ان يصحب سيبويه ، وقرأ على الكسائي كتاب سيبويـه ، وتـوفي سنة / ٢١٥ هـ . انظر « طبقات الزبيدي » ص/ ٧٤ .

(٦) هو ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ابو اسحاق) النحوي ، اللغوي ، المفسر ، اقدم اصحاب المبرد قراءة عليه توفي سنة ٣١١ هـ . وقيل غير ذلك انظر «معجم المؤلفين» ١ : ٣٣ ، و «الفهرست» ١ : ٦٠ ، وتاريخ بغداد ٨٩ ـ ٩٣ .

(٧) هو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن حسان الازدي ، المعروف بالمبرد (ابو العباس) اديب ، نحوي ، لغوي ، نسابه . ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ . وتوفي ببغداد في ذي الحجة سنة ٢٨٥ هـ . انظر «معجم المؤلفين» ١٢ : ١١٤ ، و «الفهرست» ١ : ٥٩ ، و «شذرات الذهب» ٢ : ١٩٠ ـ ١٩١ .

السجستاني [1] وابن دريد [2] والازهري [3] وابن فارس [4] والفارابي [5] وكذلك من كان من أئمة النحو واللغة مثل الكسائي [6]، والفراء [7] والاصمعي [8] وابي زيد الأنصاري [9] وابي عبيدة [10] وابي عمرو الشيباني [11] وابي عبيد القاسم بن سلام [12]

---

(١) هو سهل بن محمد بن يزيد الجشمي السجستاني (ابو حاتم)، نحوي ، لغوي ، عروضي، مقرىء. ولد سنة ١٧٢ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ . انظر «معجم المؤلفين» ٤ : ٢٨٥، و «الفهرست» ١ : ٥٨ ، و«وفيات الاعيان» ١ : ٢٧٣ .

(٢) هو محمد بن بن الحسن بن دريد بن عتاهية ، الازدي البصري ، (ابو بكر)، أديب ، شاعر ، لغوي ، نسابة . ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ وقرأ على علمائها وتوفي ببغداد ودفن بالخيزرانية سنة ٣٢١ هـ. انظر «تاريخ بغداد» ١٩٥ - ١٩٧ ، و «الفهرست» ١ : ٦١، و«وفيات الاعيان» ٦٢١ - ٦٣٢ - «وطبقات الشافعية» ٢ : ١٤٥ .

(٣) هو محمد بن احمد بن طلحة ، الازهري ، (ابو منصور)، اللغوي توفي سنة ٣٧٠ هـ . انظر كشف الظنون ١ : ٥١٥ .

(٤) هو ابو الحسين احمد بن فارس، القزويني، اللغوي ، صاحب «مجمل اللغة» المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . انظر «كشف الظنون» ٢ : ١٦٠٥ .

(٥) هو اسحاق بن ابراهيم الفارابي (ابو ابراهيم) اديب لغوي ، سكن زبيد توفي سنة ٣٥٠ هـ وقيل غير ذلك. انظر «الانساب» ٢ / ٤١٥ و «معجم الادباء» ٦ : ٦٥ .

(٦) هو علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي، الكوفي ، المعروف بالكسائي (ابو الحسن) مقرىء ، مجود ، لغوي . نشأ بالكوفة ، واستوطن بغداد وهو احد القراء السبعة وتوفي برنبويه احدى قرى الري سنة ١٨٠ هـ وقيل غير ذلك . انظر «الفهرست» ١ : ٢٩ و «الانساب» ٤٨٢ ، و «تاريخ بغداد» ١١ : ٤٠٣ - ٤١٥ .

(٧) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور ، الاسلمي ، المعروف بالفراء الديلمي (ابو زكريا) ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧ هـ . انظر وفيات الاعيان ، ٢ : ٣٠١ - ٣٠٤، و «الفهرست» ١ : ٦٦ .

(٨) هو عبد الملك بن قريب والكلام فيه طويل توفي سنة ٢١٦ هـ.

(٩) هو سعيد بن اوس بن ثابت بن زيد بن قيس الأنصاري (أبو زيد). لغوي ، اديب ، نحوي ، ولد سنة ١١٩ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢١٥ هـ . وقيل غير ذلك . انظر «معجم المؤلفين» ٤ : ٢٢٠ ، و «الفهرست» ١ : ٥٤ ، و «وفيات الاعيان» ٢ : ٢٦١ .

(١٠) هو معمر بن المثنى (ابو عبيدة) توفي سنة ٢٠٩ هـ.

(١١) هو اسحاق بن مرار الشيباني ، الكوفي (ابو عمرو) . اصله من رمادة الكوفة ، نزل بغداد توفي سنة ٢٠٥ هـ . وفي رواية ٢٠٦ وقيل غير ذلك . انظر «معجم المؤلفين» ٢ : ٢٣٨ ووفيات الاعيان : ١ : ٨٠ - ٨١ ، والفهرست ١ : ٦٨ ، وتاريخ بغداد : ٦ : ٣٢٩ - ٣٣٢ .

(١٢) هو القاسم بن سلام (ابو عبيدة) ولد بهراة سنة ١٥٠ هـ واخذ عن خلف وتوفي بمكة سنة ٢٢٢ هـ وقيل غير ذلك. انظر «تاريخ بغداد» ١٢ : ٤٠٣ - ٤١٦ ، و «الفهرست» ١ : ٧١ و «شذرات الذهب» ٢ : ٥٤ ، و «تذكرة الحفاظ» ٢ : ٥ ، ٦ .

وما منهم احد إلا وله في تصانيفه تعصب لأهل السنة والجماعة ، ورد على اهل الالحاد والبدعة ، ولم يقر واحد في شيء من الاعصار من اسلاف اهل الادب بشيء من بدع الروافض والقدرية غير ان جماعة من المتأخرين من اهل الادب تدنسوا بشيء من ذلك تقرباً الى «ابن عباد» طمعاً في شيء من الدنيا والرياسة ، واظهروا شيئاً من الرفض والاعتزال ، ومن كان متدنساً بشيء من ذلك لم يجز الاعتماد عليه في رواية اصول اللغة وفي نقل معاني النحو ، ولا في تأويل شيء من الاخبار ، ولا في تفسير آية من كتاب الله تعالى .

وثانيها: علم تفسير القرآن ، ولم يكن في جميع من نسب اليه شيء من اصول تفسير القرآن من وقت الصحابة الى يومنا هذا من تلوث بشيء من مذهب القدرية ، والخوارج ، والروافض ، مثل الخلفاء الراشدين الذين تكلموا في التفسير ، ومثل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ، ومثل المشاهير من التابعين ، واتباع التابعين الذين تكلموا في التفسير كسعيد بن جبير[1] وقتادة[2] وعطاء[3] وعكرمة[4] ومكحول[5] وعطية[6] ومن كان بعدهم

---

(١) هو ابو عبد الله بن سعيد بن جبير الاسدي ، الكوفي ، ولد سنة ٤٥ هـ وتتلمذ على عبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر ، قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ . انظر «المعارف» ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، و«حلية الأولياء» ٤/ ٢٧٢ ـ ٣٠٩. و«الوفيات» ١ : ٢٥٦ ـ ٢٥٨ .

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدسي ولد سنة ٦٠ هـ .وكان مقرىء فقيهاً.روى عن انس بن مالك توفي سنة ١١٨ هـ. انظر «المعارف» ٢٣٤ ، التهذيب ٨ : ٣٥١ الطبقات» ٧ : ٢٢٩ ـ ٢٣١ .

(٣) هو ابو محمد عطاء بن ابي رباح اسلم القرشي سنة ٢٧ هـ ادرك مائتين من صحابة رسول الله ﷺ توفي سنة ١١٤ هـ. انظر «الطبقات» ٥ : ٤٦٧ ، و«المعارف» ٣٢٧. «وحلية الأولياء» ٣ : ٣١٠، «وتذكرة الحفاظ» ٩٨.

(٤) هو مولى ابن عباس والكلام فيه طويل توفي سنة ١٠٥ هـ.

(٥) هو مكحول بن شهراب بن شاذل الهذلي ، (ابو عبد الله) اصله من فارس ، وولد بكابل ، ورحل بطلب الحديث الى العراق ، فالمدينة ، واستقر بدمشق ، وتوفي بها . انظر «الفهرست» ١ : ٢٢٧ ، و«معجم المؤلفين» ١٢ : ٣١٩.

(٦) هو عطية بن سعد بن جنادة ، العوفي ، الكوفي ، (ابو الحسن) توفي سنة ١١١ هـ. انظر «الطبقات» ٦ : ٢١٢ ، و«المعارف» ٢٥٩ ، و«التهذيب» ٧ : ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

إكالواقدي[1] ومحمد بن اسحاق بن يسار [2] والسدي [3] وغيرهم ممن كان بعدهم الى أن انتهت النوبة الى محمد بن جرير الطبري[4] واقرانه .

وكان الزجاج رأسا في نصرة أهل السنة والرد على أهل البدعة ، وكذا الفراء قبله وقد ردا في كتابيهما المصنفين في المعاني على القدرية ، والخوارج ، والروافض . وصنف بعض متأخري القدرية في تفسير القرآن على موافقة بدعتهم وذلك لا يتداوله من أهل صنعة التفسير الا مخذول . وقد جمعنا في كتابنا المعروف « بتاج التراجم » ما هو المعتمد من أقوال المفسرين ابتعاداً عما احدثه فيه أهل الضلالة والزيغ من التأويلات على سبيل التحريف .

وثالثها : العلوم المتعلقة بأحاديث المصطفى ﷺ ، والتمييز بين الصحيح والسقيم من الروايات ومعرفة السلف الصالح ، ولا يدخل في تلك الصنعة الا أهل السنة والجماعة . وكذلك علوم القرآن لاحظ في شيء منها لأحد من الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، وكيف يكون فيه حظ لمن يدعي أن في القرآن زيادة ونقصاً ، ويقدح في الصحابة الذين عليهم مدار الأحاديث ، بل لا يبالي بان يقدم عليهم بالتضليل والتكفير . وقد ندر فيما بين أهل القرآن والحديث من يتلبس

---

(١) هو محمد بن عمر الواقدي ، (ابو عبد الله) ولد سنة ١٣٠ هـ . في المدينة ، وتوفي سنة ٢٠٧ هـ في بغداد . انظر «الطبقات » ٥ : ٤٢٥ - ٤٣٣ ، و «المعارف » ٢٥٨ ، و «تاريخ بغداد » ٣ : ٣، والفهرست ٩٨ - ٩٩ . و «معجم المؤلفين»١١/ ٩٥ - ٩٦ . وقد ذكر الصفدي أنه ضعيف انظر الوافي ٤ : ٢٣٨ وقال أحمد : هو كذاب . اهـ .

(٢) هو محمد بن اسحاق بن يسار ، المطلبي ، المدني ، (ابو بكر ، ابو عبد الله) توفي ببغداد سنة ١٥١ هـ وقيل غير ذلك ، ودفن بمقابر الخيزران . انظر «تاريخ بغداد » ١ : ٢١٤ ، و «الوفيات » ١ : ٦١١ - ٦١٢ ، و «معجم المؤلفين » ٩ : ٤٤ ، و «الفهرست » ١ : ٩٢ و « تذكرة الحفاظ » ١: ١٦٣ - ١٦٤ . وقد وهّاه بعض الحفاظ .

(٣) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة ، السدي (ابو محمد) عاش في الكوفة وروى عن بعض الصحابة توفي سنة ١٢٨ هـ . انظر «التاريخ الكبير » ١ / ١/ ٣٦١ ، و «المعارف » ٩١ و «معجم المؤلفين » ٢ : ٢٧٦ .

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري (أبو جعفر) ، مفسر ، محدث ، مؤرخ وفقيه ، ولد بآمل طبرستان في آخر سنة ٢٢٤ هـ أو أول ٢٢٥ هـ واستوطن بغداد . واختار لنفسه مذهباً في الفقه ، وتوفي ليومين بقيا من شوال في بغداد . انظر « تاريخ بغداد » ٢ : ١٦٢ ، و « وفيات الأعيان » ١ : ٥٧٧ ، و « الفهرست » ١ : ٢٣٤ ، ولسان الميزان : ١٠٠ - ١٠٣ .

بصنعتهم وهو يضمر سوء بدعته ونحن نذره وسوء سريرته لا نعتد به .

ورابعها : علوم الفقه ويختص بالتبحر فيه أصحاب الحديث وأصحاب الرأي . ولم يكن قط للروافض ، والخوارج ، والقدرية ، تصنيف معروف يرجع اليه في تعرف شيء من الشريعة ، ولا كان لهم أمام يقتدي به في فروع الديانة .

وخامسها : علوم المغازي ، والسير ، والتواريخ ، والتفرقة بين السقيم والمستقيم وليس لأهل البدعة من هو رأس في شيء من هذه العلوم فهي مختصة بأهل السنة والجماعة .

وسادسها : علم التصوف ، والاشارات ، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ ، بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة ، والحلاوة ، والسكينة ، والطمأنينة وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي من مشايخهم قريباً من ألف ، وجمع اشاراتهم وأحاديثهم ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب الى شيء من بدع القدرية ، والروافض ، والخوارج ، وكيف يتصور فيهم من هؤلاء وكلامهم يدور على التسليم ، والتفويض ، والتبري من النفس ، والتوحيد بالخلق والمشيئة . وأهل البدع ينسبون الفعل ، والمشيئة ، والخلق ، والتقدير الى أنفسهم . وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد .

وسابعها : أنَّ لأهل السنة والجماعة التفرد بأكثر من ألف تصنيف في أصول الدين . منها ما هو مبسوط يكثر علمه ، ومنها ما هو لطيف يصغر حجمه في أعصار مختلفة من عصر الصحابة الى يومنا هذا ، في نصرة الدين ، والرد على الملحدين ، والكشف عن أسرار بدع المبتدعين ، ولم يكن لواحد من متقدمي القدرية والروافض والخوارج تصنيف في هذا النوع يظهر ويتداول . وهل كان لهم علم حتى يكون لهم فيه تصنيف ؟ بلى قوم من متأخريهم تكلفوا جمع شبه يخادعون به القوم عن أديانهم ، وصنفوا فيها تصانيف أكثرها لا يوجد إلا بخط المصنف . إذ كان الاشتغال بنقلها من قبيل تعطيل الوقت بالمقت . وقيض الله تعالى في عصرنا في كل اقليم من أقاليم العالم سادة من أعلام أئمة الدين صنفوا في نصرة الدين ، وتقوية ما عليه أهل

السنة والجماعة والرد على أهل البدع فيما زوروه من الشبه . مثل القاضي الامام أبي بكر الأشعري وله قريب من خمسين ألف ورقة من تصانيفه في نصرة الدين والرد على أهل الزيغ والبدع لا تكاد تندرس الى يوم القيامة . مثل : كتاب (الهداية) وكتاب (نقض النقض) وكتاب (التقريب في الأصول) والكتاب الكبير في الأصول يشتمل على عشرة آلاف ورقة وكتاب (الكسب) وكتاب (التمهيد) وغير ذلك من التصانيف التي لا يكاد يتفق مثلها الا لمن وافقه التوفيق .

ومثل الامام أبي اسحاق الاسفراييني رحمه الله الذي عقمت النساء عن ان يلدن مثله ، ولم تر عيناه في عمره مثل نفسه ، وكان شديداً على خصمه ، يفرق الشيطان من حسه ، قدس الله روحه وله تصانيف في أصول التوحيد ، وأصول الفقه كل واحد منها معجز في فنه . منها : كتاب (الجامع) وهو كتاب لم يصنف في الاسلام مثله ، ولم يتفق لأحد من الأئمة في شيء من العلوم مثل ذلك الكتاب ، ومن حسن احكامه انه لا طريق لأحد من المخالف والموافق الى نقضه لحسن تحقيقه واتقانه ، ولا يتجاسر أحد لأن يتصدى لنقضه للطف صنعته في وضعه ، وله في دقائق الفقه والمقدرات كتاب حير به الافهام ، ولا يهتدي لحله الا من انفق دهره على حسه . وله عدد كثير من لطائف التصانيف يهتدي بها الناس في أصول الدين مثل : (المختصر في الرد على أهل الاعتزال والقدر) ولم يوجد في الاسلام كتاب مثل حجمه يجمع ما يجمعه من النكت في الرد على أهل الزيغ والبدع . وكتاب (الوصف والصفة) لم ير كتاب في مثل حجمه يجمع من الفوائد في أصول الدين ما يجمعه وكتاب (تحقيق الدعاوي) وهو في لطافة حجمه يتضمن الطرف التي يتوصل بها الى ابانة بطلان الباطل من المقالات وتصحيح الصحيح منها جميعها في سبع طرق من يهدي اليها لم تخف عليه كيفية الرد على شيء من مقالات الملحدين والمبتدعين ، وكتاب (شرح الاعتقاد) الذي لا يطلع على علومه أحد إلا استبان له طريق أهل السنة على وجه لا يتخالجه فيه شيء من الشك والشبهة وله في الأصول كتاب (ترتيب المذهب) وكتاب (المختلف في الأصول) لم يجمع مثلهما في علم أصول الفقه بعد الشافعي .

ومثل الاستاذ أبي بكر بن فورك الاصفهاني رضي الله عنه الذي لم ير مثله في نشر دينه ، وقوة يقينه ، وله أكثر من مائة وعشرين تصنيفاً في نشر الدين ، والرد على الملحدين ، وتحقيق أصول الدين ، وله في الاسلام آثار ظاهرة ولو لم يخرج من مجلسه من المتزهدين والأقوياء في نصرة الدين الا الاستاذ الامام أبو منصور الأيوبي رضي الله عنه وهو الذي كان يفر من حسه شيطان كل ملحد على وجه الأرض ، لقوة نظره ، وحسن عبارته ، ولطافته في الرد على خصمه وله كتاب (التلخيص) ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة في الرد على أهل الالحاد والبدعة سوى ذلك الكتاب في حسن بيانه ، ولطافة ترتيبه ، وتهذيبه كان فيه الكفاية في حسنه ، مع ما له من التصانيف الأخر التي تداولتها أيدي أهل الأقاليم بحسن البيان ولطافة التنميق .

ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم على الخصوص والعموم ، إلا من كان فرد زمانه ، وواحد أقرانه في معارفه وعلومه ، وكثرة الغرر من تصانيفه ، وهو الامام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي قدس الله روحه ، وما من علم من العلوم إلا وله فيه تصانيف ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب (الملل والنحل) في أصول الدين وهو كتاب لا يكاد يسع في خاطر بشر أنه يتمكن من مثله لكثرة ما فيه من فنون علمه ، وتصانيفه في الكلام ، والفقه ، والحديث ، والمقدرات[1] التي هي أم الدقائق تخرج عن الحصر لم يسبق الى مثل كتبه في هذه الأنواع مع حسن عبارته ، وعذوبة بيانه ، ولطافة كلامه ، في جميع كتبه .

وقد تأملنا ما جمعه هؤلاء الأئمة في أصول التوحيد من الكتب البسيطة ، والوجيزة ، ومن تقدم من سادة الأئمة ، وأعيان أهل السنة والجماعة ، فجمعنا نكتهم في كتاب (الأوسط) بعبارات قريبة وألفاظ وجيزة ، اتباعاً لآثارهم وبناء على مقالاتهم ، والله تعالى قد ينفع بجميع ما تيسر من التصانيف في الفقه ، والفرائض ،

(١) أي الحساب .

والمقـدرات ، والـكلام ، والتفسـير ، والتعبـير ، بالفـارسية ما شاء الله بفضلـه وجوده .

وأما أنواع الاجتهادات الفعلية التي مدارها على أهل السنة والجماعة في بلاد الاسلام فمشهورة مذكورة ، مثل المساجد والرباطات المثبتة في بلاد أهل السنة . اما في أيام بني أمية ، واما في أيام بني العباس مثل مسجد دمشق المبني في أيام الوليد بن عبد الملك وكان سنياً قتل في أيامه ما شاء الله من الخوارج والروافض ، والقدرية ، وبنى أخوه مسلمة بن عبد الملك المسجد بالقسطنطينية . وما قام الى هذه المدة بعمارة مسجد مكة والمدينة إلا من كان من أهل السنة والجماعة ، لم يكن لواحد من أهل بدع الخوارج والروافض ، والقـدرية ، فيه سعي وكان بعض المصريين يتغلبـون ويسعون في عمارة شيء منه لكن لا موقع لما كانوا يفعلونه مع سوء اعتقادهم كما قال الله تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر [1]» وكما قال تعالى : « قل انفقوا طوعا أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين [2] » .

وقد تكلمنا قبل ، على سوء طريقهم وعظم فتنتهم فيما بين المسلمين ، ومن كانت هذه طريقته لم يكن له بعمارته المسجد موقع عند الله تعالى وعند المسلمين ، ومن آثارهم الاجتهادية سدهم ثغور الاسلام والمرابطة بها في أطراف الأرض مثل ثغور الروم ، وثغور أرمينية ، وانسداد جميعها ببركات أصحاب الحديث . وأما ثغور بلاد الترك فمشتركة بين أهل الحديث والرأي ، وليس لأهل الأهواء في شيء من الثغور مرابطة ولا أثر ظاهر ، بل هم أشد ضلالة ، فبان لك بما ذكرناه من مساعي أهل السنة والجماعة في العلوم والاجتهادات ، انهم أهل الاجتهاد ، والجهاد . والجهاد في الدين يكون تارة باقامة الحجة في الدعوة الى المحجـة ويكون تارة بأستعمال السيف مع المجاهدين ضد أهل الخلاف من الاعداء وبِبَذْلِ الأموال والمهج وقد خص الله تعالى

---

(١) التوبة : ١٧ .

(٢) التوبة : ٥٣ .

فيهم قوله : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين[1] » . وإذا كان الجهاد في النوعين صادراً منهم كانت الهداية مختصة بهم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[2] » .

وقد عصمهم الله ان يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكراً ، أو يطعنوا فيهم طعناً ، فلا يقولون في المهاجرين ، والأنصار ، وأعلام الدين ، ولا في أهل بدر ، وأحد ، وأهل بيعة الرضوان ، إلا أحسن المقال ، ولا في جميع من شهد النبي ﷺ لهم بالجنة ، ولا في أزواج النبي ﷺ وأصحابه وأولاده وأحفاده مثل الحسن ، والحسين ، والمشاهير من ذرياتهم مثل عبد الله بن الحسن وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر ابن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى الرضا ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغيير ، ولا في الخلفاء الراشدين ولم يستجيزوا أن يطعنوا في واحد منهم وكذلك في أعلام التابعين ، وأتباع التابعين الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع واظهار شيء من المنكرات ، ولا يحكمون في عوام المسلمين الا بظاهر ايمانهم ، ولا يقولون بتكفير واحد منهم الا ان يتبين منه ما يوجب تكفيره ، ويصدقون بقول النبي ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب يشفع كل واحد منهم في عدد ربيعة ومضر »[3] ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من هذه الأمة كما أمر الله تعالى في كتابه حيث قال : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم[4] » .

تم الباب وتم بتمامه الكتاب والحمد لله على نعمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه أمهات أهل الاسلام وحسبنا الله وكفى .

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) الجمعة : ٤ .

(٣) ورد بالفاظ منها ابن ماجة ٢ : ١٤٣٣ ، ومسلم ١ : ١٣٦ واحمد في مسنده ٥ : ٣٩٣.

(٤) الحشر : ١٠ .

الفهارس

١ ـ المصادر .
٢ ـ فهرس اسماء الرجال .
٣ ـ الفهرس العام .

المصادر

ـ أ ـ

الكتاب	المؤلف	الناشر
ـ الاصابة والاستيعاب	لابن عبد البر	دار احياء التراث العربي ـ ١٣٢٨ هـ ـ بيروت

ـ ت ـ

الكتاب	المؤلف	الناشر
ـ تاج العروس	للزبيدي	الطبعة الخيرية بمصر ـ ١٣٠٦ ـ
ـ تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة
ـ التاريخ الكبير	للامام البخاري	حيدر اباد ـ ١٣٦٢ هـ
ـ تبيين كذب المفتري	لابن عساكر	
ـ تذكرة الحفاظ	للذهبي	دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ
ـ تهذيب التهذيب	لابن حجر العسقلاني	دار صادر ـ بيروت ـ

ـ ج ـ

الكتاب	المؤلف	الناشر
ـ الجامع لاحكام القرآن	للقرطبي	دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ

ـ ح ـ

الكتاب	المؤلف	الناشر
ـ حلية الأولياء	لأبي نعيم	ـ دار الفكر ـ بيروت ـ

- خ -

- خزانة الأدب
- خطط المقريزي

- د -

- دائرة المعارف — للبستاني

- س -

- سنن ابن ماجة — دار احياء التراث - ١٩٧٥ م - بيروت
- سنن أبي داود — دار الكتاب العربي
- سنن الترمذي
- سنن النسائي

- ش -

- شذرات الذهب — لابن العماد — دار المسيرة

- ص -

- الصحاح — الجوهري — الطبعة الأولى
- صحيح البخاري — دار المعرفة - ١٩٧٨م - بيروت .
- صحيح مسلم — دار المعرفة - بيروت -

- ط -

- طبقات الشافعية — للسبكي — - عيسى بابي الحلبي - القاهرة -
- طبقات الشعراء — لابن المعتز

- ع -

- العبر — للذهبي

- ف -

- الفرق بين الفرق — لأبي منصور البغدادي — - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
- الفهرست — لابن النديم

- ك -

- الكامل	لابن الأثير	
- الكامل	لابن المبرد	الطبعة الخيرية
- كشف الخفا	للعجلوني	دار احياء التراث - ١٣٥١ هـ -
		- بيروت -
- كشف الظنون	لحاجي خليفة	دار الفكر

- ل -

- لسان العرب		دار صادر - بيروت -
- لسان الميزان		مؤسسة الأعلمي - بيروت .

- م -

مختار الصحاح	للرازي	دار الكتاب العربي - بيروت
- مروج الذهب	للمسعودي	تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
- مسند أحمد		دار صادر - بيروت -
- مشاهير علماء الأمصار	لابن حبان	القاهرة - ١٩٥٩
- المعارف	لابن قتيبة	العربي - بيروت
- معجم المؤلفين	كحالة	دار إحياء التراث العربي
- مقالات الاسلاميين	الأشعري	تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
- الملل والنحل	الشهرستاني	طبع الحلبي - مصر - ١٩٦١ م -
- مناقب الشافعي	للبيهقي	تحقيق أحمد صقر
- موارد الظمآن		دار الكتب العلمية - بيروت -
- ميزان الاعتدال	للذهبي	دار المعرفة - بيروت

- ن -

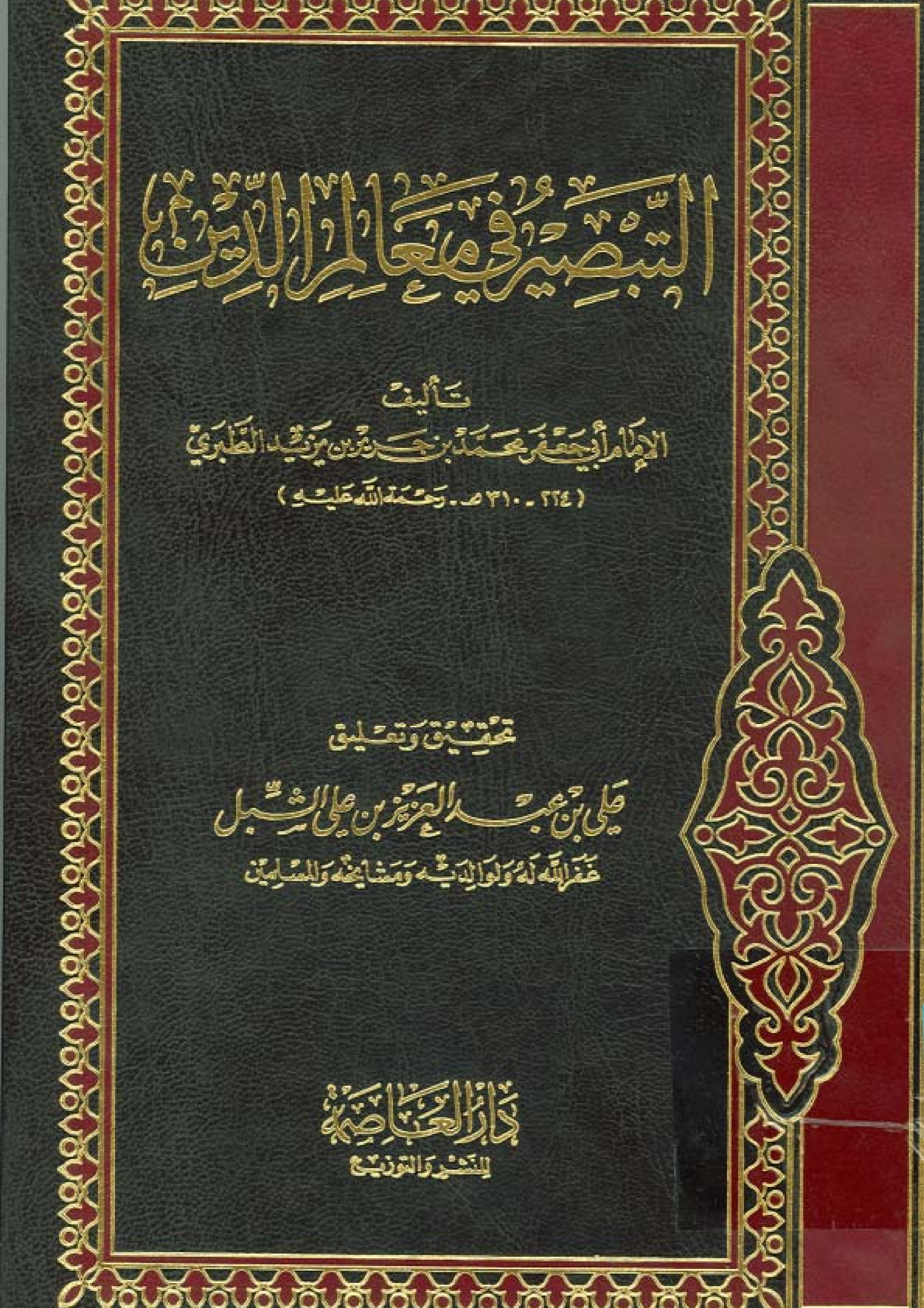
- النجوم الزاهرة

- و -

- الوافي بالوفيات		
- وفيات الأعيان	لابن خلكان	دار صادر - بيروت .

فهرس اسماء الرّجال

الفهرس العام


التبصير في معالم الدين
تأليف
الإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري
(٢٢٤ - ٣١٠ هـ - رحمة الله عليه)
تحقيق وتعليق
علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين
دار العاصمة
للنشر والتوزيع

كتاب فيه

تبصير أولي النهى ومعالم الهدى

أو

التبصير في معالم الدين

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

الكتاب يطبع لأول مرة

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

كتاب فيه

تبصير أولي النهى ومعالم الهدى

أو

التبصير في معالم الدين

تأليف

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري

(٢٢٤ - ٣١٠هـ - رحمة الله عليه)

تحقيق وتعليق

علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

تقـــدِيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرورِ أَنفسنا ومن سيئات أَعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له.

وأَشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يا أَيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاَّ وأَنتم مسلمون﴾.

﴿يا أَيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأَرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

﴿يا أَيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أَعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أَما بعـــد:

فإن الله سبحانه وتعالى مدحَ المؤمنين ممن جاءوا بعد الصحابة، وأَثنى عليهم ووصفهم بقوله: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإِخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ربنا إنَّك رءوف رحيم﴾.

وجعلَ هذا الوصف فارقاً بينهم وبين أَعدائه وأَعداء رسوله الذين أَبغضوه وأَزواجه وأَصحابه، من الروافض والنواصب وأَشباههم.

وهذا الدعاء منا في هذا الزمن يتناول كل من سبقنا بالإيمان من

المسلمين وخصوصاً صحابة النبي ﷺ وورثتهم من العلماء في كل عصر ومصر.

ولما كان العلماء هم ورثة الأَنبياء، ورثوا منهم العلم، فإِنَّهم في هذه الأُمة، أُمة محمد عليه وآله الصلاة والسلام كأَنبياء بني إسرائيل كما جاء به الوصف النبوي.

فالعلماء غياث الأُمم، ومشاعلٌ للظُلَم، تهتدي بهم الجموع إلى صراط الله ودينه القويم، يبينون لهم أُصول الشريعة وفروعها، ويدعونهم إليها، ويرفعون عنهم أَسباب الجهل بها والشبه الواردة عليها، بأَقوالهم وأَفعالهم.. هؤلاء هم علماء الإسلام وحملة لوائه!

وهم ولله الحمد كُثْر في التاريخ الإسلامي المُشرِق، ومن أَفرادهم هذا الإمام العلم الجهبذ المجتهد المطلق، إمام المؤرخين والمفسرين والمحدِّثين العلاَّمة الفهامة فخر الزمان الشيخ أَبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآملي، الذي لا يذكر العلم إلاَّ وهو من كبار حملته، ولا التفسير إلاَّ وهو قائد ركبه، ولا التاريخ إلاَّ وهو رافع قلمه، ولا يُشاد بعلماء أَهل السنة والجماعة إلاَّ ويبزغ نجمه بين نجومهم.

وهو من جلة أَهل العلم الذين يدعون من ضل إلى الهدى، ويُبصِّرون مَنْ هم على الأَذى، الذين يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أَهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أَحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أَحسن أَثرهم على الناس، وأَقبح أَثر الناس عليهم؟!

من الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين: الذين عقدوا أَلوية البدع، وأَطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب،

يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهَّال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين[1].

وإنِّي لأَظُن هذا الإمام منهم ولا أُزكيه على الله.

وأَثر العلماء يكون في زمانهم بذواتهم ودعوتهم وجهادهم، ويظهر بعدهم بما تركوه لمن خلفهم من الذكر الحسن والعلم النافع، وقد تركهما ابن جرير كذلك فأَلَّف المصنفات النافعة التي سارت بها الركبان، وتعاظم ثناء أَهل العلم بها، حتى قال الإسفراييني أَبو حامد في تفسير ابن جرير: لو سافر رجل إلى الصين ليحصل عليه لما كان كثيراً.

ومؤلفاته ـ رحمه الله ـ متنوعة بتنوع فنون الشريعة، وباب العقيدة والسنة له منها نصيب بالخصوص فضلاً عن جملة مطولاته.

ومن هذا كتابه الذي أَرسله إلى أَهل بلده ومسقط رأسه ومرتع صباه، آمل طبرستان، وهو كتابنا هذا.

أَجاب لهم فيه عن مسائل مهمة في الاعتقاد وقيام الحجة على الخلق مما يتعلق بالله وأَسمائه وصفاته، ومعرفته الواجبة له، وأُصول مسائل الافتراق بين فرق المسلمين وعدتها تسع. وإن أَهمية الكتاب تكمن في أُمور منها:

١ ـ أَنه يظهر لأَول مرة مطبوعاً ومحققاً، إذْ لم يسبق له نول حقه من الذيوع كبقية مؤلفاته.

٢ ـ كما أَنه في باب فريد ذي أَهمية بالغة من أَبواب العقيدة في باب معرفة الله الواجبة، وقيام الحجة بها، وما يجوز فيها من الجهل وما لا يجوز،

---

(١) تضمين من مقدمة الإمام أَحمد في كتابه: «الرد على الزنادقة والجهمية».

مع تحقيق مسائل الاختلاف والافتراق في العقيدة، الواقعة بين الفرق.

٣ ـ الرسالة تناقش عموم أَهل الأَهواء، خصوصاً المعتزلة. جمعاً بين طريقي الوحي والمعقول، مما يظهر قدرة أَهل السنة على منازلة المبتدعة في ميادينهم التي عليها يعولون ويظهرون الحجة عليهم. كما فعل الإمام عبدالعزيز الكناني مع بشر المريسي في مناظرة الحيدة أمام الخليفة المأمون.

هذا وغيره مما يراه الناظر فيه يظهر أَهمية الكتاب في بابه، وتفرده في موضوعه.

وقد يسَّر الله تعالى تحقيقه والتعليق عليه على أَصله الخطي الوحيد فيما أَعلم، وأَبنت عن المنهج في ذلك في الدراسة، حيث سبق الكتاب دراسة عنه تناولت: اسم الكتاب وإِثبات نسبته إِلى ابن جرير، وأُسلوبه فيه، وموضوعه، وسبب تأليفه، ثم وصف المخطوطة بالتفصيل. كما ذيلته بالفهارس الفنية المساعدة خدمة له. مع كتابة ترجمة للإمام ابن جرير تناولت نشأته وعلمه وجهاده بشيء من التفصيل.

أَسأل الله الذي لا إله إِلَّا هو الأَحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد أَن يجعله خالصاً لوجهه مقرباً للزلفى لديه، وسبباً في نيل مرضاته. وأَن ينفع به كل من قرأه وطبعه ووزعه ودرسه، وعموم المسلمين. اللهم صلِّ على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الفصل الأول

ترجمة الإمام ابن جرير الطبري



ترجمة الإمام ابن جرير الطبري

❑ اسمه ونسبـه :

هو أَبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآملي. ولما سُئِلَ عن الاستزادة في نسبه أَنشد قول الشاعر:

فقد رفع العجاج ذكرى فأُدعى باسمي إذا الأَنساب طالت يكفني

وأَلقابه كثيرة، فهو الإمام، المجتهد، المفسر، المحدِّث، الحافظ، الفقيه، المؤرخ، العلامة، اللغوي، الثقة، الثبت، المقريء... المشهود له بذلك كله، وهذه الأَلقاب تشرف به.

وكنيته: أَبو جعفر، بالاتفاق، وهو ما يكني به نفسه دائماً، وينسب الشيخ إلى أَبيه، فيُقال: ابن جرير، أَو إلى المدينة فيقال: الطبري.

❑ ولادته ونشأته :

وُلِدَ أَبو جعفر بمدينة آمل طبرستان، في آخر سنة ٢٢٤ هـ ونشأ بهذه المدينة، وكان أَبوه موسراً أَنفقَ عليه ليتعلم العلم لرؤيا رأى فيها النبي ﷺ وهو بين يديه ومعه مخلاة مملوءة حجارة، ومحمد بن جرير يرمي بها بين يديه. فعبرت له: بأَن ابنك إن كبر نصح في دينه وذب عن شريعته ﷺ[١].

فكانت سبباً في تبكيره في طلب العلم. فحفظ القرآن وعمره سبع سنين، وأَم الناس في الصلاة وعمره ثمان سنين، وبدأ يكتب الحديث

(١) هذه الرؤيا صالحة من المبشرات، كما فسرها النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة» وقرأ قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ الآية.

وعمره تسع سنين، من مشائخ طبرستان وما حولها كالري وأَعمالها، فحصل بها مبادىء العلوم وأَساسها ليشتد عوده، ويستمر على الجادة فينافس أَقرانه؛ بل بزهم كثيراً، حتى شهدوا له بالتقدم عليهم، وبالحفظ والتحصيل مما جعله محظيًّا عند شيوخه منذ صغر سنه، ويذكر عن نفسه هذه النشأة الجادة في التحصيل حيث يقول: كنا نمضي إِلى محمد بن أَحمد الدولابي ندرس عليه التاريخ، وكان في قرية من قرى الري، ثم نرجع نعدو مسرعين كالمجانين لنلحق بدرس محمد بن حميد الرازي في إِملاء الحديث حتى ذكر أَنه كتب عنه أَكثر من مائة أَلف حديث، ودرسَ عليه كذلك التفسير، ودرس الفقه على أَبي مقاتل فقيه الري.

هذا وقد لبث ابن جرير في بلاده حتى جاوز البلوغ بقليل، حيث بلغ عمره نحواً من ست عشرة سنة، حيث شغفت نفسه للقاء أَحمد بن حنبل فرحل إِليه.

وفي ذلك كله أَبوه ينفق عليه ليتفرغ في طلب العلم، والسفر لأَجله، فكان أَبوه في ذلك كله يمده بالمال حتى وهو في سفراته في البلدان حتى قال مرة وهو في رحلاته: أَبطأَت عني نفقة والدي، واضطررت إِلى أَن فتقت كُمَّى قميصي فبعتهما.

وكان أَبوه بعد موته خلف له مزرعة يُرسل له نصيبه منها في كل سنة.

□ رحـــــلاته :

لمَّا حصَّل مبادىء العلوم في بلده وسمع من شيوخها، همت نفسه بالاستزادة والرحلة لملاقاة الشيوخ والسماع منهم، فقد كانت الرحلة في طلب العلم ولقيا العلماء والسماع والرواية عن الأَكابر ميزة علماء ذلك العهد، فلا تجد عالماً بقي في بلده مكتفياً بما سمعه من علمائها في الغالب الأَعم، خصوصاً والعصر لم يزل عصر رواية وسماع وتحديث، كما أَن الأَخذ عن العلماء ـ غير مروياتهم ـ سبب مهم يسعى إليه طلاَّب العلم في ذلك الوقت من فقههم وأدبهم وسمتهم.

وإمامنا ابن جرير ممن سار على هذه الجادة، فرحلَ إلى بلاد الري، ثم يمم وجهه شطر العراق لبغداد ممنياً نفسه لقيا الإمام أَحمد بن حنبل ولكن قبل وصوله إليها بقليل بلغه نبأ وفاته. فواصل عزمه في الرحلة ولقيا بقية حفاظ العلماء في بغداد والبصرة والكوفة أَدرك فيها محمد بن بشار المعروف ببندار، وإسماعيل بن محمد السُّدِّي، وهنَّاد بن السَّري، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن عبدالأعلى الصنعاني، وأَحمد بن منيع، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، ومحمد بن العلاء الهمداني أَبا كريب، والحسن بن محمد بن الزعفراني.

ثم يمم نحو الشام فلقي في بيروت الإمام المقرىء العباس بن الوليد البيروتي فأَخذ عنه القراءة برواية الشاميين.

ثم توجه إلى مصر في سنة ٢٥٣، دخل الفسطاط، ثم رجع إلى الشام مرة أُخرى عاد بعدها إلى مصر سنة ٢٥٦هـ، فدخل القاهرة وأَخذ الفقه الشافعي عن الربيع بن سليمان المرادي، وإسماعيل بن إبراهيم المزني. ولقي فيها محمد بن عبدالحكم المؤرخ المشهور، وأَخذ عن

أَصحاب عبدالله بن وهب القرشي الفهري تلميذ مالك بن أَنس إمام دار الهجرة، ولقي يونس بن عبدالأَعلى الصدفي وابن سراج الأَديب. ولقي بها جماعة غيرهم.

ثم رجع بعدها إلى بغداد ثم بلاده طبرستان، ليعود بعد زيارته الأُولى لبلده إلى بغداد مرة أُخرى، ثم رجع إلى بلده للمرة الثانية.

حتى رجع إلى بغداد مستقراً بها من سنة ٢٩٠هـ، وعمره ست وستون سنة إلى أَن توفاه ربه في سنة ٣١٠هـ.

وكان هروبه من بلده في المرة الأَخيرة بسبب تأليفه فضائل الشيخين.

هذا ولم أَرَ في رحلاته سفرة إلى الحرمين الشريفين لطلب العلم فربما أَنه سافر للحج، ثم رجع ولم يمكث فيهما للتحصيل.

وعليه فكانت رحلته رحمه الله مركزة بين قرى الري والعراق ومصر وبها اجتمع بأَكابر العلماءوالحفاظ فأَسند عنهم، وأَخذ من علومهم ما تأهل به لمكانته التي وصل إليها.

وبالمناسبة أُشيد بأَهمية الرحلة لله بسبب طلب العلم هذه السنة التي لابد أَن يذيعها وينشرها أَهل العلم وطلابه، ففيها همةٌ وتجردٌ للعلم واجتماعٌ بأَكابر أَهله، ولو لم يكن فيها إلا إتعاب النفس بسبب ذلك ونيل أَجره من الله تعالى.

ومن العجائب في رحلة ابن جرير ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن أَبي العباس البكري قال: جمعت الرحلة بين ابن جرير وابن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الرُّوياني بمصر، فأَرسلوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم وأَضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه فاتفق رأيهم على أَن يستهموا ويضربوا

القرعة، فمن خرجت عليه سأل لأَصحابه الطعام (أَي شحذ واستعطى) فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأَصحابه: أَمهلوني حتى أُصلي ركعتين صلاة الخيرة (أَي الاستخارة). قال: فاندفع في الصلاة فإِذا هم بالشموع وخصي من قبل الوالي يدق الباب، ففتحوا.

فقال: أَيكم محمد بن نصر؟ فقيل له: هو ذا، فأَخرج صرة فيها خمسون ديناراً دفعها إِليه، ثم قال: وأَيكم محمد بن جرير؟ فأَعطاه خمسين ديناراً، وكذلك الروياني وابن خزيمة.

ثم قال: إِن الأَمير كان قائلاً: «نائماً في القائلة وهي نصف النهار» بالأَمس فرأى في المنام أَن المحامد جياع قد طووا كشحهم، فأَنفذ إِليكم هذه الصرر، وأَقسم عليكم إِذا نفذت فابعثوا إِليَّ أَحدكم. وهؤلاء كلهم اسمهم محمد. وهم أَئمة زمانهم فهذا ابن جرير صاحبنا، وأَبو بكر محمد ابن خزيمة صاحب الصحيح والتوحيد، ومحمد بن نصر صاحب تعظيم قدر الصلاة، والمسند وغيرهما، ومحمد بن هارون الرُّوياني صاحب المسند العالي سنداً ورتبة.

وفي الجملة فإِنه من المشهور على مر التاريخ أَن أَهل العلم فقراء مساكين.

□ □ □

□ **أهم شيوخه الذين أَخذ عنهم :**

لقي الإمام ابن جرير علماء كثيرين، وسمع من شيوخ يصعب حصرهم حتى قال الذهبي لما عدد أَهم شيوخه قال: «وأُمماً سواهم». في حين يقول في غيره من العلماء: ولقي كثيراً غيرهم. لكن ابن جرير لقي أُمماً، وتدل على الكثرة الكاثرة، وللدلالة على كثرتهم انظر أَسانيده في التفسير والتهذيب، ومن أَهم شيوخه:

١ - محمد بن حميد الرازي التميمي أَبو عبدالله (ت٢٤٨)، وهو أَول شيوخه في الري، أَخذ عنه الحديث والتفسير حتى ذكروا أَن ما أَخذه عنه من الحديث مائة أَلف. والإمام ابن حميد من حفاظ الحديث وقد روى عنه الإمام أَحمد بن حنبل، وقد ضعفه الحافظ في التقريب وقال: كان ابن معين حسن الرأي فيه.

٢ - عمران بن موسى الليثي البصري (٢٤٠) وقد لقيه بها في أَول دخوله العراق، كان رحمه الله حافظاً صدوقاً ويعرف بالقزاز.

٣ - أَبو همام الوليد بن شجاع السكوني (٢٤٣) لقيه في الكوفة وهو إمام حافظ ثقة من رجال صحيح مسلم والسنن. لقيه ابن جرير بالكوفة.

٤ - أحمد بن منيع البغوي البغدادي أَبو جعفر (٢٤٤) صاحب المسند الإمام الحافظ الثقة من أَقران الإمام أَحمد ومن زهَّاد العلماء. روى عنه ببغداد لما فاته الأَخذ عن الإمام أَحمد.

٥ - محمد بن العلاء الهمداني أَبوكريب الكوفي (٢٤٧) لقيه في الكوفة وهو حافظها الثقة المتقن الذي روى له أَصحاب الكتب الستة وبلغ ما تلقَّاه عنه ابن جرير مائة أَلف حديث. وكانت لابن

جرير مع الإمام أَبي كريب قصة، إِذْ كان أَبو كريب فيه شدة وشراسة مع إِمامته وحفظه حيث قال ابن جرير: حضرت مرة إِلى داره مع طلاَّب الحديث ـ فاطَّلعَ علينا من خوخة له والطلاَّب يلتمسون الدخول عليه ويصيحون لذلك، فقال لهم: أَيُّكم يحفظ ما كتبه عني؟

فالتفت الطلاَّب بعضهم إِلى بعض ثم نظروا إِليَّ فقالوا: أَنت تحفظ ما كتبت عنه؟ قلت: نعم. قالوا: هذا فاسأله. فقلت: حدثنا في كذا بكذا وفي يوم كذا وكذا، فأَخذ أَبو كريب يسألني إِلى أَن عظمت في نفسه. فقال لي: ادخل إِليَّ. فدخلت فمكنني من حديثه.

٦ ـ هناد بن السَّريِّ التميمي الكوفي (٢٤٣) الإِمام الحافظ الثقة لقيه ابن جرير بالكوفة. والإِمام هناد من رجال أَصحاب السنن.

٧ ـ محمد بن عبدالملك بن أَبي الشوارب البصري الأَموي (٢٤٤) لقيه بها وهو الإِمام الحافظ الصدوق من رجال الإِمام مسلم وبعض أَهل السنن.

٨ ـ محمد بن بشار العبدي البصري(٢٥٢) المعروف ببندار، الإِمام الحافظ الثقة الذي أَخرج له جماعة أَصحاب الأُمهات، لقيه بالبصرة، وأَكثر عنه، وهو رحمه الله من أَوعية الحفظ ومشاهير رواة الحديث.

٩ ـ الإِمام الحافظ يعقوب بن إِبراهيم الدورقي (٢٥٢) صاحب المسند من رجال الكتب الستة.

١٠ ـ بشر بن معاذ العقدي البصري (٢٤٥) الضرير، لقيه بالبصرة.

١١ - محمد بن عبدالأَعلى الصنعاني البصري (٢٤٥) لقيه بالبصرة وهو أَحد الحفاظ الثقات الكبار، روى له الإمام مسلم وبقية أَصحاب السنن.

هؤلاء الحفَّاظ اخترتهم لأَنهم من طبقة الإمام أَحمد الذين علا إسناد ابن جرير بهم، وسمع منهم في آخر حياتهم وأَول حياته العلمية.

١٢ - الربيع بن سليمان الأَزدي (٢٥٦) لقيه في دخوله مصر للمرة الثانية وأَخذَ عنه فقه الإمام الشافعي ومروياته.

١٣ - الحسن بن محمد الزعفراني البغدادي الشافعي (٢٦٠) لقيه بها فأَخذ عنه فقه الشافعي كما أَخذه بها عن محتسب بغداد المجتهد الشافعي أَبي سعيد الاصطخري.

١٤ - إسماعيل بن يحيى المزني (٢٦٤) صاحب الشافعي، لقيه بالقاهرة وأَخذ عنه الفقه ومروياته.

١٥ - محمد بن عبدالله بن عبدالحكم المالكي المؤرخ (٢٦٨) أَخذ عنه فقه مالك والتاريخ، كما أَخذ فقه مالك عن أَخويه سعد وعبدالرحمن، وكان محمد هذا ممن حمل من مصر في الفتنة بخلق القرآن لكنه ثبت ولم يجب إليه؛ ثم رد إلى مصر.

١٦ - يونس بن عبدالأَعلى الصَّدفي (٢٦٤) أَخذ عنه بمصر قراءة حمزة وورش، من طريقه عن علي بن كيسة عن سليم بن عيسى عن حمزة، كما أَخذ عنه الفقه الشافعي ومروياته في الحديث والأَخبار.

١٧ - سليمان بن عبدالرحمن بن خلاد الطلحي (٢٥٢) أَخذ عنه

القراءات من طريق جده خلاد عن شيوخه.

١٨ - علي بن سراج المصري أَبو الحسن (٣٠٨) لقيه بمصر فأَخذَ عنه اللغة والأدب، أَخذه عنه بدخول مصر الأَول في الفسطاط وقد أُعجب به جداً بحفظه وذكائه وسعة اطلاعه حتى أَن ابن جرير كان يحفظ شعر ابن الطرماح ولم يكن بمصر من يحفظه غيره، وكان ابن سراج حافظاً محدثاً عالماً بأَيام الناس وأَخبارهم.

١٩ - كما أَخذَ علم النحو والعربيةوأَدبها عن أَحمد بن يحيى ثعلب الكوفي (٢٩١) إمام الكوفيين في عصره. وقد أَثنى على ابن جرير ثناء جيداً مع شدته في مدح الناس جدًّا.

٢٠ - كما أَخذ الفقه الحنفي عن أَبي مقاتل في بلده بالري، فتجمع له الفقه على المذاهب الثلاثة المشتهرة في زمنه، مع فقه الظاهرية حيث أَخذه عن إمامهم داود بن علي الأَصبهاني الظاهري (٢٧٠) لقيه بها فأَخذ عنه وكتب عنه من كتبه كثيراً.

إلاَّ أَنه رد عليه بكتاب سمَّاه «الرد على ذي الأَسفار» وما الناس إلاَّ راد ومردود عليه وهذا شأن العلم.

٢١ - الشيخ العباس بن الوليد البيروتي وأَخذ عنه القراءات ببلده بيروت في بلاد الشام لما رحل إليها من العراق.

هذا وإن كان ابن جرير قد تلقى أَكثر العلوم عن أَهلهاالمشائخ فهو رحمه الله قد تولى تعليم نفسه بنفسه في بعض الفنون، والتوسع في بقيتها. فعلم العروض علم نفسه بنفسه كما ذكره هو عن نفسه لما استعار من صديق له كتاب العروض للخليل الفراهيدي وأمسى غير عروضي وأَصبح عروضيًّا، إذ أَحاط به في ليلة على نفسه، كذلك شعر

الطرماح بن حكيم استظهره على نفسه، وغيرها.

وهذا أمر لا يستطيعه كل أحد إلاَّ النوابغ من الطلاب، وهو مشاهد في كل زمان، لا كما يظنه بعضهم استغناء عن الشيوخ واكتفاءً بذكائهم، فإن من كان إمامه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه. وهذا ابن جرير وغيره ممن بلغوا من الذكاءوالنبوغ مبلغاً قل أن يُوصل إليه، كان شيوخهم بالكثرة بمايصعب حصرهم والإحاطة بهم.

وهو نموذج لطلاب العلم في زمننا ومابعده للإفادة من هذا المنهج في طلب العلم وتحصيله،والذي عزف عنه كثير من المتعلمين ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

❑ ❑ ❑

□ أشهر تلاميـــذه :

مر علينا أنه سمع من أُمم من العلماء، وحاز على علو السند روايةوفقهاً، وقد عُمر رحمه الله نحواً من ست وثمانين سنة، فلذا ولغيره حرص عليه طلاب كثيرون في الأَخذ عنه علمه الذي جازه عن الأَكابر من العلماء.

وكان من أَشهر طلابه في التاريخ عند أَهل العلم:

١ - أبو شعيب عبدالله بن الحسن الحراني وكان أَكبر من ابن جرير، روى عنه الحديث خاصة، ولد رحمه الله سنة ٢٠٥، وتوفي سنة ٢٩٥، بقي من آثاره جزء من الفوائد في الحديث في ثماني ورقات بآخرها سماعات، موجودة بجامعة الرياض.

٢ - الإمام الحافظ أَبو القاسم سليمان بن أَحمد الطبراني (٣٦٠) صاحب المعاجم والسنن والتصانيف والعالم بأَحوال الرجال جرحاً وتعديلاً، أَخذ عنه الحديث والتفسير خاصة.

٣ - الشيخ القاضي أَبو بكر أَحمد بن كامل (٣٥٠) قاضي الكوفة وصاحب التصانيف في الفقه كالشروط الكبير وجامع الفقه، وفي القراءات وغريب القرآن والتاريخ، وعمل كتاباً في ترجمة شيخه ابن جرير، نقل منها ياقوت في معجمه. وكان على مذهب شيخه في الفقه.

٤ - الإمام أَبو أَحمد عبدالله بن عدي (٣٦٥) صاحب الكتاب الحافل: «الكامل في ضعفاء الرجال» و« علل الحديث» وأَسماء الصحابة، وأَسامي من روى عنهم البخاري في صحيحه[1]، كتب

---

(١) هذا الكتاب والذي قبله مخطوطان، الأَول موجود بإحدى مكتبات المدينة واستنبول، والثاني بظاهرية دمشق برقم ٣٨٩.

معجماً لشيوخه بلغوا أكثر من ألف شيخ من أشهرهم الإمام ابن جرير.

٥ - القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طرار (٣٩٠) كان من أشهر علماء وقته حفظاً وذكاءً، وأبرز تلاميذ ابن جرير في حفظ كتبه، حيث حفظ مذهبه وشرح كتاب ابن جرير الخفيف وأحكام شرائع الإسلام. وغيرها.

له تفسير في ست مجلدات، اسمه: «البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز» وكان سمع من ابن جرير وهو صغير وأعجب به وبمذهبه في الفقه.

وله غيرهم خلق كثير لا يشتهر بهم الإمام ابن جرير، إنَّما هم يشتهرون به. رحم الله الجميع.

ومما نقله مترجموه عنه عنايته بالطلبة، فكان يعود مريضهم، ويواسي فقيرهم ويكثر الإحسان إليهم حتى أحبوه لخلقه وأدبه وكريم نفسه مع علمه وحفظه. فمن ذلك أنه ربما أجل درسه لغياب أحد مقرئيه حتى يعود لئلا يخصهم بشيء من دونه. هذا إذا رتب عليه جماعة القراءة في كتاب معين، خلا مجالس الإملاء والتحديث.

وكان يشاور طلاَّبه في نوع ما يملي عليهم وكثرته كما شاورهم في إملاء التفسير والتاريخ ورأى عجزهم عن تحمل التطويل فيهما.

ومما نقل عن معاملته لتلاميذه: أن تلميذه القاضي ابن كامل وجد إهانه من بعض طلاب ابن جرير في مجلسه، فانقطع عن ذلك المجلس زماناً حتى لقيه ابن جرير واعتذر منه كأن الإهانة جاءت منه هو حتى أرضاه وأعاده لمجلسه.

وهذا وأمثاله أسلوب واقعي يوجب ارتباط التلميذ بشيخه ومحبته له

وتعظيمه إياه؛ بل وإقباله على الأَخذ عنه والحرص على العلم الذي لأَجله عظم في نفس شيخه، والشيخ في نفس تلميذه.

وقد عنىٰ طلاَّبه بتاريخ حياته وجمع نوادره وترجمته فممن أَلَّفَ في ذلك: تلميذه القاضي أَبو بكر أَحمد بن كامل (٣٥٠هـ)، وأَبو محمد عبدالعزيز بن محمد الطبري، وأَبو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الطبري، وأَبو الحسن أَحمد بن يحيى بن علم الدِّين المتكلم، ولا أَدري أَهو كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرته، أَو كتاب آخر مستقل؟ وأَبو محمد الفرغاني. ونقل جملاً منها الذهبي في ترجمته في السير. كل هؤلاء نقل عن كتبهم ياقوت في ترجمته المطولة للإمام ابن جرير في معجم الأُدباء. ومنهم: القفطي صاحب إنباه الرواه، أَلف كتاباً مستقلاً سمَّاه «التحرير في أَخبار محمد بن جرير» وصفه فيه بأَنه كتاب ممتع.

وكان أَبو جعفر في درسه يحب الرائحة الطيبة، فكان في الصيف، وهو فصل انبعاث روائح الجسم من الحرارة والأَنفاس يكثر من الرياحين بأَنواعها والأَطياب.

وكان برنامجه اليومي المعهود في درسه وتعليمه كما وصفوه أَنه كان إذا أَكل طعامه في الصباح نام في ثياب تشبه الكتان في قميص قصير الأَكمام مصبوغ بالصندل وماء الورد، ثم يقوم يتوضأ لصلاته، فيصلي الظهر، ثم يجلس يكتب ويؤلف إلى صلاة العصر، ثم يصليها ويجلس للطلاَّب يملي عليهم أَو يقرءون عليه ويشرح لهم حتى المغرب. ثم بعد صلاة المغرب يجلس لدرس الفقه إلى صلاة العشاء ثم يقوم إلى داره.

ويقسم ليله بين حزبه، ونومه، وحاجته.

□ **خَلْقُه وذَكائه وحفظه :**

إنَّ الصفات الخلقية في الواقع لا يتوجه بها أَو منها إلى مدح المخلوق والثناء عليه بها إلاَّ إظهاراً لمدح خالقه وموجده الذي خلقه على هذه الصورة وأَبدعه عليها وهو وغيره من صنع الله الذي أَتقن كل شيء.

ويذكر ـ بالمناسبة ـ أَن الإمام عبدالعزيز بن يحيى الكناني (٢٤٠) صاحب الحيدة والاعتذار في مناظرة المريسي. والمعتزلة بحضرة المأمون: كان دميم الخلق والصورة، فلما حضر مجلس المأمون لعقد المناظرة أَول مرة سخر من خلقه جلساؤه من أهل الاعتزال، وهو ساكت ثم باسطه المأمون وطلبه منه مناظرة خصومه فقال قبل البدء بمقصود حضوره لمَّا قال فيه واصفه: يا أَمير المؤمنين: يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، لا والله ما رأيت خلق الله قط أَقبح منه وجهاً ثم ذكر أَن المأمون نظر إلى جص قد انتفخ في إيوانه فقال لأَحد جلسائه: أَما ترى هذا الذي انتفخ من هذا النقش وإِنَّه سيقع فبادر إليه، فقال له صاحبه: قطع الله يد صانعه، فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا.

فقال الكناني: يا أَمير المؤمنين: قد سمعت بعض من هاهنا يقول لك: يكفيك من كلامه قبح وجهه، فما يضرني قبح وجهي مع ما رزقني الله عز وجل من فهم كتابه، والعلم بسنة نبيه ﷺ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه. ثم قلت: يا أَمير المؤمنين أَطال الله بقاءك: فقد رأيتك تنظر هذا النقش وانتفاخ الجص وتذكره، وسمعت فلاناً يعيب ذلك ويدعو على صانعه، ولا يعيب الجص ولا يدعو عليه؟! فقال

المأمون: العيب لا يقع على الشيء المصنوع، وإنما يقع على الصانع!
قلت: صدقت يا أمير المؤمنين، ولكن هذا يعيب ربي لم خلقني قبيحاً، فازداد تبسم المأمون حتى ظهرت ثناياه[1].

ولم أقصد من هذه العبرة سوى التأكيدعلى أنه لا علاقة بين فضل العالم أو نقصه وصفته الخلقية.

وما تعرضت لوصف ما ذكره المترجمون على قلته من خلق ابن جرير إلاَّ ليتصور في الذهن لا لمدحه به.

فمن ذلك أنهم وصفوه بأنه طويل القامة، نحيف البدن، لونه أسمر، كان واسع العينين كبيرهما، كثير اللحية إلاَّ أن السواد عليها هو الغالب ومات ولم يمتلىء رأسه شيباً، وقد كف بصره في آخر حياته، بل قبل موته بمدة، وبعد موت شيخه داود الظاهري سنة ٢٧٠هـ.

وكان ابن جرير له ذوق في أكله وطعامه، فكان لا يحب التمر ولا العسل[1]، كما كان طبيباً يطبب نفسه لا غيره فيجعل لنفسه الأدوية المتنوعة فقد اتفق أنه مرض مرة فأرسل إليه الوزير علي بن عيسى طبيباً، فسأله عن حاله فعرفه ابن جرير بما يشكو منه وأخبره بما تعاطاه من الأدوية والطعام وما يعتزم عليه مستقبلاً فقال له الطبيب: ليس عندي

---

(١) هذا الخبر مطولاً في مقدمة الحيدةوالاعتذار للكناني من ص٢٧ ـ ٣١.

(٢) هذان وإن كان ابن جرير لا يحبهما، إلاَّ أن فضلهما على الطعام معلوم في الشرع والحس والتجربة، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة مرفوعاً: «بيت لا تمر فيه جياع أهله» مرتين، وفي الصحيحين قوله عليه السلام: «إن يكن الشفاء ففي ثلاث: لعقة عسل، وشرطة حجام، وكية نار». ولكن النفس ربما تكره محبوباً لأنها تعافه خلقاً أو طعماً وربما ضرَّبها ولم ينفعها.

شيء فوق ما وصفته لنفسك، والله لو كنت في ملتنا لعددت من الحواريين ـ لعله يقصد ملة الأَطباء، أَو هو نصراني ـ ثم عاد الطبيب إلى الوزير فقصَّ عليه أَمر الطبري فأَعجبه.

وكان أَبو جعفر مريضاً بذات الجنب، فكان يعتاده ويتردد عليه وجعه.

ومما ظهر على ابن جرير ذكاؤه المفرط ـ وهو نعمة من الله على عبده وفقه الله إلى استغلالها في نفعه الدنيوي والأخروي بتسخيرها في خدمة دينه بالعلم والتعليم.

والذكاء لا شك أَنه من أَهم مقومات وأَسباب التحصيل التام للعلم كما قال الشافعي رحمه الله:

أَخي لن تنال العلم إلَّا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أُستاذ وطول زمان

وابن جرير رحمه الله وفق لهذه الأَسباب الستة كلها.

ويربط كثير من الباحثين بين الذكاء والحفظ، على أَن الحفظ لازم للذكاء وهذا صحيح في الجملة، لكنه لايلزم من الذكاء الحفظ ولا من الحفظ الذكاء؛ إذ يوجد حفَّاظ لكنهم بضد ذلك في الذكاء وربما يكون ذكيًّا لكنه في الحفظ بليد.

لكن في الغالب الأَعم أَن الذكي إذا وظف ذكاءه في حفظه وما ينفعه فإنه ينتفع به.

والإمام ابن جرير ممن تكاملت عنده هاتان الصفتان ومثله ممن بعده شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن شواهد هذا أَنه رحمه الله حفظ القرآن وعمره سبع سنين وأَمَّ

الناس وعمره ثمان وكتب الحديث وعمره تسع. وهذا في العرف العام طفل صغير وهو في زمننا هذا لا يخرج من بيته.

ومن قوة حفظه أيضاً قصته وأقرانه مع شيخهم الحافظ أَبي كريب الهمداني الكوفي حيث اختبرهم في حفظ ما أَلقاه عليهم ولم يجد فيهم من يحفظه إلَّا الحافظ ابن جرير، فكان أَن قربه وأَدخله داره وكان عمره آنذاك في حدود العشرين سنة.

كذا لما دخل ابن جرير مصر ولقي الشيخ أبا الحسن علي بن سراج المصري، لم يجد ابن سراج في مصر من يحفظ شعر الطِّرماح بن حكيم (١٣٥هـ) سواه فأملاه الطبري عليه وفسر غريبه.

وهو رحمه الله لم يدخل مصر ويلقى ابن السراج إلا بعد سنة ٢٥٦هـ وكان عمره حينئذ ثنتان وثلاثون سنة.

وذكر عن نفسه أَنه طلب من صديقه العروض للخليل بن أَحمد الفراهيدي الإمام المشهور بالعربية وفنونها ـ قال: فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأَمسيت غير عروضي وأَصبحت عروضياً، ذلك لما دخل مصر وسائله العلماء كل في فنه الذي يجيده فكان يجيبهم كلهم حتى جاءه رجل فسأله عن العروض فواعده غداً ثم أَتقنه في ليلة.

وفي هذايقول تلميذه عبدالعزيز بن محمد الطبري في كتابه الذي جمع فيه أَخبار شيخه ونقل منه ياقوت في معجمه: كان أَبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على مالا يجهله أَحد عرفه، لأَنه جمع من علوم الإسلام ما لا نعلمه اجتمع لأَحد من هذه الأُمة، ولا ظهر من كتب المصنفين وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له.

ومن شواهد فطنته وذكائه ـ مع ما تقدم ـ ما روي بالإسناد أَن رجلاً

تزوج جارية، فأَحبها وأَبغضته حتى ضجرت منه![1] فقال لها: لا تخاطبيني بشيء إلاَّ قلت لك مثله، فكم أَحتملُك؟ فقالت المرأة في الحال: أَنت طالق ثلاثاً. قال: فأُبْلست! فدللت على محمد بن جرير فقال لي: أَقم معها بعد أَن تقول لها: أَنت طالق ثلاثاً إِن طلقتك. فاستحسن هذا الجواب.

والمقصود من هذا النموذج توضيح نباهة ابن جرير، وشواهدها وأَمثالها مبثوثة في مطولات تراجمه.

❏ ❏ ❏

---

(١) ذكر الشيخ صالح العثمان القاضي في فوائده ص٥١: أَنه أَحبها حباً شديداً، وأَبغضته بغضاً شديداً، وكانت تواجهه بالشتم والدعاء. ونقل في الجواب عن الحال قولاً لابن القيِّم من بدائعه، ووصفه بأَنه أَحسن من الوجوه المذكورة، وهو جارٍ على أُصول المذهب. وهو تخصيص اللفظ العام بالنية ـ أَي نية المُطلق ـ وراجعه فيه.

□ عقيدتـــه :

الإمام محمد بن جرير الطبري من كبار أئمة أهل السنة والجماعة المتبعين منهج وعقيدة السلف الصالح في أنواع توحيد الله سبحانه وبقية أصول الإيمان وما يتبعه من مسائله والصحابة والإمامة.

فهو في الكل على مذهب أهل الحديث، مذهب الطائفة الناجية، والفرقة المنصورة، لم يعرف عنه غير هذا وتفسيره مليء بكل ما ذكرت، بل هو مصدر تفسير أهل السنة والجماعة.

وقد لقي ابن جرير بعض التهم في مسألة أو مسألتين يأتي الكلام عليها.

وقد اشتهرت عقيدته التي كتبها في مقامه الأخير في بغداد ـ وهي من آخر ما كتبه ـ وقد تلقَّاها العلماء والأئمة بعده بالقبول والاستحسان[1] وتسمى هذه العقيدة «صريح السنة» أو «شرح السنة» أو «عقيدة ابن جرير» ويأتي الكلام عليها في آثاره ومؤلفاته.

وقد أشار إليها الشيخ ابن تيمية في قاعدة الاسم والمسمى من مجموع الفتاوى ٦/ ١٨٧ فقال: «... وكما ذكره أبو جعفر الطبري في الجزء الذي سماه «صريح السنة» ذكر مذهب أهل السنة المشهور في القرآن والرؤية والإيمان والقدر والصحابة وغير ذلك..».

ومجمل عقيدته رواها اللالكائي في شرح أصول السنة ٢/ ١٨٣، قال: أخبرنا عبيدالله بن محمد بن أحمد ـ قراءة عليه ـ قال: أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل قال: قال أبو جعفر محمد بن جرير:

---

(١) من هؤلاء اللالكائي في شرح أصول السنة، وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة، وابن تيمية في الحموية الكبرى، وأبويعلى في إبطال التأويلات، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية، والذهبي في العلو للعلي الغفار، وغيرهم ممن لم يحضرني ذكرهم.

(فأَول ما نبدأ فيه القول من ذلك كلام الله عز وجل وتنزيله، إذْ كان من معاني توحيده؛ فالصواب من القول في ذلك عندنا: أَنه كلام الله عز وجل غير مخلوق، كيف كتب وكيف تُلِيَ، وفي أَي موضع قرىء في السماء وجد أَو في الأَرض، حيث حفظ: في اللوح المحفوظ كان مكتوباً أَو في أَلواح صبيان الكتاتيب مرسوماً، في حجر نقش أَو في ورق خط، في القلب حفظ أَو باللسان لفظ.

فمن قال غير ذلك، أَو ادَّعى أَن قرآناً في الأَرض أَو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بأَلسنتنا ونكتبه في مصاحفنا، أَو اعتقد غير ذلك بقلبه، أَو أَضمر في نفسه، أَو قال بلسانه، دايناً به، فهو بالله كافر، حلال الدم، وبريء من الله، والله بريء منه، لقول الله جل ثناؤه: **﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾**. وقال وقوله الحق: **﴿وإن أَحد من المشركين استجارك فأَجره حتى يسمع كلام الله﴾**.

فأَخبرنا جل ثناؤه أَنه في اللوح المحفوظ مكتوب، وأَنه من لسان محمد ﷺ مسموع، وهو قرآن واحد من محمد مسموع، وفي اللوح المحفوظ مكتوب، وكذلك في الصدور محفوظ، وبأَلسن الشيوخ والشبان مَتْلُوٌّ.

فمن روى عنا، أَو حكىٰ عنا، أَو تقوَّل علينا، أَو ادعى علينا أَنا قلنا غير ذلك، فعليه لعنةالله وغضبه، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أَجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً، ولا عدلاً، وهتك ستره، وفضحه على رءوس الأَشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

وأَما الصواب من القول لدينا في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

وهو ديننا الذي ندين الله به وأَدركنا عليه أَهل السنة والجماعة، فهو أَن أَهل الجنة يرونه على ما صحت به الأَخبار عن رسول الله ﷺ.

والصواب لدينا في القول فيما اختلف فيه من أَفعال العباد وحسناتهم وسيئاتهم: إن جميع ذلك من عند الله والله مقدره ومدبره لا يكون شيء إلاَّ بإرادته ولا يحدث شيء إلاَّ بمشيئته له الخلق والأَمر.

والصواب لدينا من القول: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وبه الخبر عن جماعة من أَصحاب رسول الله ﷺ وعليه مضى أَهل الدين والفضل.

والقول في أَلفاظ العباد بالقرآن: فلا أَثر فيه أَعلمه عن صحابي مضى، ولا عن تابعي قفى، إلاَّ عمن في قوله الشفاء والغنا رحمة الله عليه ورضوانه، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم لدينا مقام الأَئمة الأولى: أَبو عبدالله أَحمد بن محمد بن حنبل، فإن أَبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أَبا عبدالله أَحمد بن محمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية، لقول الله عز وجل: ﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾ ممن يسمع؟

وأَما القول في الاسم أَهو المسمى (أَو) غير المسمى فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أَثر فيها فيتبع ولا قول من إمام فيستمع، والخوض فيه شين والصمت عنه زين، وحسب امرىء من العلم به والقول فيه أَن ينتهي إلى قول الصادق عز وجل وهو قوله: ﴿**قل ادعوا الله أَو ادعوا الرحمن أَيا ما تدعوا فله الأَسماء الحسنى**﴾. وقوله: ﴿**ولله الأَسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ ويعلم أَن ربه هو الذي على : ﴿**العرش استوى له ما في السموات وما في الأَرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾.

فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر، فليبلغ الشاهد منكم أَيها الناس

من بعد منا فنأى أو قرب فدنا: أَن الدين الذي ندين به في الأَشياء التي ذكرناها ما بيناه لكم على ما وضعناه، فمن روى خلاف ذلك أَو أَضاف إلينا سواه أَو نحلنا في ذلك قولاً غيره فهو كاذب (مفتر) معتد متخرص يبوء بإثم الله وسخطه وعليه غضب الله ولعنته في الدارين، وحق عليه أَن يورده المورد الذي وعد رسول الله ﷺ أضرابه، وأَن يحله المحل الذي أَخبر نبي الله ﷺ أَن الله يحله أَمثاله).

هذه قطعة من عقيدته رواه عنه اللالكائي بالإسناد الصحيح، وبقيتها مطبوعة في صريح السنة، مبثوثة في مواطنها من تفسيره الزاخر بمثل هذا وأَكثر منه جداً في «جامع البيان».

❑ ❑ ❑

□ **عبادتـه وتدينـه :**

إنَّ الميزة الواضحة للعلماء في كل عصر هي التدين بالتمسك بما علموه من أَحكام الشريعة وسلوكها ظاهراً وباطناً، ومن هؤلاء الإمام ابن جرير الطبري.

فداوم على التمسك والعبادة حتى في الأَوقات الحرجة من المرض أَو الكبر وبلوغ الأَجل، ويروي أَبو بكر الدِّيْنوري صاحبه أَنه في يوم الاثنين الذي توفي فيه ابن جرير، طلب ماء ليتوضأ أَو ليجدد وضوءه، فقيل له: تؤخر صلاةالظهر ـ التي كان يستعد لها ـ وتجمع بينها وبين العصر؛ لأَن الله ـ سبحانه ـ رخص الجمع بين الصلاتين للمريض وأَهل الأَعذار في حديث ابن عباس وأَبي هريرة وغيرهما. لكنه رحمه الله أَبى، وصلى الظهر مفردة، والعصر في وقتها، صلاهما أَتمَّ صلاة وأَحسنها ثم توفي في آخر اليوم.

وابن جرير من العلماء العزَّاب فلم يتزوج ولم يتسر، وكان من عفافه أَنه قال:ما حللت سراويلي في حرام ولا حلال قط.

وكان رحمه الله يؤم الناس في رمضان، وله صوت شجي مجوّد حسن، كان يسعى إلى سماع قراءته العلماء، قال أَبو علي الطوماري: كنت أَحمل في شهر رمضان بين يدي أَبي بكر بن مجاهد[1] إلى المسجد لصلاة التراويح، فخرج ليلة من ليالي العشر الأَواخر من داره، واجتاز على مسجده، فلم يدخله وأَنا معه، وسار حتى انتهى إلى آخر سوق العطش فوقف على باب مسجد محمد بن جرير، وابن جرير يقرأ سورة الرحمن، فاستمع قراءته طويلاً ثم انصرف. فقلت له: يا أُستاذ، تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا. فقال: يا أَبا علي دع

---

(١) هو الإمام المقرىء المحدث النحوي؛ بل شيخ المقرئين أَحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد البغدادي (٢٤٥ ـ ٣٢٤) مؤلف كتاب السبعة في القراء.

هذا عنك، ما ظننت أَن الله خلق بشراً يحسن أَن يقرأ هذه القراءة. أَو كما قال.

فهذا شيخ المقرئين في زمنه ببغداد يثني على قراءة الشيخ ابن جرير هذا الثناء، ولعمري فإن القراءة إن صدرت من قلب خاشع خاضع منيب كان لها وقع في النفوس وأَثر عليها ، والواقع يشهد لهذا.

ومما يدل على عبادته ما ذكره مترجموه مما أَودعه في كتابه «أَدب النفوس الشريفة» من معالم وآثار التدين في التوكل والورع والإخلاص والتواضع ومراعاة النفوس وأَحوالها.

وهو مع ما كان فيه من الاشتغال بالتدريس والتأليف والتصنيف والإملاء والإقراء كان مع كل هذا لا يدع حزبه من القرآن، بل ذكر أَنه يقرأ كل ليلة ربع القرآن فيختتمه في أَربع ليالٍ.

وهذا لا شك أَنه من توفيق الله له ومباركته لوقته وعمره، وإلاَّ فما الوقت الذي يسع بعض هذا فضلاً عن كله؟!

وإذا نظرت إلى التقي وجدته رجلاً يصدق قوله بفعال
وإذا تناسبت الرجال فلم أَر نسباً يُقاس بصالح الأَعمال

☐ **زهده وورعه :**

الزهد والورع اختلفت عبارات العلماء في الفرق بينهما وبيان حدهما، إلاَّ أَنه بينهما اشتراك، والورع أَخص من الزهد، بل يتضمنه، فالزهد ترك شهوات الدُّنيا إيثاراً لنعيم الآخرة، والزاهد هو الذي ترك ملذات الدنيا بعد أَن قدر عليها.

أَما حد الورع فهو عزيز جداً حتى سئل الإمام أَحمد: هل للورع حدٌّ يعرف؟ فتبسم رحمه الله وقال: لا أَعرفه.

وقال تلميذه أَبو بكر أَحمد المَرُّوذي: سمعت أَبا عبدالله أَحمد بن حنبل وذكر أَخلاق الورعين، فقال: أَسأل الله أَن لا يمقتنا، أَين نحن من هؤلاء؟ يقول هذا الإمام أَحمد فأَين نحن منه ومما يقوله عن نفسه؟ الله المستعان!

والإمام ابن جرير لم ينزل عن مرتبة أُولئك العلماء في هذا، فقد كان عفيفاً زاهداً ورعاً، تاركاً أَهل الولايات، كارهاً التزلف للسلاطين والأُمراء، وقبول هداياهم ومنائحهم، قنوعاً بما يرد عليه من المزرعة التي تركها له أَبوه بطبرستان، ولذا كثيراً ما يقرأ ـ ويقال إن من شعره ـ:

إذا أَعثرت لم يعلم شقيــقـي وأَستغني فيستغني صديقـــي
حيائي حافــظ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقــــي
ولو أَني سمحت ببذل وجهي لكنت إلى الغنى سهل الطريق

هذه نظرته رحمه الله للدنيا، ومضى على هذه النظرة في كل حياته، حتى إنَّه ربما أَبطأت عنه نفقته فيضطر إلى فتق قميصه وبيعه.

وسبقت قصته مع محمد المروزي وابن خزيمة والروياني لما اجتمعوا في الطلب بمصر وضاقت عليهم النفقة جداً، حتى طووا أَياماً لا يجدون ما يأكلون، فكانت كرامتهم نفقة الأَمير عليهم وهم لم يسألوه بل رأى مناماً بحال المحامد الأَربعة هؤلاء.

ومن شواهد زهده أَن الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ ـ ٢٩٥) قال لوزيره الحسن بن عباس: أَريد أَن أوقف وقفاً تجتمع أَقاويل العلماء على صحته ويسلم من الخلاف. قيل له: لا يقدر على ذلك إلاَّ ابن جرير، فأَحضر ابن جرير، فأَملي عليهم كتاباً لذلك.

فلما تم ذلك الكتاب، أُعطي جائزة سنية «ثمينة» فأَبى رحمه الله

من قبولها، فأَعزم عليه أَنه لابد من قبول الجائزة أَو تقضى لك حاجة.

فقال: نعم، الحاجة أَسأل أَمير المؤمنين أَن يتقدم إِلى الشُّرط أَن يمنعوا السُّؤَّال من دخول المقصورة يوم الجمعة للاستعطاء، فعظم رحمه الله في نفوس الخليفة وأُمرائه، وتقدم بذلك عندهم.

فانظر إِليه لم يتحر شيئاً لنفسه، وإِنما منع المسألة في المسجد يوم الجمعة وهي مصلحة عامة، ومن نماذج زهده ما رواه الفرغاني في ذيله على تاريخ الطبري أَن ابن جرير لما دخل بغداد في أَول أَمره في الطلب سرقت بضاعته التي يتقوت منها فباع كمَّي قميصه.

فقال له بعض إِخوانه: تنشط لتأديب ولد الوزير أَبي الحسن يحيى ابن خاقان؟ قال أَبو جعفر: نعم، فمضى ذلك الصديق وسهل هذا الأَمر، وأَعار ابن جرير ثوباً. فقربه الوزير ابن خاقان ورفع مجلسه وأَجرى عليه عشرة دنانير في الشهر للتأديب.

فقبل أَبو جعفر مشترطاً رخصة له في وقت طلبه العلم وللصلاة وللراحة، وسأله أَن يسلفه رزق شهر ففعل الوزير.

فلما دخل حجرة التأديب وخرج إِليه ابن الوزير وهو المشهور بعدئذٍ بأَبي يحيىٰ أَخذ يعلمه حتى كتب على اللوح.

فأَخذه خادمه فرحاً وأَدخله على أَهله وخدمه لتعلمه الكتابة فلم تبق جارية في القصر إِلا أَهدت لابن جرير صينية فيها دراهم ودنانير لكنه رحمه الله رد الجميع، وقال: قد شورطت على شيء، فلا آخذ سواه، فعلم بذا الوزير فأَدخله عليه واعتذر منه وعظم في نفسه.

أَقول: هذا دلالة على عدم مبالاته بهذا الحطام وإِن كثر، ولو أَخذه لم يلحقه حرج؛ لأَنه ليس مقابل تعليمه بل هدية له زيادة على راتبه الذي راتبه مع

الوزير واتفق معه عليه، ولكنه شأن الزهد وفراغ القلب من الدنيا.

وثالثة أختم بها الكلام على زهده: أن الوزير العباس بن الحسين أرسل إلى ابن جرير قائلاً: أحببت أن أنظر في الفقه، وطلب من ابن جرير أن يعمل له مختصراً فيه، فكتب ابن جرير كتابه اللطيف «الخفيف في أحكام شرائع الإسلام» وهو مختصر عن كتابه الكبير «لطيف القول» فلما تم المختصر أرسله للوزير فأعجبه وأرسل إليه بألف دينار هدية، لكنه رحمه الله لم يقبلها.

ولما طلب منه أن يأخذها ويتصدق بهاعلى من يرى: قال: لا، هم أعرف بمن يستحق عطاياهم، أو هم يرون أهلها.

أما ورعه رحمه الله فشيءٌ ليس بمستغرب على أمثاله، لكنه عزيز في منواله، وأكثر ما يعتري العلماء مما يبين ورعهم عزوفهم عن تولي القضاء وهو ما وقع لشيخنا أبي جعفر الطبري.

وذلك أن الوزير يحيى بن خاقان في عهد المتوكل وبعده لما تقدم في وزارته بعث لأبي جعفر بمال كثير فأبى رحمه الله أن يقبله، ثم عرض عليه القضاء فامتنع منه ابن جرير، ولكن أصحابه ومحبيه عاتبوه على امتناعه وقالوا له: لك في هذا ثواب وتحيي سنة قد اندرست، وطمعوا أن يقبل ولاية المظالم، لكنه رحمه الله انتهرهم وقال: «قد كنت أظن لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه» فاستحيوا من جوابه.

ومن ورعه إباؤه عن أخذ ما دفعته له الجواري لما أدَّبَ ابن الوزير وعلّمه الكتابة، حيث أساء إليهن عدم أخذه لهداياهن، فبلغت الإساءة الوزير فقال له: يا أبا جعفر: سررت أمهات الأولاد في ولدهن فبررنك، فغممتهن بردك الهدية؛ فأجابه ابن جرير: لا أريد غير ما وافقتني عليه.

كانت هذه القصة وأبو جعفر شابٌّ لم يصل الثلاثين من عمره.

وقد وصفه تلميذه عبدالعزيز بن محمد الطبري: بكونه شديد التوقي والحذر مما ينافي تدينه وورعه، خصوصاً مما يدخل عليه من زهرة الدنيا، وأنه كان على قسط عظيم من النزاهة والبعد عن المشتبهات، واقتصاره الشديد على ما يصله من إرثه بطبرستان.

حتى إنَّه لما دخل مصر وعظم شأنه عند العلماء هناك، ونزل جوار شيخه الربيع بن سليمان الشافعي بأمره له، جاءه أصحاب الربيع فقالوا له: تحتاج إلى قصرية وزير وحمارين وسدة «وهي السرير»، فأجابهم ابن جرير: أما القصرية فأنا لا ولد لي، وما حللت سراويلي على حرام ولا حلال قط.

وأما الزير فمن الملاهي، وليس من هذا شأني.

وأما الحماران فإن أبي وهب لي بضاعة، وأنا أستعين بها في طلب العلم، فإن صرفتها في ثمن الحمارين، فبأي شيء أطلب العلم؟

فتبسموا فقلت: إلى كم يحتاج هذا؟ فقالوا: إلى درهمين وثلثين، فأخذوا ذلك مني، ثم علمت أنها أشياء متفقة.

وجاءوني بإجّانة وصبّ للماء (وهما إناءان لغسل الثياب) وزير وأربع خشبات قد شدوا وسطهما بشريط (وهي السرير) وقالوا: الزير للماء والقصرية للخبز، والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث. قال: فنفعني ذلك، وكنت لما كثرت البراغيث ودخلت داري نزعت ثيابي، وعلقتها على حبل قد شددته، واتزرت، وصعدت إلى السدة خوفاً منها.

هذه حال الإمام في داره وهي غاية في الزهد والتواضع وقلة ذات اليد، مع عفافه وإبائه عن ما عند الناس ولو كان حقيراً قليلاً.

□ **جرأته في إظهار الحق :**

إنَّه لمَّا عاش الإمام الطبري في زمن الفتن وانتشار أَهل الأَهواء والبدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج، لم يبالِ بهم فصدع مبيناً الحق مقتصداً للرد عليهم ومناظرتهم في كتبه، فالتفسير مليء بالمحاجة لهم والمخاصمة بطرقهم العقلية، ومسائلهم الكلامية.

وكتابنا هذا «التبصير في معالم الدِّين» تدور قضاياه الأَصلية على الرد على المعتزلة خصوصاً، وبقية المبتدعة ضمناً.

وكذا في تفسيره الحافل النفيس مليء بالنقض على أَهل البدع وهدم أُصولهم وفصولهم.

وبالجملة فقد كان ـ رحمه الله ـ قويًّا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، والشيء من معدنه لا يستغرب، فإذا لم يكن العلماء الذين امتلأَت قلوبهم نوراً ومعرفة بالله وصفاته وحقوقه ومآلهم وما عند ربهم يصدعون بالحق ويمثلون ما علموا فمن يكن كذلك؟!

فقد وصفه الذهبي بأَنَّه : كان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأَذى والشناعات من جاهل، وحاسد، وملحد، فأَما أَهل الدِّين والعلم، فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته ـ رحمه الله ـ بما كان يرد عليه من حصَّةٍ من ضَيعةٍ خلفها أَبوه بطبرستان يسيرة.

وفي جرأته وعدم مبالاته بابن الكبير والأَجير في مجلس العلم ما رواه ابن عساكر بسنده عن تلميذه عثمان الدِّيْنوري قال: حضرت مجلس محمد ابن جرير وحضر الفضل بن جعفر بن الفرات وهو ابن الوزير، وكان قد سبقه

رجل فقال الطبري للرجل: أَلا تقرأ ـ يعني الدرس ـ فأَشار الرجل إلى ابن الوزير ـ تقديماً له على نفسه بالقراءةوإن كان الطالب سبقه في الحضور، فقال له الطبري: إذا كانت النوبة لك فلا تكترث بدجلة ولا الفرات.

قال الدينوري : وهذه من لطائفه وبلاغته وعدم التفاته لأَبناء الدنيا، حيث شبه ابن الوزير بالنهر الكبير.

كما كان سريعاً في إنكار المنكر، والتغليظ على صاحبه إن كان من أَهل الأَهواء خصوصاً إذا كان المنكر في العقيدة. فقد قال محمد بن علي ابن سهل صاحب الطبري: سمعت محمد بن جرير وهو يكلم ابن صالح الأَعلم، وجرى ذكر عليٍّ رضي الله عنه، ثم قال ابن جرير: من قال إن أَبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى، أين هو؟ مبتدع. فقال ابن جرير إنكاراً عليه: مبتدع مبتدع؟ هذا يقتل!

وهي إشارة إلى قول الرافضة ـ عليهم خزي الله ـ في الشيخين ووزيري رسول الله ﷺ، بمناسبة ذكر الإمام علي بن أَبي طالب كرَّم الله وجهه.

وهذا مروي بالإسناد عن الطبري، وهو قدح في الدعوىٰ المزعومة ضده بأَنه يميل إلى الشيعة...!

والمقصود من هذا أَنه رحمه الله كان قويًّا في الحق، جريئاً في إحقاقه وإثباته، وإن خالف الناس.

وفي حديث عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما في الصحيح في الكتاب الذي بعثته إلى معاوية، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من ابتغى رضا الله بسخط الناس، رضي الله عليه وأَرضى عنه الناس، ومن ابتغى رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأَسخط عليه الناس». وفي حديث سهل بن سعد مرفوعاً أَن النبي ﷺ قال للرجل الذي ابتغى عملاً يحبه به الله

والناس: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» حديث حسن خرجه النووي في الأربعين.

□ **مكانته ومنزلته العلمية :**

مضى الكلام في ثناء العلماء البالغ عليه في علمه ودينه وزهده وورعه، ومع هذا فقد كانت له منزلة عظيمة عند أهل الإسلام في وقته وبعده إلى زماننا هذا، ونحن بعد ألف ومائة سنة من وفاته، وهذا لعمر الله من القبول الذي يُوضع للعبد في الأرض، ودوام ذكره والترحم عليه، فجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله إذا أَحب عبداً نادى يا جبريل إنِّي أُحب فلاناً فأَحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي أَهل السماء إن الله يحب فلاناً فأَحبوه، فيحبه أَهل السماء ثم يوضع له القبول في الأَرض». ومثله من يبغضه الله.

ولا إخال الإمام ابن جرير إلَّا من هؤلاء المحبوبين، الذين وُضِعَ لهم القبول في الأَرض بين خلق الله.

* أَما مكانته عند أَهل السنة والجماعة من جهة عقيدته، فهذا له فيه القدح المعلى وكتبه طافحة والحمد لله ببيان عقيدتهم، بل كتبه مرجع أَهل السنة والجماعة بعده في تقريرة عقيدة السلف والدعوة إليه، ولو لم يكن إلَّا هي كفته. كيف وقد صرح بعقيدته ـ لما اتهم فيها ـ في كتابه المسمى «صريح السنة» فأَبان عقيدة تلقاها العلماء بعده بالقبول، وزينوا بها تصانيفهم، مع عقائد إخوانه من كبار العلماء، كما عند اللالكائي في شرح السنة، وقوام السنة الأَصبهاني في كتابه الحجة، وأَبي يعلى الحنبلي في إبطال التأويلات لأَخبار الصفات، وابن تيمية في «قاعدة الاسم والمسمى» وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»،

والذهبي في «العلو للعلي الغفار» وغيرهم ممن نقل عنها أَو عنهم. فضلاً عن إيرادها أَو جملاً منها في تراجمه.

وكذا كتابه هذا «التبصير في أُصول الدين» شاهد بما شهد به سابقه من ثباته على عقيدة السلف، ودعوته أَهل طبرستان إليها، والمنافحة عنها، وذب شبهة المبتدعة عليها.

كما أَنه ـ رحمه الله ـ أُوتي معرفة بالطرق الكلامية، وقواعد الفلسفة، فتجده في التفسير أَحياناً يخوض في بحث مسائل العقيدة على طريقتهم تقريراً لها عليهم، وإقامة للحجة من مسلكهم، مع قوة الرد ومتانة العبارة، بل تجده من صفاء ذهنه وفرط ذكائه يورد الإيراد ويهدمه بسرعة الجواب وصلابته وشموله.

ومن العجيب أَنه سمع كتاب الفردوس في الحكم والفلسفة من علي ابن زين الطبري واستملاه في ستة أَجزاء ولم يضره ما فيه كما يذكره تلميذه ابن كامل في ترجمته له. فسبحان الله العظيم.

* فهو في علم القرآن: الإمام البارع، إذْ كان حافظاً مجوداً للقرآن، قارئاً له بالروايات، محسناً لها، حيث أَحاط بها واختار لنفسه منها قراءة وأَلَّف فيها كتاباً حافلاً في ثمان عشرة مجلدة كباراً، جمع فيها المشهور والشاذ وعِللَ وتوجيه القراءات وأَسانيدها.

ومع هذا رزق صوتاً نديًّا شجيًّا في قراءة القرآن، كان شيخ المقرئين ببغداد ابن مجاهد يسعى لسماعه ويقول: لا أَظن أَن أَحداً أُوتي مثل صوته، أَو أَن الله خلق بشراً يحسن هذه القراءة.

وسبق قول الخطيب البغدادي فيه: أَنه جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أَحد من أَهل عصره؛ فكان حافظاً للقرآن، عارفاً بالقراءات بصيراً

بالمعاني، فقيهاً في أَحكام القرآن.

* وفي التفسير تبوأ الإمام الطبري أَعلى مكانة حتى نعت بإمام المفسرين، وأَصبح تفسيره أَوفر كتب التفسير المطبوعة وأَشملها، بل وأَضخمها، قال فيه الخطيب: له كتاب في التفسير لم يصنف أَحد مثله.

وهو التفسير الذي قال فيه أَبو أَحمد الإسفراييني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصِّل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً، ولما قرأ الإمام أَبو بكر بن خزيمة ـ قرين الطبري ـ تفسيره كله، قال: إني لا أَعلم على أَديم الأَرض أَحداً أَعلم منه.

وأَنت إذا نظرت في تفسيره وجدت أَقوال السلف من الصحابة والتابعين موثقة بالإسناد، وتجد تفسير الآية بنظيرتها من آيات القرآن، وبحديث رسول الله ﷺ المسند منه سنداً، كما تجد فيه حكايات الإجماع عن العلماء من أَهل عصره، ومن سبقوه في الأَحكام الفقهية وغيرها، وتفسيره للآيات اعتماداً على لغة العرب من خلال شعرها ونثرها، مع العناية بالنواحي النحوية، وخلاف النحاة في الإعراب خصوصاً أَهل الكوفة والبصرة، وهو في المباحث الكلامية والأَدلة العقلية صاحب الحجة الباهرة، فهو إذا وجد مناسبة لهذا البحث تطرق إليه ورد على منتحلي الكلام من بضاعتهم، فهو في الجملة كتاب حافل لا يستغني عنه طالب العلم في فهم كتاب الله سبحانه وتعالى، فلا تعجب من عظم ثناء الأَئمة عليه.

بل إن ابن جرير الطبري عرف أَكثر ما عرف بهذا الفن وهو التفسير فلا تطري التفسير إلاَّ ويرتفع في الذهن إمامه الطبري وكتابه التفسير، ولا تذكر الطبري إلاَّ ويُقال: صاحب التفسير.

هـذا وكان الطبـري قد استشـار تلاميـذه في التفسيـر فقال: أتنشطـون لتفسير القرآن؟ قـالوا: كم يكون قدره؟ قـال: ثلاثون أَلف ورقة! فقـالوا: هذا مما تفنى فيـه الأَعمار قبل تمامـه، فاختصره إلـى نحو ثلاثة آلاف ورقـة. ولو أَملاه كمـا قدَّره أَولاً لكـان تفسيره ـ والحـالة هذه ـ عشرة أَضعـاف التفسير الموجود، فيكون في ثلاثمائة جزء.

تلك مكانته العلمية في هذا الفن.

* أَمـا في الحديـث: فهو المحـدِّث الحافـظ الثبت الذي أَدرك كبـار الحفاظ ذوي الأَسـانيد العـالية، فسمع في أَول طلبـه من كبار أَئمـة أَدركهم قبـل وفـاتهـم، كعمـران بـن مـوسى الليثـي (٢٤٠هـ) وأَحمـد بن منيـع (٢٤٤هـ)، والـوليد بـن شجاع (٢٤٣هـ) وهنـاد بن السَّرى (٢٤٣هـ)، وطبقتهم، وأَكثر عنهم حتى بلغـت مسموعاته من الإمام الحـافظ محمد ابن حميد الرازي (٢٤٨هـ) نحو مائة أَلف حديث إن لم تزد.

وقد مرَّ وصف الخطيـب البغدادي ـ وهو من هو فـي الحديث إذ الناس عيال في الحـديث عليه ـ لـلإمام ابن جريـر في هذا الفن وعلومـه بما يغني عن تكراره.

وتفسيـره ـ رحمـه الله ـ على طـريقتـه في تلقي الحـديث وأداؤه أَكثـره بالـرواية بـالإسناد، وكـذا المطولات من تـواليفه، وأَبـرزها كتـابه: «تهـذيب الآثار» الذي أَبهر العلماء تصنيفه ومنواله ونسجه ومثاله، لكنه لم يتمه.

وصفه أَبـو محمد الفـرغانـي في ترجمتـه له: أَنـه ابتدأ بتصنيـف كتاب «تهذيب الآثار» وهو من عجائب كتبـه، ابتدأ بما رواه الصديق رضي الله عنه كما صح عنه بسنـده، وتكلم على كل حديث بعلله وطرقه ومـا فيه من الفقه والسنن واختلاف العلمـاء وحججهم، وما فيـه من المعاني والغـريب، فتم

منه مسند العشرة، وأَهل البيت والموالي، ومن مسند ابن عباس جزء ومات قبل تمامه.

وهو كتاب على طريقة المسانيد في ترتيبه وعرضه، لكن منهجه يخالفها في التميز والاستطرادات الفقهية والعلل والأَحكام... ولذا قال فيه ياقوت الحموي في معجمه... وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله، ويصعب عليهم تتمته. ولذا لم يذكر أَن أَحداً حاول السير على منواله وإِكماله؛ بل قال القفطي: إِنه أعيا العلماء إِتمامه.

ومدح هذا الكتاب ـ الدال على علو منزلته في هذا الفن عند أهله ـ الحافظ ابن كثير في الطبقات وأَثنى عليه جدًّا فقال: «... وصنف المصنفات النافعة في الأُصول والفروع ومن أَحسن ذلك «تهذيب الآثار» ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء، ولكان فيه الكفاية لكنه لم يتمه.

ولو لم يكن مما يدل على سمو مكانته عند أَهل الحديث إلاَّ هذا الكتاب لكفاه فخراً وشرفاً! كيف وله كتاب «المسند المجرد» انتخب فيه ما رواه عن شيوخه على نحو طريقة المعاجم.

* ومنزلته الفقهية فلا تنزل عن مكانته في التفسير وعلوم القرآن والحديث والعقيدة، حيث كان رحمه الله متبعاً للشافعي، دارساً لسائر مذاهب الفقهاء المشهورة: الحنفية والمالكية والظاهرية، إلاَّ أَن مستواه العلمي ومداه في التحصيل لم يرض بالتبعية، فطارت همته بما أُوتي من أَدوات وملكات إلى الاجتهاد اجتهاداً مطلقاً حتى وصل إلى مرحلة كبار المجتهدين. فعد في عدادهم.

وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مواضع من منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية يعده من آخر المجتهدين الكبار في الإسلام

بدءاً من مجتهدي الصحابة، مروراً بكل عصر بأكابره، حتى ينتهي بالمطاف به وبابن المنذر.

وانظره في المنهاج ٢/ ٧٢، ١٠٧، ٦/ ٥٣، ٧/ ٤٢٨، و١٣، ٢٨٦ وغيرها.

وكتبه كلها شاهدة بهذا، وخصوصاً ما أَلفه في الفقه خاصة مثل كتابه: اختلاف الفقهاء المسمى: «اختلاف علماء الأمصار»، وكتاب «لطيف القول في أَحكام الشرائع»، وكتاب: «بسيط القول» وسيأتي الكلام عليها وصفاً في تآليفه وآثاره.

وما كتبه في أُصول الفقه وقواعده يتضمن ذلك، ومبثوث في تفسيره في مكانه. قال الخطيب: وله في أُصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أَقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه «وتعقبه الذهبي بقوله»: إماماً في الفقه والإجماع، والاختلاف، علامة في التاريخ، وأَيام الناس، عارفاً بالقراءات، وباللغة وغير ذلك.

وكان مذهبه الفقهي مذهباً متبعاً تفقه به كثير من أَصحابه ومن جاء بعدهم، حفظه في كتبه الفقهية خاصة كتابه «اللطيف» وقد عد ابن النديم له أَصحاباً وتلامذة في باب جعله خاصًّا بهم في فهرسته.

* أَما شأنه في علم التاريخ والأَخبار: فكما كان إماماً للمفسرين بكتابه التفسير، فهو في هذا الفن إمام وشيخ للمؤرخين بكتابه: التاريخ المسمى «بتاريخ الأُمم والملوك».

وهو كتاب فريد في بابه وعرضه، امتدحه كل من تكلم على مؤلفاته، كالخطيب البغدادي، والفرغاني، وابن خلكان، وياقوت الحموي، والذهبي، وهم أَئمة هذا الشأن.

قال فيه أَبو الحسن عبدالله بن أَحمد بن المغلِّس[1]: «ما عمل أَحد في تاريخ الزمان، وحصر الكلام فيه مثل ما عمله الطبري، وإِنِّي لأظن أَبا جعفر قد نسي مما حفظ إِلى أَن مات قدر ما حفظه فلان طول عمره ـ وذكر رجلاً كبيراً من أَهل العلم ـ وإن كتابه في التاريخ من الأَفراد في الدنيا فضلاً ونباهة، وهو يجمع كثيراً من علوم الدين والدنيا وهو في نحو خمسة آلاف ورقة».

وذكر أَبو القاسم بن عقيل الوراق: أَن أَبا جعفر الطبري قال لأَصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إِلى وقتنا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين أَلف ورقة! فقالوا: هذا مما تفنى الأَعمار قبل تمامه. فقال: إنا لله، ماتت الهمم؟! وروى مثله في التفسير، ذكره الذهبي بالإِسناد في السير.

وكتابه التاريخ هذا على طريقة الأَخباريين والنقلة وقد أبرأ عهدته في مقدمته بقوله معتذراً: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أَو يستشنعه سامعه، من أَجل أَنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أَنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإِنما أُتي من قبل بعض ناقليه إِلينا، وإِنا أَدينا ذلك على نحو ما أُدِّي إِلينا».

هذا تاريخه على هذه الطريقة، وله تاريخ على طريقة تواريخ المحدثين، هو كتاب: «المنتخب من ذيل المذيل» أَملاه في أَلف ورقة، بعد سنة من إملاء تاريخ الرسل والأُمم، أَورد فيه تاريخ من قتل من الصحابة في زمن الرسول ﷺ، ومن عاشوا بعده، وكذا تابعيهم ومن روى

---

(١) هو الإِمام المحدِّث فقيه العراق عبدالله بن المحدث أحمد بن محمد بن المغلس البغدادي الظاهري ناشر مذهب الظاهرية مات سنة ٣٢٣هـ وله بضع وستون سنة. له كتاب: «أحكام القرآن » و «الموضح» و«المنهج» وكتاب «الدافع في الرد على من خالفه». وكتاب «الطلاق» انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٧٧ وتاريخ بغداد ٩/ ٣٨٥، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص١٧٧ والعبر للذهبي ٢/ ٢٠١، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٢٧.

عنهم طبقة عن طبقة، ووفياتهم إلى أن بلغ شيوخه في عصره.

وهو كتاب يناسب علم التاريخ ذي المكانة والجلالة عند المؤرخين وهو تاريخ للرواة ووفياتهم، والذي به يستقيم معرفة حالهم وقبول أخبارهم وآثارهم.

* والعلوم العربية بأنواعها: شعر، ونحو، وصرف، وبلاغة، وبيان، وعروض، لها نصيب من علوم الإمام محمد بن جرير، فله فيها باع طويل، مشهودٌ له فيه بالتمكن والحيازة لإمامته.

ففي الشعر كان حافظاً لكثير من أشعار الجاهلية والمخضرمين، وشحن بها تفسيره الذي أملاه، ودخل مصر ولا يحفظ فيها شعر الطرماح بن حكيم سواه حتى سأله علماؤها أن يمليه عليهم ويشرح غريبه ويوضح مبهمه.

ولما حاوره أهل مصر ـ علماؤهم ـ في الفنون، وجاءه من يمتحنه في العروض، أرجأه إلى الغد، فأتقن في ليلة واحدة العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي بعد أن استعاره من صديقه. حتى قال عن نفسه: أمسيت غير عروضي فأصبحت عروضيًّا.

وفي علم النحو والإعراب ومذاهب الناس فيه واختلافاتهم كان له السبق على أهل عصره بمن فيهم من النحاة الكبار.

حتى شهد له شيخه أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي (٢٩١هـ) بالسبق على الطلبة بقوله: قرأ عليَّ أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة.

وكان الطبري قد دخل الكوفة في أول رحلته في الطلب وهو إذ ذاك صغيراً.

وأخرى من ثعلب أدل منها على تمكن الطبري من فهم العربية، ما رواه أبو بكر بن مجاهد قال: إن أبا العباس ثعلب قال له يوماً: من بقي

عندكم مـن النحاة في الجانب الشـرقي ببغداد؟ فقلت: ما بقي أَحـد، مات الشيوخ. فقال: حتـى خلا جانبكم. قلت: نعم. إلاَّأن يكـون الطبري الفقيه! فقال لي: ابن جرير؟! قلت: نعم. قال: ذاك من حُذَّاق مذهب الكوفيين.

قال ابـن مجاهد: وهـذا كثيرمن أَبـي العباس ثعلب، لأَنـه كان شـديد النفس، شـرس الأَخـلاق، وكـان قليل الشهـادة لأَحد بـالحـذق في علمـه. يقصد من هذا أَنه قلما يعجبه أَحد من شدته.

ولا أَدل على هذه الشهـادة من تأمل تفسيرابـن جرير وملاحظـة التبحر في النحـو والإِعـراب، والاختـلاف فيـه؛ وتوجيـه القـراءات على ضـوئهـا، فالكتاب زاخر بهذا وغيره مما يفيد عن إمامته فيه.

وبعد: فإن علوم ابن جريرالتـي تمكن بها وبلغ فيها المعالي لا تقتصر على ما ذكرته، بل تنوع فيها وتفنن فقال تلميذه عبدالعزيزبن محمد الطبري في تـرجمته له: قنطـرة البراد محظوظـة من العلماء النحـويين كان فيهـا أَبو عبيد القاسم بن سـلام، ومسجده وراء سويقة جعفرمعروف بـه، وكان علاَّن الأَزدي ومسجـده في هـذا الموضـع معروف، وكـان بهـا أَبوبكـرهشـام بن معاويـة الضريرالنحوي، وكـان مسجده عند مسجد أَبي عبـدالله الكسائي، وكـان بها أَبـو عبـدالله محمد بـن يحيى الكسـائي ومنه انتشـرت قـراءة أَبي الحارث عن الكسـائي، وقرأ عليه كبارالنـاس، ونزل بها أَبو جعفـرالطبري، وكان أَبـو جعفرقـد نظرفي المنطـق والحساب والجبروالمقـابلة وكثيـر من فنون أَبـواب الحساب وفي الطب، وأَخـذ منه قسطاً وافـراً، يدل عليه كـلامه في الوصايا.

وكان كـالقارىء الذي لا يعرف إلاَّ القـرآن، وكالمحدث الـذي لا يعرف إلاَّ الحديث، وكالفقيه الذي لا يعـرف إلاَّ الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلاَّ

النحو وكالحاسب الذي لا يعرف إلَّا الحساب.

وهذا أَيضاً قرره عليه ياقوت الحموي في ترجمته له. فسبحان الذي جمع لأَحد من خلقه هذه الفنون المتنوعة، التي ندر أَن يبرع فيها واحد من آحادها كيف بمجموعها، لا إله إلا الله العزيز الحكيم.

□ □ □

□ **محنته وفتنته :**

جرى أَمر الله سبحانه وتعالى بوجوب ابتلاء عباده وامتحانهم ليمحص المؤمنين الصابرين، ويكفر عنهم سيئاتهم وذنوبهم، كما قال تعالى في أَول سورة العنكبوت: ﴿**الٓمٓ. أَحسب الناس أَن يُتركوا أَن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. أَم حسب الذين يعملون السيئات أَن يسبقونا ساء ما يحكمون**﴾ وفي هذا جاء الحديث الصحيح عنه ﷺ أَنه قال: «أَشد الناس بلاء الأَنبياء ثم الصالحون ثم الأَمثل فالأَمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإِن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء».

ومن هذه القاعدة فإِن أَهل الإِيمان لابد لهم من الابتلاء والامتحان، وإِن تعددت صوره وأَحواله، فهذا بالسجن وهذا بالتعذيب والحجر، وأَخذ المال والقتل والضرب وأَنواع الهموم والمصائب..

وكان للعلماء الصالحين المصلحين نصيب من هذا لعظم إِيمانهم وصلابته، والذي يطرد معه شدةالمحنة وقوتها، فخير عباد الله صلى الله عليه وآله وسلم ناله من ذلك البلاء ما هو معروف فأَمره الله بالصبر كما صبر أُولو العزم من الرسل قبله. وهكذا من بعده من صحابته والتابعين، حتى كان عصر ابن جرير، فكان من أَميز ما فيه ابتلاء العلماء بالفتنة بخلق القرآن والقول به، وما نال العلماء والناس فيه من المحنة والفتنة وكيف ثبت فيها أَولياء الله.

وابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ نالته المحنة كإِخوانه من العلماء قبله وبعده، وكان أَشد ما امتحن به الطبري، هو رميه بالرفض والتشيع، حتى شاع ذلك عند بعض العلماء عنه، منهم الحافظ ابن حجر في لسان الميزان حيث قال فيه: ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر. وقال ياقوت

الحموي: إنه كان يتهم بالتشيع، لذلك قيل: إنه دفن ليلاً خوفاً من العامة.
بل ذكر الذهبي في الميزان، والحافظ في لسانه: أَن الحافظ أَحمد بن علي السليماني أَقذع فيه فقال: كان يضع للروافض. كذا قال السليماني[1].

لكن ابن حجر أَجاب عن هذه التهمة فقال:

وهذا رجم بالظن الكاذب، بل إن ابن جرير من كبار أَئمة الإِسلام المعتمدين، وما تدعى عصمته من الخطأ، ولا يحل لنا أَن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أَن يتأنى فيه، ولاسيما في مثل إمام كبير، فلعل السليماني أَراد الآتي، ولو حلفت أَن السليماني ما أَراد إلَّا الآتي لبررت، والسليماني حافظ متقن كان يدري ما يخرج من رأسه فلا اعتقد أَنه يطعن في مثل هذا الإمام بالباطل، والله أَعلم.

والإمام ابن جرير نفسه في عقيدته «صريح السنة» تبرأ من هذه الدعوى، ومن غيرها، بل قرر عقيدة أَهل السنة بتقديم إمامة الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، وقال في آخرها: «فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر وضل وهلك، فليبلغ الشاهد منكم أيها الناس من بَعُدَ منا أَو قرب. فديننا الذي ندين الله به في الأَشياء التي ذكرناها ما بيناه لكم على ما وضحناه، فمن روى عنا خلاف ذلك، أَو أَضاف إلينا سواه، أَونحلنا في ذلك قولاً غيره؛ فهو كاذبٌ فقير متخرصٌ معتدٍ يبوء بسخط الله عليه وغضب الله ولعنته في الدارين، وحق الله على أن يورده المورد الذي وعد رسول الله ﷺ أضرابه...» ثم ساق الأَخبار الواردة في الوعيد لهؤلاء.

---

(١) هو الإمام الحافظ المعمر أحمد بن علي بن عمرو السليماني البيكندي البخاري (٣١١ ـ ٤٠٤) قال عنه الذهبي في السير: رأيت للسليماني كتاباً فيه حط على كبار فلا يسمع منه ما شذ فيه. النبلاء ١٧/ ٢٠٠، والأنساب ٧/ ١٢٢ وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٦ وطبقات الحفاظ ٤٨.

□ **تصانيفه وآثاره :**

أَفرغ شيخنا أَبو جعفر الطبري حياته من المشاغل والملهيات وأَقبل مكبًّا على العلم بجميعه له إملاءً واستملاءً من الشيوخ ورحلة إِليهم ثم تدريساً وإِملاءً وإِقراءً وتعليماً.

وكان رحمه الله قد جعل من وقته في يومه جزءاً للتصنيف والكتابة هو ما بين صلاتي الظهر والعصر، حتى ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه أَنَّه سمع علي بن عبيدالله السمسمي اللغوي يقول: إن الطبري واظب على الكتابة أَربعين سنة، ويكتب في كل يوم أَربعين ورقة. وبحسابها يظهر أَن مجموع ما كتبه أَزيد من خمسمائةوثمانين أَلف ورقة.

ونحو هذا ما أَفاده الفرغاني أَبو محمد في ترجمته لشيخه في الصلة على تاريخه، أَن بعض تلاميذ الطبري قسموا أَوراق مؤلفاته على أَيام حياته منذ بلغ الحُلُمَ إلى أَن توفي، فخص كل يوم منها أَربع عشرة ورقة. قال: وهذا شيء لايتهيأ لمخلوق إِلاّ بحسن عناية الخالق.

وإِذا حسبت هذا أَيضاً فإِنه يبلغ مجموع ما كتب قريباً من أَربعمائة أَلف ورقة.

وعلى كلا الحالين هذا شيء كثير جدًّا لم يوجد عشره، وإِن دل على شيء فإِنه يدل على سعة علمه وغزارة إِنتاجه، خصوصاً إِذا علمنا أَن تآليفه الكبار كانت إملاءً على تلاميذه.

هذا وأَهم كتب ابن جرير الآتي:

١ ـ تفسيره الكبير المسمى: «**جامع البيان في تفسير القرآن**»: وهو أَكبر تفاسير أَهل السنة الموجودة، رغب أَن يملي على طلابه منه ثلاثين أَلف ورقة فما قدروا، فلخصه إِلى ثلاثة آلاف ليسهل حفظه بنظرته، وقال فيه:

حدَّثتني به نفسي وأَنا صغير، وقال: استخرت الله تعالى في عمله وسأَلته العون فيما نويته ثلاث سنين قبل البدء به فأَعانني.

وهذا الكتاب أَكمله ابن جرير. وقال فيه الفرغاني: لو ادَّعى عالم أَن يصنف منه عشرة كتب، كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل. كعلم النحو والشعر والقراءات والآثار المسندة والردعلى أَهل الأَهواء في مسائل العقيدة والفقه، والتاريخ، والبيان. بدأ في إملائه سنة ٢٨٣هـ ببغداد، وأَتمة سنة ٢٩٠هـ بها.

وكتابه التفسير أَشهر كتبه، وقد طبع في ثلاثين جزءاً أَولاً بالمطبعةالأَميرية ببولاق سنة ١٣٢١هـ، وطبع عدة طبعات بعدها وصور مرات، ثم حققه المحدِّث محمود محمد شاكر وطبع منه ١٦ مجلداً إِلى نصف الكتاب تقريباً ولم يتمه، وطبعه بدار المعارف بمصر سنة ١٣٧٤هـ.

وقد فصل أَخيراً كلام ابن جرير الذي أَنشأه من قبل نفسه في التفسير فطبع هذه السنة في سبعة مجلدات طبعته مؤسسة الرسالة بلبنان.

والكتاب في الحقيقةعلى أَهميته القصوى يحتاج عناية وتصحيحاً وتوثيقاً لنصه ودراسة لأَسانيده وتخريجها، ولوإتماماً لعمل الشيخ محمود شاكر.

أَما من ناحية نسخه الخطية فهي كثيرة ذكر منها سزكين وبروكلمان عدة أَجزاء منه لكنها نسخ غير تامة في الغالب.

ومن أَكبر نسخه حجماً:

١ ـ في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة والمحفوظة الآن بمكتبة الملك عبدالعزيز العامة غرب المسجد النبوي منها خمس مجلدات كبار أَرقامها من (١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٢) وكل مجلد فيه (١٠٠٦

ورقة، ٦٣٤ورقة، ٧٦٦ورقة، ٨٧٠ورقة، و٦١٢ورقة).

٢ ـ وفي مكتبة محمد مراد ملا بتركيا نسختان إحداهما من خمسة مجلدات، والثانية في أَربع مجلدات، أَرقامها متسلسلة فيها من (١١١ ـ ١٢١).

٣ ـ وفي مكتبة أَيا صوفيا باستنبول ثلاث نسخ في مجلدات كبار، يصل أَحدها إلى ١٢٥٣ ورقة، وأَرقامها في تسلسل المكتبة الخاص من (١٠١ ـ ١١٢)، الأُولى مكتوبة في ١١٤٤هـ، والثانية والثالثة في نفس القرن الثاني عشر.

٤ ـ في مكتبة كوبرلي باستنبول نسخة في أَربع مجلدات كبار، أَرقام حفظها فيها (٨٥ ـ ٨٨)، وورقاتها على الترتيب (٣٨٠ق من أَول القرآن إلى سورة آل عمران، ٤٠٦ ق من النساء إلى يونس، و٤٠٩ ورقةمن هود إلى العنكبوت و٤٠٥ق من العنكبوت إلى آخر القرآن) وكلها منسوخة سنة ١٠٨٣هـ.

٥ ـ وفي مكتبة عاطف أَفندي باستنبول نسخة في خمس مجلدات كبار منسوخة كلها سنة ١١٤٠هـ، أَرقامها على الترتيب من (١٨٦ ـ ١٩٠) وعدد أَوراقها كذلك (٤٧١ق، و٤٧١ق، ٤١٩ق، ٤٣٧ق، ٤٦٥ق).

٦ ـ وفي مكتبة دامادا إبراهيم باشا ضمن المكتبة السليمانية باستنبول منسوخة بين سنة ١١٣٢ ـ ١١٣٤هـ في أَربع مجلدات كبار، أَرقامها من (٣٣ ـ ٣٦) ونسخة ثانية فيها أَرقامها من (٢٨ ـ ٣٢) في ثلاث مجلدات ضخام في سنة ١١٣٢هـ.

٧ ـ وفي مكتبة فاتح ضمن السليمانية في أَربع مجلدات كبار من ١٦٩ ـ ١٧٢، سنة ١١٤٠هـ في (٤٧٥ق، و٥٦٥ق، و٥١٠ق، ٤٢٩ق).

٨ ـ وفي مكتبة فيض الله باستنبول نسخة في أربع مجلدات كبار أرقامها (٣٩ ـ ٤٢) وعدد أوراقها على الترتيب (٤٢٦ق، و ٣٧٤ق، و٥٧٢ق، و٦٠٨ق).

٩ ـ ويذكر نسخة في الأحمدية بتونس في ثمانية مجلدات من منسوخات القرن الثاني عشر، كذلك أجزاء متفرقة من التفسير تختلف في محتواها متفرقة في المكتبات في تركيا ومصر والعراق والمغرب.

ولما كان التفسير بهذا الكبر والتوسع تناولته يد المختصرين، فأولهم مما أعرف: الشيخ محمد بن حماد التيجي أبو محمد (٦١٥هـ).

ونسخة مخطوطة بالجامع الكبير بصنعاء باليمن رقمه فيها ٢٠٤ في ٢٥٠ ورقة مكتوب في سنة وفاة المؤلف، وانظر فهرسها في ١/ ٢١٠.

كما ترجم المختصر إلى اللغة الفارسية وله نسخ في الجمعية الأسيوية بالبنغال رقم ٩٥٥، ودرس بألمانيا رقم٢٢، وفي المتحف البريطاني والمكتبة الوطنية بباريس، وترجم مختصراً آخر غيره أيضاً إلى الفارسية ونسخة في أيا صوفيا رقم ٨٧ وسراي أمانة ٥٦٧ والمكتبة السليمية بأدرنه رقم ٤٣٦ مكتوب سنة ٧٣٥هـ.

٢ ـ **«تاريخ الطبري»** المسمى: **«تاريخ الرسل والملوك»**: كتاب كبير في موضوعه بدأ فيه من أخبار آدم عليه السلام إلى عصره، وهو على طريقة الأخبار لكنه في الغالب بالأسانيد ولم يشترط ثبوت جميع ما فيه لكنه أسند ومن أسند فقد أحال، وانظر آخر مقدمته.

ومما يؤخذ عليه رحمه الله فيه أنه اعتمد في حوادث الفتنة بين الصحابة في عهد علي بن أبي طالب والجمل وصفين على مرويات أبي مخنف لوط بن يحيى وهو رافضي متهم، وأميز ما في الكتاب منهج

الاعتماد على الروايات المسندة، وتلطيفها بالتحليلات الذاتية من كلام المؤلف. والكتاب أَتمه الطبري قبل وفاته، والكتاب طبع عدة طبعات، أُولاها طبع جماعة من المستشرقين سنة ١٨٧٩م، وطبع في مصر بعدها عدة طبعات حيث طبعته المطبعة الحسينية بها سنة ١٣٣٩هـ عن النسخة الأُوربية.

لكن الطبعات الصادرة للكتاب كانت مختلفة الأَحجام بالنسبة لمجلدات الكتاب، وآخر طباعته العلمية المعتمدة التي صدرت بتحقيق وضبط المحقق المعروف: محمد أَبوالفضل إبراهيم، إذ أَشار إلى أَنه اعتمد على خمس عشرة نسخة مخطوطة مع الأَصل الأُوربي. فاته بعض الأُصول المهمة.

وانظر الكلام على مخطوطاته ومختصراته وذيوله، بروكلمان، وسزكين ٢/ ١٦٢ ـ ١٦٦، ومقدمة الجزء الأَول من المحققة.

ومطبوع في آخره الذيل الذي جعله ابن جرير عليه ويسمى بـ: صلة التاريخ.

٣ ـ كتاب «**تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله ﷺ من الأَخبار**»: وهو في الحقيقة من عجائب كتبه ونوادرها في منهجه، وأُسلوبه، وعرضه. أَتم منه مسند العشرة بدءاً من مسند الصديق، ثم مسانيد أَهل البيت والموالي وبعض مسند ابن عباس، ومات قبل تمامه.

له نسخة ـ قطعة منه كبيرة ـ في مجلد بنحو ١٩٦ ورقة بمكتبة كوبرلي بتركيا رقمها ٢٩٦، وأَيضاً قطعة من مسند علي منه برقم ٢٧٠ في ٨٤ ورقة من منسوخات القرن الثامن الهجري، وهي آخر أَجزاء المسند، وقطعة من مسند عمر في مكتبة كوبرلي رقمها ٤١٣ في ١٣٣ ورقة.

وأشار الحوفي في كتابه (الطبري) إلى وجود نسخ في مكتبة عاطف أفندي وبايزيد والفاتح باستنبول. وأن أول الكتاب موجود بمكتبة الاسكوريال بالأندلس، وهناك مصورة له عن اكسفورد بانجلترا، موجود فلمها بمركز الملك فيصل رقم ١٥٨٣، وطبع الكتاب طبعتان غير كاملتين الأولى بتحقيق محمود شاكر: وطبعته جامعة الإمام بالرياض في ثلاثة أسفار تضمنت أجزاء من مسانيد عمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم.

والثانية بتحقيق د. ناصر الرشيد وعبدالقيوم عبد رب النبي، وطبعه الملك فهد على نفقته.

وهذا الكتاب أثنى عليه كثير بقوله: ومن أحسن ذلك ـ أي كتبه ـ تهذيب الآثار، ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء ولكان فيه الكفاية، لكنه لم يتمه.

وقدر حجمه الذهبي بأنه لو تم لبلغ مائة مجلد. فسبحان الله العظيم.

والكتاب كان موجوداً على ما تركه عليه الطبري إلى حياة الجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.

وفيما يلي ـ بعد ذكر تواليفه الكبار ـ هذا السرد لبقية تواليفه حسب حروف المعجم وإغفال لفظة كتاب في أوله، ومصدر هذا الثبت الصفدي وياقوت الحموي والذهبي وغيرهم ممن ترجموا له واعتنوا بكتبه:

٤ ـ كتاب «**اختلاف الفقهاء**» ويسمى: «**اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام**»: ذكر فيه المسائل الخلافية بين المجتهدين كالأئمة الثلاثة: أبي حنيفة ومالك والشافعي، وذكر فيه قول الأوزاعي والليث ونحوهم. وفيه أغفل ذكر خلاف أحمد، وعليه أفاد بأنه محدث لا فقيه. وذكر أوله كل قول مما يورده مفصلاً ثم يرجح في آخر كل مسألة الراجح عنده

بقوله: والصواب عندنا فيه كذا، أَو: قال أبو جعفر.

طبع الكتاب في مجلد لطيف وحققه د. فردريك كيرن وهو مستشرق أَلماني، وطبع بمصر بمطبعة الموسوعات في سنة ١٣٢٠هـ، وسماه اختلاف الفقهاء. وأَظن الكتاب ليس كاملاً في هذا الحجم. لأَنهم ذكروا أَنه في ثلاثة آلاف ورقة أَي بنحو التفسير.

ومما يدل عليه أَنه لم يُذكر في المطبوع سوى بعض العقود من أَبواب البيع نحو المزارعة والمساقاة والغصب والكفالة والرهن والسّلم والخيار والمدبَّر من أَبواب العتق.

وهذا الكتاب أَيضاً مما أَتمه المؤلف قبل وفاته، نص عليه الذهبي، ولم يستقص في هذا الكتاب، حيث سأله أَحمد بن عيسى عن سبب تأليفه فقال: ليتذكر به أَقوال من يناظره لا للاستطراد في مسائله ومناقشاته، بل لمجرد الذكرى.

٥ ـ كتاب «**اختيار من أَقاويل الفقهاء**»: وربما هو جزء من سابقه ذكره ياقوت.

٦ ـ كتاب «**أَدب النفوس الجيدة والأَخلاق النفيسة**» ويذكر له عنوان آخر هو «**أَدب النفس الشريفة والأَخلاق الحميدة**» ويسمى: «**الآداب**» وموضوعه ما يتعلق بالقلوب من الورع والزهد والإِخلاص والرياء والكبر والتواضع والصبر والخشوع.

بلغ في تصنيفه أَربعة أَجزاء في خمسمائة ورقة، وشرع في كتابته في أَول سنة ٣١٠هـ. لكنه مات قبل أَن يتمه.

ويذكر الذهبي أَن هذا الكتاب هو أَول كتاب شرع في تصنيفه بعنوان: «ترتيب العلماء» ووصفه بأَنه من كتبه النفيسة، لكن وقوع منيته منعه من

إكماله، ثم عرف عند العلماء بالآداب، وهو قطعته الأُولى.

٧ ـ كتاب «**آداب القضاة**»: وهو في نحو أَلف ورقة، تكلم فيه عن آدابهم وأَخلاقهم ومدحهم، وماذا يجب أَن يكونوا عليه، وفي عمل السجلات والشهادات وترتيبها وضبطها.

ولعل هذا الكتاب المشهور بـ «**المحاضر والسجلات**» له ذكره الذهبي كما ذكر أَن من ضمن كتابه الكبير البسيط كتاب «**آداب الحكام**» فربما يكون هو ذا، والله أَعلم.

٨ ـ كتاب «**آداب المناسك**» ويسميه بعضهم «المناسك»، وصفه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٨/ ٣٥٢ بقوله: «هو لما يحتاج إليه الحاج من يوم خروجه، وما يحتاج إليه من الإتمام لابتداء سفره، وما يدعو إليه ربه عند ركوبه ونزوله ومعاينته المنازل والمشاهد إلى انقضاء حجه».

وهذا الباب في الحقيقة اهتم العلماء من القديم بالتصنيف فيه استقلالاً، وكتبه الخاصة به كثيرة.

ولعله الذي يسميه بعضهم: «**مختصر مناسك الحج**».

٩ ـ كتاب «**بسيط القول في أَحكام شرائع الإسلام**»: وموضوعه: الأَحكام الفقهية التفصيلية. جمع فيه فقه الصحابة في الأَمصار: المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، وخراسان، ثم التابعين، وهو على اسمه بسيط، بسط فيه أَدلة الأَقوال من القرآن والسنة، وأَقوال الصحابة حتى خرج كتاب الطهارة منه في أَلف وخمسمائة ورقة، نص عليه الذهبي عن الفرغاني وخرج منه أَكثر كتاب الصلاة، ولأَجله اختلفوا في تقديره بين ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ورقة. ومات ابن جرير قبل تمامه.

ويرى بعض العلماء أَن كتابه: «**آداب القضاء**» أَو «**مراتب العلماء**» هو

تقدمة لهذا الكتاب وتمهيد له، ولا يبعد، كما وصفوا الكتابين.

١٠ ـ كتاب: «**التبصير في معالم الدين**»: هذا اسمه من كتب التراجم عامة وورد اسمه في المخطوطة له «تبصير أولي النهى ومعالم الهدى» وهو كتاب في نحو ثلاثين ورقة، الموجود منه ٢٤ ورقة فقط.

وهو رسالة بعث بها المؤلف إلى بعض المحبين له من أَهل السنة بطبرستان بمدينة آمل في إيضاح قصد السبيل لما اختلف الناس فيه من أَهل الأَهواء والبدع في مسائل العقيدة المهمة وبيان مذاهبهم فيها، ونقد مذهب المعتزلة خصوصاً من الناحية العقلية، مع تجلية القول المختار عند أَهل السنة بقوله هو من عند نفسه بعبارة: قال أَبو جعفر، أَو: الصواب عندنا في هذا القول كذا...

هذا الكتاب من الكتب التي أَتمها المؤلف. لكن في المخطوط خرمٌ من الآخر بنحو ست ورقات، والكتاب يطبع لأَول مرة عن نسخته الوحيدة ـ كما أَعلم ـ في الاسكوريال، بتحقيقي وتعليقي.

وقد سماه بعض المتقدمين بالبصير في معالم الدين، وتبعه عليه بعض الباحثين وهو تصحيف ظاهر.

١١ ـ كتاب «**الخفيف في أَحكام شرائع الإسلام**» وقد يسمى «الخفيف في الفقه» اختصاراً: وهو كتاب في الفقه مختصر من كتابه: «لطيف القول في أَحكام شرائع الإسلام» وسيأتي ذكره.

اختصره بأَمر الوزير أَبي أَحمد العباس بن الحسن العزيزي، لما أَراد النظر في شيء من الأَحكام، كتب لابن جرير في ذلك، فعمل له هذا المختصر المسمى بالخفيف ليصلح تذكره للعالم والمبتدىء والمتعلم، وجاء بنحو أَربعمائة ورقة، مجلد كبير.

وفيه وجه الوزير إلى ابن جرير ألف دينار مكافأة فردها عليهم ولم يقبلها، ولما قيل له: خذها وتصدق بها، قال: أنتم أولى بأموالكم وأعرف بمن تتصدقون عليه.

١٢ ـ كتاب «**ذيل المُذيَّل**»: وهو الذي سماه الذهبي «تاريخ الرجال» وهو ذيل عمله على كفاية التاريخ أرخ فيه على طريقة تواريخ المحدثين للصحابة والتابعين والطبقات بعدهم إلى عصره، أورد فيه وفياتهم، وأنسابهم، ومن أخذ عنهم العلم، وشيوخهم إلى شيوخه، مع ذكر الكلام فيهم جرحاً وتعديلاً، مع العناية بالمشهورين بالكنى والألقاب منهم رجالاً ونساءً، وربما أورد فيه بعض نوادرهم وأخبارهم، أو براءتهم مما اتهموا به من قول أو مذهب أو عقيدة.

وقد طبع الكتاب بعضه باسم «المنتخب من كتاب ذيل المذيل» وألحق في آخر تاريخه. بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

والكتاب في الأصل كبير الحجم قدر بنحو ألف ورقة، أملاه بعد سنة ثلاثمائة وقد أتمه، وذكره ابن خير الأشبيلي في عداد مروياته في الفهرست له ص٢٢٧ وأنه في عشرين جزءاً.

١٣ ـ كتاب «**الرد على ذي الأسفار**»: والمقصود به شيخه داود بن علي الأصبهاني بعد مناقشة مع شيخه، وصدور كلام من أحد طلابه أساء إلى الطبري، ووصفوه بأنه رد عليه لأنه لايعرف إلّا ما في الكتب والأسفار، ولايستطيع الاعتماد على تفكيره وعقله.. أخرجه على دفعات حتى أخرج منه قطعة في مائة ورقة.

ولما كف بصره وقف عن إملائه وتركه.

١٤ ـ كتاب «**الرد على ابن عبدالحكم على مالك**»: تفرد بذكره ياقوت

وابن عبدالحكم، هـذا هو أحد شيوخـه في مصر، أَخذ عنهم الفقـه المالكي وأَخبار الناس وهم ثلاثة إخـوة عبدالله ومحمد وسعد، وأَغلب ظني أَن المراد به الأَول لأَنه أَشهرهم وهو أَبرز تلاميذ عبدالله بن وهب القرشي تلميذ مالك.

١٥ ـ كتاب «**الرد على الحرقوصية**»[١]: لعله كتابه الـذي سماه «كتاب أَهل البغي» في رسالتـه (التبصير) في الفقرة ٢٣، وموضـوع الكتاب أَحكام الخوارج في مسألة الإمـامة وصفات الإمام وشروطه والخـروج عليه وأَحكام ذلك تفصيلاً.

والحرقـوصيةهم الخوارج أَتبـاع حرقوص بـن زهير السعدي أَحـد أَتباع علي بـن أَبي طـالـب رضي الله عنـه في صفيـن، ومن الخـوارج المحكمـة الأُولى الذين خرجوا يوم النهروان وقتلهم علي وأَصحابه.

وهو من كبارهم ودعاتهم، بل يقال إنـه هوالمعيبة يده الذي جاء وصفه فـي الحـديث الـوارد فـي الخـوارج فـي الصحـاح، مـن أَن إحـدى يـديـه «عضديـه» مثل ثدي المرأة أَو مثل البضعـة تدردر، والذي قتل يـوم النهروان سنة ٣٧هـ.

١٦ ـ كتاب «**الرمـي والنشاب**»: ذكره تلميـذ ابن جريـر عبدالعزيـز بن محمد الطبري فقال: «إنه رفع إليه هـذا الكتاب وما علم أَن أَحداً قرأه عليه،

(١) أشار النجاشي الـرافضي في كتابه رجال الشيعة ص٢٤٦ إلى هذا الكتـاب من مؤلفات محمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي. وظنـه بروكلمان من مؤلفات إمامنا، وظن أن الحرقـوصية هم الحنـابلة، وهـو جهل منه علـى كل حال، هـذا الكتاب بهـذه الصفة لا يناقض أن يكون لابن جرير الإمام عنوان مثلـه هو «كتاب أهل البغي» وهو الذي أشار إليه بنفسه في كتابه التبصير.

ولا ضابطاً ضبطه عنه، ولا ثقة ينسبه إليه، ثم رجح أَنه متحول عليه، وهذا الذي دعا ياقوت يشك في نسبته للإمام الطبري.

وأَظن هذا الكتاب هو الموجود مخطوطاً بعنوان «**رمي القوس**» أَو «**صناعة القواسين ورمي السهام**» الموجود بمكتبة المتحف البريطاني بلندن برقم ٩٢٦٥ مخطوطات شرقية. وانظر: بروكلمان في ملحقة ١/ ٩٠٦ وسزكين ٢/ ١٦٨ وهو كتاب صغير.

١٧ ـ رسالته الموسومة بـ «**صريح السنة**» وتسمى أَيضاً «**شرح السنة**» وكلاهما مشهوران بهذا الاسم، وهو في عدة ورقات صغير الحجم.

وفي هذا الكتاب أَوضح ابن جرير رحمه الله عقيدته السلفية في الله وأسمائه وصفاته ورسوله... وبين ما يدين الله به من مسائل العقيدة.. في طريقة مجملة فهي أَخصر من عقيدة الطحاوي المشهورة.

وقد تلقى الناس هذه العقيدة بالقبول وتداولوها ونقل منها العلماء كثيراً في كتبهم إعظاماً لها واعترافاً.

ويقال: إنه كتبها لما كان محبوساً في داره وقت محنته، لما اتهم في عقيدته فكانت قذى في عيون أَهل الأَهواء، فلا نامت أَعين الجبناء.

وطبعت هذه العقيدة مرتان بدلهي الهند سنة ١٣١١هـ، ١٣٢١هـ ثم بمصر، كما طبعها معلقاً على أَجزاء منها ومقدماً لها الشيخ عبدالله بن حميد بمكة سنة ١٣٩١هـ، وحققها أَخيراً يوسف معتوق.

وأَشار محمد أَبو الفضل إبراهيم إلى نسخة لها خطية في مكتبة روفان كشك الملحقة بمكتبة أَحمد الثالث باستنبول برقم ٥١٠ (٤٦ ـ ٤٩) مكتوبة في سنة ١٠٨٤هـ ضمن مجموع[1]. وانظر: سزكين ٢/ ١٦٨.

١٨ ـ رسالة في «**جزء حديث الهميان**»: رسالةمخطوطـة موجودة بدار الكتـب المصـريـة بـرقـم ١٥٥٨ ضمـن مجمـوع بـرقم ٢٥٥٤٧ ب فـي ٨صفحات منسـوخة سنـة ١٣٥١هـ، ولعلهـا منسوخـة عن الأُولى، وانظـر فهرسها ١/ ١٠٨، ٢٠٩.

وقد أَشـارإلى هذه الرسـالة الخطيب البغدادي فـي التاريخ ٤/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣، من ترجمة أَحمد بن محمد المحـاملي (٤١٥هـ) قال الخطيب: وقد سأَلته غيـر مرة أَن يحدثني بشيء من سمـاعه، فكان يعدني بـذلك ويرجىء الأَمرإلـى أَن مات ولم أَسمع منـه إلاَّ خبر محمد بن جـرير الطبري عـن قصة الخرساني الذي ضاع هميانه بمكة. اهـ.

١٩ ـ كتـاب «**العدد والتنـزيل**»: ذكره يـاقوت وابـن عساكـر والسبكي والذهبي في التذكرة، ما أَدري ما هـو، وإن كان عنوانه يشعر أَنه في عددالآي وتنزيلها والسور، وقد يكون جزء في كتـابه الكبير في القراءات وتنزيل القرآن، وسيأتي، والله أَعلـم. وأَشارإلى نحـو هذا الذهبـي فقال في عـداد مؤلفـاته: «وتم له كتاب القراءات والتنزيل والعدد».

٢٠ ـ كتاب «**فضائل أَبي بكـر وعمر**»: وسبب تأليفـه هذا الكتـاب أَنه

---

(١) هذا المجمـوع في مكتبـة روفان كشك مجمـوع نفيس جداً حـوى رسائل مهمـة لعلماء أَهل السنة في العقيدة السلفية، منها صريح السنة لابن جرير ورسـالة أصول السنة لابن أبي زمنيـن (٣٩٩هـ) وكتـاب الأربعين في دلائل التـوحيد لأَبـي إسماعيل الأَنصـاري الهروي (٤٨١هـ) ورسـالة عبدالملك بن عيسى بن درباس فـي الذب عن أبي الحسن الأَشعـري (٦٥٩هـ)، والـرد على الجهمية لمحمد بـن إسحاق ابـن منده (٣٩٥هــ)، وكتـاب النزول ــ نزول الله سبحـانه وتعـالى في آخـر الليل إلى السمـاء الدنيـا ـ وكتـاب الصفات لله تعـالى كلاهمـا لأَبي الحسن الدارقطنـي (٣٨٥هـ). والكتاب مصـور على فلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة وعنه صورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

سمع في بلده آمل طبرستان لما رجع إليها بعد رحلاته العلمية من يسب الشيخين ويستطيل عليهما بلسانه، فأملى فيها هذا الكتاب، ثم استدعاه والي البلد بسببه فهرب إلى بغداد وبها أقام حتى وفاته.

فموضوعه فضائلهما والرد على الرافضة في ما يدعون عليهما. ولكنه مات ولم يتمه.

٢١ ـ كتاب «**فضائل العباس بن عبدالمطلب**» وموضوعه «**فضل عم النبي ﷺ والرد على مبغضيه**». ولم يتمه أيضاً، ويقال: إنه صنفه لما سأله العباسيون في العراق أن يؤلف في فضل العباس، وهذا محل شك عندي لأنه لو كان كذلك لكان في فضل ابن عبدالله وأبنائهم، ولكن ربما أنه أراد ذلك ولكن المنية عارضت إتمام إملائه، والله أعلم.

٢٢ ـ كتاب «**فضائل علي بن أبي طالب**»: وهو الذي يسمى كتاب «**أحاديث غديرخم**» وسببه أن بعض الشيوخ في بغداد كذبوا هذا الحديث، وقال: إن علياً كان باليمن في الوقت الذي حدث الرسول ﷺ بغديرخم ـ وهو موضع بين المدينة ومكة قرب رابغ ـ فلما بلغ الطبري هذا شرع في الكتاب مبتدئاً في فضائل علي بن أبي طالب، ثم ذكر حديث الغدير وطرقه، والكلام عليه، وأحكامه وعلله، وهو كتاب كبير، ذكر ابن كثير أنه رآه في مجلدين.

بل في منتخب تاريخ علم الدين البرزالي ـ المعاصر لابن تيمية ـ ذكر أنه رآه في مجلدين وكذلك هذا الكتاب لم يتم الطبري إملاءه.

هذا وبعض العلماء يجمع الكتب الثلاثة الأخيرة تحت عنوان واحد هو: «**كتاب الفضائل**» منهم الذهبي وابن عساكر حيث قال: «ولما بلغه أن أبا بكر بن أبي داود السجستاني تكلّم في حديث غديرخم، عمل كتاب

الفضائل فبدأ بفضائل أَبي بكر وعمر وعثمان وعلي، واحتج لتصحيحه وأَتى من فضائل أَمير المؤمنين بما انتهى إليه». ولا يمنع هذا أَنه أَملى فضائل الشيخين أَولاً في آمل طبرستان ثم أَدرجه ضمن كتاب الفضائل، والله أَعلم.

وربما كان الكتاب هكذا ثم لما تفرقت نسخه أَو كان نسخ التلاميذ لها أَو بعضهم جعلوا فضائل كلٍّ منهم في كتاب.

والسبب في عدم إكمال هذه الكتب يحكيه ياقوت بعد ذكره فضائل العباس، فقال: «ثم سأل العباسيون في فضائل العباس، فابتدأ بخطبة حسنة، وأَملى بعضه، وقطع جميع الإملاء».

٢٣ ـ **«كتاب في عبارة الرؤيا»**: ذكره ياقوت، حيث جمع فيه أَحاديث الرؤيا وما يتعلق بها ولم يتمه.

٢٤ ـ كتاب **«القراءات وتنزيل القرآن»**: وربما سمي: «الجامع في القراءات» وهو من الكتب التي أَتمها.

قال عنه أَبو علي الحسن بن علي الأَهوازي المقرىء (٤٤٦هـ) في كتابه (الإقناع في القراءات الشاذة): وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثمان عشرة مجلدة، إلاَّ أَنه كان بخطوط كبار، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك، وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور، وقال ياقوت: إنه كتاب جيد.

وقال صاحب كشف الظنون: فيه نيفٌ وعشرون قراءة.

وله نسخة في المكتبة الأَزهرية بمصر رقمها ١١٧٨ في ١٢٨ ورقة مكتوبة في سنة ١١٤٣هـ، وانظر فهرس الأَزهرية ١/ ٧٤، وعنوانه هناك «الجامع في القراءات من المشهور والشواذ» ولعل هذا الموجود قطعة من الكتاب على حد وصف الأَهوازي.

٢٥ ـ كتاب «**لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام**»: ويأتي الاختلاف في عنوانه وهو الذي يختصر ويسمى: «اللطيف» وهو كتاب كبير في نحو ألفين وخمسمائةورقة. أي يقرب من حجم كتابه التفسير.

وقد قيد فيه مذهبه الفقهي الاجتهادي، والكتاب كما وصفوه من أنفس كتبه ومن أهم مصادر أمهات المذاهب وكتب الفقهاء، وأسدها تصنيفاً وتضمن مع المسائل الفقهية التفصيلية مباحث أصول الفقه مثل: الإجماع والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسر، والخصوص والعموم، والاجتهاد والاستحسان وحجيته، وأخبار الآحاد والمراسيل..

ويزيد كتابه هذا على كتب الاختلاف بثلاثةكتب هي: اللباس وأمهات الأولاد والشرب. وقد سماه ابن جرير في التفسير ٧/ ٢٠٠ باسم «لطيف البيان عن أصول الأحكام» وفي ٢/ ٥٣٩ (شاكر) سماه «البيان عن أصول الأحكام» فالعنوان فيهما غير دقيق وكتابه السالف الذكر الخفيف مختصر من هذا الكتاب، علماً بأنه من الكتب التي أتمها قبل موته رحمه الله.

٢٦ ـ كتاب «**مختصر الفرائض**»: هكذا ذكروه، هل مختصر لكتاب سبقه من تأليفه أوتأليف غيره، أو هو قصد به اختصار مسائل الفرائض فيه؟ الله أعلم. وقد ذكره ياقوت والصفدي.

٢٧ ـ كتابُ «**المسترشد**». ذكروه في ترجمته ، ووقع عندي شك بأنه الذي سمَّاه في كتابه التبصير بكتاب «**تبصير المستهدي**» وهو في العقيدة واختلاف الفرق في مسائلها.

هذا محل شك، والله أعلم. ذكره ابن النديم.

٢٨ ـ كتاب «**المسند المجرد**»: ويصفه الذهبي بأنه «**المسند المخرج**» وهو من أنفس كتبه لكنه لم يتمه، جمع فيه ما رواه عن شيوخه من الأحاديث

والآثار، وقال فيه الذهبي: يأتي فيه على جميع ما رواه الصحابي من صحيح وسقيم، ولم يتمه.

٢٩ ـ كتاب «**الموجز في الأُصول**»: ولم يكمله بدأ فيه برسالة الأَخلاق، وذكره ياقوت.

٣٠ ـ كتاب «**الوقف**»: ذكره محمد أَبوالفضل إبراهيم وأَنه أَلفه للخليفة العباسي المكتفى، أَورد فيه ماأجتمعت عليه أَقوال العلم وسلم فيه من الخلاف.

وأَظن أَن المراد به كتاب «اختلاف الفقهاء» أَو «اختلاف علماء الأَمصار» السالف الذكر فقد كتبه بهذه الصفة المطلوبة مختصراً بأَمر وزير المكتفى، وسبب تسميته الوقف: قول الخليفة المكتفى: «أُريد أَن أُوقف وقفاً تجتمع أَقاويل العلماء على صحته ويسلم من الخلاف.. فأُشير عليه بابن جرير، ولذا سماه المحقق هنا بكتاب الوقف. وربما يكون المراد به كتابه «الخفيف» وهو احتمال أَيضاً.

* كما ذكر كتاباً آخر هو «**طرق الحديث**» ونقل عنه الذهبي في التذكرة ٢/ ٢٥٣، قوله: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرةطرقه، قلت: هو ـ والله أَعلم ـ كتابه في أَحاديث غديرخم، لأَنه جمع فيه طرق حديث الغدير وتكلم عليها وأَسانيدها وعللها، حتى قال الذهبي في السير: قلت: جمع طرق حديث غديرخم، في أَربعة أَجزاء، رأيت شطره فبهرني سعة رواياته وجزمت بوقوع ذلك.

وقوله رحمه الله: رأيت شطره، يوافق مافي التذكرة من أَنه رأى منه مجلداً، والكتاب كما وصفوه في مجلدين كبيرين، والله أَعلم.

٣١ ـ كتاب «**الطير**»: وصفه الحافظ ابن كثيربقوله: رأيت له كتاباً

جمع فيه حديث الطير، ذكره في التاريخ، ولم أَجده لغيره.

٣٢ ـ ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه ١/ ١٤٤٦ «الطبعة الأُوربية» أَنه سيؤلف كتاباً في دلائل النبوة، لكن لم يذكر له في عداد مؤلفاته.

فإما أَنه لم يؤلفه أَصلاً وهو الظاهر، أَو أَنه بدأ به ولم يتمه ولم ينتشر بين طلابه ومترجميه.

هذه صورة عامة لآثار ابن جرير الطبري العلمية من تصانيفه، حرصت على جمعها والتعريف بها.



□ وفاتـــه:

بعد هذا التطواف الجميل مع النفحات العبقة من سيرة هذا الإمام العلم الكبير الشأن، نعود إلى البدء مرة أُخرى بالإشارة إلى وفاته بعد عمر طويل في العلم والتعلم والتعليم، جهاد العلماء والمصلحين على مدى عمر طوله ست وثمانون ربيعاً.

إذا تم أَمر بدا نقصـــه ترقب زوالاً إذا قيل تم

وافت المنية إمامنا في سنة ٣١٠هـ، في شهر شوال منه، لكن اختلفوا في اليوم والوقت، على ثلاثة أَقوال.

وشيعت جنازته حيث حضرها عدد لايحصيهم إلاَّ الله، فاجتمع الناس ببغداد لما توفي من الأَقطار حولها، وصلي عليه بداره ودفن بها، وبقي الناس يترددون على قبره مدداً يصلون عليه من كثرتهم، وقد قيل لأَهل البدع: بينناوبينكم يوم الجنائز؛ لأَنه يوم الفقد، وفيه يفقد الناس الصالحين، ويتخلصون من أَضدادهم.

□ مراثيه :

ذكر تلميذ ابن جرير أَحمد بن كامل في ترجمته له: أَنه رثاه خلق كثير من الأدباء وأَهل الدين فرقاً على فقده، وتعبيراً عن تلك الأَحاسيس تجاه هذا العلم الشامخ.

وكان من أَشهر من رثاه: محمد بن الحسن بن دريد الأَديب واللغوي المشهور(٢٢٣ ـ ٣٢١) رثاه بقصيدة أَوردها مسندة الذهبي في السير.

وأَيضاً هذه مرثيةالمحدث الحافظ أَبو سعيد بن الأَعرابي (٢٤٤ ـ ٣٤٠):

حدث مفظع وخطب جليل دق عن مثله اصطبار الصبور

قام ناعي العلوم أجمع لما قام ناعي محمد بن جرير

فهوت أَنجم لها زهواتى مؤذنات رسومها بالدثور
وغدا روضها الأَنيق هشيماً ثم عادت سهولها كالوعور
يا أَبا جعفر مضيت حميداً غير وانٍ في الجد والتشمير
بين أجرٍ على اجتهاد موفر موفور وسعي إلى التقى مشكور
مستحقاً به الخلود لدى جنة عدنٍ في غبطة وسرور

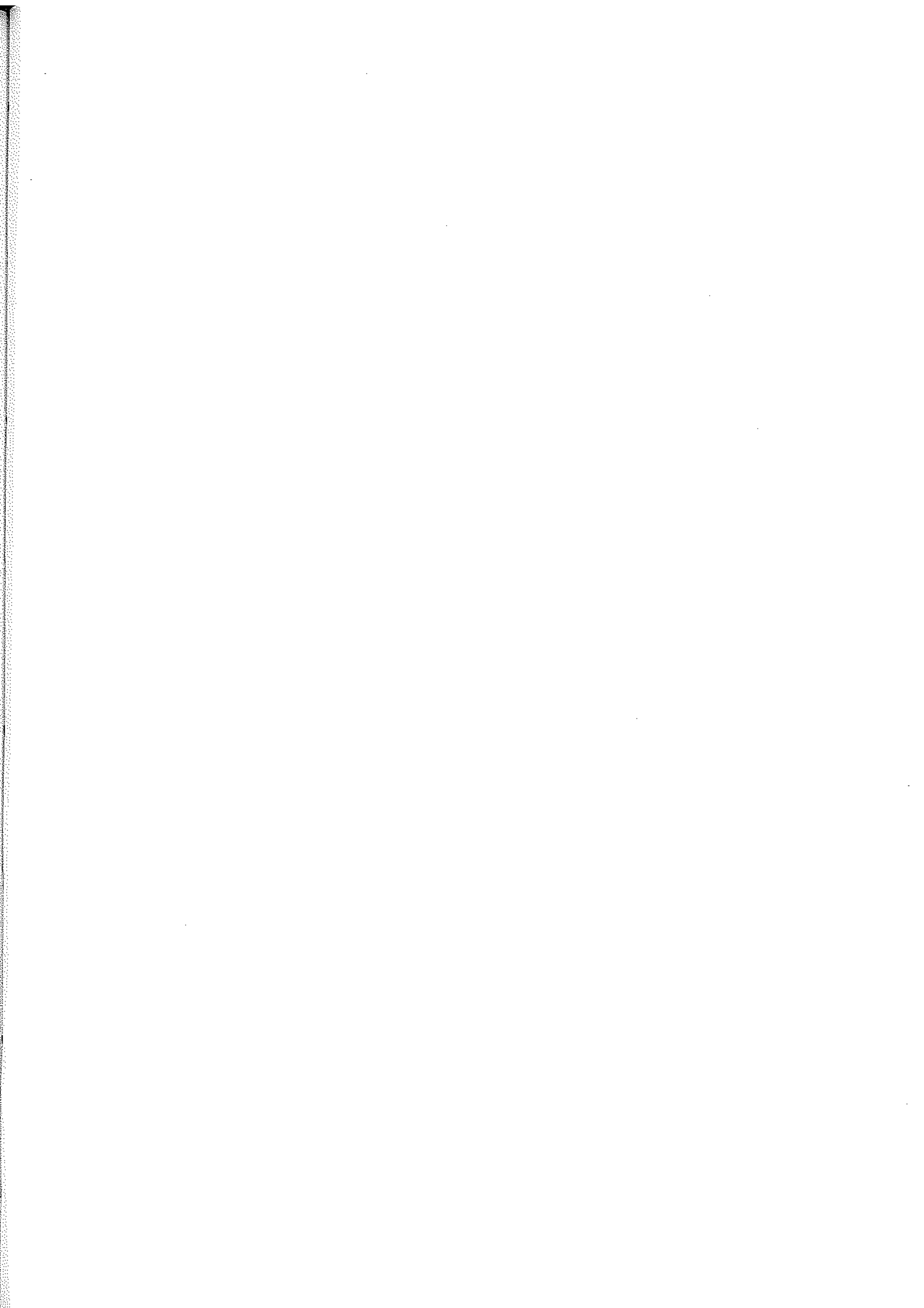
نرجو الله له ذلك وأَن يجمعنا به فيها مع سلفنا الصالحين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ووالدينا ومشائخنا والمسلمين، وأَن يضاعف مثوبته ويعلي درجته، آمين، اللهم صل على عبدك ورسولك نبينا ورسولنا محمد وآله وصحبه أَجمعين.

□ □ □

الفصل الثاني
دراســـة الكتـــاب

وفيـــه :

* اسم الكتاب
* توثيق نسبته إلى ابن جرير
* موضوع الكتاب
* سبب تأليفه
* منهج المؤلف فيه
* وصف الأَصل المخطوط
* مميزات المخطوط
* طريقة العمل في التحقيق
* نماذج من الأَصل المخطوط



الدراســـة

* **اسم الكتـــاب:**

اختلفت النسخة مع المصادر التي ترجمت لابن جرير رحمه الله في تحديد عنوان هذا الكتاب تبايناً طفيفاً، وهذا له عدة أَسباب:

١ - أَن الكتاب صغير الحجم لم ينتشر كتفسيره أَو تاريخه ليعرف بعنوانه. وهو ليس له ـ حسب علمي ـ إلاَّ نسخة خطية واحدة.

٢ - أَن عنوان المخطوطة المكتوبة في القرن السابع الهجري سنة ٦٣١هـ تحديداً أَظنه من اختيار الناسخ لها.

٣ - الاسم الثاني للمخطوطة أَول ما عرف حسب نقل المصادر عنه من القاضي أَبي يعلى الحنبلي صاحب إِبطال التأويلات وهو رحمه الله قريب العهد بابن جرير، إِذ توفي سنة ٤٥٨هـ.

٤ - أَن كل العناوين مستنبطة من مقدمة الكتاب، وسبب تأليفه وهو طلب أَهل آمل طبرستان من الإِمام تبصيرهم سبل الرشاد، وإِيضاح قصد السبيل وتبيين هدي الطريق، والعنوان على كل حال ليس فيه مشاحاة كما في المضمون ،والأَمر في الاختلاف فيه سهل جدًّا.

فقد ورد العنوان على طرة المخطوطة هكذا: «**كتاب فيه تبصير أولي النهى ومعالم الهدى**».

وجاء في أَكثر الكتب الناقلة عنه: «**كتاب التبصير في معالم الدين**» وربما اختصر العنوان إلى: «**كتاب التبصير**».

وعنوان الكتاب ـ في الواقع ـ يطابق مضمونه، فحوى التبصير والعلم

المستقر لذوي العقول والأحلام والنهى. كما تضمن معالم الهدى وأسباب الهداية والسعادة بالمعتقد الصحيح المخالف لأهواء المبتدعة والمتوسط بين أضداد أقوالهم.

وهذا شأن أهل الاستقامة والدين، فهم وسط في كل أمورهم وأهمها عقيدتهم ودينهم. ولذا قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية بعد كلامه على الصفات الإلهية المقدسة واصفاً مكانتهم بين الفرق:

فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبرَ الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

«فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية. وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم. وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية. وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

ولا غرو في ذلك وقد وصفهم الله بذاك بقوله في سورة البقرة: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**، فهم الوسط العدل بين الناس في عبادتهم وعقائدهم، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة بأن رسلهم قد بلغتهم البلاغ المبين، بعد أن تكذب تلك الأمم رسلها كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري عند الإمام البخاري».

وهذا الكتاب يوافق مسماه الآخر: التبصير في معالم الدين، حيث

بصَّر فيه مؤلفه أُصول الدين التي وقع فيها الخلاف والافتراق بين فرق الإسلام.

والتَّبْصير تفعيل من بصَّر الرباعي، يبصر بصيرة، وتبصيراً، أَو من أَبصر يبصر، وهو التعريف والتوضيح والتبيين.

فهو العلم الراسخ، والبرهان البيِّن الواضح، كما أَشار إلى هذا الكتاب ابن جرير في مقدمته.

فالكتاب جاء والحمد لله واضحاً مُبيِّناً موافقاً لموسومه.

وإن كان هناك من يسمي الكتاب برسالة ابن جرير إلى أَهل آمل طبرستان؛ أَخذاً من سبب تأليفه، فلا مشاحَّة والحالة هذه.

❑ ❑ ❑

* توثيق نسبة الكتاب إلى الإمام ابن جرير:

هذا الموضوع في الواقع أهم ما يتعلّق بدراسة الكتاب وتحقيقه، لاسيما وهو يُطبع لأول مرة؛ إذْ الذي سبقَ طبعه وذيوعه تكون الحاجة إلى توثيقه في الغالب الأعم قليلة، وربما تحصيل حاصل.

فمثلاً السعي إلى إثبات نسبة التفسير أو التاريخ أو تهذيب الآثار للإمام ابن جرير لا طائل تحته؛ لأن شهرتها إليه تغني عن تحديد ذلك، كما يقوله الفقهاء.

ولأجمل القول أذكر مسوغات نسبة هذا الكتاب لابن جرير رحمه الله في الأمور التالية:

١ ـ نسبة الكتاب في المخطوط إلى ابن جرير رحمه الله، كما تراه في أول صفحة منه[1].

كذا في أثنائه عبارة (قال أبو جعفر) في كل فاصل جديد أو تعقيب ذي أهميّة.

وهذه العبارة تتكرر كثيراً في تفسير الإمام ابن جرير، وابن جرير رحمه الله كنيته أبو جعفر.

٢ ـ نقل كثير من العلماء من هذا الكتاب ونسبوه لابن جرير. ومنهم القاضي أبو يعلى ابن الفراء الحنبلي في كتابه: «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» ص٤٨ وما بعدها، قال: «وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

(١) والنسبة هذه بحد ذاتها لا تكفي في إثبات نسبة الكتاب لمن نسب إليه لأنه يقع في المخطوطات نسبة كتب لغير مؤلفيها إما عمداً أو جهلاً أو تصحيفاً. ومن ذلك ما مر بي من نسبة كتاب إلى الإمام ابن القيم بعنوان: «الإعلام في بيان أديان العالم وفرق الإسلام» وهو كتاب كبير في ١٧٣ ورقة بمكتبة الدولة ببرلين فلما طلبته وجدت هذا العنوان وتحته اسم ابن القيم،ولكن بعد النظر في مقدمته وجد أنها مقدمة الشهرستاني لكتابه: الملل والنحل. والمخطوط فلمه بجامعة الإمام برقم ٧٠٩٩.

في كتاب «التبصير في معالم الدين» بعد أَوراق من أَوله: القول فيما أَدرك علمه من صفات الصانع خبراً لا استدلالاً، وهو موجود في كتابنا هذا، وقابلته عليه، وكذا شيخ الإِسلام تقي الدين ابن تيمية في «الحموية الكبرى» ص٤٦ وما بعدها لما نقل كلام جملة من العلماء منهم أَبو عبدالله ابن خفيف وغيره، ومما جاء فيه نقله رحمه الله عن ا بن خفيف [إِلى أَن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه «التبصير» كتب بذلك إِلى أَهل آمل طبرستان في اختلاف عندهم وسأَلوه أَن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إِليه..]، ذكرَ هذا رحمه الله في عقيدته المشهورة[1] التي سمَّاها: «اعتقاد التوحيد بإِثبات الأَسماء والصفات» والتي نقلَ جملاً منها شيخ الإِسلام في الحموية وغيرها.

وكذا نقله عن أَبي يعلى ابنُ القيِّم في «اجتماع الجيوش الإِسلامية

(١) هذه العقيدة للشيخ أَبي عبدالله بن خفيف الضبي الشيرازي المحدِّث (ت ٣٧١هـ) والعقيدة المشارإليها موجودة مخطوطة في صفحات قلائل في تركيا في عدة مكتبات، في مكتبة أَيا صوفيا باستنبول بمجموع رقمه ٤٧٩٢ هي الرسالة الثامنة والعشرون منه من (٧٤٦ ـ ٧٤٨أ) باسم أُصول السنة أَو العقيدة الصحيحة. وفي مكتبة إسماعيل صائب بأَنقرة ضمن مجموع رقمه ١٥٥٩ الرسالة العاشرة منه، من (١١٦ ـ ١١٨ب) في مكتبة الفاتح ضمن السليمانية باستنبول في مجموع رقمه ٥٣٩١ الرسالة الثالثة باسم رسالة في الاعتقاد لابن خفيف من (٧أ ـ ١٠ب) وكذا نسخة في مكتبة جامعة توبنجن، المكتبة الملكية وهي بأَلمانيا برقم ٨٩ الرسالة الحادية والعشرون ضمن المجموع من (١٢٧ ـ ١٢٨)، وعنوانها: الوصية التي كتبها إلى تلاميذه. وهذه كلها مكتوبة باللغة العربية. وقد ترجمت رسالته هذه إلى اللغة الفارسية. حيث لها نسختان: إحداهما في مكتبة أَيا صوفيا باستنبول رقمها ٤٧٩ ضمن مجموع يبدأ من الورقة ٧٧٧. والثانية في مكتبة شهيد علي برقم ١٣٨٨ من (١٥٦ ـ ١٥٩) وهذه الأَرقام استخرجتها من فهارس تلك المكتبات، وبروكلمان وسزكين، والنسخ العربية بتركيا تأكدت من وجودها بمكتبتها. يسَّر الله ظهورها.

على غزو المعطلة والجهمية» ص١٢٠ وسمَّاه «التبصير في معالم الدين».

ومثله الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار» ص١٥٠ وما بعدها، وتراها بتمامها في «مختصر العلو» للألباني في ص٢٢٤ وما بعدها.

بل ونقلَ الذهبي كلام ابن جرير الذي أورده في العلو في ترجمته إيَّاه في السير ١٤/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

٣ ـ أضاف الكتاب إلى الإمام ابن جرير كثير ممن ترجموا له، لماعدوا مصنفاته، وإن كان بعضهم أغفل ذكره لأنه من الأجزاء الصغيرة التي لم تشتهر كمؤلفاته الكبار نحو التفسير والتاريخ وتهذيب الآثار وكتاب القراءات وتنزيل القرآن وغيرها.

وممن وصفوا الكتاب: الصفدي في الوافي بالوفيات ٢/ ٢٨٤ فذكرَ أنه في ثلاثين ورقة.

وقبله الذهبي في السير ١٤/ ٢٧٣ وقال: وتمَّ له كتاب «التبصير» وهو رسالة إلى أهل طبرستان يشرح فيها ما تقلده من أُصول الدِّين.

كما ذكره ياقوت الحموي في معجم الأُدباء وابن كثير في طبقات الشافعية، كذا السبكي.

٤ ـ أُسلوب الكتاب لمن قرأه ـ وهو يعرف أسلوب ابن جرير الطبري في تفسيره ـ يجزم أن هذا من ذاك[1]، وأن كتاب «التبصير» لصاحب التفسير.

---

(١) وفي هذا أني قرأت بعض كتاب «التبصير في معالم الدين» على شيخي الشيخ عبدالرحمن البراك، وقد كان نسي اسم مؤلفه فقال: هذا الكتاب لابن جريرا فسألته: لِمَ؟ فقال: لأن أُسلوبه يطابق أُسلوب ابن جرير في تفسيره، وكذا قاله غير واحد لما قرأه وهو مخطوط.

ويظهر هذا بتكرار عباراته التي يكررها كثيراً في تفسيره، وتراها ها هنا ومنها:

«إذا كان ذلك كذلك» و «لأن ذلك لو كان كذلك» و «فإن قال لنا قائل». وكذا قوله عند ذكر لفظ الجلالة: «تعالى ذكره» و «جلَّ ثناؤه»...

كما يظهر بمتانة تركيبه في هذا الكتاب، وقوة أُسلوبه وجزالة عباراته كما في التفسير.

٥ ـ ومن أُسلوبه الذي صرَّحَ فيه في التفسير، وها هنا تكنيته نفسه فيها بـ «قال أَبو جعفر» حيث تكررت مراراً في هذا الكتاب.

٦ ـ ذكر في كتابه هذا كتابين من كتبه هما:

تبصير المستهدي في الفقرة ٢٠.

كتاب أَهل البغي في الفقرة ٢٣.

حيث أحال إليهما في تفصيل المسائل التي أَشار إليه من هذا الكتاب.

وهذان الكتابان من مؤلفاته التي نسبت إليه وانظر مبحث مؤلفاته من ترجمته وتأمله.

أيضاً هذا الكتاب في عرضه ومسائله يكاد يتطابق ورسالة الشيخ ابن جرير المشهورة في العقيدة بصريح السنة. فمن قارن بينهما عرَفَ أَنهما خرجتا من قلبٍ واحد بصياغةٍ واحدة ومرتكزات متماثلة، مع زيادة في تلك المسائل في كتابنا هذا. حيث وصلت أُصول مسائل الافتراق في العقيدة إلى تسعِ مسائل، زادَ بها هذا الكتاب على تِلْكَ العقيدة.

□ □ □

* موضـــوع الكتـــاب:

إنَّ موضوع الكتاب هو العقيدة الإسلامية وبيان شيء من أُصولها التي وقعَ التنازع فيها، خصوصاً من معتزلة عصر الإمام ابن جرير.

فذكرَ رحمه الله في تقدمته السبب في كتابته والتأسف على ما آلت إليه بلده آمل طبرستان في انتشار وباء المبتدعة بها.

ثم ذكرَ في أَول الكتاب المعاني التي تدرك بها حقائق المعلومات من دين الله وتوحيده وأَسمائه وصفاته وعدله وشرائعه ونحوها، وما يجوز الجهل بذلك منها، ويعذر فيه المجتهد الطالب للحق من الخطأ فيها. وما لايجوز ذلك من ضده.. ومناقشة المخالفين فيما يقع تحت الحس وما لايقع تحته. كله بعبارة متينة مختصرة قصد الإمام فيها ذلك.

ثم حدد المعرفة الواجبة بالله ودينه التي يستحق عليها العارف أَن يسمى مؤمناً أَو كافراً، ومن ذلك أَن يعلم أَن له ربًّا، وأَنه خالق كل شيء ومدبره منفرداً بذلك، وأَنه صمد ليس كمثله شيء، عالم أَحاط بكل شيء علماً، قادر لا يعجزه شيء.

مع مناقشة للنفاة فيما نفوه من هذه الصفات بالطرق العقلية.

ثم ذكرَ بعضاً مما يدرك علمه من صفات الله الواردة في الوحيين، وهي الصفات الخبرية التي لاتدرك بالعقل والرؤيّة والفكر، وهي صفات اليدين والوجه والقدم والضحك، وإثبات العينين،وأَنه ليس بأَعور، ورؤية المؤمنين له، والأَصابع، والنزول في آخر الليل، والمجيء، ومناظرة النفاة في شبههم في نفيها.

ثم ذكر فروع ذلك من إثبات القدرة لله سبحانه على خلقه وأَفعالهم والعطف على مسألة الاسم والمسمى وأَثرها.

ثم تعرَّض رحمه الله لذكر الخلاف الذي وقع في أُمة محمد ﷺ في أُمور الدين، والذي أَدَّى إلى افتراقهم وتنازعهم في الدين، مع إبانة القول الحق في كل خلاف، فعدد في ذلك تسع مسائل رتبها حسب وقوعها.

فبدأ بالخلاف الأَول في أَمر الخلافة والإمامة، فيما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة، وكيف أَنهم لما بان لهم الحق سلَّموا بالأَمر لأَهله في حديثه ﷺ: «**الأُمراء من قريش**» وأَعقب ذلك بفروع هذه المسألة من منازعة غير القرشي له في الإمرة، أَو منازعة قرشي لقرشي مثله، وكأَنه ذكرَ هذا إشارة لقول الرافضة الباطل في الإمامة ونقضاً لدعواهم فيها، وأَشارإلى الخوارج على الإمام وحكمهم في كل حال.

ثم ذكرَ الخلاف الثاني الواقع في هذه الأُمة في الحُجَّة التي أَنزلها الله على عباده وجعلها حجة عليهم وإدراكها والعلم بها من طريق النقل والعقل، وذكرَ اختلاف الناس فيها، فذكر ستة أَقوال رجح الحق منها، ثم أَعقبه بذكر الاختلاف الثالث في أَفعال العباد في باب القضاء والقدر، وذكرَ قولي القدرية المعتزلة والجبرية الجهمية معقباً لهما بقول جمهور أَهل الإثبات ودلائله من أَوجه عديدة.

وبعده القول في الاختلاف الرابع في حكم أَهل كبائر الذنوب، وذكرَ فيها خمسة أَقوال، خامسها قول أَهل السنة والجماعة، وأَوردَ بعض دلائلهم العقلية في ذلك.

ثم الاختلاف الخامس على ترتيبه رحمه الله في تعريف الإيمان عند

طوائف المسلمين وأثر كل تعريف، مردفاً له بالتعريف الصحيح تعريف أَهل السنة والجماعة له من جهة اللغة والاصطلاح، مفرقاً بين المؤمن بالإطلاق ومطلق الإيمان مما يترتب عليه وصف كلٍّ.

ثم ذكرَ الاختلاف السادس في زيادة الإيمان ونقصانه حيث ذكرَ الأَقوال في هذا وعلة كل قول وذكره الحق عند أَهل الإثبات في هذا مشيراً إلى فساد بقية الأَقوال ومحيلاً إليها في غير هذا الكتاب.

ثم ذكرَ الاختلاف السابع في مسألة كلام الله: القرآن، بذكر الأَربعة الأَقوال المشهورة في المسألة: أَنه مخلوق، وليس بخالق ولا مخلوق، وأَنه لايجوز أَن يقال فيه هو مخلوق، وأَنه لايجوز أَن يقال فيه هو مخلوق ولا غير مخلوق، وقول أَهل السنة أَنه كلام الله مُنزَّل غير مخلوق . متعقباً الجهمية المعتزلة في قولهم وإلزامهم في إثبات كلام الله نظير إثباتهم وجوده وحياته.

ثم الاختلاف الثامن في عذاب القبر والنعيم فيه، فذكرَ فيه ثلاثة أَقوال مُشيداً بالقول الحق في إثبات عذاب القبر ونعيمه على ما تظاهرت به الأَخبار عن رسول الله ﷺ وذكرَ نماذج لهذا من السنة، ومحاجة المنكرين في بعض شبههم العقلية وردها من طريقي العقل والحس، ومثله من أَنكر منكراً ونكيراً.

ثم آخر مباحث الكتاب ـ الاختلاف التاسع ـ في مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة، وفيها ذكرَ سبعة أَقوال آخرها قول جمهور أَهل السنة والجماعة.

ثم ذكر بعده شبهة نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة، ولكن الكتاب انخرم قبل جوابه عنها، لكن حاولت إتمام الخرم من كلام ابن جرير نفسه في التفسير على شبهة للنفاة مماثلة لما ذكره عنهم هنا.

هذه بصورة عاجلة أبرز مسائل الكتاب ومواضيعه التي دار عليها.

*** سبب تأليف الكتاب:**

أَبان الإمام ابن جرير في مقدمة كتابه هذا السبب لتأليفه إيَّاه حيث خَصَّه بإخوانه من حملة الآثار وأَهل السنة والجماعة ببلده ومسقط رأسه آمل طبرستان، لمّا سألوه أَن يُبَصِّرهم فيما حصل من التنازع ببلدهم بين أَهل الأَهواء في مسألة الاسم والمسمى حيث ظهر عندهم من يكتب اسم الله على التراب أَو اللوح، أو ينطق به ثم يقول: كتابي الذي كتبته، وقولي الذي قلته، هو خالقي الذي خلقني. جهلاً منه وغروراً.

وأَردف فيها ما يجب إثباته لله سبحانه وتعالى من صفاته الثابتة له اللائقة به، وبيَّن لهم مسألتهم إيَّاه بإيضاح قصد السبيل، وهدي الطريق بواضح من القول وبيِّنٍ من البرهان فيما وقع التنازع فيه بين أَهل الأَهواء خصوصاً أَقوال المعتزلة وأَضدادهم.

وذكر رحمه الله أَن مسألتهم تلك وافقت منه احتساباً لهم بتجلية القول الفصل فيها وتحري الصحيح المقرر عنده في تحريرها، وعلل ذلك رحمه الله بخصوص البلاء ببلدهم دون بلاد الناس من ترأس الرُّويبضة فيهم ـ وهو الرجل التافه في أمر العامة ـ واستعلاء الفجَّار من المبتدعة على الناس وتصريحهم بمقالاتهم؛ بل ودعوتهم إلى صريح كفرهم مع إصغاء العوام لهم وترك أَهل الخير والعلم الإنكار عليهم، وبيان زيغهم وباطلهم، وإقامة حكم الشرع فيهم قتلاً وتعزيراً.. كل هذا بينَّه رحمه الله في مقدمة الكتاب بعد حثِّه على لزوم الاجتماع والائتلاف وترك الفرقة والاختلاف.

* **منهج المؤلف في الكتاب:**

قبل عرض الخطوط العامة لمنهجه رحمه الله في هذا الكتاب لابد من الإشارة إلى أَن هذا الكتاب إنَّما هو رسالة ردَّ بها ابن جرير على ما وقع في بلده آمل طبرستان من البدع التي سئل عنها من قبل بعض أَهل السنة هناك، ولاشك أَن مقام جواب الفتوى، والرسالة المجملة، ليس مقام التأصيل والتنظير والشرح والإسهاب؛ بل المقام بطبيعة الحال يلزم الاختصار والتركيز على أُصول القضايا. وهو ما جنح إليه ابن جرير في الجملة، ولذا أحال إلى التفصيل في كتبه الأُخرى، وغير هذا الموضع.

ومن ملامح منهجه رحمه الله ما يلي:

١ ـ الاستشهاد بالنصوص من القرآن وصحيح حديث رسول الله ﷺ في تأصيل المسألة كإثبات الصفات وعذاب القبر والرؤية.

٢ ـ تِعداد الأَقوال ـ ولعلَّها المشهورة في وقته ـ في المسائل التسع التي ساقها، ناسباً أَبرز الأَقوال لقائليها، مهملاً هذه النسبة أَحياناً.

كما يذكر أَحياناً علَّة كل قول دون التزام منه بذلك، إلَّا قول المعتزلة فإنَّه لايكاد يذكر قولهم إلَّا ويذكر علته أَو شبهته العقلية.

٣ ـ يذكر في كل مسألة قول أَهل الحق، أَهل السنة والجماعة، مصدراً له بقول: والحق عندنا في ذلك، أَو: قال جمهور أَهل الإثبات، مما يشعر القارىء بقول أَهل السنة الذي يختاره ويصححه ابن جرير مع الإشارة ضمناً إلى ضعف الأَقوال الباقية، بل والرد على بعضها.

٤ ـ المناقشات والحجج في كل مسألة يجريها الإمام بعباراته على لسان المخالف له، وهم المعتزلة.

حيث يذكر ـ رحمه الله ـ إيرادهم أَو شبههم ويناقشها بطريقتهم العقلية، ولايكاد يتعرَّض لإلزامهم بالنصوص مباشرة.

ولعلَّ سبب هذاأَن المعتزلة منتشرون في وقته أَشد من الجهمية والأَشاعرة والماتريدية والإمامية الرافضة، بل ربما أَهل الأَهواء ببلده هم من المعتزلة في الغالب.

ولا يخفى قوة المعتزلة في عصر ابن جرير وذيوع مقالاتهم.

٥ ـ يسوق الإمام ابن جرير الحجج بطريقة: فإن قالوا كذا قلنا، بالإيراد والجواب المباشر له. إلاَّ المسألة الأَخيرة في الرؤية فإنه ساق جملة إيراداتهم مرة واحدة.

٦ ـ يحيل تفاصيل بعض المسائل إلى غير هذا الموضع، وهو أَحياناً يصرح باسم الكتاب المحال إليه، وقد فعل ذلك في موضعين: في آخر القول في الفروع التي تحدث عن الأُصول، إلى كتاب «تبصير المستهدي»، وفي القول في الاختلاف الأَول إلى كتاب «أَحكام أَهل البغي» في مقالة الخوارج وأَمثالهم.

٧ـ تميَّزَ هذا الكتاب بالتبويب من ابن جرير في أَهم مسائله، بالعنونة لها إجمالاً، كذلك الترتيب في عرض مسائل الافتراق في العقيدة متسلسلة حسب وقوعها بتصريحه فيها بالاختلاف الأَول والثاني، وهذه الميزة عزيزة عند متقدمي المؤلفين واضحة عند متأخريهم بعد ابن جرير.

وصار لهذه الميزة أَثرٌ في فهم عبارته وتناسقها، وبناء بعض القضايا على بعض.

* وصف المخطوطة:

جاءت المخطوطة ضمن مجموع محفوظ أَصله بمكتبة دير الأَسكوريال بالأَندلس «أَسبانيا» برقم ١٥١٤، وهي الرسالة السادسة منه وبالتحديد من الورقة (٨١ ـ ١٠٤).

فجاءت مصورة على المصغرات الفلمية «ميكروفلم» في أَربع وعشرين لوحة تحوي ٤٧ صفحة خلا صفحة العنوان التي جاءت بصفحة مستقلة. وعن الأَصل لها فلم بمكتبةجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المركزية برقم ٦١٦٨، وعنه فلم آخر رقمه ٩٦١٥ وهذه المخطوطة قديمة كتبت سنة ٦٣١هـ كما في بطاقتها المفهرسة، وهي مخرومة من الآخر بقدر ست ورقات إِذْ الكتاب كله ـ كما وصفوه ـ ثلاثون ورقة.

والمخطوطة مكتوبة بالخط الأَندلسي «المغربي» الجيد المميز.

فجاءت كل لوحة بصفحتين، في كل صفحة ١٩ سطراً في كل سطر ١٢ كلمة تقريباً في المتوسط.

والنسخة قديمة حيث يظهر أَثر الرطوبة على حافة المخطوط. بل وفيها أَثر الأَرضة «العثة» وخصوصاً من جهةأَسفلها.

* مميزات النسخة المخطوطة:

١ ـ النسخة مقابلة، يدلُّ لذلك الدائرة المنقوطة التي تدل على أَنَّها مقابلة مرة واحدة، كما عند المحدِّثين في تصانيفهم.

٢ ـ كذلك النسخة مضبوطة في كلماتها المشكلة وهي قليلة نسبيًّا.

٣ ـ عليها تصحيحات قليلة في الهامش بنفس القلم، مما يدل على أَنَّها من الناسخ نفسه.

٤ ـ كتبت العناوين بخط أَكبر مما كتب بها باقي الكتاب.

٥ ـ يتساهل الناسخ في تسهيل همز بعض الكلمات كالفايل والسايل.. كما أَنه قد يخطىء إملائياً وهو قليل.

٦ ـ النسخة مكتوبة بقلم واضح لم يختفِ من كثرة التصوير وطول المدة والنماذج المرفقة تبين هذه الأُمور.

إِلاَّ أَن الصعوبة في الكتاب هو خطه الغريب علينا في المشرق، ولذا لما نسخت الكتاب قابلته على أَصله مستعيناً بقراءة الأَصل بأَحد المشايخ من موريتانيا وهو الشيخ محمد عبدالله الشنقيطي ـ من كلية اللغة العربية ـ مع الأَصل، ومعي منسوختي، ووقفت على أَوهام لي في المنسوخة أَتت عليَّ من هذه الجهة.

* طريقة العمل في التحقيق:

دفعاً للتطويل أَجمله في هذه النقاط:

١ ـ نسخت الكتاب حسب الرسم الإِملائي الحديث، مراعياً قدر الحاجة علامات الترقيم.

٢ ـ شكلت الكتاب كما في أَصله ـ في بعض الكلمات ـ وأَتممت

الشكل في أكثر كلمات المخطوطة محاولة لتسهيل فهمه لقوة عبارة ابن جرير رحمه الله ومتانتها.

٣ ـ قسمت الكتاب إلى فقرات حسب مسائله، فوصلت إلى ٥٠ فقرة، وهو عمل اجتهادي القصد منه تقريبه للفهم وربط جزئياته المتصلة بعضها ببعض، وسيكون العزو في الفهارس إلى هذه الأرقام.

٤ ـ قابلت نسخي على الأصل عدة مرات مستعيناً بخبير برسم المخطوط لتفادي الغلط والوهم.

٥ ـ وضعت عناوين جانبية عند أكثر الفقرات ـ دون التي عنون لها ابن جرير إلاَّ بما يوضحها.

٦ ـ علقت على الكتاب في مواضع منه مما رأيت الحاجة إلى التعليق عليه مراعياً الاختصار قدر المستطاع، والابتعاد عن التفاصيل المتسلسلة والتي لاتتناسب ومقام البحث؛ لئلا يتضخم وتنقل الحواشي بما يشغل عن متن الكتاب. كذلك في أصول المسائل التي أوردها ابن جرير نقلت كلامه فيها من رسالة صريح السنة في كل موضع بما يناسبه.

٧ ـ خرجت الأحاديث النبوية فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وما كان في غيرهما خرجته منه، سائقاً إسناد الكتاب المخرج منه الحديث من المسند أو غيره مع الإحالة إلى رقم الجزء والصفحة أو الرقم، واسم الكتاب والباب في بعض الكتب، وأحياناً إن لم أجد حكماً على الحديث، أو وجدت لكنه مستدرك عليه، فإنّي أجتهد فيه حسب حال رواته، وهو قليل.

وإذا كان الحديث له أَصل في الصحيحين أَو أَحدهما فإِنّي أَختم التخريج بإيراده أَوبالإشارة إِليه تأصيلاً لثبوته.

٨ ـ ترجمت للأَعلام الذين رأيت الحاجة داعية لذلك، مع بيان النقد في من يستوجب ذلك منهم بكلام أَحد الأَئمة المعتبرين في هذا الموضوع؛ إن كان من رواة الأَحاديث ورجاله، أَو رجال الفرق والأَهواء، كل بحسبه.

ولم يكن في الحقيقة المنهج في هذا مطرداً؛ بل حسب ما يقتضيه المقام.

٩ ـ عرَّفت بالفرق الواردة، في الكتاب يذكر مُنشئيها أَو مُؤسسيها ومنُظِّريها، وأَهم أُصولها العامة، وما ورد فيها من أَخبار في بعضها عن النبي ﷺ. وربما جئت بكلام لشيخ الإسلام تقي الدين فيها يكون جامعاً للمقصود، مبيناً له.

تلك هي النقاط الرئيسة التي كانت محل العناية في تحقيق الكتاب وثمة تفاصيل أَغفلتها قصداً، ولا حاجة لذكرها.

□ □ □



نماذج من الأصل المخطوط



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي تتابعت على خلقه نعمه وترادفت لديهم منته
وتكاملت فيهم حججه بواضح البيان وبين البرهان وبعث إليهم القرآن
ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب وصلى الله على سيد الأصفياء وخاتم
الأنبياء محمد وآله وسلم كثيرا

قال أبو جعفر أما بعد فإنكم معاشر حملة الآثار ونقلة
سنن الأخبار من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان من أهل
الآثار خيرتم [illegible] فإنكم سألتموني تبصيركم سبل الرشاد في القول
فيما تنازعت فيه أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بعده فرقا
لما اختلفت فيه بعده أحزابا في دينهم مع اجتماع كلمة جميعهم على
أن ربهم تعالى ذكره واحد ونبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم صادق
وتشتتهم أحزابا وتفرقهم من كثرة الأهواء وتشتت الآراء وتطاير الناس
بالأقاويل فتعادوا فيما تحزبوا وافترقوا وقد أمرهم الله تعالى ذكره بالألفة
ونهاهم عن الفرقة فقال جل ذكره في محكم كتابه يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم
منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة
يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

الوجه الأول من اللوحة الأولى

تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جواز [illegible] العقل
وصحته فيه حجة لجواز [illegible] معنى ذلك الآلام واللذات والعلوم معان
غير الروح [illegible] مستحيل وجود الحياة في بعض هذه المعاني ووجود هذه
المعاني مع عدم الحياة لا فرق بينهما ٥ قال أبو جعفر
فرأوا ضلت سبيل الرشاد وتيممت طريق الصراط لمن أراد [illegible]
لنفسه وطلب منه السلامة سبيلا لها والنجاة من المهالك [illegible] التقصير
[illegible] والغضب للكبر والإعراض منه عن تقليد الجهال [illegible]
الضلال في [illegible] فيه أمة نبينا صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

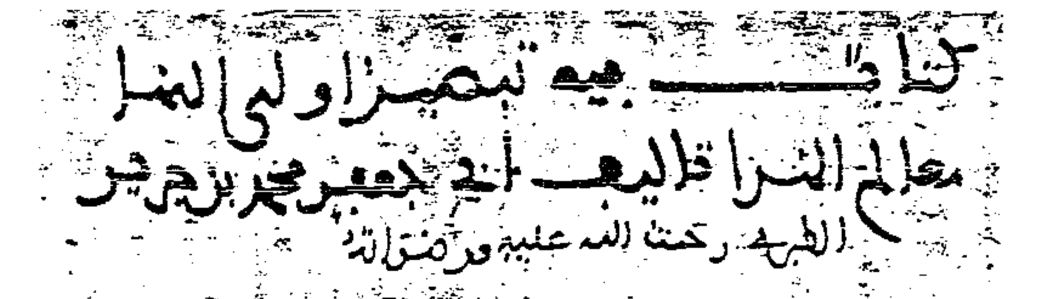
القول في [illegible] الرؤية

[illegible]
[illegible]
[illegible]

الوجه الأول من اللوحة قبل الأخيرة

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك
لهم عذاب عظيم ۝ وقال تعالى شرع لكم من الدين ما
وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن
أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ۝ وقلتم هذا كتاب الله المنزل
وتنزيله المحكم يأمر بالائتلاف وينهى عن الاختلاف وقد خالف ذلك من
فرق كلمة من الأمة فكفر بعضهم بعضا وتبرأ بعض من بعض وكل منهم
يرى الحجة لما يظهر من اعتقاده فيلعن على القول بما هو فيه من خالفه ولا
سيما في زماننا هذا وبلدتنا هذه بأن المصدورين عن قوله فيهم والمأخوذ
بكلام الذين فيهم منهم إلا جهل والقدح بجهل رأيه وعلمه في نوازل الحلال
والحرام وشرائع الإسلام فرقهم الأنفة إلا في الأقل والمستتر منهم
منهم حائر بين تردد الليالي والأيام على طول المستتر شاهد لهم حيرة
والمستبصر منهم إلى الحق فيهم قليل يتردد على كر الدهور واختلاف
أيامهم في ظلمة لا يتبين حقا من باطل ولا صوابا من خطأ ۝
وما التمسته إيضاح نهج السبيل وتبيين هذه الطريق لكم في ما يظهر
بواضح من القول وبين بين من البرهان بليغ فيكون لكم إماما في
القول فيما استجرى فيه الناطقون وتشعب به وعادة تعتمدون عليه فيما
تبتغونه من معرفة صحة القول في الحوادث والنوازل فيما تختلف فيه
القائلون ۝ وإن مسألتكم إياي عادت مني فيكم تفريقا ووافقت
مني فيكم احتسابا لما صح عندي ولغيري من خصوص عظيم الابتلاء بلدكم

الوجه الثاني من اللوحة الأولى


كتاب فيه تبصير أولي النهى
معالم الهدى تأليف أبي جعفر محمد بن جرير
الطبري رحمة الله عليه ورضوانه

صفحة العنوان

ضرار بن عمرو والرؤية جائزة على الله تعالى عقلاً ولا كنه [illegible] في الدنيا
[illegible] ساسه سنة ... وقال هشام وأصحابه وأبو مالك الحضرمي و[illegible]
[illegible] بن سليمان الرؤية على الله جل ثناؤه جائزة بالأبصار التي هي أبصار
العيون ... وقالت جماعة متصوفة ومنهم [illegible] يعني [illegible]
عبد الواحد الله جل وعز يرى في الدنيا والآخرة وزعموا أنهم قد رأوه وأنهم
يرونه [illegible] ... وزعموا أنه يرى الأولياء دون أعدائه ...
ومنهم من جوز رؤية الولي والعدو في الدنيا والآخرة إلا أن الولي يثبته
إذا [illegible] لأنه يتدلى في صورة إدراكاً [illegible] وأن العدو لا [illegible]
إذا رآه ... وقال بعض أهل الأثر يراه المؤمنون يوم القيامة بأبصار
[illegible] يكونه عياناً [illegible] ... وقال آخرون منهم يراه
المؤمنون بأبصارهم ولا يدركونه ... قالوا وإنما زعمنا أنهم لا يدركونه
لأنه [illegible] إلا [illegible] ولا تدركه الأبصار وهو يدرك
الأبصار [illegible] ... واعتل الذين نفوا الرؤية عنه بأن
[illegible] شيئاً [illegible] في حال رؤيته [illegible] يكون [illegible]
[illegible] صفاته ... قالوا وغير جائز أن يرى الرائي [illegible]
[illegible] جائز أن يرى الرائي [illegible]
نفسه [illegible] في الدنيا كان كذلك غير جائز في الآخرة
[illegible] في الآخرة وهو غير جائز في الدنيا [illegible] أن يرى [illegible]
في الآخرة [illegible] فإذا كان [illegible] في الدنيا [illegible] وكان [illegible]

الوجه الثاني من اللوحة قبل الأخيرة

ثم لما كان كذلك رؤية البصر لا صفة في الآخرة ملاكيان في
الدنيا [illegible] قالوا وإذا [illegible] لم يبق إلا أن يقال إن العين في الآخرة
[illegible] إذ كانت الأبصار في الدنيا لا ترى [illegible]
[illegible] الواجب أن تكون في الآخرة شيئا في الدنيا وإنما لا ترى إلا ما
[illegible] وجب أن يكون العين إذا رأته في الآخرة بما بصر [illegible]
وبينه بعضا [illegible] وإذا كان ذلك كذلك كان معلوما أن ذلك الفضاء لو
كان الصانع فيه كان أعظم مما هو به وليس هو فيه قالوا وفي
[illegible] لكان لكنه إيجاب جزله والقول بأنه يعجز أن يريد بأكثر
من ذلك الجزء كان أعظم مما هو به قالوا وفي ذلك صفة لله عز وجل
باللطف والصغر وإيجاب الجزء له وذلك عندهم خروج من
الإسلام قالوا ونحن بعضهم من مخالفينا من أهل هذه المقالات
يجوز الجزء عنه ونحن معهم على ذلك قالوا وفي نفيهم
ذلك عنه مع إجازتهم الرؤية عليه نقض منهم لقولهم إنه إنما
يستبين من قبل المحاذاة والقرب ومعنى نقضوا قولهم بزعمهم أنه
[illegible] نقض منهم لقولهم إنه يرى
لأنه إذا كان [illegible] لم يحتمل [illegible] إلا على المقابلة التي ومعنا وذلك
[illegible] الله [illegible] قالوا بكل قول [illegible]
لصاحبه ولن يبلغ مخالفينا من المناقضة قالوا وفي تنافي القولين
الدلالة الواضحة على كون مخالفينا [illegible] الصانع و [illegible] قولنا

الصفحة الأخيرة

كتاب فيه

تبصير أولي النهى ومعالم الهدى

أو

التبصير في معالم الدين

تأليف

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ - رحمة الله عليه)

تحقيق وتعليق

علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين

دار العاصمة

للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيِّدنا محمدٍ وآله

الديباجة وسبب التأليف لأهل آمل طبرستان

١ ـ الحمد لله الذي تتابعت على خلقِهِ نِعَمُه، وترادفت لديهم مِنَنُه، وتكاملت فيهم حُجَجُه، بواضِح البيان، وبيِّن البرهان، ومُحكمِ آي الفرقان؛ ﴿ليدبّرُوا آياته وليتذكَّر أُولو الأَلباب﴾[1].

وصلّى الله على سيِّد الأَصفياء، وخاتَمِ الأَنبياء محمّد وآله وسلَّم كثيراً.

قال أَبو جَعْفر: ثم أَمَّا بعد: ذَلكم معَاشِرَ حملةِ الآثار ونقلة سنن الأَخبار مِنْ المهاجرين والأَنصار والتَّابعين لهم بإِحسان، من أَهل آمُل طَبَرسْتَان[2] فإِنَّكم سألتمُوني تبصيركم سبلَ الرَّشادِ في القولِ فيما تنازَعتْ فيه أُمَّةُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ منْ بعد فراقه إِيَّاهم، واختلفتْ فيه بعده مِنْ أَمرِ دينهم، مع اجتماع كلمة جميعهم على أَنَّ ربَّهم تعالى ذكرُه واحدٌ، ونبيَّهم محمدٌ ﷺ صادقٌ، وقبْلتَهم واحدةٌ.

---

(١) تضمين من آية سورة ص رقم ٢٩.

(٢) مدينة في شمال إيران «فارس» في إقليم طبرستان، جنوب بحر الخزر مباشرة، وشمال مدينة الري المشهورة. وقد ذكر ياقوت في معجمه أَنها أكبر مدينة بطبرستان السهل، لأَن طبرستان سهل وجبل، والمؤلف ابن جرير مولده في آمل. انظر: معجم البلدان لياقوت ١/ ٥٧، والأَطلس التاريخي ص١١٧.

وقلتم: قد كَثُرت الأَهواءُ، وتشتَّت الآراءُ، وتنابز النَّاسُ بالأَلقابِ، وتَعادَوْا فتباغضوا وافترقوا، وقد أَمرهم الله تعالى ذكره بالأُلفة، ونهاهم عن الفُرْقةِ، فقال جلَّ ذكره في مُحكَم كتابِهِ: ﴿يا أَيُّها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاَّ وأَنتم مسلمون. واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمت الله عليكم إِذْ كنتم أَعداءً فأَلَّف بين قلوبكم فأَصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأَنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أُمة يدعون إلى الخيرِ ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأُولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران ١٠٢ ـ ١٠٥].

وقال تعالى ذكره: ﴿شرعِ لكم من الدِّين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أَن أَقيموا الدِّين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣].

٢ ـ وقلتم: هذا كتابُ الله المُنزل وتنزيلُهُ المُحْكم، يأمرُ بالائتلافِ، وينهى عن الاختِلافِ، وقد خالفَ ذلك مَنْ قد علمتم مِنْ الأُمَّة؛ فكفَّر بعضُهمْ بعضاً، وتبرَّأ بعضٌ مِنْ بعضٍ، وكلُّ حزبٍ يُدْلي بحجَّة لما يُظهر مِنْ اعتقاده؛ فيلعنُ ـ على القول بخلافه فيه ـ

مَنْ خالفه، ولا سِيَّما[1] في زماننا هذا وبلدتنا هذه، فإنَّ المصدور عن قوله فيهم، والمأخوذ معالم الدِّين عنه مِنْهم الأَجهلُ، والمقْنُوع برأيه وعلمه في نَوازلِ الحَلال والحَرام وشرائع الإسلام عندهم الأَسفَهُ الأَرذلُ.

فالمُسترشِدُ منْهم حائرٌ تزيده اللَّيالي والأَيَّام على طول استرشاده إيَّاهم حَيْرةً، والمستهدي منْهم إلى الحقِّ فيهم تائهٌ، يترددُ على كرِّ الدُّهورِ باستهدائه إيَّاهم في ظُلمةٍ لا يَتبيَّن حقًّا مِنْ باطلٍ، ولا صواباً مِنْ خطإٍ.

سؤال أهل آمل طبرستان وقصد بيانه

٣ ـ وسألتموني إيضاحَ قصدِ السَّبِيلِ، وتَبْيِينَ هَدْيِ الطَّريق لكم في ذلك بواضحٍ مِن القَوْل وجَيز، وبيِّن منْ البرهان بليغ؛ ليكونَ ذلك لكم إماماً في القول فيما اشتجر فيه الماضون تأتمون به، وعِمَاداً تعتمدون عليه فيما تَبْتَغونه مِنْ معرفةِ صحة القول في الحوادث والنوائبِ فيما يختلفُ فيهِ الغابرون[2].

وإِنَّ مسألتكم إِيَّاي صادفت مِنِّي فيكم تحرِّيا، ووافقت مِنِّي

---

(١) ذكر في لسان العرب ١٤/ ٤١١، قال: «وقولهم: لاسيَّما كلمة يُستثنى بها وهي سيٌّ ضُمَّ إليها ما» اهـ. وذكر لما بعدها وجهان: الرفع على أنه خبر المبتدأ المضمر، أو جعلت «ما» لغواً وأضيفت الاسم لسيٍّ فتجرها بالإضافة، وعليه مشى صاحب القاموس. انظرهما في مادة سوى.

(٢) قال في عقيدته «صريح السنة»: «ثم إنه لم يزل من بعد مضي رسول الله ﷺ لسبيله حوادث في كل دهر تحدث ونوازل في كل عصر تنزل يفزع فيها =

لكم احتساباً؛ لِما صحَّ عندي، وتقرَّر لدي مِنْ خُصوص عظيمِ البلاء ببلدكم دون بلادِ الناس سواكم من ترؤُّس الرُّويبضةِ[1] فيكم، واسْتِعلاءِ أَعلامِ الفَجرةِ عليكم وإِعلانهم صريحَ الكفرِ جهرةً بينكم، وإِصغاءِ عوامِّكم لهم، وترك وَزعَتِكُم إِلحاقهم بنظائِرهم بقتلِهم ثمَّ صلبهم والتّمثيلِ بهم، حتى لقد بلغني عن جماعة منْهم أَنَّ

= الجاهل إلى العالم، فيكشف فيها العالم صرف الظلام عن الجاهل بالعلم الذي آتاه الله وفضله به على غيره: إما من أثر، وإما من نظر».

(١) هذا تضمين من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٩١، قال: حدَّثنا يزيد بن هارون ثنا عبدالملك بن قدامة الجمعي عن إسحاق بن أَبي الفرات عن المقبري عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خدّاعات يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة! قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه في أَمر العامة» وهو الرجل الصغير الغمر الحقير. أَخرجه كذلك ابن ماجه في سننه برقم ٤٠٣٦ قال: حدثنا أَبو بكر بن أَبي شيبة به، وأَخرجه الحاكم في مستدركه ٤/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦و ٥١٢ به. وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
والحديث مداره على عبدالملك بن قدامة عن إسحاق بن أَبي الفرات. وإسحاق هذا متكلم فيه من قبل جهالته.
وللحديث شاهدان عند أَحمد في المسند ٢/ ٣٨٨ من طريق فليح عن سعيد ابن عبيد بن السَّبَّاق عن أَبي هريرة بلفظ مقارب. وفي ٣/ ٢٢٠ من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أَنس مرفوعاً بنحوه. وعند غيره، يترقَّى بهما الحديث إلى الحسن. وذكره الأَلباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٨٧. والله أَعلم.

الأُمْنِيَّةَ[1] بينكم بلغَتْ بهم، والجُرأةَ عليكم حملتهم على إظهار نوعٍ مِنْ الكفرِ لا يُعلم أنَّه دان به يهوديٌّ، ولا نَصرانيٌّ، ولا مَجوسيٌّ، ولا وَثَنيٌّ، ولا زِنْدِيقٌ[2] ولا ثـنويٌّ[3]، ولا جِنسٌ مِنْ

---

(١) من التمني وهي الغاية التي يرجون ويطلبون بالباطل والبهتان.

(٢) الزنديق لفظ معرب. ومعناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: أنَّه من أبطن شيئاً من الكفر، وإن لم يظهره، أو أظهر بعضه، ومنهم الباطنية، والقرامطة والدَّيصانية، والمؤلهين لعلي رضي الله عنه. اهـ من جامع الرسائل ١/ ١٨٧ في رسالة: الحلاج هل كان صدِّيقاً أو زنديقاً؟. وانظر في ١/ ٢٠٤ رسالة في الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون. والمجموع ٣٥/١٠٨ ـ ١١٩.
ولابن كمال باشا رسالة بديعة في تصحيح لفظ الزنديق وتعريف معناه، مخطوطة في أربع عشرة صفحة، تدور على معنى ما ذكره الشيخ تقي الدين، وهو في الجملة: المنافق. وأصلها فارسي، أطلق على مانى بن فاتك الذي خالف زرادشت وأصوله. ولما كان زرادشت جاء الفرس بكتاب اسمه «البستاه» فشرحه مانى بن فاتك بكتاب سماه «الزند» ثم شرحه بآخر اسمه «البازند». فلذا سمى المانيون بعد ذلك زنادقة أي المبدلين والمخالفين للزرادشتية.

(٣) هم طائفة مجوسية كبيرة تقول بإلٰهين: النور والظلمة، والثاني صدر عن الأول، قال فيهم الشيخ تقي الدين في الدرء ٩/ ٣٦: «وأما المجوس الثنوية فهم أشد الناس قولاً بإلٰهين، لكن القوم متفقون على أن الإله الخيِّر المحمود هو النور الفاعل للخيرات، وأما الظلمة التي هي فاعل الشرور فلهم فيها قولان: أحدهما: أنه محدث أحدث عن فكرة رديئة من النور.. والقول الآخر قولهم: إن الظلمة قديمة كالنور. فهؤلاء أثبتوا قديمين، لكن لم يجعلوهما متماثلين ولا مشتركين في الفعل، بل يمدحون أحدهما ويذمون الآخر اهـ. وانظر: التنبيه والرد على أهل البدع للملطي ص٢٢ وسماهم المانوية، واعتقادات فرق المشركين ص٨٨.

أَجناسِ أَهلِ الكُفرِ سواهم، وهو أنَّ أَحدَهم ـ فيما ذُكِرَ لي ـ يَخطُّ بيدِهِ في التُّرابِ اسمَ الله، ويكتب بيده نحوه على اللَّوحِ، أو ينطِقُ بلسانه، ثمَّ يقول: «قَوْلي هذا الذي قُلتُه ربيَّ الذي أَعبده، وكتابي هذا الذي كَتبتُهُ: خالقي الذي خلقني».

ويزعم أَنَّ علته في صحةِ القول بذلك أَنَّ أَبا زرعة وأَبا حاتِم الرَّازِيَّين[1] قالا: «الاسمُ هو المُسَمَّى».

أثر القول بمسألة الاسم والمسمى بلا علم

٤ ـ فلا هو يَعقلُ الاسمَ ولا يعرفُ المُسمَّى، ولا هو يَدرِي ما مراد القائلِ: الاسمُ هو المُسمَّى، ولا مراد القائل: الاسم غير المُسمَّى، ولا مراد القائل: لا هو المُسمَّى ولا غير المسمَّى[2]، بلادَة وعَمَى،

---

(١) الأول هو أَبو زرعة عبيد الله بن عبدالكريم الرازي (١٩٤ ـ ٢٦٤) الإمام الحافظ المحدِّث، أَثنى على حفظه الإمام أَحمد، وقال فيه الحافظ: إمام حافظ ثقة مشهور، روى عنه مسلم وأَهل السنن غير أبي داوود. انظر: النبلاء ١٣/ ٦٥ ـ ٨٥، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٦ ـ ٣٣٧، تهذيب الكمال ٨٨٣ ـ ٨٨٥، طبقات الحنابلة ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٣.

والثاني: أَبو حاتم محمد بن إدريس الرازي الحنظلي أَحد الحفَّاظ النقَّاد (١٩٥ ـ ٢٧٧)، وأَحد أَئمة الجرح والتعديل، روى عنه أَصحاب السنن الأَربعة، كان واسع الرحلة في طلب الحديث، وابنه عبدالرحمن من العلماء الكبار. رحم الله الجميع. النبلاء ١٣/ ٢٤٧ ـ ٢٦٣، تاريخ بغداد ٢/ ٧٣ ـ ٧٧، تهذيب الكمال ١١٦٣، طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦.

(٢) هذه مسألة مشهورة ابتدعها المتكلمون، وأَفضى بالقائل بها جهلاً إلى ذلك الضلال البعيد، وقد ترك السلف الكلام فيها، حتى سُئِل إبراهيم الحربي الإمام =

فسبحان الله لقد عظمت مزلَّة هؤلاء القوم الذين وصفتُ صِفَتهم، الزَّاعمين أَنَّهم يعملون ربَّهم بأَيدِيهم، ويُحدثُونَه بأَلسنَتِهم كُلَّما شاءوا، ويُفنُونه بعد إِحْدَاثِهموه كُلَّما أَحبُّوا، لقد خابوا وخسروا، وضَلُّوا بِفْريتِهم هذه على اللهِ ضلالاً بعيداً، وقالوا على الله قَوْلاً عظيماً»[1].

= عنها، فتركَ الكلام فيها، لأَنه ليس له فيها إمام متبوع تكلَّم فيها، وقال: عشت سبعين سنة لم أَسمع أَحداً تكلَّم بها، وانظر ترجمته في السير، والقول فيها يختلف باختلاف مراده هو من كونه الاسم غير المسمى أو هو المسمى، أَو لا هو المسمى ولا غير المسمى. وللشيخ تقي الدين ابن تيمية قاعدة فيها مهمة انظرها في مجموع الفتاوى ٦/ ١٨٥ ـ ٢١٢، فلا مزيد عليها.
ومما فيها: أنه لابد من الاستفصال عن مراد القائل: الاسم هو المسمى، أَو غيره، أَو لا هو ولا غيره، إذ يتوقف المعنى على مراده. والاحتمالات هي:
١ ـ أَن الاسم هو المسمى، فيطلق الاسم ويُراد به المسمى، كما قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأَعلى﴾ فإن المُسبَّح هو المسمى وهو الله سبحانه وتعالى، فالاسم هاهنا هو المسمى، وكما قال تعالى: ﴿خلق السموات والأَرض﴾ فالمراد خلق المسميات بهذا الاسم، أَي لم يخلق الاسم ويترك المسمى! وعلى هذا الاحتمال يحمل قول أَبي زرعة وأَبي حاتم الرازيين.
٢ ـ أَن الاسم غير المسمى، كما في قوله تعالى في سورة مريم: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميًّا﴾ فالاسم الذي هو يحيى هو هذا اللفظ المؤلف من (ياء وحاء وياء) هذا هو اسمه، ليس اسمه هو ذاته؛ وصار الاسم هاهنا غير المسمى، والاسم غير الذات.
٣ ـ أَن الاسم لا هو المسمى ولا غير المسمى: وهو لفظ مجمل مُوهِم ولا صورة له في الخارج يُمثل بها وعند التفصيل يرجع لأَحد الاحتمالين السابقين.
وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٢٧.

(١) قال ابن جرير في عقيدته: «وأَما القول في الاسم هو المسمى، أم هو غيره، =

وغيرُ بديع ـ رحمكم الله ـ أَنْ يُصغى إلى مثلِ هذا العظيمِ من الكفرِ العجيب فيتقبَّله مَنْ كان قد أَخذ عن آبائه الدّيْنونَةَ بنبوة السِّندي الرَّشَنِيق[2]، ويَقبلُ مِنْهم عنه تحليلَ الزنا، وإباحةَ فُروجِ

= فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أَثر فيها فيُتَّبع، ولا قول من إمام فيُستمع. فالخوض فيه شينٌ، والصمت عنه زين. وحسب امرىء من العلم به، والقول فيه أن ينتهي إلى قوله جل ثناؤه الصادق وهو قوله تعالى : ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأَسماء الحسنى﴾، وقوله تعالى: ﴿ولله الأَسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ويعلم أن ربه هو الذي ﴿على العرش استوى. له ما في السموات وما في الأَرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى. الله لا إله إلا هو له الأَسماء الحسنى﴾.

(٢) بحثت عن هذا المتنبى المسمى السندي الرشنيق فلم أَعثر على اسمه أَو نسبته والرشنيق مفرد رشانيق، وهو: بطن من السودان كما في اللسان ـ مادة رشق ـ وفي أَلقاب القمي الرافضي ٣/ ٩٣: سندي بن شاهل الملعون، هو الذي حبس موسى بن جعفر الكاظم، ورماه فرسه في الماء فغرق ا هـ. عن دائرة المعارف لمحمد حسن الأَعلمي، هذا وقد ادعى النبوة جماعة في العصر العباسي، ومنهم من جمع معها دعوى الإمامة وإباحة الفروج وتحليل المحرمات، كما يصف هذا ابن جرير رحمه الله، لكن يختلف اسمه عنهم فمن أُولئك:

١ ـ أَبو منصر العجلي الكوفي، قتله يوسف بن عمر الثقفي في آخر الدولة الأَموية.

٢ ـ أَبو الخطاب محمد بن أَبي زينب الأَسدي الكوفي، حتى قتل في خلافة المنصور العباسي، وانظر عنهما مقالات الإسلاميين ١/ ٧٥ ـ ٧٨، والملل والنحل ١/ ١٧٩، والفصل ٤/ ١٨٤ ـ ١٨٦، نسأل الله العافية والسلامة.

النِّساء بغيرِ نِكاحٍ ولا شِرَاء، ومَنْ كان دايناً بإمامةِ مَنْ رأى أَنَّ المآثِمَ تزولُ عن الزاني بامرأةِ رجلٍ بإحلالِ زَوجِها له ذلك.

خطر فتنة الجهل بأصول العقيدة، وعواقبه

٥ ـ وإِنَّ بلدةً وُجِدَ فيها أَشكالُ مَنْ ذكرنا على جهله وعمى قلبه اتباعاً، وسَلِمَ فيها من سفكِ دَمهِ جِهَاراً، لحريٌّ أَن تكونَ الأَقلامُ عن أَهلِها مَرفوعةً، وأَن يكونَ الإثمُ عنهم مَوْضُوعاً وجَديرُون أَن يُتركوا في طُغْيَانهم يعمهون، وفي دُجى الظلماء يتردَّدون، غير أَنِّي تحريتُ بياني ما بيَّنتُ، وإيضَاحي ما أَوضحتُ[1] في كتابي هذا لِذوي الأَفهامِ والأَلبَابِ منكم، ليكون ذلك ذكرى لمنْ كان له قلبٌ أَو أَلقى السمع وهو شهيد[2].

فليدّبَّر كلُّ مَنْ قرأ ـ منكم ومِنْ سائرِ النَّاسِ غيركم ـ كتابي هذا بإشعار نَفْسِه نُصحها، وطلبه حضَّها، وتركِهِ تقليدَ الرُّؤوسِ الجُهَّال، ودُعاةِ الضَّلال؛ فإنِّي لم آلُ نفسي فيه وإيّاكم والمسلمين نُصحاً. فإلى الله أَرغب في حسنِ التوفيقِ، وإصابةِ القولِ في توحيدهِ وعدلهِ وشرائعِ دينه، والعون على ما يُقَربُ مِنْ محَابِّه، إنَّه سميعٌ قريب، وصلّى الله على محمدٍ النبيِّ وسلَّم تسليماً.

---

(١) هذا في الأَصل، بدليل تصحيح في الحاشية، والأَولى بيان ما بينت، وإيضاح ما أوضحت وما في المتن له وجهه عند تأمله.

(٢) اقتباس من آية سورة (ق والقرآن المجيد) رقم ٣٧.

القولُ في المعاني التي تُدركُ حقائقُ المعلوماتِ من أُمورِ الدِّين، وما يسعُ الجهلُ به مِنْه، وما لايَسعُ ذلك فيه، وما يعذرُبالخطأ فيه المُجتهِدُ الطَّالبُ، وما لايعذرُبذلك فيه.

٦ ـ اعلموا ـ رحمكم الله ـ أَنَّ كلَّ مَعلُومٍ للخَلقِ مِنْ أَمرِ الدِّين والدُّنيا أَن تخرج[١] مِنْ أَحدِ معنيين:

(أ) من أَن يكونَ إِمَّا مَعْلُوماً لهم بإدراك حَواسِّهم إِيَّاه[٢].

(ب) وإِمَّا مَعْلُوماً لهم بالاستدلال عليه بما أَدركتُه حَواسُّهم[٣].

---

(١) هكذا في الأَصل، ولعلَّ الصواب: لا يخرجُ من أَحد.

(٢) هذا كالمشاهدات نحو حرارة الشمس، وبرودةالثلج، ونحو معجرات الأَنبياء وكرامات الأَولياء، قال شيخ الإِسلام في التدمرية ص٣٤.[كما قد ثبت بالمشاهدة والخبر من إكرام أَوليائه وعقاب أَعدائه والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة تدل على حكمته البالغة...» وقال ص ٥٦: [والشيء إنما تُدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره].

(٣) كعموم الغائبات التي تدرك بآثارها، أَو بما ذكره الشيخ، ومن ذلك الروح فهي غائبة، لكن الحواسَّ لما يدل عليها، ولهذا مثل بها ابن تيمية في التدمرية على إثبات صفات الله فقال ص٥٦: «فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يُشاهد من المخلوقات، فالخالق أَولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أَسمائه وصفاته. وأَهل العقول هم أَعجز عن أَن يحدّوه أَو يكيفوه، منهم أَن يحدّوا الروح أَو يكيفوها]اهـ. والإمام ابن جرير

ثمَّ لنْ يَعدُو جَميعُ أُمورِ الدِّين ـ الذي امتحن الله به عبادَه ـ معنيين: أحدهُما: تَوْحيدُ الله وعدْلُه.

والآخرُ: شرائعهُ التي شرعها لِخَلقه مِنْ حَلالٍ وحرامٍ وأقضيةٍ وأَحكام.

(أ) فأَمَّا توحيدُه وعدلُه: فَمُدْرَكَةٌ حقيقةُ عِلْمِه اسْتدلالاً بما أَدركَتْه الحواسُّ.

(ب) وأَمَّا شرائعُه فمُدْركةٌ حقيقةُ عِلْمِ بَعضها حِسّاً بالسَّمعِ، وعلم بعضها استدْلالاً بما أَدركتْهُ حَاسّةُ السّمع.

ثم القولُ فيما أَدركتْ حقيقةُ عِلمهِ مِنْه استدلالاً على وجهين:

أَحدهُما: مَعذورٌ فيه بالخطأ والمُخطىء ومأجورٌ فيه على الاجتهادِ والفحصِ والطلبِ؛ كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اجتهدَ فَأَصابَ فَلهُ أَجْرَان، ومَنْ اجْتهَدَ فَأَخطأَ فَلهُ أَجْرٌ»[1].

وذلك الخطأ فيما كانت الأَدلَّةُ على الصحيحِ مِنْ القولِ فيه مُخْتَلِفةً غيرَ مُؤْتَلفةٍ، والأَصولُ في الدلالة عليه مُفترَقةً غيرَ مُتفِقَةٍ،

سيفصل بعد قليل ما تدرك حقيقة علمه حساً أَو حساً واستدلالاً، ثم ما يُعذر بالجهل به مما تدرك حقيقة علمه من طريق الاستدلال والنظر.

(١) هذا الحديث أَخرجه الشيخان بلفظ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد...» من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه. فقد رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وباب أَجر الحاكم إذا اجتهد رقم ٦٩١٩، وأَخرجه مسلم في كتاب الأَقضية ـ باب بيان أَجر الحاكم إذا اجتهد ـ رقم ١٧١٦.

وإنْ كان لا يخلو مِنْ دليل على الصحيح مِنْ القولِ فيه، فميَّزَ بينه وبين السقيم مِنْه، غيرَ أنَّه يغمضُ بعضُه غموضاً يخفى على كثير من طُلَّابِهِ، ويلتبسُ على كثيرٍ من بغُاتِهِ[1].

والآخرُ منهما غيرُ معذورٍ بالخطأ فيه مُكلَّفٌ قد بلغَ حدّ الأَمرِ والنَّهي، ومُكفَّرٌ بالجهلِ بِهِ الجاهلُ، وذلك ماكانت الأَدلَّةُ الدَّالةُ على صحَّتِهِ متّفِقةً غير مفترَقة، ومُؤتلِفةً غيرَ مُختلِفةٍ، وهي مع ذلك ظاهرةٌ للحواسِّ[2].

---

(١) كالمتشابه الخاص الذي ذكره الشيخ تقي الدين في التدمرية وهو: ما يخفى على بعض الناس دون بعضهم، وهو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر لقدر مشترك بينهما. ثم إذا عُرِف الفرق بينهما واهُتدي إليه زال التشابه، وإذا لم يُعرف ولم يُهتد إليه بقي عليه متشابهاًاشتباهاً خاصًا، فكان معذوراً فيه، وأَمثلته كثيرة جدًا، كحكم القاضي لأَحد المتنازعين على الآخر لظهور بيانه ولحنه في حجته على خصمه، مع ضعف الآخر في تعبيره وبيانه عن حجتة فيحكم بالظاهر من هذا، وإن كان نفس الأَمر وحقيقته خلافه.

(٢) وهذا الذي ذكره الإمام ابن جرير متين جداً، كأُصول العقيدة مما يتعلق بالله أَو رسله أَو دينه، فتوحيد الله بالربوبية والأُلوهية وأَسمائه وصفاته وعلوه من هذا القبيل، وكذا رسوله... وإن وقع في أَفراد ذلك من التشابه الخاص ـ لافي مجمله أَو أَكثره أَو مجموعه ـ وهو التشابه النسبي الإضافي، كإتيان بعض الأَسماء أَو الصفات التي لم ترد بدليل صحيح الثبوت أَو صريح الدلالة أَو كلاهما. وهو من الأَدلة غير المؤتلفة... كما ذكر.

ما يجب العلم به وطريقه، وما لا يجوز الجهل به

٧ ـ وأَمَّا ما أُدْرِكتْ حقيقةُ عِلْمِه مِنه حسّاً، فغيرُ لازمٍ فرضُه أَحداً إِلاَّ بعد وقوُعه تحت حسِّه، فأَمَّا وهو واقعٌ[١] تحت حسِّه فلا سبيلَ له إِلى العلمِ به، وإِذا لم تكنْ له إِلى العلم به سَبيلٌ، لَمْ يَجُزْ تكليفه فرضَ العملِ به، مع ارتفاع العلم به؛ وذلك أَنَّه مَنْ لم يَنته إِليه الخبرُ بأَنَّ الله تعالى ذكره بعث رسولاً يأَمرُ النَّاسَ بإِقامةِ خمسِ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ، لَمْ يَجزْ أَن يكونَ مُعذَّباً على ترْكِهِ إِقامة الصَّلواتِ الخَمْس[٢]. لأَنَّ ذلك مِنْ الأَمرِ الذي لا يُدرك إِلاَّ

(١) هكذا في الأَصل والظاهر أن الصواب: وهو غير واقع ....، وبه يستقيم باقي الكلام في السياق.

(٢) كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ من سورة الإِسراء، وفي سورة براءة: ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾. وقال سبحانه في آخر النساء: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾، وغيرها من الدلائل التي تربط العذاب بإِقامة الحجة أَولاً على المكلف رحمة منه سبحانه وعدلاً. وأَسوق لك بعضاً من قول الإِمام ابن جرير في تفسيره حول هذه القضية فقال في تفسير آية الإِسراء ١٥/ ١٤: «وقوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إِلاَّ بعد الإِعذار إِليهم بالرسل وإِقامة الحجة بالآيات التي تقطع عذرهم» ثم ساق الآثار فيه.

وقال رحمه الله في تفسير آية النساء ٩/ ٤٠٨: «يقول: أرسلت رسلي إِلى عبادي مبشرين ومنذرين لئلا يحتجَّ من كفرَ بي وعبد الأَنداد من دوني، أَو ضل عن سبيلي بأَن يقول إن أَردت عقابه: ﴿لولا أَرسلت إِلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أَن نذل ونخزى﴾ فقطع الله حجة كلِّ مبطل أَلحد في توحيده وخالف أَمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، إعذاراً منه بذلك إِليهم، =

بالسَّماعِ، ومَن لم يَسمعْ ذلك ولم يبلغْه؛ فَلَمْ تَلزمْهُ الحُجَّةُ به، وإِنَّما يلزمُ فَرضُه من ثَبتَتْ عليه به الحُجَّة.

٨ ـ فأَمَّا الذي لا يجوزُ الجهل به مِنْ دين الله لمَنْ كان في قلبه مِن أَهلِ التكليفِ لوجودِ الأَدلَّة مُتَّفقةً في الدَّلالةِ عليه غيرَ مُختلفةٍ،

= لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه» اهـ. وانظر قوله في تفسير آخر آية طه.

وقال في تفسير آية الأعراف: ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ ١٢/ ٣٨٨ : قال أَبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إنَّ الفريق الذي حقَّ عليهم الضلالة إنَّما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نظراء من دون الله وظهراء، جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك؛ بل فعلوا ذلك وهم يظنون أَنهم على هدى وحق، وأَن الصواب ما أَتوه وركبوه وهذا من أَبين الدلالة على خطأ قول من زعم أَن الله لايعذب أَحداً على معصية ركبها أَو ضلالة اعتقدها، إلاَّ أَن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فيركبها عناداً منه لربه فيها لأَن ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضلَّ وهو يحسب أَنه هادٍ وفريق الهدى فرق. وقد فرَّق الله بين أَسمائهما وأَحكامهما في هذه الآية»، وتتبع كلامه في التفسير على نحو هذه الآيات يطول. وبما نقلته تم المقصود من إظهار الحجة التي يزول بها العذر عن المكلف، ولايجوز جهله بها. مع أَنه رحمه الله سيبين بعد هذا أَمثلة مما لايجوز الجهل به من دين الله وتوحيده وأَسمائه وصفاته، وتقريره عقلاً، ليترتب عليه قطع العذر بالجهل به. ولكن قبل هذا لابد من فهم هذا الأَساس فيما يجوز الجهل به ولا يجوز، إذْ عليه يتوقَّف فهم ما بعده؛ لمتانة أَسلوبه رحمه الله وقوة عبارته.

ظاهرةً للحسِّ غيرَ خفيَّةٍ، فتوحيدُ الله تعالى ذكره، والعلمُ بأَسمائِهِ وصفاتِهِ وعدله، وذلك أَنَّ كلَّ مَنْ بلغَ حدَّ التَّكليفِ مِنْ أَهلِ الصحةِ والسَّلامة[1]، فلنْ يعدمَ دَليلاً دَالاً وبرهاناً واضحاً يدلُّه على وَحدانيةِ ربِّه جلَّ ثناؤه، ويُوضِحُ له حقيقةَ صحّةِ ذلك؛ ولذلك لَمْ يعذْر الله جل ذكره أَحداً كان بالصفة التي وصفت بالجهلِ وبأَسمائِه، وأَلحقه إِنْ مات على الجهلِ به بمنازلِ أَهلِ العنَاد فيه تعالى ذكره، والخلافِ عليه بعد العلم به، وبربوبيته في أَحكامِ الدنيا، وعذابِ الآخرة فقال ـ جلَّ ثناؤه ـ: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أَعمالاً. الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أَنهم يحسنون صنعاً. أُولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أَعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ [سورة الكهف، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥].

فسوَّى ـ جلَّ ثناؤه ـ بين هذا العاملِ في غيرِ مايرضيهِ على حُسبانِهِ أَنَّه في عمله عاملٌ بما يُرضيه في تسميتِهِ في الدنيا بأَسماءِ أَعدائه المعاندين له، الجاحدين ربُوبيَّته معَ عِلْمِهم بأَنَّه ربهُم، وأَلحقَه بهم في الآخرة في العِقاب والعَذابِ. وذلك لما وصفنا مِنْ

---

(١) وهما من مقومات التكليف فصحة العقل شرط للتكليف ولهذا فالمجنون معذور وكذا المعتوه، والسلامة من العوارض الصارفة، كالصمم وعدم العلم معه، وكالبعد التام أَو الجهل المستحكم بما أَتى به الرسل كأَهل الفترات. والمقصود أَن الصحة والسلامة لازمتان للتكليف، وقيام الحجة.

استواء حالِ المُجتهدِ المُخطىءِ في وحدانيّته وأَسمائِه وصفاتِه وعدلِه، وحالِ المُعاند في ذلك في ظهورِ الأَدلِّةِ الدَّالةِ المُتَّفقةِ غيرِ المُفترقةِ لِحَواسِّهما، فلما استويا في قطع اللهِ ـ جلَّ وعزَّ ـ عُذرَهما بما أَظهرَ لحواسِّهما مِنْ الأَدلةِ والحُججِ، وجبت التَّسويةُ بينهما في العذاب والعقاب[1].

---

(١) ومثل هذا ما قاله رحمه الله في تفسيره لآيات الكهف ١٥/٢٨، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندنا أَن يُقال إن الله عز وجل عنى بقوله: ﴿هل ننبئكم بالأَخسرين أَعمالاً﴾ كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً، وأَنه لله بفعله ذلك مطيعٌ مرضٍ، وهو بفعله ذلك لله مُسخط وعن طريق أَهل الإيمان به جائر كالرهبان والشمامسة وأَمثالهم من أَهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كَفَرَةٌ من أَهل أَي دين كانوا]. اهـ.
وإن زعم هؤلاء ـ و بعضهم ذو اجتهاد وعبادة على طريقته ـ أَنهم يتعبدون لله، ويتقربون إليه، ومع هذا كله كفَّرهم الله وسمَّاهم بأَسماء الكفرة، وجعل لهم أَحكامهم في الآخرة، ولازمه أَنه لم يعذرهم على جهلهم وظنهم (حسبانهم) أَنهم على حسن من العمل صالح، كما في سورة فاطر حيث يقول سبحانه: ﴿أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ قالها سبحانه في هؤلاء وأَمثالهم، فجهلهم غير مقبول لوجوب طلب الهدى عليهم، وتقرره في حقهم. وهذه مسألة مهمٌ فهمُها. وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وهم يحسبون أَنهم يحسنون صنعاً﴾. قال: «وهذا من أَدَّلِ الدلالة على خطأ قول من زعم أَنه لا يكفر بالله أَحد إلاَّ من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته، وذلك أَن الله تعالى ذكره أَخبر عن هؤلاء الذين وصفت صفتهم في هذه الآية أَن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالاً، وقد كانوا يحسبون أَنهم يحسنون في صنعهم ذلك. وأَخبر عنهم أَنهم هم الذين كفروا =

وخالَفَ حكمُ ذلك حكم الجهلِ بالشَّرائعِ[1]، لما وصَفْت مِنْ أَنَّ مَنْ لَمْ يقطعْ الله عذره بحجَّة أَقامها عليه بفَريضةٍ أَلزمه إيَّاها مِنْ شرائعِ الدِّين، فلا سبيلَ له إلى العلمِ بوجوبِ فَرْضِها؛ إذْ لا دلالة على وُجوبِ فَرضِها، وإذا كان ذلك كذلك لم يَكُنْ مأُموراً، وإذا لم يكن مأموراً لم يكن بتركِ العملِ لله ـ عزَّ ذكره ـ عَاصِياً، ولا لأَمر ربِّه مُخالِفاً؛ فيستحقَّ عِقَابَه؛ لأَنَّ الطَّاعةَ والمعصيةَ إنَّما تكونُ باتباع الأَمرِ ومخالفته.

= بآيات ربهم، ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلاَّ من حيث يعلم بالواجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخذ الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه ـ كانوا مثابين مأجورين. ولكن القول بخلاف ما قالوا، فأخذ جل ثناؤه عنهم أنهم كفرة، وأن أعمالهم حابطة...».اهـ.

وهذا مثل كفرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى والقبوريين، بل والوثنيين عموماً لا يكفرون حتى يعلم قصدهم للكفر وعناد الله سبحانه وتعالى، وهذا باطل بصريح القرآن والسنة: (والله لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلاَّ دخل النار) ودلالة الفطرة والعقل السليم. فتأمله بلوازمه ترى أثره!

(١) هذا كحال أهل الفترات، ومن هم في مجاهل الدنيا لم يسمعوا رسولاً ولا قرآناً.

إيرادٌ في الفرق بين المجتهد المخطىء والمعاند، والجواب عنه

٩ ـ فإن قال لنا قائلٌ:

فإنَّكَ قد تَستدلُّ بالمحسوسِ منْ أَحكامِ الشَّرائعِ بعد وُقوعه تحت الحسِّ على نظائره التي لمْ تَقَعْ تحت الحسِّ ويُحكمُ له بحكُم نظيره، ويُفرق فيه بين المُجتهدِ المُخطىء، وبين المُعاند فيه بعد العلم بحقيقته؛ فتجعلُ المجتهد المخطىءَ مأجوراً باجْتِهَادِهِ، والإِثمَ عنه زائلاً بِخَطئِه. وقد سَوَّيت بين حُكمِ المُجتهدِ المُخطىءِ في توحيدِ الله وأَسمائهِ وصفاته وعَدْلهِ، والمُعاندِ في ذلك بعد العلم به.

فما الفصلُ بينك وبينَ مَنْ عارضَك في ذلك، فسوَّى بين المجْتهد المُخْطِىء والمُعَانِدِ بعد العِلمِ، حيثُ فرقتَ بينهما، وفرَّق حيث سوَّيت؟

قيل: الفرقُ بيني وبينه أَنَّ منْ قيِّلي وقِيِّل كُلِّ مُوحِّدٍ: أَنَّ كلَّ محسُوسٍ أَدركته حاسَّةُخلقٍ في الدُّنيا فدليلٌ لكلِّ مستدلٍّ على وحدانية الله عز وجل وأَسمائه وصفاته وعدله، وكلُّ دالٍّ على ذلك فهو في الدّلالةِ عليه مُتفقٌ غير مفترق، ومؤتَلفٌ غيرُ مُختلف.

وإِنَّ مِنْ قِيِّلي وقِيِّل كلِّ قائلٍ بالاجتهاد في الحُكم على الأُصولِ: أَنَّه ليست الأُصولُ كلُّها مُتَّفقةً في الدّلالةِعلى كلِّ فرعٍ.

وذلك أَنَّ الحُجَّة قد ثبتت على أَنَّ واطئاً لو وطىء نهاراً في شهرِ رمضانَ امرأته في حالٍ يلزمُهُ فيها فرضُ الكفِّ عن ذلك، أَنَّ عليه

كفَّارةً بحُكمِ رسولِ الله ﷺ وذلك حكمٌ مِنْ الله تعالى ذكره على لسانِ نَبيِّه ﷺ فيمَنْ وَطيء امْرَأتَه في حالٍ حرامٌ عليه وطؤُها[1]، وقد يلزمُهُ في حالٍ أُخرى يحرمُ عليه فيها وطؤه، فلا يَلزمْه ذلك الحكم؛ بل يَلزمْه غيرُه؛ وذلك لو وَطِئَها معتكِفاً[2]، أَو حائضاً: أَو مُطلَّقةً تطَليقةً واحدة قبل الرَّجعةِ، وفي أَحوال سوَاها نَظَائِرٌ لَها. فقد اختلفت أَحكامُ الفرجِ المُوطوءِ في الأَحوال المنهيِّ فيها الواطيء عن وَطئِهِ مع اتفاقِ أَحواله كلِّها في أَنَّه منهيٌّ في جميعها عن وطئه.

---

(١) يدل على ذلك حديث أَبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله: هلكت قال: مالك؟ قال: وقعت على امرأتي وأَنا صائم، فقال: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أَن تصوم شهرين متتابعين. قال: لا. فقال: فهل تجد إِطعام ستين مسكيناً. قال لا. فمكثَ النبي ﷺ حتى أَتى بعرق فيه تمر ـ والعرق المكتل ـ قال أين السائل؟ فقال: أَنا. قال: خذ هذا فتصدق به. فقال الرجل: أَعلى أَفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أَهل بيت أَفقر من أَهل بيتي! فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: أَطعمه أَهلك» والحديث مُخرج في الصحيحين. فقد أَخرجه البخاري في كتاب الصوم ـ باب: إذا جامع في رمضان ـ رقم ١٨٣٤ ومسلم في كتاب الصيام ـ باب تغليظ الجماع في نهار رمضان برقم ١١١١.

(٢) معتكِفاً وهو غير صائم، وإِلاَّ لصار حكمه حكم الواطيء في نهار رمضان، أَما لو وطئها في ليل رمضان وهو معتكف، إذ الاعتكاف أَكثر ما يكون فيه، أَو وطئها في صوم نافلة وهو معتكف، فتغير الحكم بتغير الحال، مع بقاء نفس الفعل في الجميع!

وليست كذلك الأَدلَّةُ على وحدَانيَّة الله ـ جل جلاله ـ وأَسمائه وصفاته وعدله، بل هي كلُّها مؤتلفةٌ غيرُ مختلفة، ليس منها شيءٌ إلاَّ وهو في ذلك دالٌّ على مثلِ الذي دلَّت عليه الأَشياءُ كلُّها. أَلا ترى أَنَّ السَّماءَ ليستْ بِأَبْينَ في الدَّلالة مِنْ الأَرضِ، ولا الأَرضَ مِنْ الجبال، ولا الجبالَ من البهائمِ، ولا شيءَ مِنْ المحسوساتِ وإِنْ كَبُرَ وعَظُمَ بأَدلَّ على ذلك مِنْ شيءٍ فيْها وإِنْ صَغُر ولَطُف[1]، فلذلك افترق القولُ في حكم الخطأ في التَّوحيدِ، وحكمِ الخطأ في شرائعِ الدِّين وفرائضِه.

ولولا قَصْدُنا في كتابِنا هذا الاختصارَ والإِيجازَ فيما قصدْنَا البيانَ عنه لاستقصينا القولَ في ذلك، وأَطنبنَا في الدِّلالةعلى صحةِ

---

(١) نعم فدلالة خلق السماء على كبرها وعظمها كدلالة خلق الأَرض ـ وهي أَصغر منها ـ في أَنهما مخلوقتان مصنوعتان مُبدعتان. كدلالة خلق الفيل أَو الفحل من الإبل مع دلالة خلق الذباب والنحل، بل خلق السماء ورفعها بلا عمد وإحكامها من السقوط والزوال وما فيه من إثبات الصانع الخالق، كما في خلق النملة وجسمها اللطيف وأَعضائها ونشاطها ووظائفها، ففي كلِّ الدلالة الواضحة على أَنها مخلوقة ـ مبدعة من خالق مبدع ـ وإن كانت نظرة الناظر وتفكره تختلف من الأَشياء المشاهدة القريبة لحسه أَكثر مما بعد عنه. ولهذا يتبين لعلماء الطبيعة من الشواهد الواضحة على إبداع الخلق وحسن نظمه مالا يتبين لمن دونهم، مع بقاء القدر المشترك عند الجميع بأَن كل هذه المحسوسات عظمت أَو لطفت تدل على خالق موجد لها. فسبحان الخلاَّق العليم الذي أَودع فهماً لجميع الناس على ربوبيته وتفرده.

ما قلْنا فيه.

وفيما بيَّنا مِنْ ذلك مُكتفىً لمَنْ وُفقَ لفهمه.

١٠ ـ وإذا كان صَحيحاً ما قُلنا بالذي عليه استشهدنا، فواجبٌ أَن يكونَ كلُّ مَنْ بلغَ حدَّ التكليفِ مِن الذُكورِ والإناثِ وذلك قبل أَنْ يحتلم الغلامُ أَو يبلغَ حدَّ الاحتلامِ، وأَنْ تحيضَ الجاريةُ أَو تبلغَ حدَّ المحيضِ ـ فلمْ يَعْرِفْ صَانِعَه بأَسمائه وصفاتِه التي تُدرك بالأَدلةِ بعد بلُوغهِ الحدَّ الذي حدَّدت، فهو كافرٌ حلالَ الدمِ والمالِ، إلَّا أَنْ يكونَ مِنْ أَهلِ العهدِ الذين صُولِحَ سلفُهم على الجِزْيةِ وأقهروا[1] فُمُنَّ عليهم ووُصِفَ عليهم خراجٌ يؤدُّونه إلى المسلمين، فيكون مِنْ أَجل ذلك مَحْقُونَ الدمِ والمالِ وإنْ كان كافراً.

وقت الوجوب على العاقل التكليف بمعرفة التوحيد

فإنْ قال قائِلٌ:

فإذا كان الوقتُ الذي تَلزمُهُ الفرائضُ هو الوقتُ الذي أَلزمتهُ الكفرَ إنْ لَمْ يَكُنْ عارِفاً بصانعه، بأَسمائه وصفاتِهِ التي ذكرت، فمتى لَزمهُ فرضُ النَّظر والفكرِ في مدبِّره وصانعه حتى كان مُستحِقّاً اسمَ الكُفرِ في الحالِ التي وصفت والحكمُ عليه بحكم أَهلِه؟

قيل له:

لم يلزمه فرضُ شيءٍ من الأَشياء قبل الحدِّ الذي وصَفتُ، غير

(١) هكذا في الأَصل: والصواب على الجزية أَو قهروا فمُنَّ عليهم. وبه يستقيم ما بعده.

أَنَّهُ مع بلوغه حدَّ التَّمييز بين ماله فيه الحظُّ[1] وعليه فيه البخسُ: أَنْ يُخليه داعي الرحمن وداعي الشَّيطانِ مِنْ الدعاءِ[2]، هذا إِلى معرفة الرحمن وطاعته، وهذا إِلى اتِّباعِ الشَّيطانِ وخُطواتِهِ؛ كما قال الله تعالى ذكره: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾[3]. وذلك قد يكون في حال بلوغِ الصَّبيِّ سبعَ سنين أَو ثمانِ سنين، فإِذا عَرض له الدَّاعِيان اللَّذانِ وصفتُ في تلك الحالِ، فهو مُمْهَلٌ بعد ذلك مِنْ الوَقتِ السِّنين، ورُبَّما كان ذلك قدر عشرِ سنين ورُبَّما كان ثمانية، ورُبَّما كان أَقلَّ وأَكثر.

وأَقلُّ ما يكون ستُّ سنين[4]، وفي قَدرِ ذلك مِنْ المَهلِ، وفي

---

(١) جاء في الأَصل الحض بالضاد المعجمة أُخت الصاد المهملة.

(٢) داعي الرحمن هو الأَصل، ويشمل الفطرة، والنظر السليم، وأَشمله قيام حجة الله عليه بدعوة الرسل ونزول الكتب، وهو دين الله الإِسلام الذي جاء به نبيه محمد ﷺ، وأَنزل به القرآن: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾. وداعي الشيطان بضد ذلك وهو داعي الشرك والكفر والظلم، من طرق عديدة من الهوى والنفس الأَمَّارة بالسوء والقرين والدنيا.

(٣) الآية من سورة ا لبقرة رقم ٢٦٨.

(٤) ليس المقصود طول المدة أو قصرها، ولكنه الوقت الذي فيه يعرف داعي الله وداعي الشيطان ويتبع مختاراً من شاء منهما، ولأَجله حدد الشرع قيام التكاليف ووجوبها عيناً على المكلف ببلوغه ذكراً أَو أُنثى، فبلوغ الذكر يكون باحتلامه وهو إِنزال المنيّ بشهوة أَو نبت شعر العانة والإِبطين وآخر علاماته ـ =

أَقلِّ منْه ما يتذكَّر مَنْ هو مُتذكِّرٌ، ويعتبرُ مَنْ هو مُعْتَبِرٌ. ولنْ يُهلك الله ـ جلَّ ذكره ـ إلاَّ هالكاً.

□ □ □

= إن لم يكن شيء مما سبق ـ بلوغه خمس عشرة سنة.
وكذا الأُنثى مثله، وتزيد عليه برابعة وهو نزول الحيضة عليها.
والصبي الصغير قبل تمييزه تجده يعرف خالقه ومُوجوده بفطرته وبراءته الأَصلية؛ لما في الصحيحين من حديث أَبي هريرة مرفوعاً: «كل مولود يولد على الفطرة فأَبواه يهودانه أَو ينصرانه أَو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم قرأ أَبو هريرة: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾.

القَوْلُ في صِفَةِ المُسْتَحِقِّ القَتْل أَنَّه باللهِ عَارِفٌ المَعْرِفةَ التي يَزُولُ بها عنه اسمُ الكُفْرِ.

١١ ـ قال أَبو جعفر: لنْ يستحقَّ أَحدٌ أَنْ يُقال له: إِنَّه بالله [عارفٌ][١] المعرِفَةَ التي إِذا قارنها الإِقرارُ والعملُ استوجب به اسمَ الإِيمان، وأنْ يقال له: إِنَّه مؤمنٌ، إِلاَّ أَن يعلم بأَنَّ ربَّه صانعُ[٢] كُلِّ

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من الأَصل اقتضاه السياق.

(٢) هذا اللفظ من قبيل الإِخبار عن الله تعالى، ومقام الخبر أَوسع من مقام التسمية، والصفة، ولذا توسَّع أَهل السنة في جواز الإِطلاق على الله تعالى الأَلفاظ الصحيحة، وإِن لم يَرِد بها نصٌّ من كتاب أَو سنة على سبيل الإِخبار، لأن معناها صحيح ويوافق في الجملة معاني الأَلفاظ الواردة تسميةً أَووصفاً لله، ومن هذا صانع وقديم وأَزلي فهي بمعنى الخالق والأَول... لكن لايجوز وصف الله بالصانع أَو تسميته به، لقاعدة أَن الأَسماء والصفات مبناها على التوقيف عن الله أَوعن رسوله ﷺ. وإِن كان بعض الأَلفاظ كالصانع والفاعل والمريد مشتقة من أَفعالها كقوله تعالى: ﴿صنع الله الذي أَتقن كل شيء﴾ وقوله: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ وقوله: ﴿فعال لما يريد﴾ وقوله: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ونحوها، والقاعدة أَنه لا يشتق من كل فعل اسماً له لغلطه، ولاستلزامه تسمية الله بالماكر والمضل والمخادع... تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً. وابن جرير ها هناوغالب الكتاب إِنما يتساهل بهذا الإِطلاق تنزلاً مع المعتزلة وأَمثالهم، مع جوازه في باب الخبر.

شيءٍ ومُدبِّره، مُنفرداً بذلك دون شريكٍ ولا ظهيرٍ، وأَنَّه الصمدُ الذي ليس كمثله شيءٌ: العَالِمُ الذي أَحاط بكلِّ شيءٍ عِلْمُهُ، والقادر الذي لا يُعجزه شيءٌ أَرادهُ، والمتكلِّمُ الذي لايجوزُ عليه السُّكوتُ[1]. وأَنْ يعلم أَن له علماً لا يشبهُهُ علومُ خَلْقِه، وقدرةً لا تشبهُهُا قدرَةُ عباده، وكلاماً لا يشبهُهُ كلامُ شيءٍ سواه. وأَنَّه لم يَزلْ له العلْم والقدرةُ والكلامُ.

١٢ ـ فإنْ قال لنا قائلٌ:

فإنَّك قد أَلزمتَ هذا الذي بلغ حدَّ التَّكليفِ شططاً: أَوجبت له الكُفْرَ بجهلِ ما قد عجزَ عن إدراك صحَّتِهِ مَن قد عاش مِنْ السِّنين

(١) هذه العبارة ليست على إطلاقها، لأَن صفة الكلام من لوازم الذات الإِلهية المقدسة نوعاً ومتعلق بالمشيئة آحاداً. وقوله رحمه الله: «لا يجوز عليه السكوت» يوهم أَن كلام الله قديم مطلقاً، وأَنه لم يزل يتكلمه كما تقوله السالمية الاقترانية، وكماتقول الأَشاعرة في المعنى النفسي، والصواب الذي دل عليه النقل والعقل أَن الله لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء، فالكلام إذاً من حيث قدرة الرب عليه صفة ذاتية قديمة، ومن حيث إنه تابع لمشيئته فهو صفة فعلية متجددة تبعاً لإِرادته ومشيئته؛ فلا يجوز نَفيُ السكوت عنه. وقد جاءت إضافة السكوت إلى الله عز وجل في أَحاديث ومنها في الحديث الذي رفعه أَبو ثعلبة الخشني: «وسكت عن أَشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» أَخرجه الدارقطني وغيره وصححه النووي في الأَربعين، وانظر جامع العلوم والحكم ٢٧٥، وأَظن أَن مراد الإِمام ابن جرير بالسكوت الذي هو ضد الاتصاف بصفة الكلام، وهذا الخرس تعالى الله عنه علوًّا كبيراً، لأَنه في سياق الكلام قبله وبعده جعل لكل صفة ما يناقضها فالقدرة ضدها العجز.

مائة، ومِنْ العُمرِ طَويلاً مِنْ المدَّةِ، وأَنَّى له السَّبيل في المدَّةِ التي ذكرت مع قِصَرِها إِلى مَعرفةِ هذه المعاني.

قِيلَ له: إنَّ الذين جهلوا حقِيقة ذلك مع مرور الزَّمانِ الطَّويل، لَمْ يجهلُوه لعدم الأَسباب المُمكِنِ معها الوصولُ إِلى علم ذلك في أَقْصرِ المُدّةِ وأَيسَر الكُلفةِ؛ ولكنَّهم تجاهلوا[1] مع ظُهورِ الأَدلَّة الوَاضِحَةِ، والحُجج البالَغةِ لحواسِّهم؛ فأَدخلوا اللَّبس على أَنفْسِهم، والشُّبهةَ على عُقولهم، حتى أَوجبَ ذلك لهم الحَيْرةَ، وأَكسبهم الجهلَ والملالَة. ولو أَنَّهم لزموا مَحجَّة الهُدى، وأَعرضوا عمَّا دعاهم إِليه دواعي الهوى لوجدوا[2] للحَقِّ سَبيلاً نهجاً، وطريقاً سهلاً.

وأَيُّ أَمر أَبينُ، وطريقٍ أَوضَحُ، ودَليلٍ أَدلُّ دلالةً مِنْ قول القَائِل: اللهُ عالمٌ، على إِثْبَاتِ عالمٍ له علمٌ.

---

(١) تأمل دقة عبارته رحمه الله بقوله: تجاهلوا ولم يقل جهلوا؛ لأَن التقصير في طلب الحق منهم، لا نقصاً في استعدادهم وقدرتهم أَوغموض البرهان وخفائه. وهذا في الحقيقة سبب مهم من أَسباب ضلال كثير من الناس من علماء فرق الاسلام وغيره. نسأل الله العافية والسلامة.

(٢) في الأَصل: لو وجدوا، وهو خطأ.

الزام المعتزلة إثبات أسماء تدل على الصفات كدلالة الذات على وجود الله

١٣ ـ ولئنْ كان لادلالَة في قولِ القائلِ:

هو عالمٌ، على إثباتِ عالمٍ له علمٌ أَنَّه[1] لادلالَة من قَولِ قَائلٍ: «إِنَّه» على إثباته؛ إِذْ كان المعلوم في النُّشوءِ والعَادةِ أَنَّ كلَّ شيءٍ مسمَّى بعالمٍ فإِنَّما هو مسمَّى به مِنْ أَجل أَنَّ له عِلماً، فإن يكُ واجباً أَنْ يكونَ المعلومُ في النُّشوءِ والعَادةِ في المَنطق الجاري بينهم، والمُتعارف فيه في بارىء الأَشياء: خِلافاً لِمَا جرت به العادة والتعارفُ بينهم.

إنَّه لواجبٌ أَنْ يكون[2] قولُ القائلِ: «إِنَّه» دليلٌ على النَّفي لا على الإثبات، فيكون المُقرُّ بوجودِ الصَّانعِ مُقرّاً بأَنّه غيرُ عدمٍ، لا مُقرًّا بوجودِهِ؛ كما كان المقرُّ بأَنَّه عالمٌ مُقرًّا ـ عند قائلِ هذه المقالة ـ بأَنَّه ليس بجاهلٍ، لا مُقراً بأَنَّ له علماً.

فإِنْ كان المُقرُّ عندهم بأَنَّه مُقرٌّ بإثباته ووجودِهِ، لا نافياً عدمه؛ فكذلك المُقرُّ بأَنَّه عالمٌ مُقرٌّ بإِثباتِ عِلمٍ له لا يَنْفي الجهل عنه.

وكذلك القولُ في القُدرةِ، والكلامِ، والإِرادةِ، والعزّةِ،

---

(١) هكذا في الأَصل، ولعل الصواب: فإِنَّه لادلالة. لتربط الجملتين، وليتحقق جواب لئن. وهنا وجه آخر بكسر همزة «إنه» بسبب اجتماع قسم وشرط فلا حاجة لجواب الشرط لسبق القسم إليه وهوأقرب من سابقه.

(٢) لو أُضيف حرف الجر بعدها لوضح المعنى، هكذا: «أَن يكون في قول القائل».

والعظمة، والكِبرياءِ، والجمَالِ، وسائر صفاتهِ التي هي صفاتُ ذاته[1].

١٤ ـ فإنْ قال لنا قائِلٌ:

فهل من معَانِي المعرفةشيءٌ سوى ما ذكرت؟

قيل: لا.

إلزام للمعتزلة في باب القضاء والقدر

فإنْ قال: فهل يكون عارفاً به من زعم أنه يفعَلُ العبد ما لا يرِيدُهُ ربُّه ولايَشاء؟ قيل: لا.

وقد دلَّلنا فيما وصفناه بالعِزَّةِ التي لاتُشبِهُها عزةٌ على ذلك[2].

وذلك أَنَّه مَنْ لَمْ يعلمْ أَنَّه لايكونُ في سُلطانِ الله ـ عزَّ ذكره ـ شيءٌ إلاَّ بِمَشيئته، ولايُوجد موجودٌ إلاَّ بإرادته، لم يَعلْمه عزِيزاً.

وذلك أَنَّ مَنْ أرادَ شَيئاً فلمْ يكنْ وكان مالم يُرِد، فإنَّما هومَقهورٌ ذليلٌ، ومَنْ كان مَقهوراً ذَليلاً فغيرُجائزٍأَنْ يكونَ موصوفاً بالرُّبوبية.

---

(١) ويمكن طرده بهذا الإلزام أَيضاً في صفات الأَفعال: كَالاستواء والنزول والمجيء.. بل وعموم صفات الله العليا. وانظر في توضيح هذه القضية وهذا الالتزام المهم: التدمرية للشيخ تقي الدين ابن تيمية في قاعدة القول في الصفات، كالقول في الذات،وكذا طردها في قاعدة القول في بعض الصفات كالقول في بعض. في الأَصلين الثاني والأَول من أَول التدمرية في توحيد الصفات.

(٢) انظر: قبل قليل في الفقرة رقم ١١ ولابد من تدبر تلك المقدمة لفهم ما يأتي بعدها.

فإنْ قَال: فإِنَّ مَنْ يقولُ هذا القولَ يَزعمُ أَنَّ إرَادةَ الله ومشيئته: أَمرُهُ ونَهيهُ، وليس في خِلاَفِ العبدِ الأَمرَ والنَّهيَ قَهرٌ لَه؟

قيل له: لو كان الأَمر كما زعمت، لكان الله تعالى ذكره لم يعمَّ عباده بأَمره ونهيه، لأَنه يقول: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾[1].

فإِنَّ تلكُ المشيئةُ مِنْهُ أَمراً، فقد يجبُ أَنْ يكونَ مَنْ لَمْ يَهتدِ لدينِ الإسلامِ لَم يُدخلْهُ الله عز وجل في أَمره ونهيه الذي عمَّ به خلقه، وفي عمومه بأَمره ونهيه جميعَهم، مع تركِ أَكثرهم قبولَه: الدَّليلُ الواضحُ على أَنَّ قوله: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ إنَّما معناه: لو شاء الله لجمعهَم على دينِ الإسلام، وإِذْ كان ذلك كذلك كان بيِّناً فسادُ قول مَن قال: مشيئَةَ الله ـ تعالى ذكره ـ أَمرُهُ ونَهيُه!

□ □ □

(١) جزء من آية سورة الأنعام رقم ٣٥.

القَوْلُ فِيمَا أُدْرِك عِلْمُه مِنْ صفَاتِ الصَّانِع خَبراً لا اسْتِدْلالاً[1]

١٥ ـ قال أَبو جعفر:

أَمَّا ما لايَصحُّ عندنا عَقدُ الإيمانِ لأَحدٍ، ولا يَزُولُ حكم الكفر عنه إِلاَّ معرفتهُ[2]، فهو ما قَدَّمَنا ذِكرَه.

وذلك أَنَّ الذي ذكرنا قبلُ من صِفَاتِه لا يُعذر بالجَهل به أَحدٌ بلغَ حدَّ التكليفِ كان ممَّنْ أَتاه مِنْ الله تعالى ذكره رَسُولٌ أَو لمْ يأتِه رسولٌ، عَاين من الخَلقِ غيرَه أَو لَمْ يعاينِ أَحداً سوى نفسِه.

ولله تعالى ذكره أَسماءٌ وصفاتٌ جاء بها كتابه، وأَخبر بها نبيُّه ﷺ أُمته، لايسعُ أَحداً مِنْ خلقِ الله قامت عليه الحُجَّة بأَنَّ القرآنَ نَزَلَ به، وصحَّ عِنْده قولُ رسول الله ﷺ فيما رُوي عنه به الخبرُ منْه خلافه؛ فإِنَّ خالف ذلك بعد ثبوتِ الحُجَّةِ عليه به مِنْ جهَةِ الخبرِ على ما بيَّنت فيما لاسبيل إِلى إِدراكِ حقَيقةِ علمه إِلاَّ حسَّاً[3]؛

---

(١) معناه: إِثبات صفات الله التي وُصف بها من طريق الخبر عن الله تعالى في القرآن، أَو عن رسوله ﷺ في سنته وحديثه فقط، وهي الصفات الخبرية، وأَن هذا لاسبيل إِلى الاستدلال بالعقل ودلائله في إِثباته ونفيه.

(٢) هذا ما في الأَصل، ولعل الصواب: إِلاَّ بمعرفته.

(٣) كما سبق في الفقرة «٧» وما بعدها.

فمعذورٌ بالجهل به الجاهل. لأَنَّ عَلِمَ ذلك لا يُدركُ بالعقلِ، ولا بالرَّويَّةِ والفِكْرةِ.

وذلك[1] نحو إخبار الله تعالى ذكره إيَّانا أَنَّه سميعٌ بصيرٌ[2]، وأَنَّ له يدين لقوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[3]. وأَن له يميناً لقوله: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾[4]. وأَنَّ له وَجهاً لقوله: ﴿كل شيء

---

(١) من هنا يبدأ ما ذكره القاضي أَبو يعلى في إبطال التأويلات ص٤٩، وسأقابل بينه وما في المخطوطة، فماوجدت فيه من الفروق المؤثرة والفارقة ذكرته، وما لا فلا.

(٢) كما قال سبحانه في غير ما آية ومنها آية الشورى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ قال عليها ابن جرير في تفسيره ٢٥/٩ «يقول جلَّ ثناؤه واصفاً نفسه بما هو به وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأَعمالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محصٍ صغيره وكبيره..»

(٣) من آية سورة المائدة رقم ٦٤، قالها سبحانه وتعالى ردًّا على مقالة يهود الفاجرة، المشبهة لله بخلقه: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّت أَيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ الآية.

(٤) جزء من آية الزمر رقم ٦٧. والآية صريحة في إثبات صفة لله تعالى هي يده اليمنى، ويدل عليها أَيضاً من السنة أَحاديث كثيرة كحديث أَبي هريرة في الصحيحين من عدة أَخبار ومنها: أَن النبي ﷺ قال: «يطوي الله الأَرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أَين ملوك الأَرض». أَخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ملك الناس برقم ٧٣٨٢ وانظر فيه أَطرافه، وأَخرجه مسلم برقم ٢٧٨٧. كما ورد إثبات يد الله الشمال في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عند مسلم برقم ٢٧٨٨ وفي حديث أَبي =

هالك إلاَّ وجهه﴾[1]، وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[2]. وأَنَّ له قَدماً لقول رسول الله ﷺ: «حتَّى يضعَ الرَّبُّ قدمه فيها»[3]. يعني جَهنَّم.

وأَنَّه يَضْحَكُ إِلى عبده المُؤمِنِ لقول النَّبي ﷺ للَّذي قُتل في سبيلِ الله: «إِنَّه لقي الله عزوجل وهو يضحك إِليه»[4].

= الدرداء وغيرهما، كلها يدان ثابتان لله على ما يليق بذاته المقدسة المعظمة، وانظر تفسير الطبري ٢٤/١٧ ـ ١٩، حيث جمع نحو عشرين أَثراً في سبب الآية، وإثبات الصفة الواردة بها، وقال في آخر البحث رادًّا على المؤولة من أَهل البصرة لليمين بالقدرة، «والأَخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ وأَصحابه وغيرهم تشهد على بطلان هذا القول». اهـ.

(١) جزء من آية سورة القصص برقم ٨٨.

(٢) سورة الرحمن رقم ٢٧. وانظر تفسيرها في جامع البيان ومماورد من الأَخبار فيها ما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الثلاثة نفر من بني إسرائيل الذين حبسوا في الغار فيقول كل واحد منهم: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه».

(٣) في اللفظ الذي في إبطال التأويلات تقديم الجار والمجرور (حتى يضع الرب فيها قدمه) وهو قطعة من حديث متفق عليه. رواه البخاري مطولاً ومختصراً، وفيهما هذه الجملة ولفظ المختصر: (لاتزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط، قط، ويزوي بعضها إلى بعض)، وفي كتاب الأَيمان ـ باب: الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته رقم ٦٢٨٤ والمطول في التفسير باب قوله: «وتقول هل من مزيد» وأَخرجه مسلم في التفسير أَيضاً برقم ٢٨٤٦.

(٤) قطعة من حديث أخرجه سعيد بن منصور في سننه رقم ٢٥٦٦ قال: أَخبرنا إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة =

= عن نعيم بن همار الغطفاني أنه سمع رسول الله ﷺ قد جاءه رجل فقال: أي الشهداء أفضل؟ قال: الذين يلقون في الصف ولا يفتلون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك الذين يتلبطون في الغرف العلى من الجنة يضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه. وهذا الإسناد كله حمصيون، وإسماعيل بن عياش هو ابن أسلم العنسي الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده، يخلط في غيرهم،و ها هنا عن أهل بلده، فالإسناد جيد.
وقد رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٨٧ عن الحكم بن نافع، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٦/ ٢١٩، عن داود بن رشيد، والدارمي في الرد على الجهمية ص٥٣٥، عن هشام بن عمار الدُّهني، وابن أبي عاصم في كتاب الجهاد رقم ٢٢٨، عن عبدالوهاب بن نجدة الحوطي، والبيهقي في الأسماء والصفات رقم ٩٨٦، كلهم من طريق إسماعيل بن عياش به.
ورواه عبدالله بن المبارك في الجهاد ص٣٣ عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً، والبخاري في التاريخ الكبير ٨/ ٩٥، من طريقين: أحدهما بمثل الطريق المذكورة، والآخر عن محمد بن المثنى عن عبدالوهاب أخبرنا برد بن سنان عن سليمان بن موسى عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامي عن نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنهما بمثله، وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٩٥: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات. ورواه الطبراني في الكبير والأوسط من طريقين أحدهما: من طريق عنبسة وسعيد بن أبان وثقه الدارقطني كما نقل الذهبي ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح.
والحديث أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً، لفظه: «ضحك الله الليلة أو عجب من فعلكما» في الذي أطعم ضيفه قوت عياله وهو أبوطلحة الأنصاري رضي الله عنه.
رواه البخاري في فضائل الصحابة ـ باب قول الله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ رقم ٣٥٨٧، وأخرجه مسلم في كتاب الأشربة ـ باب إكرام الضيف ـ فضل إيثاره رقم ٢٠٥٤. =

وأَنَّه يَهبِطُ كلَّ لَيلةٍ وينْزِل إِلى السَّماءِ الدُّنيا، لخبر رسول الله ﷺ[1].

وأَنَّه ليس بأَعورَ لِقولِ النبي ﷺ، إِذْ ذُكِرَ الدَّجالُ فقال: «إِنَّه أَعور، وإِنَّ ربكم ليس بأَعور»[2].

= وكذا من حديث أَبي هريرة الآخر في آخر من يدخل الجنة وفيه يقول ﷺ: «... فيضحك الله عز وجل منه ثم يأذن له في دخول الجنة» الحديث. رواه البخاري في صفة الصلاة ـ باب فضل السجود رقم ٧٧٣، ومسلم في كتاب الإِيمان، باب: معرفة طريق الرؤية رقم ١٨٢.

وأَيضاً في حديث أَبي هريرة مرفوعاً: «يضحك الله إِلى رجلين يقتل أَحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» الحديث متفق عليه. رواه البخاري عن عبدالله بن يوسف عن مالك عن أبي الزناد عن الأَعرج عن أَبي هريرة وكذا رواه مسلم برقم ١٨٩٠.

وغيرهما مما فيهما أَو في أَحدهما أَو في السنن والمسانيد مما ثبت وصحَّ عنه ﷺ.

(١) في حديث أَبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إِلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأَستجيب له، من يسألني فأُعطيه، من يستغفرني فأَغفر له». وهو متفق عليه. أَخرجه البخاري في كتاب التهجد ـ باب الدعاء والصلاة آخر الليل رقم ١٠٩٤ وأَخرجه مسلم في صلاة المسافرين ـ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل برقم ٧٥٨. وهو حديث عظيم، شرحه ورد على نفاته ومؤوليه أَبوالعباس ابن تيمية في كتابه الحافل «شرح حديث النزول».

(٢) هذه قطعة من الحديث المتفق على صحته، وهو حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً إِليه ﷺ أَنه قام في الناس خطيباً فحمد الله وأَثنى عليه =

وأَنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يومَ القيامة بأَبصارِهم، كما يرون الشَّمسَ ليس دونها غَيَايةٌ، وكما يرون القمرَ ليلة البدْر؛ لقول النَّبي ﷺ[1].

= ثم ذكر الدجال فقال: أني لأنذركموه وما من نبي إلاَّ أَنذره قومه لقد أَنذر نوح قومه، ولكن أَقول لكم قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنَّه أَعور، وأَن الله ليس بأَعور». حيث رواه البخاري في كتاب الأَنبياء ـ باب قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ رقم ٣١٥٩.

وأَخرجه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال برقم ١٦٩.

(١) ورد التشبيه لرؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة حقيقة برؤية الشمس والقمر في أَحاديث، منها حديث أَبي هريرة في الصحيحين «أَن الناس قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر، ليس دونه حجاب؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك» الحديث.. رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة باب فضل السجود رقم ٧٧٣، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية رقم ١٨٢، كما جاء التشبيه برؤية القمر ليلة البدر لوحده في حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا». ثم قرأ: ﴿وسبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾. متفق عليه. أي صلاتا الفجر والعصر.

أَخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وأَخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاتي الصبح والعصر رقم ٦٣٣، فهل مع صحة هذه الأَحاديث وصراحتها الواضحة تبقى حجة لمنكر رؤية الله تعالى إلاَّ لذي هوى وغوى؟! أَسأل الله العافية والثبات على دينه.

وأَنَّ له أَصَابع؛ لقول النَّبي ﷺ: «ما من قلب إلاَّ وهو بين إِصْبَعين مِن أَصابع الرَّحمن»[1].

---

(١) وتمام الحديث: «إن شاء أَقامه وإن شاء أزاغه». وكان رسول الله ﷺ يقول: «يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك». قال: «والميزان بيد الرحمن يرفع أَقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة». أَخرجه الإمام أَحمد في مسنده ٤/ ١٨٢، قال: ثنا الوليد بن مسلم، سمعت ابن جابر سمعت بسر بن عبيدة، سمعت أَبا إدريس الخولاني حدَّثني النواس بن سمعان رضي الله عنه به. وابن ماجه في السنن رقم ١٩٩ به. وابن أَبي عاصم في السنة رقم ٢١٩ به، وذكر له أَحد عشر طريقاً (٢٢٠ ـ ٢٢٩)، والآجري أَبو بكر في الشريعة ص٣١٦ ـ ٣١٨ من تسعة أَوجه. والحاكم في مستدركه ٢/ ٢٨٩ وقال: حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وفي ١/ ٥٢٥.وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والحديث مخرج في كثير من كتب السنة: كالرد على المريسي للدارمي ص٤١٧، وابن جرير في تفسيره ٦/ ٢١٧ (شاكر) وابن خزيمة في التوحيد رقم ١٠٨، وابن منده في التوحيد رقم ١٢٠، وفي الرد على الجهمية رقم ٦٨، والبيهقي في الأَسماء والصفات رقم ٢٩٩، ٧٤١.
وأَصح شواهد الحديث ما في صحيح مسلم برقم ٢٦٥٤ في كتاب القدر، عن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أَنه قال: «إن قلوب بني آدم كلها بين أَصبعين من أَصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ـ ثم قال ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».
والإصبَع مثلثة الهمزة، ومع كل همزة تثلث الباء، فتكون صيغها تسع والعاشرة أُصُبُوع بضم الجميع.

أنواع الخبر الذي تقوم به الحجة ويزول به العذر

١٦ ـ فإنَّ هذه المعاني التي وصَفتُ، ونظَائرهَا، مِمَّا وصف الله عزَّ وجل بها نفسه، أو وصفهُ بها رسوله ﷺ مِمَّا لا تُدرك حقيقة علمِهِ بالفكر والرَّويَّةِ[١]. ولا نكفر بالجهل بها أحداً إلاَّ بعد انتهائها إليه.

أ ـ فإن كان الخَبرُ الواردُ بذلك خَبراً تقومُ به الحُجَّة مقامَ المُشاهدةِ والسَّماع، وجبتْ الدَّينونةُ على سامعه بحَقيقتِهِ في الشَّهادةِ عليه بأَنَّ ذلك جاء به الخَبرُ، نحو شهادته على حَقيقةِ ما عايَن وسَمع[٢].

ب ـ وإنْ كان الخبر الوارد خبراً لا يقطعُ[٣] مَجيئُه العُذرَ، ولايُزيلُ الشك غير أنَّ ناقله منْ أهلِ الصِّدقِ والعدالة، وجب على سامعه تصديقهُ في خبره في الشهادةِ عليه بأَنَّ ما أَخبَره به كما

---

(١) نحو تفاصيل الصفات المقدسة لله تعالى كاليدين والأَصابع والأَنامل والمجيء والنزول والاستواء وهي التي اصطلح عليها بالصفات الخبرية التي لا تثبت إلاَّ من طريق الخبر عن الله أَو عن رسوله. أَمَّا الصفات السمعية العَقلية مما تدرك بالفكر أَو الرويّة كالحياة والقدرة والخلق والوجود. ولذا سميت عقلية لإدراك العقل الصحيح لها ولو لم يأتِ بها خبر. ولذا يسلم بها الأَطفال الصغار؛ بل والخلاف فيها قليل.

(٢) وهذا الخبر القطعي اليقيني كالمتواتر من السنة وكالقرآن الكريم مع صراحة الدلالة، فإن هذا الخبر يقوم مقام المشاهدة حسّاً والسماع تواتراً، ومثاله في صفات الله وصفة الكلام والعلو والاستواء لله على ما يليق بعظمته وجلالته.

(٣) في الأَصل نقطع بالنون المعجمة وهو موهم.

أَخبَره[1]، كقولنا في أَخبار الآحادِ العُدولِ، وقَدْ بيَّنا ذلك في غير هذا الموضع بما أَغنى عن إعادته.

الفرض في الإيمان بالصفات الواردة في الكتاب والسنة

١٧ ـ فإن قال لنا قائلٌ:

فما الصَّوابُ مِنْ القول في مَعاني هذه الصِّفاتِ التي ذكَرت، وجاء بِبعضها كِتابُ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ووحيه، وجاء بِبعضها رسول الله ﷺ.

قيل: الصَّوابُ مِنْ هذا القَولِ عندنا، أَنْ نُثْبِت حقائقَها على ما نَعرف مِنْ جِهَةِ الإِثبات ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه ـ جلَّ ثناؤه ـ فقال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير﴾ [الشورى: آية١١].

فيقال: الله سميعٌ بصيرٌ، له سَمْعٌ وبَصرٌ؛ إذْ لايُعقلُ مُسمًّى سميعاً بصيراً في لغةٍ ولاعقلٍ في النّشْوءِ والعَادةِ والمتعارَف إلاَّ مَنْ

---

(١) وهذا هو الخبر الظني، والذي ربما لايفيد العلم القطعي عند عدم القرائن، لكن يجب العمل به ووجوب تصديقه كما عمل المسلمون من الصحابة بقول من دعاهم إلى تحويل قبلتهم إلى المسجد الحرام في السنة الثانية من الهجرة في مسجدين من مساجد المدينة وتصديقهم له وهم في صلاتهم. ونحو اكتفاء الرسول بإرسال رجلٍ واحد إلى بعض الجهات ليدعوهم إلى الله، ويأخذ منهم الزكاة.

له سَمْعٌ وبصرٌ[1].

كما قُلنا آنفاً: إنَّه لا يُعْرَفُ مَقولٌ فيه: «إِنَّه» إلاَّ مُثبَتٌ موجودٌ؛ فقلنا ومخالفونا فيه: «إِنَّه» معناه الإِثبات على ما يُعقَل مِنْ مَعنى الإِثباتِ لا على النَّفي، وكذلك سائرُ الأَسماءِ والمَعاني التي ذكرنا.

القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر

١٨ ـ وبعدُ، فإِنَّ سميعاً اسمٌ مبنيٌّ مِنْ سَمِعَ، وبَصيرٌ مِنْ أَبْصَر؛ فإِنْ يَكنْ جَائزاً أَنْ يُقال: سَمِعَ وأَبْصَر مَنْ لا سمعَ له ولا بَصر، إِنَّه لَجائزٌ أَنْ يُقال: تكلم مَنْ لا كلامَ له، ورَحِمَ مَنْ لا رحمة له، وعاقَبَ مَنْ لا عِقاب له.

وفي إِحَالةِ جميعِ المُوافِقين والمُخالفين أَنْ يُقَال: يتكلمُ مَنْ لا كلامَ له، أَو يَرحمُ مَنْ لا رحمةَ له، أَو يُعاقِبُ مَنْ لا عِقَابَ له، أَدلُّ دلَيلٍ على خطأ قولِ القائلِ: يَسمعُ مَنْ لا سمعَ له، ويُبصرُ مَنْ لا

---

(١) وهذا لابد منه لمعرفة الخطاب، وأَنه سميع بصير عليم قدير، ولا يلزم منه أَبداً مشابهة السمع الإِلهي للسمع البشري، ولا بصر الله لبصر المخلوقين؛ للقاعدة المهمة في نفي التماثل والتشابه بين الله وخلقه. ولهذا قال السلف: له سمع وبصر على ما يليق بجلال الله وعظمته وكذا لأَن أَسماء الله متضمنة للصفات، خلافاً للمعتزلة؛ فالأَسماء المجردة لا مدح فيها، ولا توصف بأَنها حسنى، حيث وصف الله أَسماءه بذلك في قوله: ﴿ولله الأَسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وقوله: ﴿الله لا إله إلا هو له الأَسماء الحسنى﴾ هذا ولابد أَن يكون بين أَسماء الله وأَسماء العباد اتفاق عند الإِطلاق فتدل على قدر مشترك، ولولا ذلك لما فهم الخطاب.

بصرَ له.

فنثبتُ كلَّ هذه المعاني التي ذكرنا أَنَّها جَاءت بها الأَخبارُ والكتابُ والتَنْزيلُ على ما يعقلُ مِنْ حقيقةِ الإِثْباتِ، وننفي عنه التَّشبيه؛ فَنقولَ:

يَسمعُ ـ جلَّ ثناؤه ـ الأَصواتَ، لابِخَرقٍ في أُذنٍ، ولا جَارِحةٍ كجوارحِ بني آدمَ. وكذلك يُبْصرُ الأَشخاصَ بِبصَرٍ لايُشبه أَبصارَ بني آدم التي هي جوارحٌ لهم.

وله يَدان ويمينٌ وأَصابع، وليست جارحةً، ولكن يدان مبسُوطَتان بالنِّعمِ على الخَلقِ، لا مَقبُوضَتان عن الخير.

ووجهٌ لاكجوارحِ الخلقِ التي مِنْ لحم ودَم.

ونقولُ: يَضحكُ إلى مَنْ شَاء مِن خلقهِ. ولانقولُ: إنَّ ذلك كَشرٌ عن أَسنَان.

ويهبطُ كلَّ لَيلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا.

فَمَنْ أَنكَر شَيئاً مِمَّا قُلنا مِنْ ذلك، قلنا له: إنَّ الله تعالى ذكره يقولْ في كتابِهِ: ﴿وجاءَ ربك والمَلك صفاً صفاً﴾. وقال: ﴿هل ينظرون إلَّا أَن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾. وقال: ﴿هل ينظرون إلَّا أَن تأتيهم الملائكة أَو يأتي ربك أَو يأتي بعض آيات ربك﴾[1].

---

(١) هذه الآيات الثلاث كالترتيب: في سورة الفجر رقم ٢٢، والبقرة رقم ٢١٠، =

فهل أَنتَ مُصدِّقٌ بهذه الأَخبار، أَمْ أَنْتَ مُكذِّبٌ بها؟

(أ) فإِنْ زعم أَنَّه بها مُكذِّب، سقطَتْ المُناظرةُ بيننا وبينه منْ هذا الوجه.

(ب) وإِنْ زعمَ أَنَّه بها مُصدِّقٌ، قِيلَ له: فما أَنكرتَ مِنْ الخَبرِ الذي رُوي عن رسول الله ﷺ: «أَنَّه يهبطُ إِلى السَّماءِ الدُّنيا فيَنزل إِليها»[1]؟

والأَنعام رقم ١٥٨، فقال رحمه الله عند آية الفجر: «يقول تعالى ذكره: وإِذا جاء ربك يا محمد وأَملاكه صفوفاً صفًّا بعد صف» ثم ساق الأَحاديث الواردة في مجيء الله يوم القيامة لفصل القضاء، ومنها حديث الشفاعة الطويل. وانظر قوله على آية الأنعام في التفسير ٨/ ٧١: «وهذه الآيات وما ورد مثلها من السنة دالة صراحة على إثبات صفة المجيء لله تعالى وبابها في الإثبات باب جميع الصفات الواردة في الوحيين لله على ما يليق به وعظمته».

(١) هذا قطعة من الحديث المشهور بحديث النزول الذي رواه أَبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إِلى النبي ﷺ أَنه قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إِلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأَستجيب له، من يسألني فأُعطيه، من يستغفرني فأَغفر له». متفق على صحته. فأَخرجه الإِمام البخاري في ثلاثة مواضع في صحيحه أَولها من كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة في آخر الليل برقم ١٠٩٤. وأَخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل برقم ٧٥٨، وقد شرح الحديث، وردَّ على نفاة حقيقته الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه النفيس: «شرح حديث النزول».

الرد على شبهة نفاة صفة نزول الله وباقي صفاته

١٩ ـ فإنْ قال: أَنكرت ذلك؛ أَنَّ الهُبُوط نُقْلَة، وأَنَّه لايَجوزُ عليه الانتقالُ مِنْ مكانٍ إلى مَكان؛ لأَنَّ ذلك مِنْ صِفَاتِ الأَجسام المخلوقة!

قيل له:

فقد قال ـ جلَّ ثناؤه ـ: ﴿وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا﴾ فهل يَجوز عليه المجيء؟ فإنْ قال: لايَجوزُ ذلك عليه، وإنَّما معْنَي هذا القول: وجاء أَمرُ ربِّك.

قيل: قد أَخبرنا ـ تبارك وتعالى ـ أَنَّه يجيء هو والملكُ؛ فزعمت أَنَّه يجيءُ أَمْره لا هو؛ فكذلك تَقولُ: إن المَلَكَ لايجيء، إنَّما يجيءُ أَمرُ المَلكِ لا المَلك؛ كما كان مَعْنَى مَجيءِ الرَّبِ ـ تبارك وتعالى ـ مجيءَ أَمرِهِ[1].

---

(١) هذا إلزام من الشيخ ابن جرير لهم، وإلاَّ فهم لا يطردون هذا التأويل في الملك وغيره من المخلوقات ـ كما سيورد مقالتهم ـ، لأَن هؤلاء المعطلة لم يتصوروا مجيئاً إلاَّ كمجيء المخلوق، الذي هو انتقال من مكان لآخر؛ فظنوا أَن مجيء الله كذلك ـ هذا إذا حسَّنا الظن بهم ـ وهذا الظن مدفوع بالتسليم للنص، وإيكال الحقيقة والكيفية إلى العالم بها، وهو الله سبحانه. كما سلَّموا أَن وجود الله لا يماثل وجود مخلوقيه، وحياته حياتهم، وعلمه علمهم. وهذا كله مبنيٌ على أَساسهم الباطل بعدم قبول النصوص إلاَّ بعد موافقتها لما تتصوره معقولاتهم، والذي استنتجوا منه مقالة تعارض العقل مع النقل، وهي نتيجة فاسدة، لاستحالة تعارض النقل الصريح مع العقل الصحيح، وهو الذي يقدح في الشريعة ومشرعها معاذ الله. وعليه فلا تثبت قدم الإسلام إلاَّ على =

فإِنْ قَال: لاأَقولُ ذلك في المَلكِ، ولكنِّي أَقولُ في الرَّبِّ.

قِيل له: فإِنَّ الخَبرَ عن مَجيءِ الرَّبِّ ـ تبارك وتعالى ـ والملك خبرٌ واحدٌ، فزَعمْتَ في الخَبرِ عن الربِّ ـ تعالى ذكره ـ أَنَّه يَجيءُ أَمرُه لا هو؛ فَزعمت في الملكِ أَنّه يجيءُ بِنفسهِ لا أَمرُه، فما الفَرقُ بينَك وبَين مَنْ خَالفَك في ذلك، فقال: بَلْ الرَّب هو الذي يَجيءُ، فأَمَّا المَلَكُ فإِنَّما يَجيءُ أَمرُه لاهو بِنَفسِه؟!

فإِنْ زَعمَ أَنَّ الفَرقَ بينه وبينه: أَنَّ المَلَك خَلْقٌ لله جائزٌ عليه الزَّوَالِ والانْتِقَال، وليس ذلك على الله جَائزاً.

قِيلَ له: وما بُرهَانُك على أَنَّ مَعْنى المجيء والهُبُوطِ والنُّزولِ هو النُّقلَةُ والزَّوالُ، ولاسيما على قَوْلِ مَنْ يزعمُ مِنكم أَنَّ الله ـ تقدّسَت أَسمَاؤهُ ـ لايَخلُو مِنه مَكانٌ.

وكَيف لم يَجزْ عندكم أَنْ يكون مَعْنَى المَجيءِ والهُبُوطِ والنُّزولِ بِخلافِ ما عَقلْتُم مِنْ النُّقلة والزَّوالِ مِنْ القَديمِ الصَّانِع[1]،

= ظهر التسليم والاستسلام للوحي، فمن رام علم ما حُظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد والإيمان والمعرفة في أصول الإيمان وشعبه وفروعه، أسأل الله الثبات على دينه والهداية إلى صراطه المستقيم.

(١) هذان اللفظان لم يرد بهما خبر صحيح ـ مما أعلم ـ ولكنهما وصفان جوّز العلماء إطلاقهما على الله لصحة معناهما. فالقديم عندهم هو السابق على مخلوقاته وهو معنى اسمه سبحانه الأول: الذي ليس قبله شيء، والصّانع =

وقدْ جازَ عِندكم أَنْ يكون مَعْنى العالـمِ والقَادرِ منه بِخَلافِ ما عَقلتم مِمَّنْ سِوَاه، بأنَّه عَالـمٌ لا عِلـمَ له، وقَادِرٌ لا قُدْرَةَ له؟

وإنْ كُنتم لَم تَعقلوا عَالِماً إلاَّ له علمٌ، وقَادِراً إلاَّ له قُدرةٌ، فما تُنْكِرُون أَنْ يكونَ صَائباً لا مجيءَ له، وهَابِطاً لا هُبوطَ له ولا نزولَ له، ويكونُ معنى ذلك وجودُه هناك مع زعمكم أَنَّه لا يخلُو مِنْه مَكانٌ!

٢٠ ـ فإنْ قَال لنا مِنْهم قَائلٌ: فما أَنْتَ قائِلٌ في مَعْنَى ذلك؟

قِيلَ له: مَعْنى ذلك ما دَلَّ عليه ظَاهرُ الخَبرِ، وليس عندنا لِلخَبرِ إلاَّ التَّسليم والإيمان به؛ فنقولُ: يَجيءُ ربُّنا ـ جلَّ جلاله ـ يومَ القيامةِ والـملَكُ صفًّا صفًّا، ويَهبِطُ إلى السَّماءِ الدُّنيا ويَنزلُ إليها في كلِّ ليلةٍ، ولا نقولُ: معنى ذلك يَنزلُ أَمرهُ؛ بلْ نقولُ: أَمرُه نَازِلٌ إليها كُلَّ لَحْظةٍ وسَاعةٍ وإلى غيرِها مِنْ جَميعِ خَلقهِ[1] المُوجودِين ما

= عندهم بمعنى الخالق المبدع.

وهناك أَلفاظ غيرهما أَجاز العلماء إطلاقها على الله خبراً لا تسمية له بها أَو وصفاً، فلا يجوز التعبيد بعبد القديم، أَو بعبد الصانع، أَو دعاء الله بهما على أَنهما وصفان له.

وهذا مبناه على قاعدة: أَن لا نصف الله إلاَّ بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، وكذا تسميته.

(١) لعموم مشيئته، وكمال قدرته وعنايته سبحانه، كما قال سبحانه عن ملائكته: ﴿وما نتنزل إلاَّ بأَمر ربك له ما بين أَيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾ وقوله في سورة السجدة: ﴿يُدبِّر الأَمر من السماء إلى الأَرض في يوم كان مقداره أَلف سنة مما تعدون﴾ وقال عن عدد النساء في سورة الطلاق: =

دَامت مَوجُودةً. ولا تخلو ساعةٌ مِنْ أَمرِهِ فلا وجهَ لِخصُوصِ نُزولِ أَمرِهِ إِليها وقتاً دون وقتٍ، ما دامت مَوْجودةً باقِيةً.

وكالذي قُلنا في هذه المعاني مِنْ القول: الصوابُ مِنْ القِيلِ في كُلِّ ما وردَ به الخبرُ في صفات الله عز وجل وأَسمائه تعالى ذِكره بنحو ما ذكرناه.

وجوب الإيمان برؤية الله في الآخرة عقلاً ونقلاً

٢١ ـ فأَمَّا الرؤيةُ، فإِنَّ جَوازها عليه مِمَّا يُدرَكُ عقلاً. والجَهلُ بذلك كالجَهلِ بأَنَّه عَالمٌ وقَادرٌ. وذلك أَنَّ كلَّ موصوف فغير مُستحيل الرؤيةُ عليه؛ فإِذا كان القَديمُ مَوصُوفاً فاللاَّزِمُ لِكُلِّ مَنْ بَلغَ حدَّ التكليفِ أَنْ يكونَ عالماً بأَنّ صَانِعَه إِذا كان عَالِماً قادِراً له مِنْ الصِّفاتِ ما ذكرنا، أَنَّه لا يكُونُ زائلاً عنه أَحكامُ الكُفَّارِ إِلاَّ باعْتِقَادِه أَنَّ ذلك له جائِزةٌ رؤيتهُ؛ إِذْ كان مَوصُوفاً، كما يَلزمُه اعْتِقَادُه أَنَّه حَيٌّ قديمٌ إِذْ كان لا مُدَبِّرِ فِعْلٍ إِلاَّ حَيٌّ، ولا مُحدَثٌ إِلاَّ مَصْنُوعٌ.

فأَمَّا إِيجَابُ القَولِ، فإِنَّه لا مَحالةَ يُرى، وفي أَيِّ وَقتٍ يُرى، وفي أَيِّ وَقتٍ لا يُرىَ؟ فذلك ما لا يُدرَكُ عِلمُه إِلاَّ خَبراً وسَماعاً.

وبالخَبرِ قُلْنا: إِنَّه في الآخرةِ يُرى، وإِنَّه مَخصُوصٌ برُؤيةِ أَهلِ

= ﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفِّر عنه سيئاته ويعظم له أَجراً﴾ وقال في آخرها: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأَرض مثلهن يتنزل الأَمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأَن الله قد أَحاط بكل شيء علماً﴾. فأَمره في خلقه وتقديره وتدبيره وفي كل شيء يشاؤه ﴿كل يوم هو في شأن﴾.

الجَنَّةِ دونَ غيرهم؛ فسَبيلُ الجَهلِ بذلك سبيلُ الجَهل بما لا يُدرَكُ عِلمُه إلَّا حِسًّا حتى تقوم عليه حجةُ السّمعِ به.

□ □ □

القَوْلُ في الفُروعِ التي تَحْدُثُ عنِ الأُصُولِ التي ذكَرنا أَنَّه لايَسعُ أَحَداً الْجهلُ بِهَا مِنْ مَعْرِفَةِ تَوْحِيدِ اللهِ وأَسمَائِهِ وصِفَاتِه

٢٢ ـ قال أَبو جعفر:

قد دَلَّلنا فيما مضى قبلُ من كِتَابِنا هذا أَنّه لا يسعُ أَحداً بلغَ حدَّ التَّكلِيفِ الجَهلُ بأَنَّ الله ـ جلَّ ذكره ـ عالمٌ له عِلمٌ، وقادِرٌ له قدرة، ومتكلمٌ له كلامٌ، وعزيزٌ له عزةٌ، وأَنَّه خالِقٌ. وأَنّه لا مُحدَثٌ إِلاَّ مَصنوعٌ مخلوقٌ.

وقُلنا: مَنْ جَهِل ذلك فهو بالله كافرٌ؛ فإِذا كَان ذلك صحيحاً بالذي به استشهدنا، فلا شَكَّ أَنّ مَنْ زَعمَ أَنَّ الله مُحدثٌ، وأَنّه قد كان لا عالماً، وأَنّ كلامه مخلوقٌ، وأَنَّه قد كان ولا كلام له، فإِنّه أَولى بالكفرِ وبزوال اسمِ الإِيمان عنه.

وكذلك مَنْ زعمَ أَنّ فعله مُحدثٌ، وأَنّه غيرُ[1] مخلوقٍ، فمِثلُهُ لا

(١) كلمة (غير) محل إشكال. فإذا كان الضمير في (فعله) عائد على الله فلابد من حذفها وهذا توهمه بقية الجملة. أَما إن كان الضمير عائداً على المخلوق فلا إشكال، وهو الأولى لأَن سياق الكلام إلى آخره يتوجه به إذ يكون فعله غير مخلوق لله عز وجل. وهو قول المعتزلة القدرية، فهو بهذا فاعل مع الله مالا يريده الله ولا يشاؤه، فيقع في ملك الله ما لا يريده وهو العجز.

شَكَّ أَنَّه أَولى باسمِ الكُفْرِ مِنْ الزَّاعمِ أَنَّه لَمْ يَزَلْ عَالِماً لا عِلمَ له؛ إِذْ كان قائلُ ذلك أَوجبَ أَنْ يكون في سُلطانِ الله ما لا يقدرُ عليه ولا يُريدُه، وأَنْ يكونَ مُريداً أَمراً فيكونَ غَيرُهُ، ولا يكونُ الذي يُرِيدُه.

ذلك لاشَكَّ صِفةُ العَجَزةِ، لا صِفَة أَهلِ القُدرةِ.

فإذا كان ذلك كذلك؛ فلا شَكَّ أَنَّ مَنْ يَزعُم أَنَّ كلام الله يتحول بتلاوتِهِ إذا تلاه، وبحفْظه إذا حفِظَه، أَو بِكتابِهِ إِذ كتبه مُحدَثاً مَخلُوقاً؛ فبالله ـ تعالى ذِكرُه ـ كَافرٌ.

وكذلك القول فيه إِنْ شَكَّ أَنَّه غيرُ مَخلوق: مَقُروءاً كان، أَو مَحْفوظاً، أَو مكْتوباً، كما لو قال قائلٌ: إِنَّ بَارىء الأَشياءِ يتحولُ بِذكره، أَو بمَعرفته، أَو بِكتَابهِ مَصْنُوعاً لا صَانعاً؛ كان لاشَكَّ في كُفرِه.

وكذلك القَوْلُ فيه لو شَكَّ في أَنَّه يتحوَّلُ عمَّا هو به مِنْ صِفَاتِهِ بِذكرِ ذاكرٍ له، أَو علمِ عالمٍ له، أَو كِتَابةِ كَاتِبٍ واسمه؛ كان كافراً.

٢٣ ـ وكذلك القولُ أَنَّ صفةً مِنْ صِفَاتِه تَتحوّل عَمَّا هي به بذكرِ ذاكرٍ، أَو معرفة عارف بها، أَو كِتابة كَاتبٍ؛ أَو شكَّ في أَنَّه لا يَجوْز تَحوُّلُها أَو تبْديلها أَو تغيُّرها عمّا لمْ يزل الله تعالى ذكره بها موصوفاً.

كما كان غير جائزٍ أَنْ يتحوَّل كلامُ الله ـ عزّ وجلّ ـ مَخْلُوقاً بِقراءَةِ قَارِىءٍ، أَو كِتَابَةِ كَاتِبٍ، أو حِفْظِ حَافظٍ. أَو يتحوَّلَ الصّانِعُ مَصنُوعاً، أَو القديمُ محدثاً بذكرِ مُحْدَثٍ مصْنُوعٍ إِيَّاه؛ فكذلك غير جائزٍ أَن

تتحول قراءَةُ قارىء، أَو تلاَوتُه، أَو حفظه القرآن قرآناً أَو كلام الله ـ تعالى ذكره ـ؛ بلْ القرآن هو الذي يُقرأُ ويُكتبُ ويُحفظُ[1]، كما الرَّبُّ ـ جلَّ جلاله ـ هو الذي يُعبدُ ويُذكر.

وشُكر العبدِ ربَّه عبادَتُه إِيَّاه، وذِكْرُه له غَيرُه، والشاكُّ في ذلك لا شَكَّ في كُفرِه.

وكما كان ذلك كذلك، فكذلك القولُ في الزَّاعِم أَنَّ شَيئاً مِن أَفعالِ العباد أَو غير ذلك من المُحدثاتِ غيرُ مخلُوقٍ، أَو غير كائنٍ بتكوينِ الله جلَّ ثناؤه ـ إِيّاه، وإِنشائه عَيْنه؛ فبالله كَافرٌ.

---

(١) خلاصة هذا المعنى رواه إبراهيم الحربي عن شيخه الإمام أَحمد في رسالته في أَن القرآن غير مخلوق قال: كنت جالساً عند أَحمد بن حنبل إِذْ جاءه رجل فقال: يا أَبا عبدالله: إن عندنا قوماً يقولون: إن أَلفاظهم بالقرآن مخلوقة! فقال أَحمد بن حنبل: يتوجه العبد بالقرآن إلى الله لخمسة أَوجه كلها غير مخلوقة: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذان، ونظر ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والنظر مخلوق، والمتلو غير مخلوق. قال إبراهيم: فمات أَحمد بن حنبل فرأيته في النوم وعليه ثياب خضر وبيض، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالجوهر، وفي رجليه نعلان من ذهب يخط! فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال لي: قربني وأَدناني، وقال: قد غفرت لك. فقلت يارب بماذا؟ فقال: بقولك: إن كلامي غير مخلوق. ا هـ. وأَخرجها بإسناد آخر الذهبي في سير أَعلام النبلاء ٢٩١/١١. وانظر المناقب لابن الجوزي ص٤٣٥، وما بعدها. وكذا انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص٤٢٦، وما بعدها في بحث القرآن والتلفظ به .

وسواءٌ كان ذلك ذكْرُ العبد ربّه أَو ذكْرُه الشَّيطان إِلاَّ أَنَّ بَعضهم يقْصدُ بِزعمِهِ أَنَّ ذِكْرَه ربَّه مَخلُوقٌ إِلى أَنّ ربّه مَخلُوقٌ؛ فيكون بذلك كافراً حلال الدّم والمال.

٢٤ ـ وكذلك القَولُ في قَائل لو قال: «قِرَاءَتِي القُرآن مَخلُوقةٌ». وزَعمَ أَنَّه يُرِيدُ بذلك القُرآن مَخلُوقٌ: فَكافِرٌ لا شَكَّ فيه عندنا، ولا أَحسب أَحداً أُعطِيَ شَيئاً مِنْ الفهم والعَقلِ يَزْعُم ذلك أَو يقوله.

فأَمَّا إِن قال: أَعني بقول «قِراءَتِي»: فِعْلِي الذي يأْجُرني الله عليه والذي حدثَ مني بعد أن لم يكن موجوداً، لا القُرآن الذي هو كَلام الله ـ تعالى ذكره ـ الذي لمْ يَزلْ صِفَةً قبلَ كَونِ الخَلقِ جَمِيعاً، ولا يزَالُ بعد فَنائِهم الذي هو غَيرُ مَخلُوقٍ. فإِنَّ القول فيه نَظيرُ القَولِ في الزَّاعمِ أَنَّ ذِكره الله ـ جلَّ ثناؤه ـ بِلسَانِه مَخلُوقٌ، يعني بذلك فِعلَه لا ربَّه الذي خَلَقه وخَلق فِعلَه.

قال أَبو جعفر:

قد قُلنا في تَبصير المُستهدِي[1] إِلى صَوابِ القولِ فيما تنازعت فيه أُمَّة مُحمدٍ ﷺ بعد فرَاقِهِ إِيَّاهم مِنْ تَوحيدِ الله تعالى ذكره

---

(١) لم أَعثر له على ذكر. ولعله يقصد هذه الرسالة لأَمرين:
١ ـ اشتراكهما في أَول الاسم. ٢ ـ أَن مضمون هذه الرسالة هو مضمون الكتاب المشار إليه، فلعلها آخر الرسالة ثم قدمها الناسخ عن محلها سهواً. والله أَعلم.

وأَسمائه وصفَاتِه وعَدْله، وفيما يسعُ الجَهْلُ به مِنْ ذلك ولا يَسعُ ذلك فيه. وفي حُكم مَنْ جَهِل مِنْهُ ما يَضيقُ الجهلُ به وفي فُروعِ ذلك. وحُكمُ مَنْ جَهِلَ مِنْ فُروعِه ما وقع التَّشاجُر فيه إلى يَومنا هذا، أَو فيما عسى أَنْ يحدثَ بعدُ، بما فيه الكِفَايةُ لِمَنْ وُفقَ لِفَهمِه وأُعيْنَ عليه فهُدي لرشدِه.

□ □ □

(في الخلافة وعقد الإمامة)

(القول في الاختلاف الأول)

٢٥ ـ قال أبو جعفر:

وَنحنُ مُبْتَدئون القول الآن فيما تنازعت فيه الأَئمَّةُ ممَّا لايُدرَكُ علمه إلَّا سماعاً وخبراً.

فأَولُ ذلك أَمرُ الخلافة، فإِنَّ أَولَ اخْتِلافٍ[1] حَدثَ بعد

---

(١) الاختلاف في أَصله أمر سائغ وطبعي بسبب عدم تساوي الناس في عقولهم وإدراكهم ومنه عامة الاختلافات في الاجتهادات التفصيلية في فروع الشريعة من أَحكام الفقه والفرائض وفهم النصوص مما وقع كثير منه بين الصحابة رضي الله عنهم فضلاً عمن بعدهم. والمذموم من الاختلاف ما كان أَشده المثمر للافتراق أَو كان بعد بيان البينات وظهور الدلائل كما قال سبحانه ناهياً عن طريقة أَهل الكتاب: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وأُولئك لهم عذاب عظيم﴾ وقوله سبحانه في آخر هود: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أُمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاَّ من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾. وقال سبحانه عن أَهل الأَهواء: ﴿إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أَمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ فحاصله أَن الاختلاف قسمان: محمود مباح وهو في المسائل الظنية الاجتهادية، ومذموم محرم في الاختلاف بعد ظهور البينات ومنه الافتراق. وابن جرير عبَّر عنه ويقصد به الاختلاف الأَول المباح.

وانظر في هذا: اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ تقي الدِّين ١/ ١٢٧ ـ ١٢٩، ومواضع منه. وكتاب الاعتصام للإمام الشاطبي ٢/ ١٧٠و٢٣١، ومابعدهما. =

رسـول الله ﷺ بين الأُمَّة فيما هو مِنْ أَمرِ الدِّين مِمَّا ليسَ بتوحيد ولا هو من أَسبَابِه مما ثبت الاختلاف فيه بين النّاسِ مِن لدن اختلفوا فيه إلى يومنا هذا: الاخْتِلافُ في أَمرِ الخلافة وعقدِ الإمامة[1].

وكان الاخْتِلافُ الذي اختلفوا فيه مِنْ ذلك بعد فِراق رسول الله ﷺ إيّاهم، الاختلافَ الذي كان بين الأنصارِ وقُريشٍ عند اجتماعهم في السَّقيفة: سَقِيفةِ بني ساعِدة[2] قبل دفن رسول الله ﷺ وبعد وفَاتِه، فقالت الأَنْصَارُ لِقُريشٍ: مِنَّا أَميرٌ ومِنكم أَمير. فقال خَطيبُ قُريش[3]: نحنُ الأُمرَاءُ وأَنتم الوُزرَاءُ.

= وأعطف بقول الطحاوي في عقيدته: «ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة». وعلى كل حال فالخلاف شر لأنه مؤدٍ للافتراق في غالب أحواله.

(١) قال ابن جرير في عقيدته: «وأما أولى الأقوال بالصواب عندنا فيما اختلفوا فيه من أولى الصحابة بالإمامة، فنقول كمن قال بما حدثنا به محمد بن عمر الأسدي بإسناده عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم بعد ذلك ملك» قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر سنتان، وخلافة عمر عشر، وخلافة عثمان اثنتا عشر، وخلافة علي ست فوجدتها ثلاثين سنة.

(٢) هذه السقيفة من جريد النخل لبني ساعدة من الأنصار تقع شمال غرب المسجد النبوي في الجهة الشمالية مما يسمى بالمناخة في المدينة، وربما هي في الحديقة المعروفة في أول المناخة أو قريبة منها، وقد اتصلت الآن بتوسعة المسجد النبوي من جهة الساحات المحيطة به من تلك الجهة.

(٣) هو أبو بكر الصديق عبدالله بن أبي قحافة التيمي القرشي رضي الله عنه.

فأَقَرَّت الأَنْصَارُ بذلك، وسَلَّموا الأَمرَ لِقُريشٍ، ورأوا أَنَّ الذي قال خَطِيبُ قُريشٍ صَوابٌ. ثم لَمْ يُنازِعْ ذلك قُريشاً أَحدٌ مِنْ الأَنْصَارِ بعد ذلك إِلى يومِنا هذا.

فإِذا كان ذلك كذلك، وكان تَسْلِيمُ الإِمْرةِ مِنْ جَميعِ الصَّحابَةِ مِنْ المُهاجرين والأَنْصَارِ يومئذٍ لقُريشٍ عن رِضاً مِنْهم، وتَصديقٍ مِنْ جَميعِهِم خَطِيبَهم القَائلَ: «نحن الأُمراءُ وأَنتم الوزراء»، إِلاَّ مَنْ شَذَّ مِنْهم عن جَميعِهم الذين كان التَّسليمُ لقولِهم به أَوْلى، وكان الحَقُّ إِنَّما يُدرَكُ علمه ويُوصلُ إِلى المعرفة به، مِمَّا كان مِن العُلومِ لا تُدرَكُ حَقيقته إِلاَّ بحُجَّة السّمعِ:

(أ) إِمَّا بسماعٍ شِفاهاً مِن الرَّسولِ ﷺ.

(ب) وإِمَّا بخبرٍ مُتواترٍ يقوم في وُجوبِ الحُجّةِ به مقام السّماع مِنْ الرَّسولِ ﷺ قولاً، أَو بنقل الحُجَّةِ ذلك عملاً.

وكان الخبرُ قد تواترَ بالذي ذكرناه مِنْ فِعْلِ المُهاجرين والأَنصارِ، وتسليمهم الخلافة، والإِمْرَة لقُريش، وتصديقهم خطيبهم: «نحنُ الأَمَراءُ وأَنتم الوزراءُ» مِنْ غيرِ إِنكارٍ مِنْهم، إِلاَّ مَنْ شَذَّ وانْفرَد بما كان عليه التَّسليمُ لما نقلته الحُجَّةُ عن رسول الله ﷺ مِنْ أَنَّ الإِمارَة لقُريشٍ دونَ غيرها[1]، كان مَعلوماً بذلك أَن لا حَظَّ لِغَيرِها فيها.

---

(١) هذا تضمين من حديث ورد مطولاً ومختصراً، فقد رواه البيهقي في السنن =

فإذا كان صحيحاً أَنَّ ذلك كذلك، فلا شَكَّ أَنَّ مَنْ ادَّعى الإِمَارَةَ، وحاول ابْتِزَاز جَميع قُريشٍ الخِلاَفةَ، فهو للحقِّ في ذلك مُخالفٌ، ولقُريش ظَالِمٌ[1].

= الكبرى ٨/ ١٤٤، من طريق عبدالرحمن بن المبارك ثنا الصعق بن حزن ثنا علي بن الحكم عن أنس بن مالك مرفوعاً «الأُمراء من قريش» ثلاثاً... الحديث، وأخرجه من وجهه الآخر عن علي بن الحسن بن بيان ثنا عارم ثنا الصعق به ورواه الحاكم في مستدركه ٤/ ٥٠١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أَحمد في المسند ٤/ ٤٢١، ٤٢٤، من طريقين، ثنا عفان، ثنا سكين بن عبدالعزيز ثنا سيار بن سلامة أَبو المنهال عن أَبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «الأَئمة من قريش». ومن طريق حسين بن موسى ثنا سكين به. والحديث أَصله في الصحيحين بلفظ: «إن هذا الأَمر في قريش» الحديث، أَخرجه البخاري في الأَحكام، باب الأُمراء من قريش رقم ٦٧٢٠، وأَخرجه مسلم في الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش برقم ١٨٢٠. وهذا الحديث رواه ستة عشر صحابياً كما ذكر الكتاني في نظم المتناثر رقم ١٧٥، وعده من المتواتر السيوطي في مختصره قطف الأَزهار المتناثرة برقم ٩٠، وكذا في الدرر المتناثرة له برقم ١١٤٤.

(١) إذا وجد القرشي الصالح في نفسه المصلح للإمارة والكافي لها، فهو أَولى من غيره بها ما لم تنعقد البيعة قبله لغيره، لجملة أَحاديث ذكرها الإمام مسلم في كتاب الإمارة وذكرها غيره، منها: حديث أَبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم» برقم ١٨١٨. ولحديث عبدالله مرفوعاً: «لايزال هذا الأَمر في قريش ما بقي من الناس اثنان» رقم ١٨٢٠.

وأَنَّ على المسلمين معونةَالمَظلُومِ على الظَّالِمِ إذا دعاهم إِلى الحَقِّ؛ لِمَعونةِ المظلوم ودفْعِ الظَّالِمِ عنه ما أَطاقوا.

وإِذا كان ذلك كذلك فلا شكَّ أَنَّ الخوارجَ مِنْ غَيرِقُريش.

منازعة القرشي في الإمامة وحكمه

٢٦ ـ وأَمَّا ما كان بين قُرِيشٍ مِنْ مُنَازَعَةٍ في الإِمَارَةِ، وادِّعَاءِ بعضِهِم على بَعضٍ أَنَّه أَولى مِنْه بالخِلاَفةِ، ومُناصَبَته له على ذلك المُحَارَبَةَ بعد تَسليمِهم الأَمرَ له العَامَّةُ فيها، يَجبُ على أَهلِ الإِسلاَمِ معونَةُ المَظلُومِ مِنهُما على الظَّالِمِ[1].

(١) إذ الأَمير الأَصلي الذي انعقدت له البيعة على المسلمين أَولى بالإمارة كان قرشيًّا أَو غيره؛ فلا تجوز منازعته في إمارته أَو الخروج عليه بسببها؛ لعموم النصوص الواردة في السمع والطاعة والمحذرة من الخروج على الأُمراء المسلمين ما لم يرتكبوا ما يوجب الخروج كما في حديث أَبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم وفيه: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأَثرة عليك» برقم ١٨٣٦ في كتاب الإمارة، ولحديث عبادة بن الصامت الجامع لهذا الأَصل العظيم حيث قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أَخذَ علينا أَن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأَثرة علينا، وأَن لا ننازع الأَمر أَهله. قال: إلاَّ أَن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان». رواه مسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأُمراء.... برقم ١٧٠٩.

ولمصلحة المسلمين العظمى في اجتماعهم، وضد ذلك في فرقتهم وتنازعهم فيها، ولهذا قال ﷺ في حديث أَبي سعيد الخدري: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» أَي الثاني: المتأخرة بيعته عن الأَول، وهو معنى حديث عرفجة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أَتاكم وأَمركم جميع على رجل واحد يريد أَن يشق عصاكم، أَويفرق جماعتكم فاقتلوه كائناً =

فأَمَّا ما كان مِن مُنَازَعةِ غَيرِ القُرَشيِّ الذي قد عَقدَ له أَهلُ الإسلامِ عقد البيْعَةِ وسلَّموا له الخِلافةَ والإِمْرَةَ على وَجهِ طَلَبها إِيَّاها لِنفسه، أَو لِمنْ لم يكن مِنْ قُريشٍ؛ فذلك ظَالِمٌ، وخُرُوجٌ عن إِمَامِ المُسلمين، يَجبُ على المُسلمين مَعونَة إمامهِم القُرَشيِّ وقِتالُ الخارجِ عليه؛ إِذْ لَمْ يَكنْ هناك أَمرٌ دعاه إلى الخُروجِ عليه إلَّا ادِّعاؤه بأَنَّه أَحقُّ بالإمَارةِ مِنْه مِنْ أَجلِ أَنَّه مِنْ غَيرِ قُريشٍ، إلا أنْ يكونَ خُروجُه عليه بِظُلمٍ ركِبَ مِنْه في نَفسٍ أَو أَهلٍ أَو مالٍ؛ فطلب الإنصافَ فَلَمْ يُنصفْ؛ فيجَبُ على المُسلمين حِينَئذٍ الأخذُ على يَدِ إِمَامِهِم المرضيَّةُ إِمْرَتُه عليهم، لإنْصَافِهِ مِنْ نَفْسِه إِنْ كان هو الذي نَاله بالظُّلمِ، أَو أَخذَ عَامِلَه بإِنْصَافِهِ إِنْ كان الذي نَاله بالظلم عاملاً له، ثم يكون على الخارج عليه لما وصفنا أَنْ يَفيء إلى الطَّاعةِ: طَاعةِ إمامهِ بعد إنصافهِ إِيَّاه مِن نفسِه أَو مِنْ عَامِلِه. فإِنْ لَمْ يَفِيءْ إلى طَاعتِهِ حِينئذٍ، كان على المسلمين هنالك مَعُونةُ إمامهِم العادلِ عليه حتى يَؤوب إلى طاعته.

وقد بيَّنَّا أَحكامَ الخَوارجِ في كِتَابِنا: «كِتابِ أَهل البغي» بما أَغنى عن إعادتهِ في هذا الموضع.

من كان» رواه مسلم وغيره في كتاب الإمارة برقم ١٨٥٣ و١٨٥٢. ولذا عنيت العقيدة بتأصيل الإمامة العظمى: إمامة المسلمين وإمارتهم، وصدرت ضوابط السمع والطاعة والخروج وعدمه، وكان موضوعها باباً من أبواب العقيدة.

قول الخوارج في أهل المعاصي، وحكمهم

٢٧ ـ وأَمَّا الذين نَقموا على أَهلِ المَعاصي مَعاصِيَهم، وشهدوا على المسلمين ـ بمعصية أَتوْها، وخَطيئةٍ فيما بينهم وبين ربِّهم تعالى ذكره ركبوها ـ بالكُفر، واستَحلّوا دِمَاءَهم وأَموالَهم مِنْ الخَوارج[1].

---

(١) هم الذين خرجوا على أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب بالسيف بعد قصة التحكيم، وقد سبقت بذرتهم في خبر ذي الخويصرة مع النبي ﷺ في الصحيحين حيث روى أَبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ وهو يقسم قسماً، أَتاه ذو الخويصرة ـ وهو رجل من بني تميم ـ فقال: يا رسول الله اعدل! فقال رسول الله ﷺ: ويلك ومن يعدل إِن لم أَعدل؟! قد خبت وخسرت إِن لم أَعدل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله ائذن لي فيه أَضرب عنقه. قال رسول الله ﷺ: دعه فإِن له أَصحاباً يحقر أَحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأُون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإِسلام كما يمرق السهم من الرمية.. ينظر إِلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إِلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إِلى نضيِّه فلا يوجد فيه شيء (وهو القدح) ثم ينظر إِلى قذذه (ريش سهمه) فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم. آيتهم رجل أَسود إِحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أَو مثل البضعة تدردر يخرجون على فرقة من الناس». قال أَبو سعيد: فأَشهد أَني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأَشهد أَن علي بن أَبي طالب قاتلهم وأَنا معه، فأَمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، فأُتي به، حتى نظرت إِليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت». وهذا لفظ مسلم أَخرجه في كتاب الزكاة باب: ذكر الخوارج وصفاتهم برقم ١٠٦٤ وأَخرجه البخاري في مواضع منها كتاب الأَنبياء، برقم ٣١٦٦. وكانوا يسمون بالخوارج والمحكمة الأُولى والوعيدية، والحروريين نسبة إِلى أَرض حروراء بالعراق، وقد اجتمعوا بها ـ من أُصولهم: تكفير الإِمام علي ومعاوية ومن معهم من الصحابة وغيرهم في =

والذين تبرّءوا مِنْ بعض أَنبياءِ الله ورُسله؛ بزعمهم أَنَّهم عصوا الله، فاستحقُّوا بذلك مِنْ الله ـ جلَّ ثَناؤه ـ العداوة[1].

والذين جَحدوا مِنَ الفرائض ما جاءت به الحُجَّة من أَهلِ النَّقل بنقله عن رَسول الله ﷺ ظَاهِراً مُستَفِيضاً قاطِعاً للعُذرِ، كالذي أَنكروا مِنْ وُجوبِ صلاة الظُّهرِ والعصر، والذين جَحدوا رجم الزّاني المُحصَنِ الحُرِّ مِنْ أَهلِ الإِسلام[2]، وأَوجبُوا على الحَائِضِ الصَّلاةَ

= الجمل وصفين، وتكفير صاحب المعصية بمعصيته وخلوده في النار، والخروج على أَئمة الجور لذلك، وأَسلافهم يترضون عن الشيخين ومن مات من الصحابة في عهدهما، ويكفرون ذا النورين عثمان، وأَنكر جمهورهم حد الرجم للزاني المحصن لعدم وروده في القرآن... وهم فرق عديدة قريب العشرين فرقة تطورت مقالاتهم واختلفوا، ولا تزال لهم بقية في مذاهبهم تقول ببعض ذلك مع قول المعتزلة في بعض الصفات، وربما شابههم بعض الناس في بعض أُصولهم كالتكفير، والخروج على الولاة المسلمين الظلمة، فلكل قوم وارث، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

(١) هو من فروع مقالة الأَزارقة ـ وهم جمهور الخوارج بعد أَوائلهم، وأَتباع نافع بن الأَزرق ت (٦٠هـ) حيث جوّزوا أَن يبعث الله نبيًّا يعلم أَنه يكفر بعد نبوته، أَو كان كافراً قبلها.

(٢) وهو أَيضاً من المشهور عن الأَزارقة. وليعلم أَنه إذا أَطلقَ الخوارج في النصف الثاني من القرن الأَول فما بعده فالمقصود به هم. ولذا قالت الأَباضية: إِنَّهم ليسوا من الخوارج على اعتبار أَنَّهم ليسوا من الأَزارقة، وهو بهذه الحالة قول صحيح لكنهم لا يخرجون عن فرق الخوارج الأُلى، وكتبهم طافحة بهذا، فلينتبه لهذا!

في أَيامِ حَيْضِها[1]، ونحو ذلك من الفَرائِض، فإنَّهم عندي بما دانوا به مِنْ ذلك مَرَقَةٌ مِنْ الإسلام، خَرجوا على إمام المسلمين أَو لمْ يخرجوا عليه. إذا دانوا بذلك بعد نَقل الحُجَّةِ لهم الجماعة التي لايَجوزُ في خبرها الخطأ، ولا السهو والكذبُ.

وعلى إمام المسلمين استتابتهم مِمَّا أَظهروا أَنَّهم يدينُون به بعد أَنْ يظهروا الدِّيانَةَ به والدُّعَاء إليه، فَمَنْ تاب مِنْهم خَلَّى سبيلَهُ، ومَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ ذلك مِنْهم قَتلَه على الرِّدَّةِ؛ لأَنَّ مَنْ دان بذلك فهو لدين الله ـ الذي أَمرَ به عِبَادَه بما لا نَعْذرُ بالجهلِ به نَاشِئاً نشأ في أَرض الإسلام ـ جَاحِدٌ.

ومَنْ جحدَ من فرائضِ الله ـ عزَّ وجل ـ شيئاً بعد قيام الحُجَّة عليه به فهو من ملة الإسلام خَارج.

---

(١) وهذا مشهور عنهم في وقت الصحابة ففي حديث معاذة بنت عبدالرحمن في الصحيحين أَنها سألت عائشة رضي الله عنها فقالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت عائشة: أَحروريَّة أَنت؟! فقلت: لست بحرورية ولكن أَسأل. فقالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة. فدل على شهرة ترك الخوارج لهذا الشرع المتواتر، وإيجابهم على نسائهم قضاء الصلاة كالصوم إذا كن حُيَّضاً، وإلا لما وصفتها عائشة بهذا المذهب.

(في الحُجَّة التي هي لله على خلقه)

(القولُ فِي الاخْتِلَافِ الثَّانِي)

٢٨ ـ قال أَبو جعفر:

ثمَّ كان الاختلافُ الآخرُ الذي حدثَ في منتَحلي الإسلام بعد الذي ذَكرتُ مِنْ الاختلاف في أَمرِ الإمارة، الاختلافَ في الحُجَّة التي هي لله حجّة على خلقه فيما لا يدرك علمه إلَّا سماعاً، ولا يُدرك استدلالاً ولا اسْتنباطاً.

(أ) فقال بعضهم: لا يُدرى عِلم شيءٍ مِنْ ذلك إلَّا سَماعاً مِنْ الله تبارك وتعالى عمَّا قالوا مِنْ ذلك علوًّا كبيراً.

فزعموا أَنَّ الأَرض لا تخلُو مِنْه، غير أَنَّه يظهرُ لخلقه في صورٍ مُخْتَلفة، في كُلِّ زَمانٍ في صُورةٍ غيرِ الصُّورةِ التي ظَهرَ بها في الزَّمانِ الذي قبله وفي الزَّمانِ الذي بعده.

وهو قولٌ يذكر عن عبدالله بن سَبأ وأَصحابٍ له[1] تَبِعُوه على

(١) وتسمى هذه الطائفة السبئية نسبة لعبدالله بن سبأ ابن السوداء اليهودي اليمني الصنعاني النميري باعث الفتنة في مقتل عثمان، وتفرق المسلمين، القائل بالكفر والزندقة. لا يُعرف له تاريخ ميلاد، ويذكر الطبري في التاريخ وغيره أَنه أَسلم في زمن عثمان، وتنقل بين المدينة والشام والكوفة والبصرة ومصر في السعاية في الفتنة على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم في =

ذلك، فقالوا لعليٍّ رضي الله عنه: أَنْتَ أنتَ، فقال لهم عليٌّ: مَنْ أَنا؟ قالوا: أَنتَ رَبُّهم، فقتلهم رضوان الله عليه، ثم حرقهم بالنَّارِ.

= إثارة القتال في الجمل وصفين وخاتمة الطواف القول بأُلوهية علي ورجوعه إلى الدُّنيا وهي عقيدة الرجعة المشهورة عند الرافضة والقول برجوع الأَموات إلى الدنيا. وهذا الخبيث هو مؤسس الرافضة، لكن لابد من الإشارة إلى أَنه شخصية غامضة استخدمت أَساليب اليهود في التفريق وبث الفتنة والكفر، وقد اشتهر أَمره كثيراً عند المؤرخين. وفرقته تنسب إِليه، وهم من غلاة الرافضة ومن الزنادقة المظهرين للكفر، وهم أَول المشبهة المجسمة في هذه الأُمة وعنهم أَخذ أُوائل الرافضة هذه العقيدة الخبيثة، والسبئية الأُولى الذين أَحرقهم علي بن أَبي طالب لزندقتهم، كما رواه البخاري في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين وفي كتاب الجهاد، وسبب هذا ما رواه الحافظ ابن حجر بسند حسن في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص في الفتح ١٢/ ٢٨٢ عن ابن شريك العامري عن أَبيه قال: قيل لعلي: إِن هنا قوماً على باب المسجد يدَّعون أَنك ربهم، فدعاهم فقال: ويلكم ما تقولون؟ قالوا؟ أنت ربنا وخالقنا ورازقنا. فقال: ويلكم إِنما أَنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأَشرب كما تشربون إِن أَطعت الله أَثابني إِن شاء، وإِن عصيته خشيت أَن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأَبوا. فلما كان الغدِ غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أَدخلهم، فقالوا كذلك. فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأَقتلنكم بأَخبث قتلة، فأبوا إِلاَّ ذلك، فقال: يا قنبر ائتني بفعلة معهم مرورهم، فخدَّ لهم أُخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فأَبعدوا في الأَرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأُخدود. قال: إِني طارحكم فيها أَو ترجعوا، فأَبوا أَن يرجعوا فقذف بهم فيها حتى إِذا احترقوا قال:

إِنِّي إِذا رأيت أَمراً منكراً   أَو قدت ناري ودعوت قنبراً

هذا قليل من كثير من قاله هؤلاء القوم قبحهم الله وأَورثهم مايستحقون، وعافانا والمسلمين من شرهم وأَمثالهم. =

قال أبو جعفر:

وقد بقي في غِمَار المسلمين مِمَّن ينتحلُ هذا المذَهبَ خلقٌ كثير[1].

(ب) وقال آخَرُون: لا يُدركُ عِلْمُ شيءٍ مِنْ ذلك إلاَّ مِنْ وَاسطَةٍ بين الله وبين خَلْقِه، زعموا أنَّه مِنْ القَديمِ مكانَ وزيرِ الملكِ مِنْ الملكِ.

وقد استكفاه الأُمور كُلَّها فكفاه إيَّاها.

(جـ) وقال آخرون: لا يُدرَكُ عِلْمُ ذلك إلاَّ مِن رَسولِ الله ﷺ إلى خَلْقِهِ، لا تخلو الأَرضُ مِنْه. وقالوا: لن يموتَ مِنْهم أَحدٌ حتى يخلفه آخرُ.

(د) وقال آخرون: لا يُدرَكُ عِلْمُ ذلك إلاَّ مِنْ وصيٍّ لرسولِ الله ﷺ، أو من وَصِيٍّ وَصِيٍّ قالوا: وذلك كذلك إلى قيام السَّاعة.

قال أَبو جعفَر: وكلُّ هذه الأَقوالِ عندنا ضَلاَلٌ وخُرُوجٌ مِن الملَّة وقد بَيَّنَّا فسادَ كُلِّ ما قالوا واعْتلّوا به لِمذَاهبِهِم في غير هذا الموضع بما أَغنى عن إعادتهِ في هذا الموضع.

(هـ) وقال آخرون: لا يُدركُ عِلْمُ شيءٍ مِنْ ذلك إلاَّ ضَرورَةً، ثم

---

(١) لا كثَّرهم الله، من أَتباع السبئية من مجسمة الرافضة، ومن الحلولية وأَهل وحدة الوجود من غلاة الصوفية. فضلاً عن غيرهم من الكفار الأَصليين.

اختلفوا في الأَسبابِ التي تضطرُّ القُلوبَ إلى عِلْمه بما يَطولُ بحكايتِه الكِتابُ.

٢٩ ـ (و) وقال آخرون: لا يُدرَكُ عِلْمُ شَيءٍ مِنْ ذلك إلّا اكتساباً. قالوا: وإِذْ كان ذلك كذلك عُلِمَ أَنَّ الذي يُكتَبُ مِنْ ذلك هو ما جرتْ به عاداتُ الخلق بينهم، ولَمْ يزَلْ عليه نُشُوءهُم وفطرهُم، وذلك الخَبرُ المُستَفيضُ الذي لمْ تَزلْ العَاداتُ بالسّكون إليه جاريةٌ، وبالطمأنينةِ إليه ماضِيةٌ مُضيَّها بأَنَّ النيرَان مُحرقةٌ والثَّلج مُبرِّدٌ.

قالوا: وكُلُّ مُدَّعٍ ادَّعى أَنَّ ما لا تُدركُ حَقِيقة عِلْمه إلّا سماعاً، تُدرَك حَقِيقتُه وصحَّتُه بغيرِ ذلك؛ فقد ادَّعى خِلافَ الجاري مِنْ العاداتِ، وغَيرَ المَعروفِ في الفطرِ، كالمُدَّعي ناراً غيرَ مُسخِنَةٍ، وثلجاً غَيرَ مُبرِّدٍ، فمُدَّعي غير الذي جَرتْ به العاداتُ وغَيرِ المَعْرُوف في الفطرة.

قال أَبو جعفر:

وهذا القول أَولى الأَقوالِ عندنا بالصّحَّة، وقد بيَّنَّا العلَّة المُوجِبةَ صِحَّتهُ في غير هذا الموضِع بما أَغنَى عن إعَادته في هذا الموضع.

فأَمَّا خَبرُ الواحد العَدلِ فإِنَّه معنىً مُخالفٌ هذا النَّوع، وقد بيَّنَّاه في موضعه.

(في أفعال العباد)

(القَوْلُ فِي الاختِلافِ الثَّالِث)

٣٠ـ قال أَبو جعفر:

الثَّالِثُ بعدَ ذلك الاختِلافُ في أَفعَالِ الخَلقِ[١].

(أ) فقالت فِرقةٌ مِمّن يَنْتَحِلُ جُملَةَ الإِسلامِ: ليس لله ـ عزَّ وجلَّ ـ في أَفعَالِ خَلقهِ صُنْعٌ غيرُ المَعرفةِ التي أَعطَاها للفِعْلِ كما أَعطَاهم الجوارِحَ التي بها يعْملون. ثم أَمرَهُم ونهَاهم، فَمَن شَاء مِنْهم أَطاعَ فله الثَّواب، ومَنْ عَصَى فله العِقابُ.

قالوا: فلو كان الله ـ جلَّ ثناؤه ـ صُنْعٌ في أَفعالِ الخَلْقِ غيرَ الذي قُلنا، بطَلَ الثَّوابُ والعِقَابُ. وهذا قَوْلُ القدرِيَّة[٢].

---

(١) قال ابن جرير في عقيدته: «صريح السنة»: «وأَما الصواب من القول لدينا فيما اختلف فيه من أقوال العباد وحسناتهم وسيئاتهم، فإن جميع ذلك من عند الله تعالى، والله سبحانه مُقدِّره ومُدبِّره، ولا يكون شيء إلاَّ بإذنه، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر. كما حدثني زياد بن عبدالله بإسناده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه» اهـ.

(٢) هم المعتزلة، وسموا بالقدرية لأَنهم ينفون قدرة الله السابقة على الأَفعال، =

= وجمهورهم ينكرون مرتبتي المشيئة والخلق، وغلاتهم ينكرون المراتب الأَربع كلها وهي علم الله السابق لكل شيء قبل وقوعه، وكتابته لها في اللوح المحفوظ مع المشيئة لها والخلق. قال في تعريفهم شيخ الإسلام في عبارة جامعة في التدمرية ص٢٠٨: «وأَهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية ومشركية وإبليسية. فالمجوسية: الذين كذّبوا بقدر الله وإن آمنوا بأَمره ونهيه، فغلاتهم أَنكروا العلم والكتاب، ومقتصدتهم أَنكروا عموم مشيئة الله وخلقه وقدرته، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم.

والفرقة الثانية: المشركية، الذين أَقروا بالقضاء والقدر، وأَنكروا الأَمر والنهي، قال الله تعالى: ﴿سيقول الذين أَشركوا لو شاء الله ما أَشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ فمن احتج على تعطيل الأَمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدَّعي الحقيقة من المتصوفة.

والفرقة الثالثة: الإبليسية، وهم الذين أَقروا بالأَمرين، لكن جعلوا هذا تناقضاً من الرب سبحانه وتعالى، وطعنوا في حكمته وعدله، كما يذكر مثل هذا عن إبليس مقدمهم، كما فعله أَهل المقالات، ونقل عن أَهل الكتاب».

وانظر: الدرء ٨/ ٢٥٦، وما بعدها، والاستقامة ٢/ ١٣٩، والمنهاج ٥/ ١٧٢، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٥٨، والمجموع ١/ ١٤٧، وفيهما سمى الشيخ الجبرية قدرية، وقال: القدرية المجبرة من الجهمية. ولا شك أَن الوصف يتناولهم باعتبار آخر غير اعتبار المعتزلة.

وذكر ابن القيم في رسالته أَسماء مؤلفات ابن تيمية ص٢٥: أَن للشيخ قاعدة في القدرية وأَنهم ثلاثة أَقسام: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.

وفي الحديث عنه ﷺ ـ تحذيراً منهم ـ: «إن مجوس هذه الأُمة المكذبون بأَقدار الله تعالى إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم».

أَخرجه بهذا اللفظ ابن أَبي عاصم رقم ٣٢٨، ثنا ابن مُصَفَّى ثنا بقية ثنا الأَوزاعي عن ابن جريج عن أَبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما =

(ب) وقال آخَرون ـ مِنهم جَهمُ بنُ صَفْوانَ وأَصحابُه[1] ـ: ليس

= به. وأَخرجه ابن ماجه والطبراني في الصغير، والآجري في الشريعة من طريقه. والحديث له شاهد عن حذيفة عند ابن أَبي عاصم ورواه أَحمد في المسند ٥/ ٤٠٦، والآجري والطبراني وغيره، وعن ابن عمر باللفظ المشهور «القدرية مجوس هذه الأُمة» رواه أَبو داود برقم ٤٦٩١، وأَحمد في المسند ٢/ ٨٦، ٢/ ١٢٥، وعند الآجري واللالكائي وابن أَبي عاصم وغيرهم، وعن عائشة وعن عمر بن الخطاب وأَبي هريرة رضي الله عنهم، وبمجموع طرقها كلها الحديث صحيح والحمد لله.

(١) هم الجبرية لأَنهم قالوا: إنَّ الإنسان مجبور على عمله لا اختيار له فيه عملاً صالحاً أَو كفراً. هذا اسمهم في باب القدر، وإلاَّ فهم الجهمية المشهورة نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية وأُسُّ الضلالة والجبرية. كان ينكر الصفات الإلٰهية، ويقول بخلق القرآن، وأَن الله في كل مكان، ويقول بالإرجاء المحض بأَن الإيمان هو المعرفة، قتل سنة ١٢٨هـ ـ مشكوراً قاتله على قتله ـ بعد أَن بذر شرًّا مستطيراً في الناس، وهو أَخذ قالته عن الجعد بن درهم، وعن فلاسفة الهند، خصوصاً لما ناظر فرقة السومنية منهم ولبث أَربعين يوماً لا يصلي؛ بل لا يعرف ربه، ثم ظهر بعد ببدعته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفرقان بين الحق والباطل في بيان إعجاز القرآن من الفتاوى ١٣/ ١٨٢، وما بعدها. قال: «المقصود هنا أَن دولة بني أُمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الأَسباب، والتي أَوجبت إدبارها، وفي آخر دولتهم ظهر الجهم بن صفوان بخراسان،وقد قيل: إن أَصله من ترمذ وأَظهر قول المعطلة النفاة الجهمية... وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون، وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل.... فجحدوا الرب وأَبطلوا دينه وأَمره ونهيه، وما أَرسل به رسله، وتكليمه لموسى وغيره....».

للعِبَادِ في أَفعالِهِم وأَعمالِهم صُنْعٌ، وإِنَّما يُضَافُ إِليهم ذلك كما تُضَافُ حَركةُ الشَّجرة إِذا حَرَّكَتها الرِّيح إِلى الشَّجرةِ، وليست لها حَركةٌ وإِنَّما حَرَّكتها الرِّيح، وكما يُضَافُ طُلوعُ الشَّمسِ إِلى الشَّمسِ وليس لها فِعْلٌ وإِنَّما أَطْلَعَها الله، وكَذَهابِ الحجَرِإِذا رُمي به وليس له عملٌ، وإِنَّما ذَهبَ بِدَفعِ دافِعٍ.

وقالوا: لو جَازَ أَنْ يكونَ فَاعلٌ غَيرُ الله جازَ أَنْ يَكونَ خَالِقٌ غَيرُه. وقالوا: لا ثواب ولا عِقاب، وإِنَّما هما طِينَتَانِ خُلِقَتَا إِحداهُما للنَّارِ وأُخْرَى للجَنَّة.

قول أهل السنة في أفعال العباد ودلائله بالرد على القدرية

٣١ ـ **وقال آخرون** ـ وهم جُمْهورُ أَهلِ الإِثباتِ وعَامَّةُ العُلمَاءِ والمُتَفَقِهَةُ مِن المُتَقَدمِين والمتأخِرين ـ: إِن الله تعالى ذكره وفق أَهل الإِيمان للإِيمانِ، وأَهل الطَّاعةِ للطَّاعةِ، وخَذلَ أَهلَ الكُفرِ والمعَاصِي، فكَفروا بربِّهم، وعصوا أَمره.

١ ـ قالوا: فالطَّاعةُ والمَعصيةُ مِنْ العِبَادِ بسَببٍ مِنْ الله ـ تعالى ذكره ـ وهو تَوفيقُه للمؤمنين، وباخْتِيَارِ من العَبدِ له[1].

(١) فالله سبحانه وتعالى فطر الناس على توحيده والإيمان به، وأرسل إليهم رسلاً وأنزل عليهم كتباً، وأنذرهم بما فعله ببعضهم... حتى أبان طريق الاستقامة والسلامة، وطريق الغواية والندامة، فمن شاء اختار هذا أو ذاك، قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم﴾ من سورة براءة، فالتائبون على سبيل الله، هداهم ربهم ووفقهم =

٢ ـ قالوا: ولو كان القَولُ كما قالت القَدريَّةُ، الذين زَعموا أَنَّ الله ـ تعالى ذكره ـ قَدْ فَوَّضَ إلى خلقهِ الأَمرَ فهم يفعلونَ ما شَاءُوا، و[1]لبطلت حاجة الخَلقِ إلى الله ـ تعالى ذكره ـ في أَمرِ دينه، وارتفَعَتْ الرَغبة إليه في معونته إِيَّاهم على طَاعتِه.

٣ ـ قالوا: وفي رغبة المؤمنين في كلِّ وقتٍ أَن يُعينهم على طاعتهِ ويُوفِّقَهم ويُسدِّدهَم، ما يَدلُّ على فَسادِ ما قالوا.

٤ ـ قالوا: ولو كان القَوْلُ كما قالوا مِنْ أَنَّ مَنْ أُعطي مَعونَة على الإِيمانِ، فَقدْ أُعطيها قوَّةً على الكُفرِ، وجَبَ أَنْ لايكونَ لله ـ جلَّ ثناؤه ـ خَلْقٌ هو أَقوى على الإِيمَان والطَّاعةِ مِنْ إِبْلِيسَ، وذلك أَنَّه لاأَحدَ مِنْ خَلقِ الله يُطيقُ مِنْ الشَّرومِنْ مَعصِيةِ الله ما يُطيقُهُ.

٥ ـ قالوا: وكان واجباً أَن يكونَ إِبْليسُ أَقدرَ الخَلقِ على أَنْ يكونَ أَقرَبَهم إلى الله وأَفضَلَهم عِنْده مَنْزِلة.

٦ ـ قالوا: وأُخْرى: أَنَّ القوَّةَ على الطَّاعةِ لو كَانَتْ قُوَّةً على المعصية، والقوةَ على الكُفرِ قُوَّةً على الإِيمانِ؛ لوجَبَ أَنْ

= وثبَّتهم عليه لما عصوا شهواتهم وشبهاتهم.
والمنحرفون أبوا إلا اتِّباع شياطينهم من الجن والإنس، ومخالفة أَمر الله ورسوله، والسعي إلى ضده اتباعاً لأَهوائهم.

(١) هكذا في الأَصل بواو، والسياق لا يستدعيها وحذفها أَولى.

يُوجَدَ الكفْر والإيمان معاً في جِسْمٍ واحدٍ، في حالٍ وَاحِدةٍ؛ لأَنَّ السبب إِذا وُجِدَ وجبَ أَنْ يكونَ مُسَبَّبهُ مَوجوداً معه، كالنَّارِ إِذا وُجِدَتْ وَجبَ وجُودُ الإسخانِ مع وجودِها، وكالثّلجِ إذا وُجِدَ وُجبَ التَّبْرِيدُ معه.

٧ ـ قالوا: فإنْ كانت القُوَّةُ جائِزاً وُجودها وعَدم أَحدِهما، كاليد التي قد تُوجَد وهي لا متحركة ولا ساكنة لِعجْزِ مَحِلّها، فَقدْ يَجبُ أَنْ يكون جَائِزاً وُجودُ القُدرةِ على الطَّاعةِ والمَعصيةِ، والعَجزُ عنهما في حالٍ واحدةٍ، في جسمٍ واحدٍ.

٨ ـ قالوا: ففي اسْتِحَالةِ اجْتِمَاعِ العَجْزِ والقُدْرةِ في حَالٍ وَاحدةٍ، في جِسْمٍ وَاحِدٍ، الدَّليلُ الواضحُ على اخْتِلاَفِ حُكمِ القُدرةِ في الجَوارِحِ لِلفعْلِ والجَوارِحِ، والقُدرةُ للعَملِ سَببٌ وليس كذلك الجوارح.

٩ ـ قالوا: وإذا كانَتْ القُدْرةُ للفِعْلِ سَبباً وجبَ وُجودُ مُسبَّبِه معه.

١٠ ـ قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، وكان مُحَالاً اجْتِماعُ الكُفرِ والإيمَانِ في جِسْمٍ واحدٍ، في حَالٍ وَاحِدةٍ، عُلِمَ أَنَّ القُدْرةَ على الطَّاعةِ غَيرُ القُدرةِ على المعصيةِ، وأَنَّ الذي تُعمَلُ به الطَّاعةُ فيُوصل به إِليها مِنْ الأَسبابِ غيرُ الذي تُعملُ به المعصيةُ فيُوصلُ به إليها مِنْ الأَسْبابِ.

وصحَّ بذلك فَسادُ قَوْلِ مَنْ زعمَ أَنَّ الله ـ عَزَّ ذِكْره ـ قَدْ فَوَّضَ إلى خَلقِهِ الأَمر فهُمْ يَعملونَ ما شاءُوا مِنْ طَاعةٍ ومَعصِيةٍ، وإيمانٍ وكُفرٍ، وليس لله ـ جلّ ثناؤه ـ في شَيءٍ مِنْ أَعمَالِهم صُنْعٌ(١).

فساد قول الجبرية في أفعال العباد

٣٢ ـ قالوا: فإِذَا فَسدَ قَوْلُ القَدريَّةِ الذين وصَفنَا قَولَهم؛ فقَوْلُ جهمٍ وأَصحَابهِ الذين زَعموا أَنَّ الله ـ تعالى ذكره ـ اضطرَّ عِبَادَه إلى

---

(١) وهذا كله استطراد من المؤلف رحمه الله في بيان فساد قول القدرية من جهة ماستدلوا به من المفعول، وهكذا سيفعل مع القدرية؛ تنزلاً منه رحمه الله للجدال معهم فيه. وإلاَّ ففي المنقول من الكتاب والسنة في إقامة الحجة وفساد قولهم ما فيه كفاية.

وها هنا قاعدة تتفق في الأَدلة المنصوصة والأَدلة المعقولة، وهي أن كل دليل صحيح يقيمه القدري فهو حجة على الجبري، وكل دليل صحيح يقيمه الجبري فهو دليل على القدري، وأَهل السنة والجماعة أَسعد منهما بالدليل وأَحض باجتماع الأَدلة في قولهم وعدم افتراقها. ولذا كانوا وسطاً بين القدرية والجبرية في هذا الباب. فأَخذوا صواب ما عند كلٍ. فقالت القدرية المعتزلة: إن أَفعال العباد الاختيارية هي من خلقهم وفعلهم هم. وقالوا لا تعلق لها بخلق الله. فصدقوا في قالتهم الأُولى، وكذبوا في الثانية.

وقالت الجبرية الجهمية: إن أَفعال العباد كلها من خلق الله، وقالوا:إن العباد مضطرون إليها بدون اختيارهم. فكذا صدقوا في الأُولى، وكذبوا في الثانية.

فمن مجموع ما صدقت به الفرقتان يكون: أَفعال العباد الاختيارية من خلقهم، وفعلهم، وهي من خلق الله تعالى وتقديره.

فالحمد لله الذي هدى أَهل السنة لما اختلف فيه من الحق بإذنه وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الكُفْرِ، وإلى الإيمانِ وإلى شَتْمِه والفَريةِ، وأَنَّه ليس للعِبَادِ في أَفعَالِهم صُنْعٌ: أَبطَلُ وأَفسدُ.

١ ـ قالوا: وذلك أَن الله ـ تعالى ذكره ـ أَمرَ ونَهى، ووعد الثَّواب على طَاعتِه، وأُوْعدَ العِقَاب والعَذابَ على مَعصِيتِهِ؛ فقال في غَيرِ مَوضعٍ مِنْ كتابهِ إِذ ذكر ما فعلَ بأَهلِ طاعَتِه وولاَيتِهِ مِنْ أَهلِ كَرامَتِه لهم: ﴿جزاءً بماكانوا يعملون﴾، وإِذْ ذكَر ما فَعَلَ بأَهلِ مَعصِيتِهِ وعداوتِهِ مِن عِقَابِه إِيَّاهم: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾[١].

٢ ـ قالوا فلو كانت الأَفْعَالِ كُلَّها لله لا صُنْعَ للعِبَادِ فيها، لَكَانَ لامَعنى للأَمرِ والنَّهِي؛ لأَنَّ الآمر يأمرُ غَيرَه لا نفسه، وإِذا أَمرَ غَيرِه فإِنَّما يأمرُه ليُطِيعَه في ما أَمرَه، وكذلك نهيهُ إِيَّاه إِذَا نَهاه.

٣ ـ قالوا: فهذا أَمر الله ـ تعالى ذكره ـ ونهى في قولِنا وقولِ جَهمٍ وأَصحابِهِ؛ فأَثابَ وعَاقبَ، فلَنْ يَخْلوَا[٢] مِنْ أَنْ يكونَ

---

(١) في الأُولى كما قال عن السابقين المقربين في سورة الواقعة رقم ٢٤، وقبلها في سورة السجدة وغيرهما: والثانية كما قال عن المنافقين في سورة براءة: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنَّهم رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ الآية رقم ٩٥ وكذا قبلها بعدة آيات رقم ٨٢.

(٢) هكذا في الأَصل، وقد ـ تكررت بعد ذلك بأَسطر ـ صحيحة بدون أَلف الإِلحاق لأَن الفعل معتل الآخر.

أَمرَ نَفسَه ونهَاها، وأَمرَ عبدَه ونهاه.

٤ ـ قالوا: ومِنْ المُحَالِ أَنْ يكونَ أَمرَ نفسه ونَهاها عِنْدنا وعِنْدهم؛ فالوَاجبُ أَنْ يكونَ أَمرَ غيرَ نَفْسِهِ ونهى غيرَها.

٥ ـ قالوا: وإِذْ كان ذلك كذلك فلنْ يَخلوَ مِنْ أَنْ يَكونَ أَمرَ ليُطَاع أوْ لايُطَاع.

وإِنْ كان أَمرَ ليُطَاع فَمعْلُومٌ أَنَّ الطَّاعَةَ فِعْلُ المُطِيعِ والمَعْصيَةَ فِعْلُ العَاصي، وأَنَّ فِعْلَ الله وخَلْقَه الذي ليس بِكَسبٍ للعَبْدِ لا طَاعةً ولا معْصيةً كما خَلْقُهُ السمَواتِ والأَرض ليس بِطَاعةٍ ولا مَعْصيةٍ؛ لأَنَّ ذلك ليسَ بِكَسبٍ لأَحدٍ، وأَنَّه ليس فَوْقَ الله ـ جلَّ ثَناؤه ـ أَحدٌ يأَمرُه ويَنْهاه، فيكونَ فِعْلُه طَاعَةً أَو مَعْصِيةً.

فالطَّاعةُ إِنَّما هي الفِعْلُ الذي بِحذَائه أَمرٌ، والمَعْصِيةُ كذلك.

فإِنْ كان أَمرَ لا ليُطَاع، فَقدْ زَالت المَآثِمُ عن الكَفرةِ، واللائِمةُ عن العُصَاةِ؛ فارتفَعَ الثَّوابُ والعِقَابُ، إِذْ كان الثَّوابُ ثَواباً على طَاعتهِ والعِقَابُ عِقَاباً على مَعْصِيته.

٦ ـ قالوا: وفَسادُ هذا القَوْلِ أَوضَحُ مِنْ أَنْ يَحتَاجُ إِلى الإِكثَارِ في الإِبانةِ عن جهلِ قَائِله.

فإِذا كان فَسادُ قَوْلِ القدريَّةِ القَائلين بالتَّفْويضِ، وخَطأ قَوْلِ جَهمٍ وأَصحَابِهِ القائلين بالإِجْبَارِ، صَحَّ قَوْلُ القَائلين مِنْ أَهلِ

الإِثْبَاتِ بالذي استشهدنا مِنْ الدّلاَلةِ.

وهذا القَوْلُ ـ أَعني قَوْلَ أَهلِ الإِثْبَاتِ المُخالفين القَدريَّةَ والجَهميَّةَ ـ هو الحَقُّ عِنْدنا والصَّوَابُ لدينا للِعلَلِ التي ذكرناها.

□ □ □

القَوْلُ في الاخْتلافِ الرَّابع

٣٣ ـ قال أَبو جَعْفر:

(أهل الكبائر وحكمهم)

ثم كانَ الاخْتِلَافُ الرَّابِعُ الذي حَدَثَ بعد هذا الاخْتلافِ الثَّالِثِ الذي ذكرناه، وذلك اخْتِلَافُهُم في الكَبَائِرِ.

(أ) فقال بعضهم: هُمْ كُفَّارٌ، وهو قَوْلُ الخَوارِجِ.

(ب) وقال بَعضُهُم: ليسوا بالكُفَّارِ الذين تَحلُّ دِمَاؤهُم وأموالُهُم، ولكنَّهم كُفَّارُ نِعْمةٍ، وهُمْ مُنافقون؛ لأَنَّ لَهمْ حُكمَ المؤمنين[١].

---

(١) هو في الحقيقة قول طائفة من الخوارج تُعرَف بالإباضية أَتباع عبدالله ابن إباض التميمي (ت ٨٦هـ) وهو الذي فارق الأَزارقة، وهم جمهور الخوارج، ولذا إباضية هذا الزمان ينكرون كونهم خوارج، وتوجيهه أَنهم ينكرون مذهب جمهور الخوارج الذي هو مذهب نافع بن الأَزرق مع اشتراك الجميع في أُصولهم الأُولى. يقولون في زمننا هذا بنفي رؤية الله أَبداً، والقول بخلق القرآن، وتحليل ربا الفضل دون النسيئة، وفاعل الكبيرة عندهم ما لم يستحلها كافر كفر نعمة منافق في حكمه الدنيوي، مخلد في النار في الآخرة، ولهذا صرحوا بأَن الخلاف بينهم وبين المعتزلة بقولهم في المنزلة بين المنزلتين خلاف لفظي. وكتبهم على كثرتها ـ لا كثَّرها الله ـ طافحة بهذا. قال إمامهم المتأخر ومجتهدهم نور الدين عبدالله بن حميد السالمي (ت١٣٣٢هـ): =

(ج) وقال آخرون: ليسوا بِمؤمِنين ولا كُفَّار، ولكنَّهم فَسَقةٌ أَعدَاءُ الله، ويُوارِثُون في الدُّنيا المُسلمين ويُناكحُونهُم ويُحكَمُ لهم بحكُم الإِسلامِ، غيرَ أَنَّهم مِنْ أَهلِ النَّار مُخلَّدونَ فيها. وهذا قَوْلُ المُعْتَزلَةِ[1].

والكفر قسمان جحود ونعـم وبالنفاق الثاني منهما وسم

وامنعه في الأَول حتماً وهو ما لرد تنزيل ومرسل نمـا

وانظر شرحه لهذين البيتين وما سبقه من كلامه في كتابه: مشارق أَنوار العقول ص٣٩٥ ـ ٤٠٣.

(١) هم أَتباع واصل بن عطاء الغزَّال (٨٠ ـ ١٣١هـ) الذي اعتزل حلقة الحسن البصري رحمه الله لما سُئل عن مرتكب الكبيرة فذكر مقالة الخوارج، وذكر قول السلف وأَيده، فاعترض عليه واصل، وقال بقول المعتزلة: إنه لا مؤمن ولا كافر بل في منزلة بين هاتين المنزلتين في الدنيا، مخلد في النار في الآخرة، ثم اعتزل الحلقة وجماعة من شاكلته، وتطور مذهبهم فصارت هناك مدرستان لهم: معتزلةبغداد، ومعتزلة البصرة، وكثرت طوائفهم، وتجمعهم أُصول خمسة هي:

١ ـ التوحيد: وهو نفي صفات الله، والقول بأَن كلام الله القرآن مخلوق.

٢ ـ العدل: وهو قولهم في القضاء والقدر بأَن العباد يخلقون أَفعالهم ولا تعلق لها بخلق الله.

٣ ـ الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الخروج على أَئمة الجور إذا قدروا على ذلك.

٤ ـ الوعد والوعيد للطائعين بجنته، والعاصين بخلودهم في ناره بسبب معاصيهم.

٥ ـ المنزلة بين المنزلتين: وهو قولهم بأَن الفاسق والعاصي في الدنيا ليس مؤمناً ولا كافراً، بل يسمونه فاسقاً في منزلة بين منزلة المؤمن، ومنزلة الكافر. قبَّحهم الله.

وهم في الحقيقة في الصفات أَفراخ الجهمية، فبابهم واحد، ولذا أُطلق عليهم =

وكُلُّ أَهلِ هذه المَقالاتِ الثَّلاثِ التي وصَفنا صِفَةَ قَائِليها يَزعمون أَنَّ أَهلَ الكَبائِرِ مِنْ أَهلِ التَّوحِيد مُخلَدُونَ في النَّارِ لا يَخرجُون مِنْها.

(د) وقال آخرون[1]: أَهلُ الكَبائِرِ مِنْ أَهلِ التَّوحِيدِ الذين وَحَّدُوا وصدَّقوا رسولَ الله ﷺ، وأَقرُّوا بِشَرائعِ الإسلامِ مُؤمِنُون بإِيمانِ جِبريلَ ومِيكَائيلَ، وهمْ مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ.

وقالوا: لايضُرهُمْ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ، صَغيرةً كانَتْ أَو كبيرةً، كما لايَنْفَعُ مع الشِّركِ عَملٌ.

قالوا: والوعيدُ إِنَّما هو لأَهلِ الكُفرِ بالله، المُكذِّبين بِما جَاء به

= السلف في هذا الباب الجهمية، وهم يضادونهم في باب القدر، وباب الإيمان هذا، والمعتزلة وإن بادت فرقة، إلاَّ أن لكل قوم وارث، فقد ورث فكرهم أو بعضه فرق كالإمامية الرافضة، والزيدية، والإباضية، ولا أنسى بعض عقلاني هذا الزمن وأمثالهم، كفى الله المسلمين شرهم.

(١) وهم أهل الإرجاء وكانت تقول به الكُرَّامية أتباع محمد بن كرّام السجستاني زاهد جاهل اغْتُرَّ به، مات سنة ٢٥٥ هـ، وهم الذين اشتهر عنهم القول بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، والإيمان عندهم قول باللسان فقط. مع ضلالهم في صفات الله.

ومن المرجئة: الجهمية،وهم المرجئة المحضة، ويقولون: الإيمان هو معرفة الله، والكفر هو الجهل، وعليه: إبليس وفرعون والنمرود مؤمنون كأبي بكر وجبرائيل. ومن المرجئة: الماتريدية والمشهور عن الأشاعرة بأن الإيمان هو تصديق القلب ومعرفته. وقول الماتريدية أثر على فقهاء الأحناف تأثيراً واضحاً، والمرجئة عقيدة داخلت عدة فرق متنازعة في أصولها.

رسُوله ﷺ.

قول أهل السنة في أهل الكبائر ودلائله

٣٤ ـ وقال آخرون: هُمْ مُؤمِنُونَ غير أَنَّهم لَمَّا رَكِبوا مِنْ مَعاصي الله فاجْترحوا الذُّنُوبَ في مَشيئَةِ الله إنْ شَاءَ عفا عنهم بِفَضلِه فأَدخَلهم الجَنَّة، وإنْ شَاء عَاقَبهم بِذُنوبِهم[1]، فإنَّه يُعاقِبهم بِقَدرِ الذَّنْبِ ثمَّ يُخرِجُهم مِنْ النَّارِ بعد التَمحِيصِ فيُدخلهُم الجَنَّةَ[2].

---

(١) وهذا في سائر الذنوب غير الشرك به كما قال تعالى في آيتي النساء: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فكل ما دون الشرك بالله داخل تحت مشيئة الله بنص الآيتين.
ولما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه رضي الله عنهم: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفَّارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله ـ إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك، رواه البخاري في عشرة مواضع أولها في كتاب الإيمان برقم ١٨، ومسلم برقم ١٧٠٩، في الحدود. والنصوص في هذا الباب كثيرة جداً صريحة ومستنبطة في الدلالة على قول المؤلف.

(٢) وهذا مثبت في النصوص الثابتة عن النبي ﷺ من أصح الطرق في الصحيحين وأفرادهما وغيرهما، أن الله يخرج من أهل النار أهل الإيمان والتوحيد ممن في قلبه أدنى أدنى حبة من خردل من إيمان حيث يمحصون من ذنوبهم بها وهو تحقق الوعيد المجمل بلزوم دخول النار أحد من أهل الذنوب ممن توعدهم الله بذلك حتى إذا أخرجهم منها، وقد صاروا حمماً أنبتهم من ماء الحياة، ثم أدخلهم الجنة، ولذا ـ وبالمناسبة ـ أسوق هذا الحديث العظيم المتفق على صحته عند الشيخين: =

= فعن أَبي هريرة قال: قال أُناسٌ: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب». قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأُمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أَنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أَتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أَنا ربكم، فيقولون: أَنت ربنا فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ: فأَكون أَول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أَما رأيتم شوك السعدان». قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان، غير أَنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأَعمالهم، منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل، ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأَراد أَن يخرج من النار من أَراد أَن يخرج، ممن كان يشهد أَن لا إلا إلا الله، أَمر الملائكة أَن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أَن تأكل من ابن آدم أَثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة في حميل السَّيل، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، فيقول: يا رب، قد قشبني ريحها، وأَحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعو الله، فيقول: لعلك إن أَعطيتك أَن تسألني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أَسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة، فيقول: أَليس قد زعمت أَن لا تسأَلني غيره، ويلك ابن آدم ما أَغدرك، فلا يزال يدعو، فيقول: لعلي إن أَعطيتك ذلك تسأَلني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أَسأَلك غيره. فيعطي الله من عهود ومواثيق أَن لا يسأَله غيره، فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أَن يسكت، ثم يقول: رب أَدخلني

١ ـ قالوا: ولا يَجوزُ في عَدْلِهِ أَن يُعاقِبَ عَبدَه على ذُنُوبِهِ، ولا يُجَازيِهِ على طاعَته إيَّاه.

٢ ـ قالوا: بَلْ الذي هو أَولى به الأَخذُ بالصَّفحِ والفَضْلِ عن الجُرمِ.

٣ ـ قالوا: فإنْ هو لَمْ يصفحْ عن الجُرمِ وعَاقبَ عليه، فغَيرُ جَائزٍ أَنْ لا يُثيب على الطَّاعةِ؛ لأَنَّ تركَ الثَّوابِ على الطَّاعةِ مع العِقَابِ على المعصيةِ جَوْرٌ. قالوا :والله عَدْلٌ لا يَجُور وليس ذلك مِنْ صِفَتِهِ.

وقال آخرون فيهم: هم مُسلمون وليسوا بمؤمِنين، لأَنَّ المُؤمِن هوالوَليُّ المُطِيعُ لله.

قالوا: وقوْلُ القائِل: فُلانٌ مُؤمنٌ، مَدحٌ مِنْه لِمنْ وصفهُ.

قالوا: والفَاسِقُ مَذْمُومٌ غَيرُ مَمدُوحٍ، عَدوُ الله لا وليّ له.

الجنة، ثم يقول: أَو ليس قد زعمت أَن لا تسألني غيره، ويلك ياابن آدم ما أَغدرك، فيقول: يا رب لا تجعلني أَشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أَذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل: تمن من كذا، فيتمنى، ثم يقال له: تمن من كذا، فيتمنى، حتى تنقطع به الأَماني، فيقول له: هذا لك ومثله معه». قال أَبو هريرة: وذلك الرجل آخر أَهل الجنة دخولاً.
قال: وأَبو سعيد الخدري جالس مع أَبي هريرة لا يغير عليه شيئاً من حديثه، حتى انتهى إلى قوله: «هذا لك ومثله معه». قال أَبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا لك وعشرة أَمثاله». قال أَبوهريرة حفظت: «مثله معه».

قالوا: فغيرُ جَائزٍ أَنْ يُوصفَ أَعداءُ الله بِصفَةِ أَوليائِه، أَو أَوْلِيَاؤه بصفَةِ أَعدائه.

قالوا: فاسمُه الذي هو اسمُه الفاسقُ الخَبيثُ الرَّديءُ لا المؤمنُ.

قالوا: وتسميته مُسْلِماً باستسلامِه لحُكم الله الذي جعله حُكْمَاً له ولأَمثالِه مِنْ النّاس.

٣٥ ـ قال أَبو جعفر:

والذي نَقُولُ: معنى ذلك أَنَّهم مُؤمِنُون بالله ورَسُولِه، ولا نقول: هُمْ مُؤمِنُون بالإِطلاقِ؛ لِعلَلٍ سَنذكُرها بَعدُ.

ونقول: همْ مُسلمونَ بالإِطلاقِ؛ لأَنَّ الإِسلامَ اسمٌ للخُضوعِ والإِذْعَانِ فكلُّ مُذْعِنٍ لِحُكمِ [الإِسلامِ مِمَّن وَحّد][1] الله وصَدَّق رسولَه ﷺ بِما جَاء به مِنْ عِنده، فهومُسلِمٌ.

ونقول: هم مُسلِمونَ فَسَقةٌ عُصَاةٌ لله ولِرسَولِه. ولا ننزلَهم جَنَّة ولا نَاراً، ولكنَّا نَقُولُ كما قال الله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الله لا يغفر أَن يُشركَ به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

فَنقُول: همْ في مَشيئةِ الله تعالى ذكره، إِنْ شَاءَ أَنْ يُعذبَهم

(١) ما بين معكوفين مكتوب بنفس القلم في الحاشية، ويستلزمها المقام فهي ساقطة من الكتابة، ثم استلحقت في الحاشية، مما يدل على أنها قرئت على أصلها بعد نسخها، والله أعلم.

عذّبهُم وأَدخَلهم النَّارَ بِذنُوبِهم، وإِنْ شَاء عفا عنْهم بِفَضلِه ورحمتهِ فأَدخَلهم الجَنَّةَ، غيرَ أَنَّه إنْ أَدخَلَهم النَّار فعاقبهم بها لَمْ يُخلِّدهمْ فيها، ولكنَّه يُعاقِبهُم فيها بِقَدرِ إجرامِهم، ثُمَّ يُخرجهُم بعد عُقوبَتهِ إِيَّاهُم بِقَدرِ ما استحقوا فيُدخلَهم الجَنَّةَ؛ لأَنَّ الله ـ جَلَّ ثَنَاؤه ـ وَعدَ على الطَّاعَةِ الثَّوَابَ، وأَوعدَ على المَعصِيَةِ العِقَابَ، ووعَد أَنْ يَمحوَ بالحَسنَةِ السَّيِّئَةَ ما لَمْ تكُنْ السَّيِّئَةُ شِرْكاً.

فإِذْا كان ذلك كذلك فَغيرُ جَائِز أَنْ يُبطلَ بِعقَابِ عَبدٍ على مَعْصيتهِ إِيَّاه ثَوابَه على طَاعَتهِ؛ لأَنَّ ذلك مَحوٌ بالسَّيِّئَةِ الحسنة لا بالحَسنَةِ السَّيِّئَةَ، وذلك خلافُ الوَعدِ الذي وعَدَ عِبَاده، وغَيرُ الذي هو به مَوصُوفٌ مِنْ العَدْلِ والفَضْلِ والعفو عن الجُرم.

والعَدْلُ: العِقابُ على الجُرْمِ، والثَّوابُ على الطَّاعَةِ.

فأَمَّا المُؤاخَذةُ على الذَّنْبِ وتركُ الثَّوَابِ والجَزاءِ على الطَّاعَةِ، فلا عدلَ ولا فَضلَ، وليس مِنْ صِفَتهِ أَنْ يَكونَ خَارِجاً مِنْ إِحدى هاتَين الصِّفَتين.

٣٦ ـ وبعد: فَإِنَّ الأَخبـارَ المرويةَ عنْ رَسولِ الله ﷺ متظاهرةٌ بِنَقلِ مَنْ يَمْتَنِعُ في نَقلِه الخطأ والسهوُ والكَذِبُ، ويُوجِبُ نقلُه العَلِم، أَنَّهُ ذكَرَ أَنَّ الله جلَّ ثناؤه يُخرِجُ مِنْ النَّار قَوْماً بعد ما امتَحَشوا

وصاروا حُمَماً[1]؛ بِذنوبٍ كانوا أَصابوهَا في الدُّنيا ثُمَّ يُدخلهم الجَنَّةَ. وأَنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «شفاعتي لأَهلِ الكَبائِرِ مِن أُمَّتي»[2]. وأَنَّه عليه السَّلام يَشفَعُ لأُمَّته إِلى ربِّه ـ عزَّ وجلَّ ذِكرُه ـ

---

(١) معنى حمماً أي فحماً، ويدل لما ذكره الشيخ ابن جرير ما في الصحيحين عن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أَهل الجنة الجنة، وأَهل النار النار يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأَخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حُمماً، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السَّيل، أَو قال حمية السيل، وقال ﷺ أَلم تروا أَنها تخرج صفراء ملتوية». رواه البخاري في كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار رقم ٦١٩٢، ومسلم في الإيمان رقم ١٨٤.

(٢) أَخرجه الإِمام أَحمد ٣/٢١٣، من طريق بسطام بن حريث عن أَشعث الحراني عن أَنس ابن مالك رضي الله عنه مرفوعاً. وأَخرجه أَبو داود من طريق سليمان بن حرب ثنا بسطام به رقم ٤٧٣٩، وأَخرجه الترمذي في جامعه رقم ٢٤٣٦، ثنا محمد بن بشار ثنا أَبو داود الطيالسي عن محمد بن ثابت البناني عن جعفر بن محمد عن أَبيه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعاً به، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث جعفر بن محمد. وانظر : الطيالسي برقم ١٦٦٩، ورواه الطيالسي من وجه آخر برقم ٢٠٢٦، من طريق الحكم عن ثابت به. ومن طريقه أَخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم ١٧٦، وكذا ابن حبان في صحيحه برقم ٢٥٩٦، وأَخرجه ابن أَبي عاصم في السنة من ثلاثة طرق عن أَنس وجابر وابن عمر رضي الله عنهم (٨٣٠ ـ ٨٣٢)، وطريق الأَخير عن شيبان بن فروخ ثنا حرب بن سريح المنقري، ثنا أَيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر قال: مازلنا نمسك عن الاستغفار لأَهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول: «إن الله لا يغفر أَن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» قال: «فإني أَخرت شفاعتي لأَهل =

فيُقالُ: أَخرِجْ مِنْها مِنْهم مَنْ كانَ في قَلبِهِ مِثقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَردَلٍ مِنْ إِيمَانٍ[1]. في نَظائِرَ لِما ذَكرنا مِنْ الأَخْبَارِ التي إنْ لَمْ تَثْبُتْ صِحَّتُها لَمْ يَصح عنه خَبرٌ ﷺ.

□ □ □

= الكبائر من أُمتي يوم القيامة» فأَمسكنا عن كثير مما كان في أَنفسنا. والحديث بالطريق الأولى صحيح فما بالك باجتماعها من أَوجه متعددة. وانظر: مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨١.

(١) وحسبك أَن تنظر إلى آخر كتاب الرقاق من صحيح البخاري، أَو كتاب الإيمان في آخره من صحيح مسلم مع كتابي صفة القيامة ـ وصفة الجنة ـ فضلاً عن غيرهما من كتب السنة لتوقن بهذا الغيب، ولكن الشأن في الانقياد والتسليم والاتباع! فإن الله حرم الخلود في النار لمن في قلبه إيمان وخير. ولكن أوعد بالوعيد المجمل بالنار أهل المعصية، ولابد من تحقق الوعيد المجمل على بعض من أوعدهم الله لا على جميعهم، لأن وعده ووعيده حق وصدق لا يتخلف أبداً.

(في الإرجاء وتعريف الإيمان)

القَوْلُ فِي الاخْتِلَافِ الخَامِسِ

٣٧ ـ قال أبو جعفر:

ثُمَّ كانَ الاختِلَافُ الخَامِسُ وهو الاختِلافُ فيمَنْ يَستحقُّ أَنْ يُسمى مُؤمِناً، وهل يَجوزُ أَنْ يُسمى أَحدٌ مُؤمِناً على الإِطْلاقِ، أَمْ ذلك غيرُ جائزٍ إلَّا موصُولاً بِمشيئَةِ الله جلَّ ثناؤه[1]؟

---

(١) من المناسب القول إن مسائل الإيمان التي وقع النزاع فيها بين الفرق وهي تعريف الإيمان وحده ومن ثم دخول الأعمال فيه وعدمه، وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم أهل الكبائر ومسألة الاستثناء في الإيمان وعدمه ترجع إلى أصل واحد هو: هل الإيمان حقيقة واحدة أو شيء واحدٌ أو أنه يتبعض ويتجزأ.

فقالت الخوارج وجمهور المعتزلة: إن الإيمان حقيقة واحدة فإذا ذهب بعضها ذهب باقي الإيمان. ولذا أوجبوا ذهاب الإيمان عن مرتكب الكبيرة، والقول بعدم زيادته ونقصانه، والحالة هذه.

وضدهم فرق الإرجاء، ومنهم الجهمية، جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لا يتبعض وهو مجرد التصديق بالقلب عندهم، وزيادة اللسان عند أكثرهم عدا الجهمية.

قال شيخ الإسلام في الإيمان ٧/ ٥١٠: «وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه كما قال النبي ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان...» وانظر نحوه في منهاج السنة ٥/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦، =

(أ) فقال بعضُهم: الإيمانُ معرفةٌ بالقَلْبِ وإقرارٌ باللِّسانِ وعَملٌ بالجَوارِحِ. فَمنْ أَتى بِمَعنيين مِنْ هذه المَعاني الثَلاثَةِ ولَمْ يأتْ بالثَّالِث فغيرُ جائزٍ أَنْ يُقال: إِنَّه مُؤمِنٌ، ولكنَّه يُقال له: إِنْ كان اللَّذان أَتى بهما المَعْرِفةُ بالقَلْبِ والإِقرارُ باللِّسان، وهو في العَملِ مُفَرِّطٌ فمُسلمٌ.

ـ وقال آخرون مِنْ أَهلِ هذه المقالة: إذْ كان كذلك فَإِنَّا نقولُ: هو مؤمِنٌ بالله ورسَولِه، ولا نَقولُ: مُؤمنٌ على الإِطلاَقِ.

ـ وقال آخرون مِنْ أَهلِ هَذه المَقَالةِ: إذْ كان كذلك فإِنَّه يُقالُ له: مسلِمٌ، ولا يُقال له مُؤمِنٌ إلاَّ مُقيَّداً بالاستثناء؛ فيُقَال: هو مُؤمِنٌ إن شَاء الله.

= أما أَهل السنة والحديث فيفصلون، حيث الإيمان منه ما إذا زال بعضه زال الإيمان كله، كأُصول الإيمان: من الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله والقدر خيره وشره واليوم الآخر وما هو معلوم من الدِّين بالضرورة. ومنه ما إذا زال زال كمال الإيمان لا أَصله وحقيقته، كزوال شعب الإيمان الأُخرى التى دون الأُصول السالفة الذكر. وأَهل السنة كانوا أَسعد الناس بموافقة النصوص وأَحظاهم بها، لأَنهم داروا مع النص وسلموا وأَذعنوا لما فيه، وعملوا بجميع الأَدلة من الكتاب والسنة حيث وفقوا بين ما قد يظهر منها التعارض، بخلاف أَهل الأَهواء الذين أَخذوا من الأَدلة ما يوافق مذاهبهم وردوا ما يعارضها بنفي أَوتأْويل... فهم كمن آمن ببعض الكتاب وترك بعضاً. والله سبحانه هدى أَهل السنة والجماعة في هذا ـ وبقية أُصول ومسائل العقيدة ـ لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(ب) وقال آخرون: الإِيْمانُ مَعرِفةٌ بالقَلْبِ، وإقرارٌ باللِّسانِ. وليس العَملُ مِنْ الإيمانِ في شَيءٍ؛ لأَنَّ الإيمانَ في كَلامِ العَربِ التَّصْدِيقُ.

قالوا: والعَامِلُ لا يُقَالُ له مُصدِّقٌ، وإنَّما التَّصديقُ بالقَلْبِ واللِّسانِ. قال: فمتى صَدَّقَ بِقَلبِهِ ولِسَانِهِ فهومُؤمِنٌ مُسلِمٌ.

(جـ) وقال آخرون: الإِيمانُ المَعرِفةُ بالقَلْبِ، فمَنْ عَرَفَ الله بِقَلْبِهِ وإنْ جَحَده بِلسانِه وفَرَّطَ في الشَرائِع، فهومُؤمِنٌ.

(د) وقال آخرون: الإيمانُ نَفْسُهُ التَّصديقُ باللِّسان، والإقرَارُ بِدون المعرفةِ والعَملِ. قالوا: لأَنَّ ذلك هو المعروفُ في كَلامِ العَربِ.

١ ـ قالوا: وبعدُ، فإنَّ مَعْـرِفةَ الله ـ جلَّ ثَنَاؤه ـ ليس بِكَسبٍ لِلعَبدِ فيكونَ مِنْ مَعاني الإيمَانِ، والعَمَلُ مِنْ فَرائضِ الله التي شَرعَها لِعبَاده وليس ذلك بِتوحِيدٍ أَيضاً.

٢ ـ قالوا: وإيمَانٌ بلا كَسبِ العَبْدِ مِنْ العَملِ الذي هو تَوحِيدُ الله تعالى ذكره، وإقرارٌ مِنْه بِوَحدانيته ونُبوةِ رسوله ﷺ وما جاءَ به مِنْ شَرائعِ دَيْنِه.

٣ ـ قالوا: فمتى أَتى بذلك فهومُؤمنٌ لا شَكَّ فيه.

٣٨ ـ قال أبو جعفر:

والصّوابُ مِنْ القَوْلِ في ذلك عندنا أَنَّ الإيمانَ اسمٌ للتَّصْدِيقِ كما قالتهُ العَربُ، وجاء به كِتَابُ الله ـ تعالى ذكرُه ـ خَبراً عن إِخْوةِ يُوسُفَ مِنْ قِبْلِهم لأَبيهِم يعقوبَ: ﴿وما أَنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾. بمعنى: ما أَنتَ بِمصَدِّقٍ لنا على قِيلنا[1].

غَير أَنَّ المعنى الذي يَستحِقُّ به اسمَ مُؤمِنٌ بالإطلاقِ، هو الجامِعُ لِمعَاني الإيمان، وذلك أَدَاءُ جَميع فَرائِضِ الله ـ تعالى ذكره ـ مِنْ مَعرفَةٍ وإِقرارٍ وعَملٍ.

وذلك أَنَّ العَارِفَ المُعْتَقِدَ صِحَّةَ ماعرفَ مِنْ تَوحِيدِ الله ـ تعالى ذكره ـ وأَسمائه وصِفاتِه، مُصدِّقٌ لله في خَبرِه عن وَحدانيته وأَسمائه وصِفَاتِه؛ فكذلك العارِفُ بنبوَّة نَبي الله ﷺ، المُعتقدُ صِحَّة ذلك، وصِحَّةَ ما جَاء به مِنْ فَرائِضِ الله.

وذلك أَنَّ مَعارِفَ القُلُوبِ عِنْدنا اكْتِسَابُ العِبَادِ وأَفعَالهم، وكذلك الإِقرارُ باللِّسانِ بعدثُبوتِه، وكذلك العمل بفرَائِضِ الله التي فرَضَها على عباده، تَصدِيقٌ مِنْ العَامِلِ بِعَملِه ذلك لله ـ جلَّ ثناؤه ـ،

---

(١) وهكذا نص عليها في تفسير آية سورة يوسف ١٢/ ٩٧، ولا يفهم من أَن لفظة الإيمان مرادفة للفظة التصديق في اللغة، وذلك أَن لفظ الإيمان في اللغة تشمل التصديق وزيادة بإقرار واعتراف ونحوه. وانظر الإيمان الكبير لشيخ الإسلام ضمــن مجموع الفتاوى ٧/ ١١٦ ـ ١١٧، ١٧٩ وما بعدها.

ورسَولِه ﷺ.

كما إقرَارُه بوُجوبِ فَرضِ ذلك عليه، تَصْدِيقٌ مِنْه لله ورسولِه بإقرَارِه أَنَّ ذلك له لاَزمٌ فإذْ كُلُّ هذه المعَاني يستحقُّ على كُلِّ وَاحدٍ مِنْهما على انْفِرَادِهِ اسمَ إيمَانٍ.

وكان العبدُمأموراً بالقيامِ بجَميعِها كما هو مَأْمُورٌ بِبعْضها، وإنْ كانَتْ العُقُوبَةُ على تَضييعِ بعضِها أَغلَظُ، وفي تَضييع بَعْضِها أَخفُّ، كان بَيّناً أَنَّه غَيرُ جَائزٍ تَسمِيةُ أَحدٍ مُؤمناً ووصْفه به مُطلقاً مِنْ غيرِ وصلٍ إلاَّ لِمَنْ اسْتَكملَ معاني التَّصدِيقِ الذي هو جِماعُ أَداءِ جَمِيعِ فَرائِضِ الله.

كما أَنَّ العَلِمَ الذي يأتي مُطلَقاً هو العلْمُ بما ينوب أَمرَ الدِّينِ.

فلو أَنَّ قَائِلاً قال لرِجَلٍ عَرفَ مِنْه نَوْعاً، وذلك كَرجلٍ كان عَالماً بأَحكامِ المواريثِ دون سَائرِعُلومِ الدين، فذكره ذَاكرٌعِنْد مَنْ يَعتقدُ أَنَّ اسمَ عَالم لايلْزمُه بالإطلاق في أَمرِ الدِّينِ إلاَّ مَنْ قُلنا: إنّه يَلْزمُه، فقال: فُلانٌ عَالِمٌ بالإطلاقِ ولَمْ يَصلْهُ، فيُقالُ: فُلانٌ عَالِمٌ بالفرَائضِ أَو بأَحكَامِ المواريثِ، كان قَدْ أَخطأَ في العِبَارةِ وأَساءَ في المَقالةِ؛ لأَنَّه وَضعَ اسمَ العُمومِ على خَاصٍّ عندَ مَنْ لا يَعلمُ مُرَادَه، إنْ كان قَائلُ ذلك أَرادَ الخُصوصَ.

وإنْ كان أَرادَ العُمومَ وهو يعلمُ أَنَّ هذا الاسمَ لا يَستحِقُّ إلاَّ مَنْ =

كان جَامِعاً علمَ جَمِيعِ ما يَنُوبُ أَمرَ الدِّينِ فَقدْ كَذبَ.

٣٩ ـ **وكذلك القائلُ** ـ لِمَنْ لَمْ يكنْ جَامعاً أَدَاءَ جَمِيعِ فَرائضِ اللهِ ـ عَزَّ ذِكرُه ـ مِنْ مَعْرِفَةٍ وإقرَارٍ وعَملٍ ـ: هو مُؤْمِنٌ، إِمَّا كَاذِبٌ، وإِمَّا مُخْطِئٌ في العبَارةِ، مُسيءٌ في المَقَالةِ، إِذَا لَمْ يَصِلْ قِيلَه: هو مُؤْمِنٌ بِما هو به مُؤمِنٌ، لأَنَّ وَصفَنَا مَنْ وصَفنَا بهذه الصِفَةِ، وتَسْمِيتُنَاهُ هذه التَسْمِية بالإِطلاَقِ إِنَّما هو للمعَاني الثَّلاثَة التي قَدْ ذَكرنَاها.

فمَنْ لَمْ يكُنْ جامِعاً ذلك فإِنَّما له ذلك الاسمُ بالخُصُوصِ؛ فَغيرُ جَائِزٍ وَصفُ مَنْ كان له مِنْ صِفاتِ الإيمَانِ خَاصٌّ، ومِنْ أَسمائه بَعضٌ بِصِيغَةِ العُمُومِ، وتَسْمِيتُه باسمِ الكُلِّ، ولكنَّ الوَاجِبَ أَنْ يَصلَ الوَاصِفُ إِذا وصَفَ بذلك أَنْ يقولَ له ـ إِذا عَرفَ وأَقرَّ وفَرَّطَ في العَملِ ـ هو مُؤمِنٌ بالله ورَسُولِه، فإِذَا أَقرَّ بعدَ المَعْرِفةِ بلسانِه وصَدَّقَ وعَمِلَ ولَمْ تَظْهر مِنْه مُوبِقَةٌ ولَمْ تُعرَفْ مِنْه إِلاَّ المُحَافَظَةُ على أَدَاءِ الفَرائِضِ. قِيلَ: هو مُؤمِنٌ إِنْ شَاء الله.

وإِنَّما وصَلْنا تَسْمِيتُنا إِيَّاه بذلك بِقَوْلِنا إِنْ شَاءَ الله؛ لأَنَّا لاَنَدْرِي هلُ هو مُؤمنٌ ضَيَّعَ شَيئاً مِنْ فَرَائِضِ الله عَزَّ ذِكرُه ـ أَمْ لا؛ بلْ سُكوْنُ قُلوبِنَا إِلى أَنَّه لايخلو مِنْ تَضييعِ ذلك أَقربُ مِنْها إِلى اليَقِينِ، فإِنَّه غَيرُ مُضيِّعٍ شَيئاً مِنها ولا مُفَرِّطٍ؛ فلذلك مَنْ وصَفنَاه بالإِيمَانِ بِالمَشيئةِ إِذْ كان الاسمُ المُطْلَقُ مِنْ أَسماءِ الإيمانِ إِنَّما هو الكَمالُ،

فَمنْ لَمْ يَكُنْ مُكمّلاً جَمِيعَ مَعَانِيه ـ والأَغلبُ عِندنا أَنَّه لايُكمِّلُها أَحدٌ ـ لَمْ يَكنْ مُستحقًّا اسمَ ذلك بالإِطلاَقِ والعُمُومِ الذي هو اسمُ الكَمَالِ؛ لأَنَّ النَّاقِصَ غيرُ جَائِزٍ تَسْمِيتُه بالكَمَالِ، ولا البَعْضُ باسمِ التَّامِّ، ولا الجُزْءُ باسمِ الكُلِّ.

□ □ □

(زيادة الإيمان ونقصانه)

(القَولُ في الاختِلَافِ السَّادِس)

٤٠ ـ قال أبو جعفر:

ثُمَّ كان الاخْتِلافُ السَّادِس. وذلك الاخْتِلافُ في زِيَادَةِ الإيمَانِ ونُقْصَانِهِ[١].

(أ) فقال بعضُهم: الإيْمَانُ يَزيدُ ويَنْقُص، وزِيَادته بالطَّاعةِ، ونُقْصَانه بِالمَعصِيةِ[٢].

---

(١) قال ابن جرير في عقيدته: «وأَما القول في الإيمان هل هو قول وعمل؟ وهل يزيد وينقص؟ أم لا زيادة ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل، ويزيد وينقص. وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل، ثم ذكر بإسناده عن عمر بن حبيب رحمه الله قوله: الإيمان يزيد وينقص. فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبَّحناه فتلك زيادته. وإذا غفلنا وعصينا ونسينا، فذلك نقصانه.

(٢) وهذا هو قول أَهل السنة والجماعة الذي رجحه ابن جرير في آخر هذا البحث، وقد كان الأَئمة من السلف يقولون: الإيمان: قول باللسان وعمل بالأَركان واعتقاد بالجنان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان. حيث يدمجون حد الإيمان مع أَثره على الأَعمال، وإنَّما فرق بينهما من بعدهم وهو تفريق اصطلاحي ليس إلَّا.
يدل عليه قوله تعالى: ﴿إنَّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ من أَول الأَنفال. وقوله =

قالوا: وإنَّما جَازَتْ الزِيَادَةُ والنُقْصَانُ عليه؛ لأَنَّه مَعْرِفةٌ وقَوْلٌ وعَملٌ؛ فالنَّاسُ متفَاضِلُون بالأَعْمَالِ. فأَكثرُهم له طَاعةً أَكثرُهم إيْماناً، وأَقَلُّهم طَاعَة أَقَلُّهم إيْمَاناً.

(ب) وقال آخَرون: يَزِيدُ ولا يَنْقُص[1].

= أَيضاً: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ من سورة المدثِّر. وللحديث المتفق عليه عن أَبي هريرة مرفوعاً: «الإيمان بضع وستون ـ أَو وسبعون ـ شعبة» الحديث، ولحديث الشفاعة السابق في إخراج من في قلبه أَدنى مثقال من خردل من إيمان. وما زاد شيء إلاَّ جاز عليه النقصان ولهذا روى اللالكائي بسنده الصحيح عن الإمام البخاري أنه قال: لقيت أكثر من أَلف رجل من العلماء في الأَمصار فما رأيت أَحداً منهم يختلف في أَن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

(١) هذه المقالة بما جاء بعدها من حيثيات هي قول الخوارج ومنهم الأَباضية وقول المعتزلة، إذ نفوا نقص الإيمان لأَنه لا يتبعض عندهم، ونقصه ذهابه جميعه. وجوَّزوا الزيادة، وذلك من جهة اختلاف الناس في وجوب التكاليف على بعضهم في أَوقات دون بعض، كما مثل ابن جرير.

وانظره في جامع البسيوي الإباضي ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٩، ومشارق أَنوار العقول للسالمي الإباضي ١/ ٣١٢، وانظره عند المعتزلة في متشابه القرآن للقاضي المعتزلي عبدالجبار الهمذاني ١/ ٣١٢.

وأَما ما يُروى عن إمام دار الهجرة مالك بن أَنس من القول بزيادته والتوقف في نقصانه، فلم يقصده ابن جرير في هذا القول.

وهذه الرواية عن الإمام مالك رواها عنه تلميذه ابن القاسم، وغاية مافيها التوقف في شأن نقص الإيمان، والتصريح بزيادته.

ولذا كانت الروايات المشهورة عنه تُصرِّح بزيادة الإيمان، وكذا بنقصانه، كما في روايات عبدالرزاق الصنعاني، ومعمر بن عيسى وابن نافع وابن وهب عنه. =

وقالوا: زِيَادَتُه الفَرَائِض. وذلك أَنَّ العَبدَ في أَولِ حَالٍ تَلْزَمُه[1] الفرَائِضُ، إِنَّما يَلْزَمُه الإقرَارُ بِتَوحيدِ الله ـ جَلَّ ثَنَاؤه ـ دون غَيرِه مِنْ الأَعمَالِ، وذلك بُلوغ نَوْعٍ مِنْ أَنوَاعِ الإيْمَان. ثُمَّ فُرِضَ الطَّهارةُ للصَّلاةِ،والغُسْلُ مِنْ جَنَابةٍ إِنْ كان أَجنَبَ مِثلَ ذلك.

ثُمَّ الصَّلاةُ ثُمَّ كذلك سائِرُ الفَرَائِضِ إِنَّما يَلْزَمُه كُلُّ فَرضٍ مِنْها

= وانظرها في التمهيد لابن عبدالبر ٩/ ٢٥٢، والسنة لعبدالله بن أحمد ٨٧، والشريعة للآجري ١١٧، وشرح السنة للالكائي ١/ ٩٥٧، وشرح النووي على مسلم ١/ ١٤٦.

ولذا اعتذر العلماء عن تلك الروايةعن الإمام مالك بعدة أُمور:

١ ـ أَن لفظ الزيادة ورد في النصوص، دون لفظ النقصان فلم يقل به. وقاله ابن تيمية.

٢ ـ أَنه خشي من القول بالنقصان فيكون بذلك شكًّا مخرجاً عن اسم الإيمان، أَو يكون القول بالنقصان مُتأولاً لقول الخوارج فيه، وحكاهما النووي.

٣ ـ ربما كان هذا القول قولاً قديماً منه رحمه الله رجع عنه لما تأمل في النصوص.

٤ ـ وربما هو وهم من ناقليه، إذ يعرض للمدرس في درسه توقف في مسائل لا لعدم الجواب عنده، بل ربما للتأمل في عارض عرض له في خاطره ونحو ذلك.

وبالجملة فرواية التوقف في النقصان محل عدة احتمالات وهي رواية واحد، أَما التصريح بنقصانها فعليها العمل ودافعة لما يردها من التأويل، وقد رواها عدد من تلاميذه. فهي المعتمدة في قوله في الموضوع، والله أَعلم.

(١) جاءت كلمة تلزمه مكررة في الأَصل وهو خطأ.

بِمجيءِ وَقْتِهِ.

قالوا: وإِنَّما يَزْدَادُ إِيمَانُه وفَرَائِضُه بِمَجيءِ أَوقَاتِها ولا يَنْتَقِصُ.

قالوا: فلا معنى لقَوْلِ القَائلِ: الإِيْمَانُ يَنْقصُ؛ لأَنَّه لا يَسقطُ عنه فَرْضٌ لَزِمه بعد لُزومِهِ إِيَّاه وهو بالحَالِ التي لَزِمَه فيها إِلاَّ بأَدائِهِ.

قالوا: فالزِيَادَةُ مَعْرُوفةٌ، ولا يُعرفُ نُقْصَانُه.

(جـ) وقال آخرون: الإِيْمَانُ لا يَزِيدُ ولا يَنْقُص[1].

وذلك أَنَّ الإِيْمَانَ: مَعرِفةُ الله وتَوحيدُه والإِقرَارُ بذلك بعدَ المَعْرِفةِ وبِما فَرَض عليه مِنْ فَرائضِه.

أ ـ قالوا: والجَهلُ بذلك وجُحُودُ شَيءٍ مِنْه كُفرٌ، فلا وَجهَ لِلزِّيَادَةِ فيما لا يكونُ إِيماناً إِلاَّ بِتَمامِه وكَمالِه، ولا للنُّقصَانِ فيما النُّقصَانُ عنه كُفرٌ.

ب ـ قالوا: فَقوْلُ القَائِل: الإِيمانُ يَزِيدُ ويَنْقُص كُفْرٌ وجَهْلٌ لما وَصَفنا.

٤١ ـ قال أَبو جَعْفَر:

والحَقُّ في ذلك عِندنا أَن يُقال: الإِيْمَانُ يَزيدُ ويَنْتَقِصُ، لما وصَفنا قَبْلُ مِنْ أَنَّه معرِفةٌ وقَوْلٌ وعَملٌ. وأَنَّ جميعَ فَرائِض الله تعالى

---

(١) وهذا هو قول المرجئة المحضة وهم الجهمية. وهو قول باقي طوائف المرجئة من جمهور الأشاعرة والماتريدية، وهو قول مرجئة الفقهاء من وجه.

ذِكره التي فَرَضها على عِبَادِه مِنْ المَعانِي التي لايكونُ العَبْدُ مُستَحِقًّا اسمَ مُؤمِنٍ بالإِطْلاَقِ إلاَّ بأَدَائها.

وإذا كان ذلك كذلك، وكان لاشَكَّ أَنَّ النَّاسَ مُتفَاضِلون في الأَعْمَال، مُقصِّرٌ وآخرمُقْتَصِد مُجْتَهِد ومَنْ هو أَشدُّ مِنْه اجتِهاداً، كان مَعلوماً أَنَّ المُقَصِّر أَنْقَصُ إيمَاناً مِنْ المُقْتَصِد، وأَنَّ المُقتَصِدَ أَزيَدُ مِنْه إيمَاناً، وأَنَّ المُجتَهِدَ أَزيدُ إيمَاناً مِنْ المُقتَصِدِ والمُقصِّرِ، وأَنَّهُما أَنقصُ مِنْه إيمَاناً[1]؛ إذ كان جَميعُ فَرائِضِ الله كما قُلْنا قَبْلُ.

فكُلُّ عَامِلٍ فَمقَصِّرٍ عن الكمالِ، فلا أَحَد إلاَّ وهو نَاقِصُ الإيمَانِ غيرُ كَامِله؛ لأَنَّه لو كَمُلَ لأَحدٍ مِنهم كَمالاً تَجوزُ له الشَّهَادَةُ به، لجازَتْ الشَّهادَةُ له بالجَنَّةِ؛ لأَنَّ مَنْ أَدَّى جَميعَ فَرائِضِ الله فلَمْ يَبْقَ عليه مِنْها شَيءٌ، واجتَنَب جَميعَ مَعاصِيهِ فَلَمْ يَأتِ مِنْها شَيئاً ثُمَّ مات على ذلك، فلا شَكَّ أَنَّه مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ. ولذلك قال عبدُ الله ابنُ مَسعودٍ في الذي قِيل له: إنَّه قال: إنِّي مُؤمِنٌ ـ أَلا قال: إنِّي مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ.

لأَنَّ اسم الإيمَانِ بالإِطْلاقِ إنَّما هو لِلكَمالِ. ومن كان كَاملاً

---

(١) وانظر البحث من وجه آخر في تفسير هذه الآية من سورةفاطر: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ من تفسير جامع البيان ٢٢/٨٨ ـ ٩١.

كان مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ، غَيرَ أَنَّ إِيْمانَ بَعضِهم أَزيَدُ مِنْ إِيْمَانِ بَعْضٍ، وإِيْمَانُ بَعْضٍ أَنقَصُ مِنْ إِيْمَانِ بَعْض؛ فالزِّيَادَةُ فِيه بِزيَادَةِ العَبْدِ بِالقِيامِ باللَّازِمِ له مِنْ ذلك.

قال أَبو جَعْفر:

وقَد دَلَّلْنَا على خَطأ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الإِيْمَانَ: مَعْرِفَةٌ وإِقْرَارٌ دونَ العَمَلِ، وعلى فَسادِ قَوْلِ الزَّاعِمِ أَنَّه المَعْرِفَةُ دون الإِقْرَارِ والعَمَلِ، وقَوْلِ الزَّاعِمِ أَنَّه الإِقْرَارُ دون المَعْرِفَةِ والعَمَل، بما أَغنى عن تكرَاره في هذا المَوْضِع.

وفي فَسادِ ذلك القَوْلِ فَسادُ عِلَّةِ الزَّاعمين أَنَّه لايَجوزُ الزِّيادَةُ والنُّقْصَانُ في الإِيْمَانِ، وصِحَّةُ القَوْلِ الذي اخْتَرناه.

القَوْلُ فِي الاخْتِلَافِ فِي أَمرِ القُرآنِ[1]

٤٢ ـ قال أَبو جَعْفَر:

ثم كان الاخْتِلافُ الحَادِثُ بعدَ ذلك في أَمرِ القُرآنِ[2].

---

(١) هذه المسألة أعظم ما وقع للمسلمين بعد عصور التابعين من المصائب في عقيدتهم حيث تولى كبر هذا الأمر نفاة صفات الباري سبحانه الذين نفوا أن يكون الله قد اتخذ إبراهيم خليلاً، أو كلم موسى تكليماً، حيث استعان أُولئك بقوة السلطان في حمل الناس على نفي كلام الله، والقول بأن القرآن وسائر كلام الله في كتبه أنها مخلوقة، ولهذا وقف الإمام أحمد في مقدمة المنافحين في وجه هؤلاء الجهمية المعطلة فكفروا القائلين بخلق القرآن، حتى امتلأت كتب أُصول السنة بهذا، وحتى تقلد تكفير الجهمية خمسون في عشر من العلماء في البلدان، وتعددت أقوال الطوائف إلى تسعة أقوال ذكرها شارح الطحاوية وابن القيم في الصواعق، فالقائلون مخلوق هم الجهمية والمعتزلة، والذين قالوا لا يقال مخلوق ولا غير مخلوق هم الواقفة وهم شرٌّ من الأُولى. وأَهل السنة وسط كما اختاره ابن جرير.

(٢) قال في عقيدته : «فأول ما ابتدأ بالقول فيه من ذلك عندنا القرآن: أنه كلام الله وتنزيله إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا أن كلام الله غير مخلوق، كيف كُتب، وكيف تُلي، وفي أي موضع قُرِىء، وفي السماء وُجد، وفي الأرض حُفظ في اللوح المحفوظ أو في القلب حفظ، وباللسان لفظ. فمن خال غير ذلك، أو ادَّعى أن قرآناً في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد ذلك بقلبه، أو أضمره في نفسه أو قاله بلسانه فهو بالله كافر، حلال الدم والمال، بريءٌ من =

(أ) فقال بَعْضُهم: هو مَخلُوقٌ.

(ب) وقال آخرون: ليس بِمَخلوقٍ ولا خَالِقٍ.

(جـ) وقال آخرون: لا يَجوزُ أَنْ يُقَالَ: هو مَخْلُوقٌ ولا غَيْرُ مَخلُوقٍ.

قال أَبو جَعْفر:

والصَّوَابُ في ذلك مِنْ القَوْلِ عِنْدَنا قَوْلُ مَنْ قَال: ليسَ بِخَالِقٍ ولا مَخلُوقٍ؛ لأَنَّ الكَلامَ لا يجوزُ أَنْ يكونَ كَلاماً إلَّا لِمتَكَلِّمٍ؟

لأَنَّه ليسَ بِجِسْمٍ فيقوم بِذَاتِه قِيامَ الأَجْسَامِ بأَنفُسِها.

فَمعْلُومٌ إِذْ كان ذلك كذلك أَنَّه غَيرُ جَائِزٍ أَنْ يكونَ خَالقاً؛ بل الوَاجِبُ إِذْ كان ذلك كذلك أَنْ يكونَ كلاماً للخَالِق، وإِذْ كان كلاماً للخَالِق، وبَطلَ أَن يكون خَالِقاً، لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكونَ مَخلُوقاً؛ لأَنَّه لايقومُ بِذاتِه وأَنَّه صِفةٌ والصِّفَات لا تَقومُ بأَنْفُسها، وإِنَّما تَقومُ بالموصُوف بها، كالأَلوانِ والطُعُومِ والأَرايِيح والشَّمِّ، لا يقوم شيءٌ مِنْ ذلك بِذَاتِه ونَفْسِه، وإِنَّما يقومُ بالمَوْصوفِ به.

فكذلك الكلامُ صِفةٌ من الصِّفَات لا تَقومُ إلَّا بالمَوصُوفِ بها.

وإِذْ كان ذلك كذلك صَحَّ أَنَّه غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يكونَ صِفَةَ

= الله، والله بريء منه، يقول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ وقال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾...» اهـ.

للمَخلُوقِ والمَوصُوفُ بها الخَالِقُ؛ لأَنَّه لو جَاز أَنْ يكونَ صِفةً لِمَخلُوقٍ والمَوصُوفُ بها الخالقُ، جاز أَنْ يكونَ كُلُّ صِفةٍ لِمَخلوقٍ فَالمَوْصوفُ بها الخَالِقُ، فيكونَ إِذْ كانَ المَخْلُوقُ مَوْصُوفاً بالأَلوانِ والطُّعومِ والأَراييحِ والشَّمِّ والحَركةِ والسُّكونِ أنْ يكونَ المَوصُوفُ بالأَلوَانِ وسَائر الصِّفَاتِ التي ذكرنا الخَالقَ دون المَخلُوق، في اجْتِمَاعِ جَميعِ المُوحِّدين مِنْ أَهلِ القِبْلةِ وغَيرِهم على فَسادِ هذا القَوْلِ ما يُوضِّح فَسَاد القَوْلِ بأَنْ يكونَ الكَلامُ الذي هو مَوصُوفٌ به ربُّ العِزَّةِ كَلاماً لِغَيره.

فإِذا فَسد ذلك وصحَّ أَنَّه كلامٌ له، وكان قد تبين ما أَوضَحنا قَبْلُ أَنَّ الكلامَ صِفَةٌ لا تَقومُ إلَّا بالمَوصُوفِ بما صحَّ أَنَّه صِفَةٌ للخَالِق. وإِذْ كان ذلك كذلك صَحَّ أَنَّه غَيرُ مَخلُوق.

إلزام للجهمية من طريق النظر والمثل على إثبات الصفات

٤٣ ـ ومَنْ أَبَى ما قُلْنا في ذلك قِيلَ له: أَخبرنا عن الكَلامِ الذي وصَفتْ أَنَّ القديمَ به مُتكَلِمٌ مَخلُوقٌ، أَخلقَه إِذْ كان عنده مَخلُوقاً في ذَاتِه، أَم في غَيرِه، أَمْ قَائِمٌ بِنفسِه؟

* فإِنْ زعم خلْقه في ذَاتِه، فقد أَوجبَ أَنْ تكونَ ذَاتُه مَحلاً للخَلق، وذلك عند الجَميع كُفرٌ.

* وإِنْ زَعَم أَنَّه خَلقَه قَائمٌ بِنَفسه.

قِيل له: أَفَيجوزُ أَنْ يَخلُقَ لَوْناً قَائماً بِنَفسِه وطعماً وذَوَاقاً[1]؟

فإن قال: لا، قيل له: فما الفَرقُ بينك وبين مَنْ أَجازَ ما أَبيتَ مِنْ قيام الأَلوانِ والطُّعُوم بأَنفسها، وأَنكرَ ما أَجزتَ مِنْ قِيَامِ الكَلامِ بِنَفسِه؟!

ثُمَّ يُسأَلُ الفَرقَ بين ذلك، ولا فَرق.

وإِنْ قَال: بَلْ خَلَقَه قَائماً بِغَيرِه. قيل له: فَخلقهُ قائمٌ بِغيره وهو صِفةٌ له؟! فإِنْ قال: بلى.

قيل له: أَفيَجُوزُ أَنْ يَخلقَ لَوناً في غَيرِه فيكونَ هو المُتلَونُ، كما خلق كَلاماً في غيرِه، فكان هو المُتَكلِّمُ به. وكذلك يَخلُق حركةً في غَيرِه فيكونَ هو المُتَحركُ بها.

فإِنْ أَبى ذلك سُئِلَ الفَرقَ.

وإِنْ أَجَاز ذلك أَوجبَ أَنْ يكونَ ـ تعالى ذكره ـ إِذا خَلَق حركةً في غَيرِه فهو المُتَحركُ. وإِذا خَلق لَوْناً في غَيرِه فهو المُتلَونُ به. وذلك عندنا وعندهم كُفرٌ وجَهْلٌ.

وفي فَسادِ هذه المعاني التي وصفنا الدَّلالةُ الوَاضحةُ إِذْ كان لا وَجه لخلق الأَشياء إِلاَّ بعضُ هذه الوُجوه، صَحَّ أَنَّ كَلاَم الله صفةٌ له، غير خَالق ولا مَخلُوقٍ. وأَنَّ معاني الخَلْقِ عنه مَنفيَّةٌ.

---

(١) قال في القاموس في مادة ذوق: ذاقه ذوقاً وذواقاً ومذاقاً ومذاقة: اختبر طعمه. وانظر اللسان.

القَوْلُ فِي الاخْتِلَافِ فِي عَذَابِ القَبْرِ

٤٤ ـ قال أَبو جَعْفر:

ثمّ كان الاخْتِلافُ بعد ذلك في أَلْفَاظِ العِبَاد بالقُرآن[١].

---

(١) هذه المسألة من آثار مسألة خلق القرآن، فكانت المعتزلة الجهمية تصرح بأَن القرآن مخلوق، والأَلفاظ به مخلوقة، وأَن الله خلق القرآن في غيره جبرائيل أَو محمد ﷺ، وكان المتسترون منهم زمن الإمام أَحمد يقولون: أَلفاظنا بالقرآن مخلوقة، ويقصدون بنفس المقروء المتلو وهو القرآن، ولذا بدَّعهم الإمام أَحمد وجعلهم من الجهمية، بل قال: من لم يقل القرآن كلام الله غير مخلوق فهوكافر، ثم قال: لا تشكن في كفرهم، فإِنَّ من لم يقل القرآن كلام الله غير مخلوق فهو كافر. اهـ. وانظر: مناقب الإمام أَحمد لابن الجوزي نقل ذلك بسنده في ص١٥٧ وما بعدها.

ثم صار المختار عند جماهير أَهل السنة والجماعة أَن أَلفاظ العباد بالقرآن مخلوقة أي حركة أَلسنتهم وشفاههم والغنة في الخياشيم... وصرَّح بذلك الإمام البخاري في كتابه: خلق أَفعال العباد، وهو ظاهر كلام الإمام أَحمد فيما رواه عنه فوران لما سأله في الفرق بين اللفظ والمحكي، فقال: القرآن كيف تصرف في أَقواله وأَفعاله فغير مخلوق، فأَما أَفعالنا فمخلوقة، وانظرها في سير أَعلام النبلاء مسندة في ١١/ ٢٩١.

وكذا ما رواه تلميذه إبراهيم الحربي، قال: كنت جالساً عند أَحمد بن حنبل فجاءه رجل فقال: يا أَبا عبدالله. إن عندنا قوماً يقولون: إن أَلفاظهم بالقرآن مخلوقة. فقال أَحمد ابن حنبل: يتوجه العبد بالقرآن إلى الله لخمسة أَوجه كلها غير مخلوقة: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذان، ونظر ببصر، وخط بيد. =

وقد بيَّنّا ذلك فيما مَضى مِنْ كِتَابنا هذا.

واخْتُلِفَ في عَذَابِ القبرِ، وهل يُعذبُ الله تعالى أَحداً في قَبْره أو يُنعِّمه فيه؟

(أ) فقال قومٌ: جَائزٌ أَن يكون الله جلَّ ذكرُه يُعذِّبُ في القَبْرِ مَنْ شَاء مِنْ أَعدائه وأَهل معصيتِه[1].

= فالقلب مخلوق، والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة، والمتلو غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق... انظر رسالة في أن القرآن غير مخلوق لإبراهيم الحربي. وقد بسط الكلام في هذا الموضوع ابن القيم فانظر في مختصر الصواعق المرسلة ص٤١٦ ـ ٤٣٠.

والنظر يقتضي ذلك، إذ أَفعال الناس من خلقهم وصنعهم، وهم مخلوقون أَصلاً فما صدر عن مخلوق فهو كذلك. ففعلهم وحركاتهم مخلوقة دون ذلك المقروء أَو المسموع أَو المكتوب فليس من فعلهم، أَلا تراهم يقرأون الحديث والرسائل فتضاف إليهم قراءتهم التي من خلقهم دون خلق الحديث أو الرسائل فخلقها مضاف لمنشئها وهو الرسول ﷺ وكاتب الرسالة، كما يقرأون القصائد وغيرها ولا يقال إنهم خلقوها، بل لاتنسب لهم أصلاً إلاَّ نسبة القارىء إلى الحافظ،وهذه القصائد والمقروءات تضاف إلى قائلها أولاً، وإن كان قد بلي من الجاهلين ونحوهم، ولا يقول عاقل أن هذا القارىء هو الذي خلق هذه القصيدة أو الذي أنشأها أو الذي تكلم بها ابتداءً.. فإذا كان هذا كلام البشر فكيف بكلام الله تعالى خالق البشر.

(١) وظاهر تفريق الإمام ابن جرير بين هذه الأَقوال الثلاثة. أَن هذا القول مفهومه جواز العذاب والنعيم في القبر عقلاً وعدم إحالته. أَما إثباته فأَمر آخر، والظاهر لي أَنه قول طائفة من المعتزلة. وانظر مقالات الإسلاميين ٢/ ١١٦. والفصل لابن حزم ٤/ ٥٥ ـ ٥٦، وأُصول الدين للبغدادي ٢٤٥ ـ ٢٤٦، ومفصل الاعتقاد من مجموع الفتاوى ٤/ ١٨٣ ومابعدها.

(ب) وقال آخَرُون: بلْ ذلك كَائنٌ لا مَحَالة؛ لِتَوَاتِرِ الأَخْبارِ عن رَسولِ الله ﷺ بأَنَّ الله ـ جلَّ جلاله ـ يُعذِّبُ قَوْماً في قُبورِهم بعد مَماتهم[1].

(جـ) وقال آخرون[2]: ذلك مِنْ المُحال ومِنْ القَوْلِ خطأٌ. وذلك أَنَّ المَيِّت قد فَارقهُ الرُّوحُ، وزَايلتهُ المَعْرِفةُ. فلو كان يأَلمُ ويَنعمُ لكان حيًّا لا ميتاً. والفرقُ بين الحَيِّ والمَيِّت الحِسُّ، فمَنْ كان يُحسُّ الأَشيَاءَ فهو حَيٌّ، ومَنْ كان لا يُحسُّها فهو مَيِّتٌ.

قالوا: ومُحالٌ اجْتِمَاعُ الحِسِّ وفَقدِ الحِسِّ في جِسمٍ وَاحِدٍ،

---

(١) هو قول أَهل السنة والجماعة وجماهير أَهل الإسلام. ويستدل له ابن جرير بعد قليل. ومن دلائله من القرآن الكريم عدة آيات منها قوله تعالى في سورة الأَنعام: ﴿... ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أَيديهم أَخرجوا أَنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ وقوله تعالى عن المنافقين: ﴿وممن حولكم من الأَعراب منافقون ومن أَهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين، ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾. وقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾. وقال عن عذاب قوم فرعون في سورة غافر: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أَدخلوا آل فرعون أَشد العذاب﴾. في غيرها من الآيات فضلاً عن الأَحاديث النبوية التي تواترت لفظاً ومعنى من هذا مما سيسوق المؤلف بعضها.

(٢) هو قول جمهور المعتزلة والخوارج، وكذا قول الفلاسفة ونحوهم.

فلذلك كان عندهم مُحَالاً أَنْ يُعذبَ الميِّتُ في قَبْرِهِ.

قال أبو جعفر:

والحقُّ في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأَخبارُ عن رسول الله ﷺ أَنَّه قال: «استَعِيذُوا بالله مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فإنَّ عذَابَ القَبْرِ حقٌّ»[1].

---

(١) أَخرجه بهذا اللفظ الإمام أَحمد في مسنده ٦/ ٨١، قال: ثنا هشام ثنا إِسحاق ابن سعيد ثنا سعيد بن عمرو بن سعيد الأَموي عن عائشة رضي الله عنها أَن يهودية كانت تخدمها، فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إِلاَّ قالت اليهودية: وقاك الله من عذاب القبر، فسأَلت رسول الله ﷺ هل للقبر عذاب؟ قال: «كذبت يهود لا عذاب دون يوم القيامة». ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أَن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار وهو ينادي بأَعلى صوته: «أَيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق».
وأول الحديث عند أبي داود في سننه رقم ٤٧٥٣، عن البراء بن عازب من حديثه الطويل، وعند الترمذي برقم ٣٦٠٤، من حديث أَبي هريرة، بل حديث أَبي هريرة هذا في الصحيحين من دعائه عليه السلام: «اللهم إني أَعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال».
وحديث عائشة أَصله في الصحيحين عنها، وفيه أَنها سأَلت الرسول عن قول اليهودية فقال عليه السلام: «نعم عذاب القبر حق»، قالت عائشة: فما رأَيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلاَّ تعوذ بالله من عذاب القبر.
أَخرجه البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر برقم ١٣٠٦. وأَخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ـ باب استحباب التعوذ من عذاب القبر برقم ٥٨٦.

٤٥ ـ ويُقَالُ لِمَنْ أَنكرَ ذلــك: أَتُجِيزُون أَنْ يُحدث الله حَياةً في جسْمٍ ويُعدمَهُ الحِسَّ؟

مناقشة لنفاة عذاب القبر ونعيمه

فَإِنْ أَنكَروا ذلك قيل لهم: وما المعنى الذي دعَاكم إلى الإِنْكَارِ لذلك؟

فإِنْ زَعموا أَنَّ الذي دعَاهم إلى ذلك هو أَنَّ الحيَاةَ عِلَّةٌ للحِسِّ وسَبَبٌ له، وغَيرُ جائزٍ أَنْ يُوجَد سَبَبُ شَيءٍ ويُعدَم مُسبَّبُهُ. وأَوجبوا أَنْ يكونَ المُبرسمُ والمُغمى عليه يحسَّان الآلاَمَ في حَال زوالِ أفهامهما.

فيُقال لهم: أَتُنكرون جَوازَ فَقدِ الآلامِ واللَّذاتِ مع وُجودِ الحياة؟

فإِنْ أَنكَروا جوازَ ذلك، وقالوا: لا يكونُ حَيٌّ إلاَّ مَنْ يأَلمُ ويَلذ. قلنا لهم: أَفَتُحيلون أَنْ يكونَ حَيّاً إلاَّ مُطِيعاً[1] أَو عَاصِيا أَو فَاعِلاً أَو تَارِكاً؟ فإِنْ قالوا: نَعمْ. خَرجُوا مِنْ حَدِّ المُناظَرةِ لدفْعِهم المَوجُودَ المَحسوس. وذلك أَنَّ الأَطفَالَ والمَجانين مَوجُودُونَ أَحياءٌ لا مُطيعين ولا عَاصين. وأَنَّ المُغمى عليه والمُبرسَم لا فَاعلٌ ولا تارِكٌ اختياراً.

وإِنْ قالوا: بلْ لا نُحيل ذلك ونَقولُ: جَائزٌ وُجودُ حيٍّ لا مُطِيعاً،

---

(١) هكذا في الأَصل، والظاهر الصواب: أَن يكون حياً لا مطيعاً... بقرينة ما بعدها.

ولا عَاصِياً، ولا فَاعِلاً، ولا تَاركاً، قيل لهم: فأَجِيزُونا[1] وجود حَيٍّ لا حَاسٍّ ولا مُدرِكٍ كما أَجزتُمْ وُجوده لا فَاعِلاً ولا تَارِكاً.

فإِنْ أَبوا سُئِلُوا الفَرقَ بينهما.

وإِنْ أَجازوا وُجودَ حَيٍّ لا حَاسٍّ ولا مُدرِكٍ قِيلَ لهم: فإِذْ كان جَائِزاً عندكم وُجودُ حيٍّ لا حَاسٍّ ولا مُدرِكٍ فقد جَازَ وُجودُ الحَياةِ في جِسْمٍ، وارْتِفَاعُ الحِسِّ عندكم مِنْه.

فإِذا جَاز ذلك عندكم فما أَنكرتُمْ مِنْ وُجودِ الحِسِّ في جِسْمٍ مع ارْتِفاعِ الحَياةِ مِنْه؟! ويُسأَلون الفَرقَ بين ذلك.

ويُقَالُ لهم: أَليسَ مِنْ قَوْلكم: إِنَّه جَائزٌ وُجودُ الحيَاةِ في جِسْمٍ، وفَقْدِ العَلمِ مِنْه في حَالٍ وَاحِدَةٍ؟

فإِنْ قالوا: نَعمْ، قيل لهم: فما أَنكَرتم مِنْ وُجودِ العلمِ في جسْمٍ مع فَقْدِ الحَياةِ؟ وهل بينكم وبين مَنْ أَنكرَ وجودَ الحَياة في جسمٍ مع فقْدِ العِلمِ، فأَجازوا وجودَ العِلمِ مع فَقْدِ الحَياةِ[2]؟!

فإِنْ قَالوا: الفَرقُ بيَننا وبينه أَنَّا لَمْ نَجِد عَالِماً إِلاَّ حَيَّاً، وقد نجدُ حياً لا عَالِماً.

قيل لهم: أَوكلُّ ما لمْ تُشاهِدُوه أَو تُعايِنُوه أَو مثله فغيرُ جَائز كَوْنُهُ عندكم؟

---

(١) هكذا في الأَصل ولعل الصواب فأَجيزوا. لأَنها لا تتعدَّى إلى مفعولين.

(٢) مراد الشيخ ابن جرير رحمه الله: هل بينكم وبين هؤلاء فرق؟

فإن قالوا: نعمْ.

قيل لهم: أَفَشاهدتم جِسماً حَيّاً له حَياةٌ لا تُفارقُه الحَياةُ بالاحْتِرَاق بالنَّار؟

فإنْ زعموا أنَّهم قد شاهدوا ذلك وعاينوه، أَكذبتهُم المُشَاهَدَةُ مع ادِّعائهم ما لا يخفى كَذِبَهم فيه.

٤٦ ـ وإنْ زعموا أَنَّهم لَمْ يُعاينوا ذلك ولَمْ يُشاهــــدُوه.

قيلَ لهم: أَفتُقِرُّون بأَنَّ ذلك كَائِنٌ، أَم تُنْكِرُونه؟ فإنْ زعموا أَنَّهُم يُنكرونه خَرجوا مِنْ مِلَّةِ الإِسَلام بِتَكذِيبهم مُحكمِ القُرآن. وذلك أَنَّ الله تعالى ذكره قال فيه: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾[1]. فإنْ قالوا: بلْ نُقرُّ بأَنَّ ذلك كَائِنٌ

قيل لهم: فما أَنكَرتم مِنْ جَوازِ وُجودِ العلمِ وحِسِّ الأَلمِ واللَّذَةِ مع فَقْدِ الحَياةِ؟ وإنْ لم تكونوا شاهَدتم ولا عَاينتم عَالِماً ولا حَاسَّاً إلاَّ حيّا له حَياةٌ، كما جازعندكم وُجودُ الحَياةِ في جسْمٍ تُحرِقُه النَّار، وإنْ لمْ تكونوا عَاينتُم جِسماً تَتعَاقبه الحَياةُ مع احْتِرَاقِه بالنَّارِ.

فإنْ قالوا: إنَّما أَجَزنا ما أَجَزنا مِنْ بَقَاءِ الحَياةِ في الجِسمِ الذي تُحرِقُه النَّارُفي حَالِ إحرَاقِهِ النَّارَ، تَصْدِيقاً مِنَّا بِخَبرِ الله ـ جلَّ ثَناؤه.

---

(١) الآية من سورة فاطر رقم ٣٦.

قيل لهم: فصَدقتم بِخبَرِ الله ـ جَلَّ ثناؤه ـ بما هو ممكنٌ في العُقولِ كَوْنُه أَوبما هوغَيرُمُمكنٍ فيها كَوْنُه؟

فإِنْ زعموا أَنهم أَجَازوا ما هو غَيرُ مُمكنٍ في العُقول كَوْنُه، زعموا أَنَّ خَبر الله ـ عَزَّوجلَّ ـ بذلك تُكذِّبُ به العُقولُ وتَرفعُ صِحَّته، وذلك بالله كُفرٌعندنا وعندهم. ولاإِخَالهم يقولون ذلك.

فإِنْ زعموا أَنَّه ـ تعالى ذكره ـ أَخبرَمِنْ ذلك بِمَا تَصدِّقُه العُقولُ.

قيلَ لهم: فإِذْ كان خَبره بذلك خَبَراً يُصَدِّقُه العَقْلُ ـ وإِنْ لَمْ تكونوا عَاينتُم مِثلَه ـ فأَجيزوا كذلك أَنَّ عَذابَ الله ـ تعالى ذكره ـ أَلماً ولذَّةً وعِلماً في جسمٍ لا حياةَ فيه، وإِنْ لَمْ تكونوا عَاينتُم مثلَه فيما شَاهدتم، ولا صحَّ بذلك عندكم خَبرٌعن الله ـ تعالى ذكره ـ أَو عنْ رسوله ﷺ، كما كان غيرَمُحالِ عندكم في العقل وجودُ الحَياةِ في جسمٍ قد أَحرقَتهُ النَّارُقبلَ مَجيءِ الخَبرِبه.

وإِنْ كان الخَبرُقد حقق صِحَّة كَوْنِ ذلك حتّىٰ يَصحَّ به عندكم خَبرٌمِنْ الله أَومن رسوله عليه الصلاة والسلام.

إنكار منكر ونكير وما يكون في القبر من أحوال البرزخ

٤٧ ـ قال أبو جعفر:

والمَسألةُ على مَنْ أنكرَ مُنكَراً ونكيراً، ودفعَ صِحَّةَ الخَبرِ الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنَّ المَيِّتَ ليسمَعُ خَفَق نِعالِهم»[١]، يعني نِعَالَ مَنْ حَضَرَ قَبْرَه، إذَا وَلَّوا مُدْبِرينَ.

والخبرُ الذي رُوي عنه عليه السلام: «أنَّه وَقفَ على أَهلِ القَلِيبِ فَناداهم بأَسمَائهم: يا عتبةَ بنَ رَبيعةَ، وشَيبةَ بنَ رَبيعةَ، ويا أَبا جَهل بن هشام، هل وَجدتُم ماوعَدَ ربُّكُم حَقاً، فإنِّي قَدْ وجَدتُ ما وعَدَني ربِّي حَقَّاً. قالوا: يا رسول الله، أَتكلم قوماً قد مَاتوا وجَيَّفوا؟! فقال: ما أَنتُم بأَسمَعَ لما أَقول مِنْهم»[٢]. وما أَشبه ذلك مِنْ الأَخبارِ الوَارِدَةِ عن رَسولِ الله ﷺ في المَوْتَى، كالمَسألةِ على مَنْ أَنكَر عذَابَ القَبرِ سواء؛ لأَنَّ عِلَّتهم في جَميعِ إنْكَارِ ذلك عِلَّةٌ وَاحِدةٌ، وعِلَّتُنا في الإِيمَانِ بجمِيعهِ والتَصدِيْق به عِلَّة وَاحِدةٌ؛ وهو

(١) قطعة من حديث أَخرجه الإمام مسلم عن أَنس بن مالك رضي الله عنه بلفظين: الأَول: «إنه ليسمع قرع نعالهم، قال فيأيته ملكان فيقعدانه فيقولان له...» الحديث. والثاني: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا» في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أَو النار. برقم ٢٨٧٠.

(٢) الحديث متفق عليه ـ فقد أَخرجه البخاري في المغازي ٤/ ١٤٦١، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش من حديث أَبي طلحة. وقال قتادة في آخره: أَحياهم الله حتى أَسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً. وأَخرجه مسلم في كتاب الجنة ـ عن أَنس بن مالك رضي الله عنه برقم ٢٨٧٤.

تَظَاهُر الأَخبَارِ عن رَسولِ الله ﷺ به، مع جَوازِه في العقْلِ وصِحَّتِهِ فيه، وذلك أَنَّ الحَياةَ معنىً، والآلام واللَّذَّاتِ والمعلومَ[1] معانٍ غيره. وغَيرُ مُستَحيلٍ وُجودُ الحَياةِ مع فَقْدِ هذه المَعاني، ووُجُودُ هذه المَعاني معَ فَقْدِ الحَياةِ، لا فرقَ بين ذلك.

٤٨ ـ قال أَبو جَعْفر:

قد أَوضَحتُ سَبيلَ الرَّشَادِ، وبيَّنْتُ طَريقَ السَّدَادِ لِمنْ أُيِّد بنُصحِ نفْسه، وطُلبَ مِنْه السَّلامةُ مِنْها لها، والنَّجاةُ مِنْ المَهالِك، وتَرْكُ التَّعصُّبِ للرؤسَاءِ، والغَضَب لِلكُبرَاءِ، وإعْراضٌ مِنْه عن تَقليدِ الجُهَّالِ، ودُعَاةِ الضَّلالِ، في جَميعِ مااختَلفَت فيه أُمَّةُ نَبينا صلَّى الله عليه وسلَّم بعده إلى يَوْمِ القِيَامةِ[2] هذا، وما عَسَاها أَنْ تَخْتلِفَ فيه بعد اليَوْمِ مِنْ تَوحِيدِ الله ـ جلَّ ثناؤه ـ وأَسمائه وصِفَاتِه وعَدْلِهِ ووَعدِه ووَعيدِه، وأَحكَامِ أَهلِ الإجرَامِ، والقَوْلِ في أَهلِ الآثَامِ العظَامِ وأَسمَائهم وصِفَاتِهم.

والقَوْلِ في أَهلِ الاسْتِحقَاقِ للإِمَارةِ والخِلاَفةِ، وأَحكَامِ المَرَقَةِ مِنْ الخَوَارِجِ على الأَئمةِ.

والصَّحيحِ مِنْ القَوْلِ فيما لا يُدرَكُ علمهُ إلاَّ حسَّاً وسَمَاعاً،

---

(١) هكذا في الأَصل، وأَظنه المراد به: العلوم، والاسم يحتمله.

(٢) هكذا في الأَصل والصواب إلى يومنا هذا، بدليل ما بعده.

وفيما لايُدرَكُ عِلْمُه إلاَّ اسْتدلالاً، وما الذي لا يَسعُ جَهْلُه مِنْ ذلك، وما الذي يسعُ جَهْلُه مِنْه بما فيه الكِفَايَةُ لِمَنْ وُفِقَ لِفَهمه إنْ شَاء الله[1].

(١) هذه الجمل من الشيخ ابن جرير هي كالخاتمة لهذا الكتاب، حيث أتت على عموم المسائل التي تناولها فيه. ولذا بدا لي أن نهاية الكتاب هاهنا وما بعده أَلحق به بعد ذلك منه رحمه الله، أَو من ناسخيه، والموضوع محل احتمال، مع أَن ذاكري الكتاب نَصّ بعضهم أَنه ثلاثون ورقة ولم تَتم بعد هذه الثلاثون.
هذا إذا لاحظت أَنه لم يكمل مسألة الرؤية التي تأتي بعد. كما أنه لم يستوعب إكمال المسائل الخلافية في العقيدة التي ذكرها كالقدر والإيمان والقرآن، والقبر وهكذا، إلاَّ إن قصد دخولها فيما لا يسع الجهل بها.

القَوْلُ فِي الاخْتِلاَفِ فِي الرُّؤيَةِ

٤٩ ـ قال أَبو جَعْفر:

اخْتَلف أَهلُ القِبلَةِ في جَوَازِ رُؤيةِ العِبَادِ صَانِعَهم[١]:

(أ) فقال جَماعَةُ القَائلين بِقَوْلِ جَهْم: لا تَجوزُ الرُّؤيةُ على الله ـ تعالى ذكره ـ ومَنْ أَجازَ الرُّؤية عليه فَقدْ حَدَّه، ومَنْ حدَّه فقد كَفر[٢].

---

(١) قال ابن جرير في عقيدته: «وأَما الصواب من القول رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة في الآخرة، وديننا الذي ندين به، وأَدركنا عليه أهل السنة والجماعة فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأَخبار عن رسول الله ﷺ ثم ذكر بإسناده حديث جرير بن عبدالله البجلي أنهم كانوا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم راؤون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ وهو مخرج في الصحيحين.

(٢) هذا قول النفاة للصفات، ومنها رؤية الله في الآخرة من الجهمية وبعض المرجئة وجمهور المعتزلة، وورثهم في زمننا الزيدية والإمامية الرافضة والإباضية الخوارج. وهذه المقدمة التي استوجبوا بها على معتقدها الكفر ليست صحيحة، لأَن وصف الله بصفات ليس تحديداً له إلَّا عند من ينزل ذاته وصفاته كذوات الخلق وصفاتهم. والله يرى سبحانه وهو في علوه كما يليق =

(ب) وقال ضِرارُ بنُ عَمرو[1]: الرُّؤيةُ جائزَةٌ على الله تعالى ذكره، ولكنَّه يُرى في القيَامَةِ بِحاسَّةٍ سَادِسَة.

(جـ) وقال هِشَامٌ[2] وأَصحَابُه وأَبو مالِك . . . .

= بذاته المقدسة لا نأول ولا نعطل ولا نشبه. بل نقول بما نطقت به الأَدلة نقف بها على باب التسليم والإذعان والإيمان.

(١) هو القاضي المعتزلي ضرار بن عمرو الغطفاني رأس المعتزلة وزعيم فرقة الضرارية منهم، هلك سنة ١٩٠هـ، قال الإمام أَحمد: شهدت عليه عند القاضي سعيد بن عبدالرحمن فأَمر بضرب عنقه فهرب، من مقالاته: إنكار عذاب القبر، وإنكار كون النار والجنة مخلوقتان الآن، مع قوله بأَقوال المعتزلة في الصفات والقدر، قال شيخ الإسلام في الاستقامة ٢/ ٩٦ ـ ٩٧: «ومنهم ـ أَي المعتزلة ـ من أَقر بالرؤية، إما الرؤية التي أَخبر بها النبي ﷺ كما هو مذهب أَهل السنة والجماعة، وإما برؤية فسرها بزيادة كشف أَو علم، أَو جعلها بحاسة سادسة ونحو ذلك من الأَقوال، ذهب إليها ضرار بن عمرو وطوائف من أَهل الكلام المنتسبين إلى نصر أَهل السنة في مسألة الرؤية. وإن كان مايثبتونه من جنس ما نفته المعتزلة والضرارية. والنزاع بينهم لفظي، ونزاعهم مع أَهل السنة معنوي. ولهذا كان بشر المريسي وأَمثاله يفسرون الرؤية بنحو من تفسير هؤلاء» ا هـ. وانظر الدرء ٧/ ٢٧٨ نحوه. وترجمته في اللسان ٣/ ٢٠٣، وسير أَعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٤، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٨٩، وغيرها من كتب الفرق.

(٢) هما هشامان الأَول: هشام بن الحكم الكوفي الرافضي. الثاني هشام بن سالم الجواليقي الرافضي، وكلاهما من رءوس المشبهة المجسمة، والرافضة في أَول أَطوارها مشبهة في صفات الله غالية في التجسيم، وفي القرون المتأخرة أَصبحوا جهمية اعتزالية. وهشام بن الحكم أَشهر من صاحبه، فهو متكلم الرافضة ومنظر مذهب المجسمة، كما يقول بالجبر الشديد، وأَن علم الله =

. . . . النَّخَعيُّ[1] ومُقَاتِلُ بنُ سُليمانَ[2]: الرُّؤيةُ على الله ـ جلَّ ثناؤه جَائزةٌ بالأَبصَارِ التي هي أَبصَارُ العُيون.

(د) وقال جماعةٌ مُتصَوفِةٌ[3]، ومَنْ ذُكِرَ ذلك عنه مِثْلُ بَكْرِ بنِ

= محدث، ويقول: إن الله جسم طوله سبعة أَشبار ـ تعالى الله عن قوله وأَمثاله علواً عظيماً. هلك سنة ١٩٠هـ.

ولم يكن على وئام مع صاحبه ابن الجواليقي إذ ذكر المترجمون أَن له رداً عليه.

وشيخ الإسلام في حكايته لأَقوال متقدمي الرافضة المشبهة كثيراً ما يفرق بينهما كما في درء التعارض ١/ ٢٤٨، ٢/ ١٧٣، ٣٣٢، ٦/ ٢٨٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٢٩٤، وانظر: السير ١٠/ ٥٤٣، واللسان ٦/ ١٩٤، والملل والنحل ١٨٦، وما بعدها.

(١) لعله الواسطي عبدالملك بن الحسين ويُقال ابن أَبي الحسين ويعرف بابن ذر، من رجال ابن ماجه ضعفه جماعة منهم أَبو زرعة وأَبو حاتم وقال البخاري ليس بالقوى، وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال النسائي: متروك.

انظر الكنى لمسلم رقم ٣٠٦٤، الضعفاء للبخاري ص٧٠.

والجرح والتعديل ٢/ ٢/ ٣٤٧، والمقتنى في سرد الكنى للذهبي رقم ٥٥٦٦، وتهذيب الكمال للمزي، والتقريب لابن حجر، والكامل لابن عدي ٥/ ٣٠٣.

هذا ولربما يكون غيره فالله أعلم.

(٢) أَبو الحسن البلخي، كبير المفسرين، له تفسير للقرآن مخطوط، توفي شبه ١٥٠، قال فيه الذهبي: أَجمعوا على تركه. وتوقف شيخ الإسلام ابن تيمية في ما نسب إليه من التجسيم في منهاج السنة ٢/ ٦١٨ ـ ٦٢٠، وما نسب إليه من الإرجاء في ٥/ ٢٨٦. كما اتهموه بالكذب في الحديث: انظر تهذيب الكمال ١٣٦٥، والطبقات لابن سعد ٧/ ٣٧٣، والنبلاء ٧/ ٢٠١، والمجروحين لابن حبان ٣/ ١٤.

(٣) تعقب ابن جرير في هذه النسبة أَبو عبدالله بن خفيف في عقيدته المشهورة =

أُخْتِ عَبدالوَاحدِ[1] : الله ـ جَلَّ وعزَّ ـ يُرى في الدُنيا والآخِرةِ، وزَعموا أَنَّهم قد رَأَوه، وأَنَّهم يَرونه كُلَّما شَاءُوا ـ إلاَّ أَنَّهم زعموا أَنَّه يَراه أَوْليَاؤه[2] دون أَعْدَائِه.

= التي مر ذكرها في حاشية إثبات نسبةالكتاب لابن جرير. التي نقلها ابن تيمية في الحموية الكبرى ص٤٧، وقال فيها: «... فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى، فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة، ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة لم يخص طائفة، فبين أَن ذلك على جهالة منه بأَقوال المخلصين منهم، وكان من نسب إليه ذلك القول بعد أَن ادَّعى على الطائفة ابن أُخت عبدالواحد بن زيد، والله أَعلم بمحله عند المخلصين فكيف بابن أُخته. وليس إذا أَحدث الزائغ في نحلته قولاً نسب إلى الجملة.....» وكلامه رحمه الله متعقب لأَن ابن جرير لم يعم كل الطائفة بل نص كما في المتن أَعلاه أَنه قول جماعة متصوفة، ومن ذكر ذلك عنه مثل بكر بن أُخت عبدالواحد، فاندفع بهذا التقييد، والتنكير في الجماعة المقصودة قول ابن خفيف.

(١) عبدالواحد بن زيد البصري الزاهد شيخ الصوفية بها كان واعظاً عابداً قال فيه البخاري: تركوه وهذا أَوسط الأَقوال فيه، وذاك من جهة حفظه، مات بعد الخمسين ومائة قاله الذهبي، انظر: السير ٧/١٧٨، ولسان الميزان ٤/ ٨٠، وصفة الصفوة ٣/ ٣٢١، والمعرفة والتاريخ ٢/ ١٢٢، والجرح والتعديل ٣/ ٢٠، والمجروحين ٢/ ١٥٤، وكان له أَتباع على طريقته في الزهد وعندهم تصوف مشتهرون به. ويعرفون بأَصحاب عبدالواحد بن زيد. ولعل منهم ابن أُخته بكراً. نقل الأَشعري عنهم في المقالات ١/٢٨٨، أَنهم يقولون: إن الله يرى على قدر الأَعمال، فمن كان عمله أَفضل رآه أَحسن. ا هـ. في سياق مقالة التجسيم.

(٢) ذكر ابن خفيف في عقيدته أَن أَئمة المتصوفة ينكرون رؤية الله في الدنيا =

ومِنْهُم مَنْ يَقولُ: يَراه الوليُّ والعَدوُّ في الدُّنيا والآخرةِ[1]، إلاَّ أَنَّ الوليَّ يُثْبته إِذا هو رَآه؛ لأَنَّه يَتَراءى في صُورةٍ إِذا رآه بها عَرَفَه، وأَنَّ العَدوَّ لا يُثْبتُه إِذا رآه.

(هـ) وقال بَعضُ أَهلِ الأَثَرِ: يَراه المؤمنون يومَ القِيَامةِ بأَبصَارِهم، ويُدْرِكُونه عَيَاناً ولا يُحيطُون به.

وقال آخَرون مِنْهم: يَراه المؤمنون بأَبْصَارِهم ولا يُدْرِكُونه.

قالوا: وإِنَّما زَعمْنَا أَنَّهم لا يُدْرِكُونه؛ لأَنَّه قَد نَفَى الإِدرَاكَ عن

= بالأَبصار وأَن ذلك قول الجهال وأَهل الغباوة فيهم، فقال كما حكاه عنه ابن تيمية في الحموية ص٤٧: «.. كثيراً ما يقولون رأيت الله، يقول: وذكر عن جعفر بن محمد وهو الخواصّ ـ قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأَبصار بتحديد الأَعيان ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان. ثم قال: وإنه تعالى يرى في الآخرة كما أَخبر في كتابه، وذكره رسوله ﷺ، هذا قولنا، وقول أَئمتنا، دون الجهال من أَهل الغباوة فينا». اهـ. وإنما يعني ابن خفيف العلماء منهم الذين على جادة أَهل السنة، ومن عناهم ابن جرير، الذين وصفوا بالجهل والغباوة.

(١) نسب ابن حزم في الفصل ٣/ ٢ـ ٣ القول بأَن الله يرى في الدنيا والآخرة إلى المجسمة، ونسب إلى المعتزلة وجهم وبعض السلف ـ ممن لم يبلغه الخبر ـ نفي الرؤية في الدنيا والآخرة، وينسب إلى جمهور أَهل السنة والمرجئة وضرار ابن عمرو من المعتزلة إلى أَن الله لا يرى في الدنيا، ويرى في الآخرة على خلاف بينهم في وسيلة الرؤية.
ولا شك أَن تفصيل الإمام ابن جرير ها هنا أَدق وأَشمل وأَولى بالتحرير من ذلك وإن كان له اعتبار.

نَفْسِه بقوله: ﴿لا تُدرِكه الأَبصار وهو يُدرك الأَبصار﴾[1].

فهذه جُملة أَقَاوِيلهم.

مناقشة نفاة الرؤية وشبههم

٥٠ ـ واعْتَلَّ الذين نَفوا الرُّؤية عنه بأَنْ قالوا: إِنَّ كُلَّ مَنْ رأَى شَيْئاً فلنْ يَخلوَ في حَالِ رُؤيَتِهِ إِيَّاه مِنْ أَنْ يَكون يَراه مُبَايناً لبصَرِهِ أَو مُلاصِقاً.

قالوا: وغيرُ جَائزٍ أَنْ يرَى الرَّائي، ويُبصر المُبصرُ ما لاصَق بَصَرَه؛ لأَنَّ ذلك لو كان جائزاً لوجَبَ أَنْ يَرى الرَّائي عَينَ نَفْسِه.

فلَّما كان ذلك غَيرَ جَائزٍ في الدُّنيا، كان كذلك غَيرَ جَائِزٍ في الآخرةِ، لأَنَّ ذلك إِنْ جَازَ في الآخرةِ وهو غَيرُ جَائِز في الدُّنيا جازَ أَن يَرى بِسَمْعِه في الآخِرةِ ويسمع ببصَرِه، فإِذا كان ذلك في الدُّنيا

---

(١) وقد ذكر هذا القول في تفسير قوله تعالى من سورة الأَنعام: ﴿لا تدركه الأَبصار وهو يدرك الأَبصار وهو اللطيف الخبير﴾. فصدره بقول أَهل السنة والجماعة، ودلائله من أَن معنى الإِدراك غير معنى الرؤية، لأَن من معاني الإِدراك الإِحاطة، ولأَن قوم موسى عليه السلام قالوا له لما رأوا قوم فرعون وراءهم: ﴿فلما تراءا الجمعان قال أَصحاب موسى إِنا لمدركون﴾ أي لمحاطٌ بنا.. فأَجابهم: ﴿قال كلا إِن معي ربي سيهدين﴾ فلم ينف الرؤية حيث رأى كلا الجمعين بعضهم بعضاً، ولكن نفى الإِدراك، فدل على الفرق بينهما، فلا مستمسك لنفاة الرؤية بهذه الآية على نفيها. والمؤمنون المثبتون للرؤية يقولون برؤية الله بالأَبصار يوم القيامة، ولا يقولون إِنهم يدركونه بها. فالشمس والنجوم ترى بالأَبصار، ولكن لا يحاط بها ولا تدرك، هذا في المخلوق، فكيف بالخالق سبحانه وتعالى؟ وانظر بسط القول في التفسير ٧/ ١٩٩ ـ ٢٠١.

مُحالاً، وكان ذلك غيرُ جَائِزٍ كان كذلك رُؤْيَةُ البَصرِ مالاصَقه في الآخِرةِ مُحالاًكما كان في الدُّنيا مُحالاً.

قالوا: وإذَا فَسد ذلك لَمْ يبق إلاَّ أَنْ يُقال: إنَّ العَبد في الآخرةِ يرَى ربَّه مُبايناً بِبصَره؛ إذْ كَانتْ الأَبصَارُ في الدُّنيا لا تَرى إلاَّ ما بَايَنها، فكذلك الوَاجِبُ في الآخِرةِ مِثلُها في الدُّنيا لا ترى إلاَّ ما باينها؛ وجبَ أَنْ يكونَ العَبدُ إذا رَآه في الآخِرة مُبايناً بِبَصره أَنْ يكونَ بَينَه وبينَه فَضَاءٌ.

وإذا كان ذلك كذلك كان مَعْلوماً أَنَّ ذلك الفضاءُ لو كان الصَّانعُ فيه كان أَعَظَم مِمَّا مَرَّ به، وليس هو فيه. قالوا: وفي وُجوبِ ذلك كذلك وُجوبُ حَدٍّ له.

والقَوْلُ بأَنَّه يُحدُّ لو تُوهم بأَكثرَ مِنْ ذلك الحَدِّ كان أَعظم مِمَّا هو به. قالوا: وذلك صفةٌ لله عزَّ وجلَّ باللُّطْفِ والصِغَرِ، وإيجابِ الحُدودِ له، وذلك عندهم خُروجٌ مِنْ الإسلام.

قالوا وبعدُ: بعضُ مَنْ يُخالِفنا مِنْ أَهلِ هذه المَقَالاتِ يَنْفُون الحُدودَ عنه ويُوافِقُونا على ذلك[1].

---

(١) يشيرون إلى الأَشاعرة القائلين بأَن الله تعالى يرى لا في جهة. فأَثبتوا أَصل الرؤية، ونفوا أَن يرى في جهة لأَنه سبحانه لا تحده الجهات! ولذا كان قول أَهل السنة هو الصحيح بأَنه يرى في جهة العلو التي هو متصف بها، وهي من صفات ذاته سبحانه وتعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ المستوي على عرشه، =

قالوا: وفي نَفْيهم ذلك عنه ـ مع إجَازَتِهِم الرُّؤيةَ عليه ـ نَقْضٌ مِنْهم لِقَوْلِهم: إذا أَثْبَتوه مَرئياً على المُبايَنَةِ التي وصَفنا، نَقَضُوا قَوْلَهم بذلك أَنَّه غيرُ مَحدُودٍ.

وفي قَوْلِهم: إنَّه غيرُ مَحدُود نَقْضٌ مِنْهِم لقولِهم: إنَّه يُرى؛ لأَنَّه إذَا كان مَرئيًّا لَمْ يَكنْ مرئيًّا إلاَّ على المُبايَنَةِ التي وصفْنا، وذلك إيجَابُ حَدٍّ لله تعالى ذكره.

قالوا: فكُلُّ قَوْلٍ مِنْ ذلك نَاقِضٌ لِصاحِبِه، ولنْ يَسلَم مُخالِفُنا مِنْ المُنَاقَضةِ[1].

قالوا: وفي تَنَاقُضِ القَوْلين الدِّلالَةُ الوَاضِحةُ على فَسادِ قَوْلِ مُخالِفنا القائلِ: برؤيةِ الصَّانِعِ، وصِحَّةِ قَوْلِنا[2].

= الذي أَحاط بكل شيء علماً.

(١) هذا الإيراد من نفاة الرؤية مبنـاه على مذهبهم في عموم صفات الله سبحانه، إذ توهموا أَن رؤية الخالق مثل رؤية المخلوق، كما لم يتصوروا متصفاً بالصفات: السمع والبصر والكلام والنزول إلاَّ المخلوق الذي اتصف بها بجارحة بها يسمع ويبصر ويتكلم.
وضاقت عقولهم وقلوبهم عن نفي المشابهة والمماثلة بين صفاتهم وصفات خالقهم الذي نفى عنه ذلك بقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وأَعقبها مباشرة بإثبات سمعه وبصره: ﴿وهو السميع البصير﴾.

(٢) إلـى هنا تنتهـي المخطوطة وهو خـرم في آخرهـــا يُقدر بنحـو ست ورقات. وللأَسف جاء خرمها بإيراد شبهة نفاة الرؤية دون الجواب عليها، ولكن ولله الحمد وجدت من كلام ابن جرير رحمه الله ما يدفع به هذه الشبهة في تفسيره عند آية الأَنعام: ﴿لا تدركه الأَبصار وهو يدرك الأَبصار وهو اللطيف الخبير﴾ =

= فقال عند آخر تفسيرها بعد ذكره لمجمل شبهتهم ٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣:

«والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأَخبار عن رسول الله ﷺ أَنه قال: «سترون ربكم يوم القيامة كماترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب»، فالمؤمنون يرونه، والكافرون يومئذ محجوبون، كما قال جل ثناؤه: ﴿كلا إِنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾.

فأَما ما اعتل به منكرو رؤية الله يوم القيامة بالأَبصار، لما كانت لا ترى إِلَّا ما باينها، وكان بينها وبينه فضاء، وفرجة، وكان ذلك عندهم غير جائز أَن تكون رؤية الله بالأَبصار كذلك؛ لأَن في ذلك إِثبات حدٍّ له ونهاية، فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه.

وأَنه يُقال لهم: هل علمتم موصوفاً بالتدبير سوى صانعكم إِلَّا مُماسًّا لكم أَو مبايناً؟

فإِن زعموا أَنهم يعلمون ذلك كُلفوا تبيُّنه، ولا سبيل إِلى ذلك.

وإِن قالوا: لا نعلم ذلك. قيل لهم: أَو ليس قد علمتموه لا مماساً لكم ولا مبايناً، وهو موصوف بالتدبير والعقل، ولم يجب عندكم إِذ كنتم لم تعلموا موصوفاً بالتدبير والفعل غيره إِلَّا مماساً لكم أَو مبايناً أَن يكون مستحيلاً العلم به وهو موصوف بالتدبير والفعل لا مماس ولا مباين.

فإِن قالوا: ذلك كذلك. قيل لهم: فما تنكرون أَن تكون الأَبصار

=

= كذلك لا ترى إلاَّ ما باينها، وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه وهو غير مباين لها ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء كمالا تعلم القلوب موصوفاً بالتدبير إلاَّ مماساً لها أَو مبايناً، وقد علمته عندكم لا كذلك، وهل بينكم وبين من أَنكر أَن يكون موصوفاً بالتدبير والفعل معلوماً إلاَّ مماساً للعالم به أَو مبايناً، وأَجاز أَن يكون موصوفاً برؤية الأَبصار لا مماساً لها ولا مبايناً فرق.

ثم يُسألون الفرق بين ذلك؟ فلن يقولوا في شيء من ذلك قولاً إلاَّ أَلزموا في الآخر مثله.

وكذلك يُسألون فيما اعتلوا به في ذلك أَن من شأن الأَبصار إدراك الأَلوان، كما أَن من شأن الأَسماع إدراك الأَصوات، ومن شأن المتنسم درك الأَعراف، فمن الوجه الذي فسد أَن يقتضي السمع لغير درك الأَصوات، فسد أَن تقتضي الأَبصار لغير درك الأَلوان.

فيُقال لهم: أَلستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفاً بالتدبير والفعل إلاَّ ذا لون، وقد علمتموه موصوفاً بالتدبير لا ذا لون.

فإن قالوا: نعم، لا يجدون من الإقرار بذلك بداً، إلاَّ أَن يكذبوا فيزعموا أَنهم قد رأوا وعاينوا موصوفاً بالتدبير والعقل غير ذي لون. فيكلفون بيان ذلك، ولا سبيل إليه.

فيُقال لهم، فإذا كان ذلك كذلك، فما أَنكرتم أَن تكون الأَبصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك إلاَّ الأَلوان، كما لم تجدوا أَنفسكم تعلم موصوفاً بالتدبير إلاَّ ذا لون. وقد وجدتموها =

= علمته موصوفاً بالتدبير غير ذي لون...

ثم يسألون الفرق بين ذلك؟ فلن يقولوا في أَحدهما شيئاً، إلاَّ أَلزموا في الآخر مثله.

ولأَهل هذه المقالة تلبيسات كرهنا ذكرها وإطالة الكتاب بها وبالجواب عنها، إذ لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم؛ بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آي الفرقان.

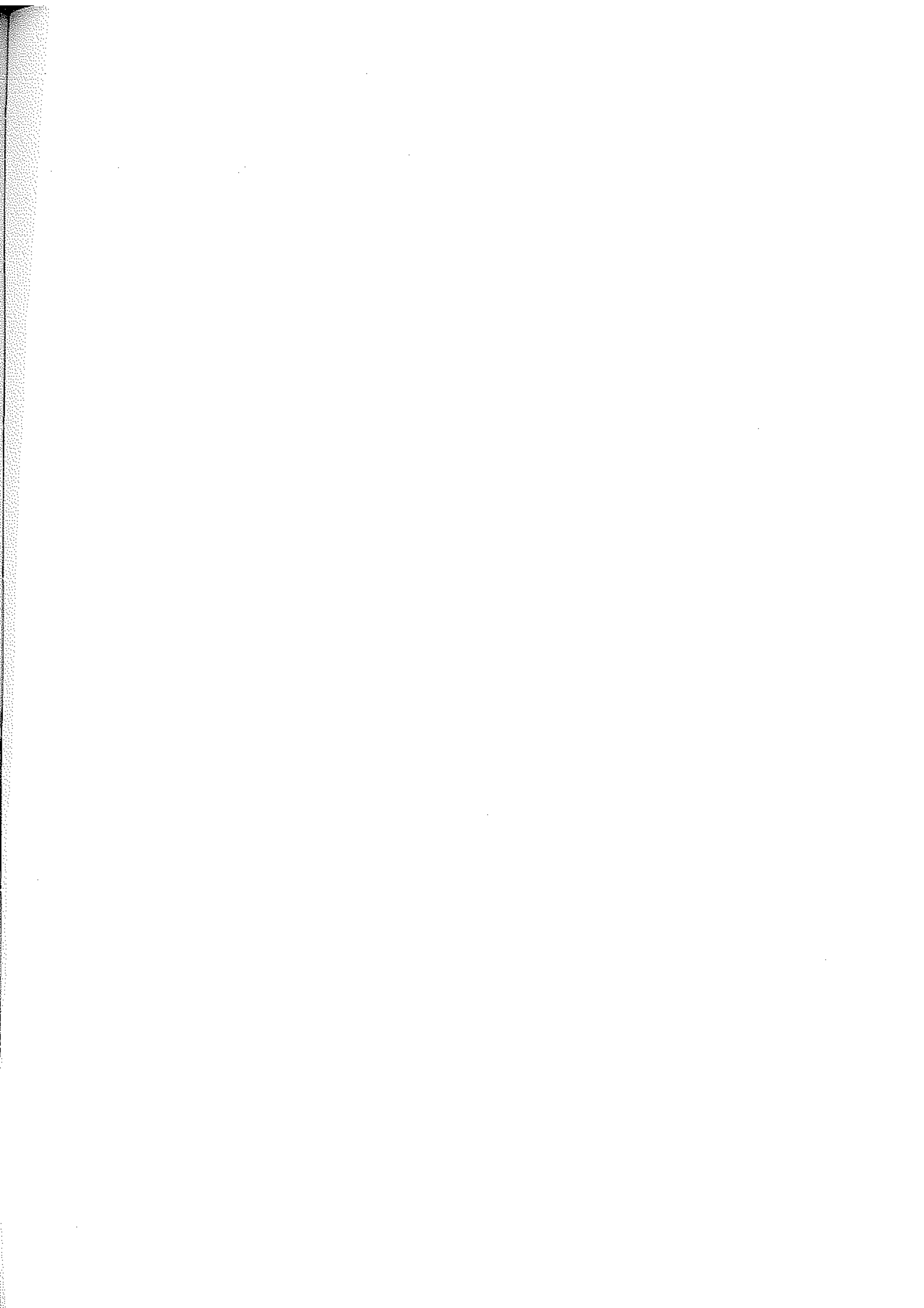
ولكن ذكرنا القدر الذي ذكرنا ليعلم الناظر في كتابنا هذا أَنهم لايرجعون من قولهم إلاَّ إلى ما لبس عليهم الشيطان مما يسهل على أَهل الحق البيان عن فساده، وأَنهم لا يرجعون في قولهم إلى آية من التنزيل محكمة، ولا رواية عن رسول الله ﷺ صحيحة ولا سقيمة.

فهم في الظلمات يتخبطون، وفي العمياء يترددون. نعوذ بالله من الحيرة والضلالة» اهـ.

نعم نعوذ بالله من الحيرة والضلالة ومن طريق أَهل الغواية، ونسأله سلوك محجته المستقيمة وسبيله القيوم. وأن يمنحنا الفقه في دينه ومعرفته حق المعرفة، وفهما وعلماً سديداً به وبكتابه وبسنة نبيه وخليله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم آمين.

وانظر كشف هذه الشبهة منهم: اللمع للأشعري ١١٠ ـ ١١٥ والإبانة عن أصول الديانة له ص٦٥ ـ ٨٤ في مناقشة نفاة الرؤية.

وأيضاً ارجع إلى فتح الباري ١٥/ ٤٣٥، وشرح النووي على مسلم ٣/ ١٥ وما بعدها. وفي الحقيقة في كلام ابن جرير السابق كفاية لمن تفهمه! والحمد لله.



ثبت المصادر المذكورة في نص الكتاب فقط

* الاستقامة لابن تيمية، ت محمد رشاد سالم، طبع جامعةالإمام بالرياض.
* أُصول الدين، عبدالقاهر البغدادي، تصوير بيروت.
* الأَسماء والصفات للبيهقي، ت عبدالله الحاشدي، مكتبة السوادي بجدة.
* الأَطلس التاريخي، د. حسين مؤنس، دار الزهراء بالقاهرة.
* الاعتصام للشاطبي ـ تصوير بيروت لبنان.
* الاعتقاد للبيهقي، دار الكتب العلمية ـ لبنان.
* اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ت محمد البغدادي ـ لبنان.
* الأَعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ـ لبنان.
* الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي، دار الكتاب العربي ـ لبنان.
* إبطال التأويلات لآيات الصفات، لأَبي يعلى، ت محمد الحمود،مكتبة الذهبي بالكويت.
* اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ـ ت ناصر العقل، مكتبة الرشد بالرياض.
* الأَنساب للسمعاني ـ طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند.
* إنباه الرواه، القفطي، ت محمد أَبو الفضل إبراهيم، طبع القاهرة ١٩٥٠م.
* إيضاح المكنون عن أَسماء الكتب والفنون، لإسماعيل باشا، طبع وكالة المعارف الجليلة.
* الإبانة عن أُصول الديانة للأَشعري، تقديم حماد الأَنصاري، تصوير الجامعة الإسلامية بالمدينة.
* الإمام الطبري في ذكرى مرور أَحد عشر قرناً على وفاته ـ منشورات المنظمة

الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في سنة ١٩٩٢م.
* البداية والنهاية لابن كثير، طبع القاهرة وما صور عنها.
* البرهان في معرفة عقائد أَهل الأَديان للسكسكي ت حسام العموش مكتبة المنار.
* تاج العروس شرح القاموس للزبيدي ـ تصوير لبنان.
* تاريخ الأَدب العربي لبروكلمان وملاحقه الطبعة الأَلمانية.
* تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، خدمة محمد الفقي، تصوير لبنان.
* تاريخ دمشق لابن عساكر، طبع دمشق، وهي عدة أَجزاء منه، مجمع اللغة العربية.
* تاريخ التراث العربي ـ لسزكين، طبع جامعةالإمام بالرياض.
* التاريخ الكبير للبخاري، ت المعلمي، طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند.
* تاريخ الرسل والملوك للطبري ت محمد أَبو الفضل إبراهيم، طبع القاهرة.
* التدمرية لابن تيمية، ت محمد السعوي، طبع العبيكان بالرياض.
* تذكرة الحفاظ للذهبي، تصوير بيروت، ت عبدالرحمن المعلمي.
* تقريب التهذيب لابن حجر، ت محمد عوامه ـ دار الرشيد سوريا.
* تهذيب التهذيب لابن حجر، طبع الهند وما صور عنها.
* تهذيب الكمال للمزي، تصوير دار المأمون بدمشق.
* تهذيب الأَسماء واللغات للنووي، طبعة المنيرية وما صور عليها.
* تهذيب الآثار للطبري، ت محمود شاكر ،طبع جامعة الإمام بالرياض.
* تهذيب الآثار للطبري، ت الرشيد وعبدرب النبي، طبع مكة المكرمة.
* التنبيه والرد على أَهل البدع للملطي، ت الكوثري، مكتبة المثني ببغداد.
* جامع البيان تفسير الطبري، طبعة مصر وما صور عليها بلبنان.
* جامع البيان تفسير الطبري، ت محمود شاكر دار المعارف بمصر.

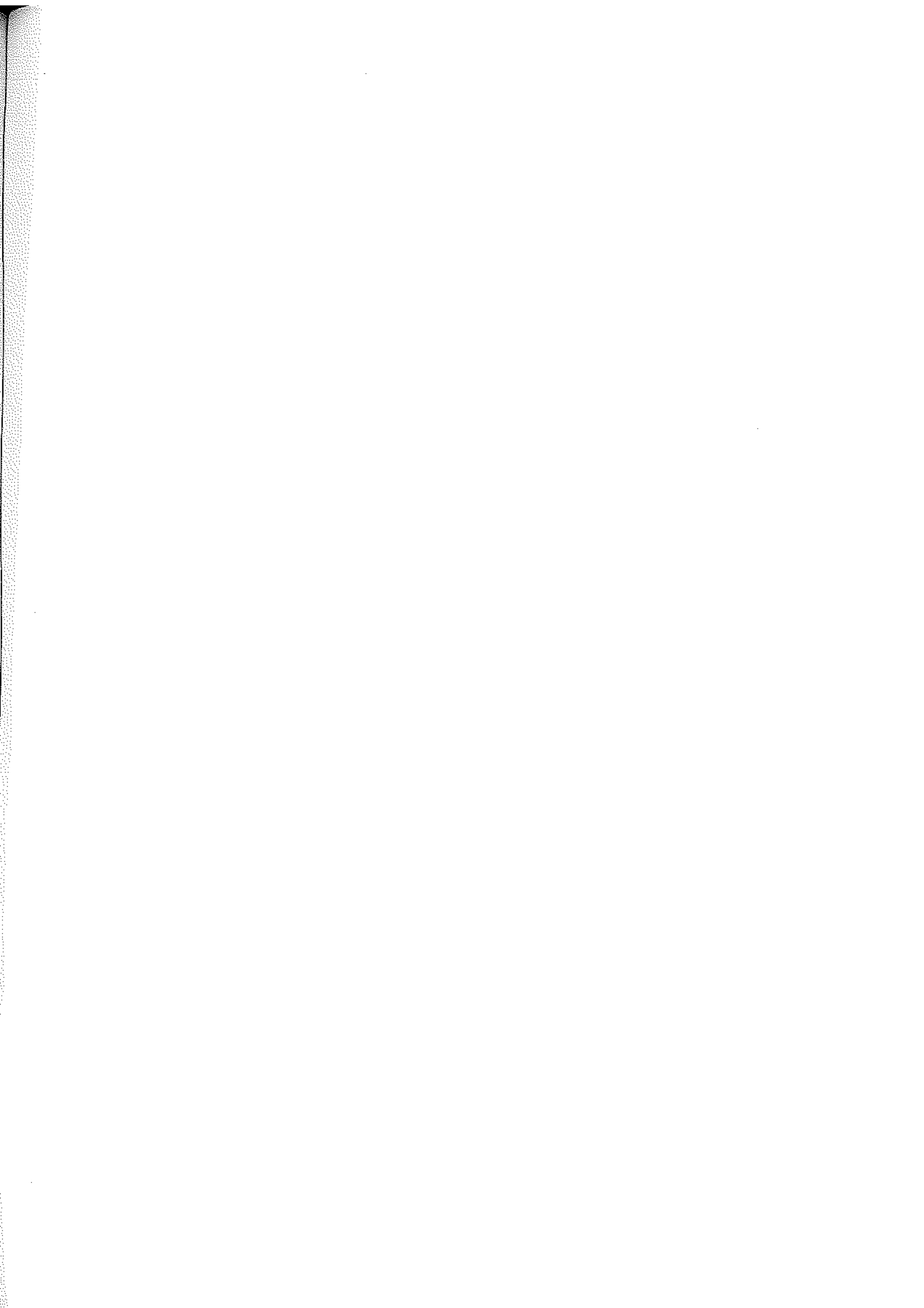
* جامع البسيوي الأَباضي، نشر وزارة التراث والثقافة عمان.
* جامع الرواة، للحائري الرافضي، دار الأَضواء لبنان ١٤٠٣هـ.
* جامع الرسائل لابن تيمية، ت محمد رشاد سالم، نشر مكتبةالمدني بجدة.
* الجامع الصحيح للترمذي، ت شاكر وعبدالباقي، نشر بيروت.
* كتاب الجهاد لعبدالله بن المبارك، ت نزيه حماد، نشر دار المطبوعات بجدة.
* كتاب الجهاد لابن أَبي عاصم، ت مساعد الراشد، دار القلم سوريا.
* الجرح والتعديل لابن أَبي حاتم، ت المعلمي، طبع الهند سنة ١٣٧١هـ.
* الحموية الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية بيروت.
* الحيدة والاعتذار للكناني، ت علي ناصر، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة.
* درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ت محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام بالرياض.
* الدرر المتناثرة في الأَحاديث المشتهرة للسيوطي ،طبعة البابي، تصوير لبنان.
* دول الإسلام للذهبي، طبع الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٧٤هـ.
* الرد على الجهمية، لعثمان الدارمي، ت النشار والطالبي، تصوير عن طبعة دار المعارف.
* الرد على بشر المريسي العنيد للدارمي، ت النشار والطالبي تصوير عن طبعة
* دار المعارف.
* رسالة في أَن القرآن غير مخلوق، لإبراهيم الحربي، ت علي الشبل، نشر دار العاصمة.
* رسالة في تصحيح لفظ الزنديق، لابن كمال باشا، مصورة مخطوطة.
* الرسالة المستطرفة، للكناني، دار الفكر بدمشق سوريا.
* روضات الجنان لمحمد باقر الخوانساري، طبع سنة ١٣٤٧هـ.
* سلسلة الأَحاديث الصحيحة للأَلباني، نشر مكتبة المعارف بالرياض.
* سنن ابن ماجه، ت محمد فؤاد عبدالباقي، مصورة طبعة مصر.

* سنن أبي داود، ت محيي الدين عبدالحميد، تصوير لبنان.
* السنن الكبرى للبيهقي، تصوير دار الفكر.
* سنن النسائي، المجتبى، تصوير دار الفكر لبنان.
* السنة لابن أبي عاصم تخريج الألباني، المكتبة الإسلامية بيروت.
* السنة، لأبي بكر الخلال، ت أحمد الزهراني، نشر مكتبة الراية بالرياض.
* شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، تصوير لبنان.
* شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ت أحمد حمدان، نشر مكتبة طيبة بالرياض.
* الشرح والإبانة، «الإبانة الكبرى»، لابن بطة، ت رضا نعسان، مكتبة الراية الرياض.
* شرح حديث النزول، لابن تيمية، ت محمد الخميس، دار العاصمة الرياض.
شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تخريج الألباني، المكتب الإسلامي.
* شرح صحيح مسلم للنووي، تصوير دار الفكر بلبنان.
* الشريعة للآجري، ت حامد الفقي، طبع أنصار السنة بمصر.
* صحيح الإمام البخاري، ترقيم مصطفى البغا، نشر مكتبة ابن كثير واليمامة بسوريا.
* صحيح مسلم، محمد فؤاد عبدالباقي، تصوير لبنان.
* صفة الصفوة لابن الجوزي، تصوير دار المعرفة لبنان.
* الضعفاء الصغير للبخاري ـ ت محمود زايد، دار الوعي بحلب سوريا.
* الطبري ـ لمحمود الحوفي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر سنة ١٣٩٠هـ.
* الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر بلبنان.
* طبقات الحفاظ للسيوطي، ت علي محمد عمر، مكتبة وهبة بمصر.
* طبقات الحنابلة والذيل عليها، لابن أبي يعلى وابن رجب، تصوير دار المعرفة.

* طبقات الشافعية للسبكي، ت الطناحي والحلو، طبعة عيسى البابي بمصر.
* طبقات الشافعية لابن كثير.
* طبقات الشافعية لابن الصلاح.
* طبقات الفقهاء للشيرازي، ت إحسان عباس بيروت ١٩٨١هـ.
* طبقات القراء للذهبي، ت محمد سيد جاد الحق، طبع القاهرة ١٩٦٧م.
* طبقات المفسرين للسيوطي، ت علي عمر، مكتبة وهبة بمصر.
* طبقات المفسرين للداودي، ت علي عمر، مكتبة وهبة بمصر.
* عبدالله بن سبأ لسليمان العودة ـ مكتبة طيبة بالرياض.
* العبر في خبر من غبر للذهبي ـ ت صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، طبع الكويت.
* عقيدة السلف أَصحاب الحديث، للصابوني، ت بدر البدر، الدار السلفية بالكويت.
* غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الأَثير الجزري، طبع الخانجي بمصر ١٣٥٢هـ.
* فتح الباري لابن حجر، ترقيم الخطيب، مكتبة الريان بمصر.
* الفصل في الملل والأَهواء والنحل لابن حزم، تصوير لبنان عن طبعة مصر، وبحاشيتها الملل والنحل للشهرستاني.
* الفهرست لابن خير الأَشبيلي، طبع مكتبة الخانجي بمصر.
* الفهرست لابن النديم، تصوير دار المعرفة.
* الفهرست لشيخ الطائفة الرافضة الطوفي محمد، طبع مؤسسة الوفاء.
* فوائد الشيخ صالح القاضي: الاختيارات المنقولة من الفوائد المنثورة، طبعة
* أولى سنة ١٤١٤هـ بالقصيم، السعودية.
* القاموس المحيط للفيروزآبادي، ت مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة للنشر لبنان.

* القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير في تفسيره، محمد عارف الهرري طبعة أولى سنة ١٤٠٦هـ.
* قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، للسيوطي، ت خليل الميس، المكتب الإسلامي.
* الكامل لابن الأثير، تصوير عن طبعة المنيرية بمصر، وأخرى صف بيروت.
* الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، نشر دار الفكر بلبنان، طبعة رابعة.
* كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، حاجي خليفة، تصوير لبنان.
* الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج القشيري، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة.
* الكنى والألقاب، الدولابي، تصوير طبعة الهند.
* اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الأثير، دار صادر بلبنان.
* لسان العرب لابن منظور ـ دار صادر.
* لسان الميزان لابن حجر، تصوير طبعة حيدر آباد الهند.
* اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، للأشعري ت السيروان، طبعة دار لبنان الأولى.
* معرفة القراء الكبار للذهبي، طبقات القراء.
* كتاب المجروحين والضعفاء والمتروكين لابن حبان، ت محمود زايد، دار المعرفة لبنان.
* مجلة العربي الكويتية عدد ٤٠ (٤٠ ـ ٤٤) مقال لمحمد أبي زهرة.
* مجمع الزوائد للهيثمي، تصوير مكتبة المعارف لبنان.
* مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع آل قاسم، مصورة على نفقة الملك فهد بمصر.
* مختصر الصواعق المرسلة للموصلي، دار الكتب العلمية لبنان.
* مرآة الجنان لليافعي، دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٣٧هـ.
* مسند الإمام أحمد، تصوير لبنان عن طبعة مصر.

* مسند أبي داود الطيالسي ـ تصوير طبعة الهند.
* مسند أَبي يعلى الموصلي، ت حسين أَسد، دار المأمون بالشام.
* المستدرك على الصحيحين للحاكم، تصوير لبنان.
* مشارق أَنوار العقول لابن حميد السالمي، ت الخليلي، نشر وزارةالثقافة بعمان.
* متشابه القرآن، لعبدالجبار المعتزلي، تصوير لبنان.
* معجم الأُدباء لياقوت، تصوير طبعةمصر.
* معجم البلدان، لياقوت، دار صادر بلبنان.
* المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي، ت أَكرم العمري، تصوير لبنان.
* مفتاح دار السعادة لطاش كبرى زادة، ت كامل وأبي النور، دار الكتب الحديثة.
* مقالات الإسلاميين للأَشعري، ت محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية.
* المقتنى في سرد الكنى للذهبي، ت محمد المراد، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة.
* الملل والنحل للشهرستاني، ت الوكيل دار الفكر لبنان. وأُخرى بحاشية الفصل لابن حزم، وانظرها في الفصل.
* مناقب الإمام أَحمد لابن الجوزي، طبع الخانجي بمصر سنة ١٣٥١هـ.
* المنتظم في التاريخ لابن الجوزي ،تصوير عن دار المعارف العثمانية بالهند.
* منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ت محمد رشاد، طبع جامعة الإمام بالرياض.
* نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني تصوير طبعة المولويه بفاس.
* النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، طبع وزارة الثقافة بمصر.
* الوافي بالوفيات الصفدي، نشر أَلمانيا سنة ١٣٨١هـ.
* وفيات الأَعيان لابن خلكان، ت إحسان عباس، دار صادر ـ لبنان.



الفهـارس الفنيـــة

وتشمل :

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأَحاديث والآثار.

٣ ـ فهرس الأَعلام.

٤ ـ فهرس مؤلفات ابن جرير.

٥ ـ فهرس الكتب.

٦ ـ فهرس الأَماكن والبلدان.

٧ ـ فهرس الأَلفاظ الغريبة.

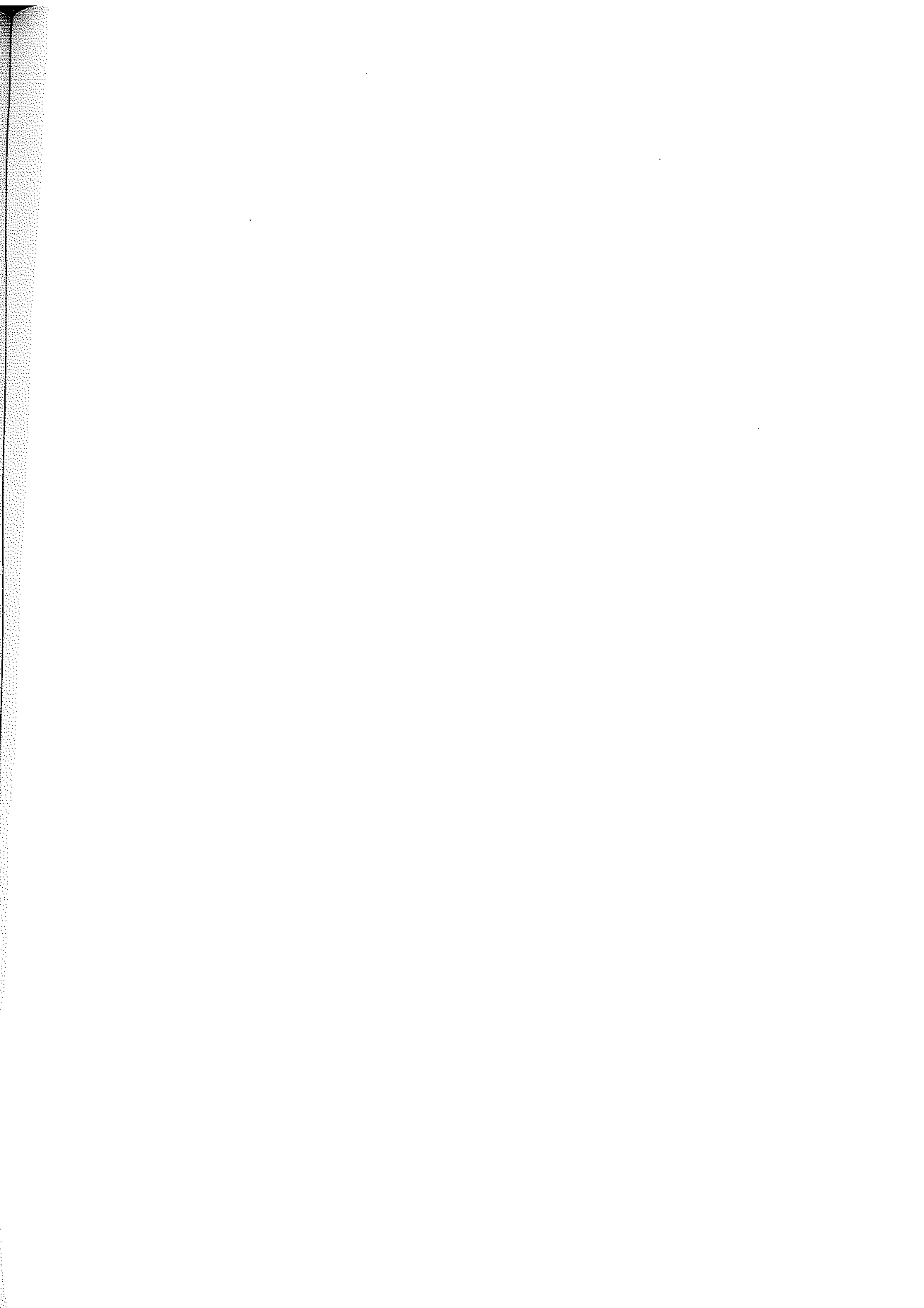
٨ ـ فهرس الشعر.

٩ ـ فهرس الفرق والطوائف.

١٠ ـ ثبت المصادر المذكورة في نص الكتاب.

١١ ـ فهرس الفوائد.

١٢ ـ فهرس المحتوى التفصيلي.



فهرس الآيات القرآنية حسب السور

سورة الأَعراف

سورة الأَنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

□ □ □

فهرس الأحاديث والآثار(*)

(*) هذا الفهرس حسب حروف المعجم، مع حذف (ال) التعريف، في الجملة.

□ □ □

فهرس الأعلام(*)

(*) الترتيب على حروف المعجم، وملاحظة حذف (ال) التعريف وكلمة أبو وابن ونحوهما عند لحظ الترتيب.

فهرس مؤلفات ابن جرير

□ □ □

فهرس الكتب

□ □ □

فهرس الأماكن والبلدان

□ □ □

فهرس الألفاظ الغريبة

□ □ □

فهرس الشعر (*)

(*) مرتب على أَول حرف من كل بيت منه.

□ □ □

فهرس الفرق والطوائف

□ □ □

فهرس الفوائد والتعليقات

فهرس المحتوى

□ □ □